علاقة المقدمة بالمتن في كتاب الموازنة

د. عمر محمد الطالب
كلية الاداب ــ جامعة الموصل

١ــ الموازنة : يذكر ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي في مقدمة كتابه (الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري) بأنه مقدم على الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وابي عبادة الوليد بن عبيد البحتري في شعريهما (ص٣) والموازنة هي أخذ قصيدتين للشاعرين في نفس الوزن والقافية وتتفقان فى المعنى ومقارنتهما ببعضهما.

وأكد الآمدي بأنه سيعمد الى الحق وتجنب الهوى (ص٣) أي الموضوعية التامة في الموازنة بين الشاعرين .ولكنه ما ان انتهى من جمله القليلة تلك في الموازنه والبعد عن الهوى حتى تظهر ميله الى جانب البحتري حيث قال : «ووجدت ــ أطال الله بقاءك ــ أكثر من شاهدته ورأيته من رواة أشعار المتأخرين ، يزعمون أن شعر أبي تمام : حبيب بن اوس الطائي لايتعلق بجيده جيد امثاله ، ورديه مطرح مرذول ،فلهذا كان مختلفاً لايتشابه وان شعر الوليد بن عبيد البحتري صحيح السبك ، حسن الديباجة ، ليس فيه اسفاف ولاروي ولا مطروح ، ولهذا صار مستوياً يشبه بعضه بعضاً» (ص٣) ،ولكنه سرعان مايدرك بأنه قد كشف عن خبيئة نفسه فيتراجع ويقرر بأنه مااختارهما للمفاضلة بينهما الاّ لكثرة شعريهما ، وكثرة جيدهما وبدائعهما وقد مال الى

البحتري من النقاد من يحب حلاوة اللفظ وحسن التخلص ووضع الكلام في مواضعه وصحة العبارة وقرب المأتى وانكشاف المعاني ، وهم الكتاب الاعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة . ومال الى ابي تمام من يفضل غموض المعاني ودقتها ، وكثرة مايورده مما يحتاج الى استنباط وشرح واستخراج ؛ وهم أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل الى التدقيق وفلسفي الكلام . وخرج من كلامه هذا الى أن البحتري أعرابي الشعر مطبوع على مذهب الأوائل وما فارق عمود الشعر المعروف،وكان يتجنب التعقيد ومستكره الالفاظ ووحشي الكلام ، وأن أبا تمام شديد التكلف صاحب صنعة يستكره الالفاظ والمعاني ، وشعره لايشبه شعر الأوائل ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة ، والمعاني المولدة (ص٤ــ٥) واذا أمعن النظر فيما قاله الآمدي عن الشاعرين ندرك ميله سلفاً الى شعر البحتري المطبوع ، ويبقى البعد عن الهوى مشكوكاً في أمره . وان ميله الى البحتري واضح على الرغم من أنه لم يسفر في مقدمته عن معاداته لأبي تمام وشعره ، وكأن الآمدي أدرك فهم قارئه لنواياه فأراد أن يبعد الشك عنه فقرر بأنه لايحب اطلاق القول بأيهما أشعر عنده ، لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في الشعر وانهم لم يتفقوا على من هو اشعر سواء في العصر الجاهلي ام العصرين الاموي والعباسي (ص٥) ولكنه يسبق قارئه ليقرر : «فان كنت ــ آدام الله سلامتك ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر صحة السبك ، وحسن العبارة ، وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق فالبحتري اشعر عندك ضرورة ، وإن كنت تميل الى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ولا تلوي على ماسوى ذلك فابو تمام عندك أشعر لامحالة ، أما أنا . فلست أفصح بتفضيل احدهما على الآخر ، ولكني أوازن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما اذا اتفقتا في

للوزن والقافية واعراب القافية وبين معنى ومعنى ثم أقول ايهما اشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى . ثم احكم أنت حينئذ» (ص٥ - ٦) وعلى الرغم من محاولة الآمدي الظهور بمظهر الناقد الموضوعي الا ان نواياه بانت في جمله الآنفة ، فهو قد سبق الحديث عن البحتري .وهو نال لابي تمام زمنياً وربط البحتري بالطبع وابا تمام بالصنعة قبل أن يثبت ذلك ، واخيراً هل حقق الآمدي منهجه في الموازنة بين الشاعرين كما قررها في كلامه آنف الذكر؟

وقد اعتمد الآمدي في الموازنة: (١) على المحاججة النظرية لاصحاب كل فرقة من هذين الشاعرين يقول الآمدي : «وانا ابتديء بذكر ماسمعته من احتجاج كل فرقة من اصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الاخرى . عند تخاصمهم في تفضيل احدهما على الآخر . وما ينعاه بعض على بعض»(ص٦) وجمعت في اثنتين وعشرين حجة ، تضمنت خمسين صفحة من المقدمة بين صفحتي ٦ - ٥٦ .

(٢) **الموازنة** : التي تضمنت متن الكتاب : سرقات ابي تمام واخطاءه في المعاني والالفاظ وسرقات البحتري واخطاءه في الالفاظ والمعاني . ذاكراً منهجه في هذه الموازنه : «وانا أذكر باذن الله الآن في هذا الجزء المعاني التي يتفق فيها الطائيان وأوازن بين معنى ومعنى وأقول أيهما أشعر في ذلك المعنى بعينه ، فلا تطالبني أن أتعدى هذا الى أن أفصح لك بايهما اشعر عندي على الاطلاق لاني غير فاعل ذلك ، لأنك إن قلدتني لم تحصل لك الفائدة بالتقليد وإن طالبت بالعلل والاسباب التي اوجبت التفضيل فقد اخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمي من ثبت مذهبيهما وذكر مساؤيهما ، في سرقة المعاني من الناس ، وغلطهما في المعاني والالفاظ ، واساءة من أساء منهما في الطباق والتجنيس والاستعارة ورداءة النظم واضطراب الوزن وغير ذلك مما أوضحته

في مواضعه وبنيته» (ص٤١٠) . ثم ينتقل الآمدي الى فضل كل من أبي تمام والبحتري.

وقد ادرك الآمدي بانه لم يتمكن من تحقيق منهجه في الموازنة كما عرضه في مقدمة الكتاب فاستدرك قائلاً «وقد انتهيت الآن الى الموازنة. وكان الأحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين اذا اتفقتا في الوزن والقافية وأعراب القافية ولكن هذا لايكاد يتفق مع اتفاق المعاني التي اليها المقصد ، وهي المرمى والغرض وبالله استعين على مجاهدة النفس ومخالفة الهوى ، وترك التحامل ، فانه جل اسمه حسبي ونعم الوكيل» (ص٤٢٩) وتشي الكلمات بعجزه عن تنفيذ ماقرره في المقدمة من الموازنة الصحيحة كما تشي بعدم موضوعيته عند الموازنة بين الشاعرين . فهو الصق بالبحتري واقرب الى منهجه الشعري .

وقد تتبع الآمدي في موازنة المعاني بين الشاعرين بناء القصيدة التقليدية فابتدأ :

١ — بذكر الوقوف على الديار ، وذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الظاعنين.

٢ — الخروج من المقدمة الطللية الى المديح ، وقد أخذ هذا الخروج اشكالاً عدة : كمخاطبة النساء واليمين وذكر الغيث وعباراته وذكر الرياح وتشبيه أخلاق الممدوح بها وخروجات المتأخرين الظريفة الحلوة النادرة.

(٣) معاني المديح :

كذكر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها ، وذكر الملك والدولة ، وما يخص اهل بيت النبوة من المدح دون غيرهم من ذكر طاعتهم والمحبة لهم والمعرفة لحقهم ، وذكر الآلة التي كانت للنبي (ص) فصارت اليهم من المجد والشرف في مدح الخلفاء وذكر الآثار بالحرم ، وذكر السؤدد والشرف

وعلو القدر وعظيم الفضل ، وما يجب في مدح الخلفاء — كانت تلك حالهم أو لم تكن — من ذكر التقى والورع ، وما قالاه في الجمال والجلال والهيبة والبهاء والجهارة .

ويلاحظ ان الآمدي لا يعتمد كثيراً على التعليل ، ولا يصدر احكاماً نهائية في أحايين أخرى ، وتتخلل احكامه توجيهات للمعاني ، وقد يخرج إلى الاستشهاد بما جاء في الموضوع لشعراء آخرين ،وينقد ابا تمام نقدات لاذعة(١) .

وتتحدد مواطن الضعف في هذه الموازنة : (١) قام الآمدي بتجزئة القصيدة فافقدها وحدتها فجاءت الموازنة غير دقيقة ، شبيهة بالعمليات الاحصائية .

(٢) اعتمد الآمدي في الموازنة على المعاني المشتركة بين الشاعرين في القصيدتين موضوع الموازنة بين الشاعرين ، وقد لا تكون هذه المعاني متقاربة ، وقد يشترك معنيان في موضوع واحد فتأتي الموازنة عندئذ بعيدة وغير واضحة .

(٣) ما الجدوى في الموازنة بين شاعرين متباعدين كل التباعد في فهمهما لطبيعة الشعر ؟ «فلو فرضنا — وهذا الغرض مستمد من احصاءات الآمدي — ان للبحتري ابتداءات في ذم الزمان وليس لأبي تمام ابتداء في هذا الموضوع أبداً فما حصيلة ذلك ؟ ماذا يمكن ان نقول وراء هذا التقدير ؟ واذا عرفنا أن الموضوعات التي تكافأ فيها الشاعران خمسون ، وان الموضوعات التي رجح فيها ميزان البحتري مائة ، فهل معنى ذلك ان البحتري أشعر من أبي تمام ؟ إن الموازنة التي اقتضت من الآمدي جهداً في غير طائل وردته إلى سذاجة المفاضلة مرة اخرى على الرغم من تذرعه بالعلل ، ومن احتفاله بالتبويب والتقسيم ، انها إخضاع شيء لا يخضع للاحصاء، ظاهرها منطقي ، واصولها غير معتمدة على منطق» (٢)

(١) النقد الادبي عند العرب ، احسان عباس ص ١٨٢
(٢) م.س ص ١٨٢

المنهج : تطالعنا مقدمة كتاب الموازنة بالمنهج الذي اختطه الآمدي للموازنة بين الشاعرين في

١ — الابتداء بذكر مساويء الشاعرين والانتهاء بذكر محاسنهما

٢ — ذكر السرقات والاحالات والغلط وسقط الشعر عند ابي تمام ، وما أخذه البحتري عن ابي تمام وغلطه في بعض معانيه .

٣ — موازنة الشعر بين قصيدة وقصيدة ثم بين معنى ومعنى ، اذا اتفقا في الوزن والقافية واعراب القافية حيث تظهر محاسنهما في تضاعيف ذلك وتنكشف .

٤ — ذكر ما انفرد كل واحد من معنى جحوده ولم يسلكه صاحبه .

٥ — افراد باب لذكر ما وقع في شعريهما من التشبيه .

٦ — ذكر باب للامثال يختم فيه الكتاب .

٧ — الاختيار المجرد من شعريهما ، وجعله مؤلفاً على حروف المعجم يتقرب تناوله ويسهل حفظه ، وتقع الاحاطة فيه .

ولم يضع الآمدي منهجه في اول الكتاب كما هي العادة في التأليف وانما ذكر المنهج بعد ان انتهى من احتجاج الخصمين — ابي تمام والبحتري — وإن ما يهم في الممارسة النقدية ، ضبط المادة وتحديد الموضوع والمنهج والمصطلح ، ويحدد الآمدي منهجه منذ البداية قائلا : «فاما انا فلست افصح بتفضيل احدهما على الآخر ، ولكنني اوازن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما اذا اتفقا في الوزن والقافية واعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، ثم اقول أيهما اشعر في تلك القصيدة وذلك المعنى ، ثم احكم انت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما اذا احطت علماً بالجيد والرديء» (ص ٦) .

ولكن الآمدي سيعدل عن العناصر الأولى في موازنته وسيحتفظ بالعنصر الاخير منها فقط والذي يتفق ونظرته التي ترى في الصياغة الشكلية ليست كل شيء في الشعر وانما المعاني هي الاساس حيث يقول : «وكان الاحسن ان أوازن بين البيتين او القطعتين اذا اتفقتا في الوزن والقافية واعراب القافية ، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعاني التي اليها المقصد وهي المرمى والغرض» ص ٤٢٩ . (١)

ان منهج الآمدي في كتابه الموازنة يتم على مراحل كما بينا آنفاً ، وكأنه ادرك بحاسته النقدية ان الموازنة لا تتم في المحاسن فقط وانما في المساويء ايضاً. فابتدأ موازنته بما في شعرهما من مطاعن ، فكانت السرقات هي البداية التي تناول بها الموازنة ، ثم ما غلط فيه ابو تمام من المعاني والالفاظ ، واخطاؤه في المعاني والالفاظ ، واستعاراته المستكرهة ، والمتعقد من نسجه ونظمه ، وما في شعره من قبيح التجنيس ومستكره المطابقة ، وسوء نسجه وتعقيده ووحشي الفاظه وما في شعره من الزحاف واضطراب الوزن ثم ينتقل الآمدي إلى تعليل هذا السقط عند ابي تمام بقوله «شره إلى ايراد كل ما جاش به خاطره ولجلجة فكره ، فخلط الجيد بالرديء ، والعين النادر بالرذل الساقط والصواب بالخطأ» (٢) ولكنه يستدرك — كي لا يرمى بالتعصب ضده — قائلا «فما ينبغي ان يقبح احسانه ولا ان تحسن اساءته» (٣) .

وينتقل الآمدي إلى ذكر مساويء البحتري ، مبتدأ بسرقاته ، وما اخذه من معاني ابي تمام خاصة ، وما أخطأ فيه ابو تمام من المعاني ، وما عيب به البحتري وليس بعيب واخيراً اضطراب الاوزان في شعر البحتري ، وهو المنهج نفسه

---

(١) الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ، الامدي ص ٥٧
(٢) الموازنة ط الأولى ص ١٣٥
(٣) م.س ص ١٦٦

الذي تتبع فيه الآمدي مساويء ابي تمام ، وقال الآمدي في ذلك : «ما رأيت شيئاً مما عيب به ابو تمام الا وجدت في شعر البحتري مثله ، الا انه في شعر ابي تمام كثير وفي شعر البحتري قليل» (١) .

وانتقل الآمدي من ذكر مساويء الشاعرين إلى ذكر محاسنهما وابتدأ بباب في فضل ابي تمام وتلاه بباب آخر في فضل البحتري . حيث قال «ينبغي ان تعلم ان سوء التأليف ورداءة اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحوج مستمعه إلى طول تأمل ، وهذا مذهب ابي تمام في عظم شعره وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسناً ورونقاً حتى كأنه قد احدث فيه غرابة لم تكن، وزيادة لم تعهد ، وذلك مذهب البحتري» (٢) ثم انتقل الآمدي بعد ذلك إلى الموازنة بين الشاعرين مبتدئاً بمقدمات القصائد منتقلا بعد ذلك إلى حسن التخلص ليقف موازناً بين معاني المديح عند الشاعرين .

ويبدو ان الآمدي لم يتمكن من الالتزام بالمنهج الذي وضعه في مقدمة الكتاب بان يوازن بين قصيدتين متفقتين بالوزن والقافية واعراب القافية والمعنى ، واكتفى بالموازنة بين المعنى فقط ، ونحن نراه خروجاً على منهج الموازنة مهما كان صعباً بينما يراه اخرون منهاجاً عادلا دقيقاً ، يقول مندور «ونحن وان كنا نحتفظ بالنظر في تنفيذ الآمدي لهذا المنهج او عدم تنفيذه كاملا ، الا اننا نستخلص من اقواله هذه روحه في الدراسة ، فهي روح ناضجة ، روح منهجية حذرة يقظة ، وهو يتناول الخصومة كرجل بعيد عنها، يريد ان يجمع عناصرها ويعرضها ويدرسها ، فان قصر حكمه على الجزيئات التي ينظر فيها ... واما اطلاق الحكم وتفضيل احدهما على الآخر فهذا ما

(١) م.س ط ص ٣٨٦
(٢) م.س ط ص ٤٠٢

يرفضه الآمدي» (١) . ويقول قاسم المومني : «وفي هذا المنهج تتضح رغبة الآمدي في الانصاف وتحري العدل» (٢) . ولكنه سرعان ما يأتي برأي مناقض لرأيه السابق بعد ان يتتبع موازنة الآمدي بين الشاعرين فيقول : «وفي اعتقادنا ان هذا الحكم من الآمدي غير دقيق ، وكان عليه بعد ان صرح بانه طرح اساءات ابي تمام ، واعترف بان عيون شعر ابي تمام اجود من عيون شعر البحتري ان يقدم ابا تمام ويحكم بتفوقه على البحتري ، ولو وازن الآمدي بين معاني الشاعرين جميعاً على اساس عيون شعريهما لكان للموازنة عنده شأن آخر» (٣) .

ولم يوازن الآمدي بين كل معاني الشاعرين بل بجزء منها هي : الوقوف على الديار والسلام عليها ، وتعفية الازمان والدهور للديار والبكاء عليها ، والخروج بذكر وصف الابل والمهامه إلى الممدوح والخيل ، ومخاطبة النساء، ووصف الغيث والرياح وتشبيه اخلاق الممدوح بهما ، وامر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها ، ومدح الخلفاء وذكر الملك والدولة ، ومدح الخلفاء بذكر التقى والورع ، بينما لم يتطرق إلى معان كثيرة وردت في شعري الشاعرين . ويقول مندور في صدد منهج كتاب الموازنة ، «خطة الكتاب واضحة ، ولكن توزيعه على أجزاء مضطرب ، فياقوت قد نص في معجم الادباء — جزء ٣ ص ٥٩ — على أن الكتاب في عشرة اجزاء ولكننا لا نتبين اساس التقسيم ، أهو عدد الأوراق أم وحدة الموضوع وآثار ذلك واضحة في الكتاب ، فالمؤلف نفسه قد وقف بالاجزاء عند مواضع لا ندري سر اختياره لها ... وأقول إنه برغم ذلك يتضح لنا منهج المؤلف في بناء كتابه

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ١٠٠
(٢) الموازنة بين ابي تمام والبحتري للآمدي ص ٩١
(٣) م.س ص ١٠٨

بناء محكماً ، واما مسألة الاجزاء فمسألة شكلية لا تؤثر على سياق الحديث في شيء» (١) .

ويذهب احسان عباس إلى ان الموازنة ابتعدت عن الانصاف في اعتمادها على نظرية عمود الشعر : «وليس من شك في ان الآمدي كان يؤثر طريقة البحتري ويميل اليها ، ومن اجل ذلك جعلها عمود الشعر ونسبها إلى الأوائل وصرح بانه من هذا الفريق ... وهذا يستتبع ان نسأل : هل يستطيع الموازنة المنصفة من كان لديه مثل هذا الميل ابتداء ؟!» (٢) واعتمد احسان عباس في التدليل على رأيه بآراء الاقدمين مثل ابي الفرج منصور بن بشر الكاتب وياقوت الحموي والشريف المرتضى (٣) .

وقد اعتمد الآمدي في موازنته اعتماداً كبيراً على ما تعارف عليه الاقدمون واقره المتذوقون من النقاد الذين سبقوه ومن هنا يأتي اعتماده على عمودين اساسيين في الموازنة هما عمود الشعر وعمود الذوق وفي هذا الصدد يعلق احسان عباس قائلا : «فمن هذه الدربة يتكون ذوق الناقد ، ومنها يستدل على ما جرت به العادة ، فيتمكن من الحكم على احسان الشاعر او اساءته بالنظر إلى ما جرت عليه العرب في طريقتها ، ولا يقف هذا الأمر عند حدود اللفظ وما يجوز في الاستعمال وما لا يجوز بل يتجاوزه إلى دقائق المعاني والصور والأخيلة» (٤) .

ويؤكد احسان عباس على ان تمسك الآمدي بعمود الذوق قتل الاستعارة عند ابي تمام : لأن «اخطر ما في هذا الاحتكام إلى طريقة العرب هو ما يصيب

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ١٥٧ .
(٢) تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ١٦٢
(٣) م.س ص ١٦٢ — ١٦٣
(٤) م.س ص ١٦٦

الاستعارة ، لأن تعقب الاستعارة يعني التدخل في التشخيص والقدرة الخيالية لدى الشاعر» (١) .

واذا ادعى الآمدي بانه يتمسك في موازنته بالاحتكام إلى طريقة العرب والاستئناس بها ، فانه اعتمد على ثقافة فلسفية في حديثه عن صناعة الشعر وابتاء حسن التأليف حيث يقول : «وأنا اجمع لك معاني هذا الباب في كلمات سمعتها من شيوخ اهل العلم بالشعر : زعموا ان صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم الا باربعة اشياء وهي جودة الآلة وإصابة الغرض المقصود وصحة التأليف ، والانتهاء إلى تمام الصنعة من غير نقص فيها ولا زيادة عليها ، وهذه الخلال الاربع ليست في الصناعات وحدها بل هي موجودة في جميع الحيوان والنبات . ذكرت الأوائل ان كل محدث مصنوع محتاج إلى اربعة اشياء : علة هيولانية وهي الأصل ، وعلة صورية ، وعلة فاعلة ، وعلة تمامية ... والنماط الشاعر الخطيب ، وهذه هي العلة الهيولانية التي قدموا ذكرها وجعلوها الأصل ، ثم اصابة الغرض فيما يقصد الصانع صنعه ، وهي العلة الصورية التي ذكرتها . ثم صحة التأليف حتى لايقع فيه خلل ولا اضطراب وهي العلة الفاعلة . ثم ينتهي الصانع إلى تمام صنعته من غير نقص منها ولا زيادة عليها وهي العلة التمامية ، فهذا قول جامع لكل الصناعات والمخلوقات» (٢) . ويذكر الآمدي في هذا النص العلل الاربع التي ذكرها أرسطو : المادة والصورة والعلة الفاعلة ثم العلة الغائية ، والعلة الاخيرة لم يفهمها الآمدي فحورها واستعملها في الشعر واطلق عليها العلة التمامية ، وتقابل العلتان الهيولانية والصورية ، اللفظ والمعنى عند العرب اما العلة الفاعلة فهي قوة الخلق ، وهذا القول يدلنا بأن الآمدي لم يعتمد على المصادر العربية فقط في تحبير كتابه بل اعتمد على المصادر الاجنبية فكيف

(١) م.س ص ١٦٨
(٢) م.س ص ٤٠٢ — ٤٠٣

ينعى على ابي تمام بانه خرج على اسلوب العرب وهو نفسه اعتمد عليه واخذ منه ، يقول احسان عباس في هذا الصدد : «ولو كان ادرك ابعاد هذا التمثيل لما تمسك بقوله إن ما خرج عن طريقة العرب فانه غير مقبول ، ذلك لأن الخلق او الصنع يحتاج حرية لم يدركها الآمدي ، وما نلومه لأنه لم يدركها ، والحق ان الآمدي لو تعمق الثقافة الفلسفية لتنازل عن اشياء كثيرة من قواعده ، ولكنه كان فيما قد يدل عليه كتابه سطحياً في هذه الناحية» (١) .

وقد اثرت النزعة التأثرية في تصنيف الآمدي لكتاب الموازنة ، وكان ذوقه المتحكم في أخذ ما يأخذه من شعر الطائيين وطرح مالا يستسيغه «ويظل هذا الاعجاب هو المحرك الكبير دون ان يهتدي الناقد إلى ادراك الأسس الجمالية في الشيء الجميل ، وقد عاشت هذه التأثرية مع الآمدي ، حين شاء ان يكون ناقداً موضوعياً» (٢) .

ان الشيء الاساس الذي تقدمه هذه الطريقة النقدية ، هي انها محاولة في مقاربة النص الشعري لتأسيس خطاب نقدي يشتغل على النص ويفسر طرق اشتغاله ، لذلك لم تهتم الموازنة بشعر الشاعرين من جميع نواحيه . وانما اهتمت بمعاني شعرهما ، لذا عدها مندور «موازنة فنية وانها لم تكن ممكنة الا في الموضوعات»(٣) او المعاني كما يسميها الآمدي ، لانها كانت متقاربة . وشرط الموازنة كما تقدمه معاجم اللغة ، ان يتوفر التقارب والمحاذاة بين الشيئين الموازن بينهما (٤) .

---

(١) تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ١٧٢
(٢) م.س ص ١٧٤
(٣) النقد المنهجي عند العرب ص ٣٤٤
(٤) (وهذا يوزن هذا أي هو محاذيه) ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة وزن ج٦ ص١٠٧ (وازنت بين البيتين موازنة ووزاناً ، وهذا يوازن هذا اذا كان على زنته وكان مجازيه) لسان العرب لابن منظور مادة وزن . (شرط الموازنة سواء في الجنس او النوع او الكيف الخ هو الاتحاد) كتاب التعريفات لمحمد الشريف الجرجاني ص ٦ و ٢٥٧ .

والملاحظ ان المصطلح النقدي الذي انتظم هذه الدراسة الغنية جاء دقيقاً منسجماً يعكس مدى الماع الآمدي بمذهبي البديع وعمود الشعر ، ولكن ما البديع وعمود الشعر في الاصطلاح النقدي عند الآمدي ، يطلق اسم البديع عادة على ما استجد من فنون واساليب القول في الشعر المحدث الذي عرف به بشار بن برد وابو نواس ومسلم بن الوليد ، ويعد ابن المعتز اول من الف في البديع كتاباً مستقلا وقد حصر فنونه في خمسة وهي : الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد اعجاز الكلام على ما تقدمه والمذهب الكلامي ، وارد منهـا بذكر فنون اخرى اسماها : محاسن الكلام والشعر وعددها ثلاثة عشر فناً . وتبعه قدامة بن جعفر الذي تعرض لبعض الانواع التي تعرض لها ابن المعتز واضاف اليها انواعاً اخرى كالتقسيم والمقابلات والمساواة والاشادة ، اما الآمدي فقد حصر البديع في فنون ثلاثة هي : الاستعارة والتجنيس والطباق ، والمتتبع لموقف الآمدي من فن البديع على انه قديم ومنتشر في اقوال القدماء والقرآن الكريم يدرك مدى تأثره بكتاب البديع لابن المعتز . ولا يعارض الآمدي استخدام ابي تمام لهذه الألوان البديعية ولكنه يأخذ عليه الاكثار منها: «استفرغ وسعه في هذا الباب وجد في طلبه واستكثر منه وجعله غرضـه فكانت اساءته فيه اكثر من احسانه وصوابه اقل من خطئه» (١) ويأخذ عليه مخالفته لاستعمالات العرب لهذه الفنون لان « الاستعارة لا تستعمل الا فيما يليق المعاني . ولا تكون المعاني به متضادة متنافية ، ولهذا حدود اذا خرجت عنها صارت إلى الخطأ والفساد» (٢) ويقول الآمدي عن الطباق في شعر ابي تمام : «لو اقتصر الطائي على ما اتفق له في هذا الفن من حلو اللفظ وصحيح المعنى ... لتهذب عظم شعره وسقط اكثر ما عيب عليه منه» (٣).

(١) الموازنة جـ١ ص ٢٨٧
(٢) م.س ص ٢٥٥
(٣) م.س ص ٢٨٩ – ٢٩٠

ويلاحظ مدى حضور ابن المعتز في قول الآمدي ، غير ان اقتصار الآمدي على هذه الالوان الثلاثة دون غيرها مما ذكره ابن المعتز كرد اعجاز الكلام على ما تقدمه ،وبخاصة المذهب الكلامي ، يدل دلالة واضحة على انسجام مذهب الآمدي لما في المذهب الكلامي من اثر التفكير الفلسفي الذي يأباه ذوق الآمدي في الشعر .

اما عمود الشعر فهو مصطلح يطلق على طريقة العرب التقليدية في نظم الشعر ، وهي الطريقة التي تفضل الطبع على الصنعة ، ويروم الاسلوب الذي لا تلتوي فيه المعاني بالغموض ، والملاحظ ان بعض نعوت وخصائص هذا العمود قد اشار اليها ابن قتيبة في مقدمة كتابه (الشعر والشعراء) فقد اشار بصدد الاسباب التي يختار ويحفظ من اجلها الشعر : «وليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ولكنه قد يختار ويحفظ على اسباب منها : الاصابة في التشبيه ... وخفة الروي ... لأن قائله لم يقل غيره او لأن شعره قليل عزيز ... او لأنه غريب في معناه ... وقد يختار ويحفظ ايضاً لنبل قائله» (١) ، غير ان بوادر لجميع هذه الخصائص وتحديد معاييرها قد بدأت مع الآمدي الذي يعد اول ناقد تبلور معه هذا الاصطلاح وقد تكرر ذكره في المقدمة مرتين (٢) ، واما اسس معايير الشعر عند الآمدي فهي :

١ — ما يتعلق باللفظ وشرطه لدى الآمدي ان يكون حلواً .

٢ — ما يتعلق بالمعنى وشرطه ان يكون واضحاً وصحيحاً .

٣ — ما يتعلق بالعبارة وشرطها ان تكون صحيحة حسنة .

٤ — ما يتعلق بالصياغة وشرطها ان يوضع الكلام في موضعه والبعد عن التعقيد ووحشي الكلام ، وأن يؤتى الشعر مأتى لا تعقيد فيه ولا غموض .

---

(١) الشعر والشعراء جـ١ ص ٢٩ — ٣١

(٢) الموازنة ص ٤ ، ١٨

٥ – ما يتعلق بالاستعارات والتمثيلات وشرطها ان تكون لائقة بما استعيرت له وغير منافرة للمعنى (١) .

واذا تدبرنا هذه المعايير نجد أثر الآمدي واضحاً في نظرية عمود الشعر كما قدمها الجرجاني في (الوساطة) وفي مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة ابي تمام .

– ٣ –

المحاججة :

يقف كتاب الموازنة واحداً من اهم الكتب النقدية القديمة لما اتسم به من وضوح المنهج وحسن الترتيب والتبويب ، وتعد مقدمة الكتاب من اهم المقدمات في الكتب النقدية العربية لما فيها من الجدة والتمايز ، فقد حدد الآمدي فيها معنى الموازنة ووقف وقفة المحايد الطويلة عند حجج الخصمين في المفاضلة بينهما وعرض اخيراً منهج كتابه . وقد جاءت هذه المحاججة على لسان اصحابها فريق بحتري الهوى وآخر تمامي المنزع ، ويدخل الفريقان في محاورة وجدل بينهما ، يدفع كل طرف التهمة عن صاحبه واظهاره بمظهر الشاعر الفحل .

١ – قضية الصحبة والتلمذ على ابي تمام : وقد أنكر اصحاب البحتري ذلك «فما صحبه ولا تتلمذ له ولا روى ذلك احد عنه ، ولا نقله ، ولا رأى قط انه محتاج اليه» (ص ٧) ويوردون ادلة على ذلك ، ولكنهم لا ينكرون انه استعار بعض معاني ابي تمام «لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البحتري من شعر ابي تمام فيعلق شيئاً من معانيه معتمداً للأخذ او غير معتمد» (ص ٨) . وان كثيراً اخذ عن جميل ولكنه اشعر منه .

(١) م .س ص ٤–٥

٢ ـ استواء شعر البحتري واختلاف شعر ابي تمام : فقد ناقشوا قول البحتري «جيده خير من جيادي ورديئي خير من رديئه» (ص ١١) وبأن هذا الكلام له لا عليه : لأنه يدلل على استواء شعر البحتري واختلاف شعر ابي تمام و«المستوي الشعر اولى بالتقدمة من المختلف الشعر» (ص ١١) ، وانكروا قول البحتري «كان اغوص على المعاني . وانا اقوم بعمود الشعر» (ص ١٢) وقصروه على الشاميين دون غيرهم .

٣ ـ تقويم البديع وبيان ماذا كان ابو تمام اماماً له او انفرد بمذهب اخترعه وصار له اتباع فيه وانكر اصحاب البحتري امامة ابي تمام فيه واكدوا بأنه كان معروفاً منذ عصر امريء القيس وفي القرآن الكريم . وان ابا تمام اتبع سبيل مسلم بن الوليد الذي قيل فيه «إنه اول من افسد الشعر» (ص ١٧)

٤ ـ ودارت المناقشة حول علاقة الشعر بالعلم . وقال انصار ابي تمام «انما اعرض عن شعر ابي تمام من لم يفهمه لدقة معانيه وقصور علمه عنه ، وفهمه العلماء واهل النفاذ في علم الشعر واذا عرفت هذه الطبقة فضله فلا يضره طعن من طعن بعدها عليه» (ص ١٩) . اما انصار البحتري فيعدون الشعر تعبيراً عن الاحاسيس والمشاعر ، بعيداً عن الافكار الفلسفية التي تفسد الشعر ، وقرروا بان ابن الاعرابي والشيباني ودعبلا الخزاعي ارذلوا شعر ابي تمام وطعنوا عليه وهم من اهل العلم بالشعر . فدفع انصار ابي تمام بأن الثلاثة كانوا يشنأون على ابي تمام هذا بالاضافة إلى تعصبهم عليه لغرابة مذهبه ، وانهم لم يتمكنوا من فهم معانيه لدقتها وعمقها ،ورد انصار البحتري على تعصب ابن الاعرابي ونزوه منه ، وردوا على انصار أبي تمام لقولهم «الشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم» (ص ٢٥) .بأن الشعر ليست علته العلم ، والا من كان يتعاطاه من العلماء اشعر والحقائق تخالف هذا

الرأي . وان شعر العلماء دون شعر الشعراء» (ص ٢٥) و «ان ابا تمام تعمد ان يدل في شعره على علمه باللغة وبكلام العرب، فتعمد إدخال الفاظ غريبة في مواضع كثيرة من شعره» (ص ٢٥) بينما كان البحتري «يتعمد حذف الغريب الوحشي من شعره ليقربه على فهم من يمدحه ، الا ان يأتيه طبعه باللفظة بعد اللفظة في موضعها من غير طلب لها» (ص ٢٦)

٥ — رصد بعض اخطاء وعيوب الشاعرين في النحو واللغة والزحافات وعيوب القافية ، وما يرافق ذلك من أخطاء في الالفاظ والمعاني ، قال الآمدي في هذا الصدد : «ما نعينا على ابي تمام اللحن — وهو في شعره اكثر واشفع — فتنعوا مثله على البحتري ، لأن اللحن لا يكاد يعرى منه احد من الشعراء المحدثين . ولا سلم منه شاعر من الشعراء الاسلاميين» (ص ٢٩) ،

٦ — ودفع انصار ابي تمام برثاء البحتري له : فرد انصار البحتري : ولم لا يفعل البحتري ذلك،وقد كان هو وابو تمام بعد اجتماعهما وتعارفهما متصافيين ... يجمعهما النسب والطلب والمكتسب ، ولم يكن في زمانهما شاعر مشهور يفد على الملوك ويجتدى بالشعر وينتسب إلى طيىء سواهما ، فليس بمنكر ان يشهد احدهما بالفضل لصاحبه» (ص ٥٣ — ٥٤) .

٧ — ودفع انصار ابي تمام بقولهم بان الرواة والعلماء يقولون : «جيد ابي تمام لا يتعلق به جيد امثاله ، واذا كان كل جيد دون جيده لم يضره ما يؤثر من رديئه» (ص ٥٤) فرد انصار البحتري : «إنما صار جيد ابي تمام موصوفاً لأنه يأتي في تضاعيف الرديء الساقط ، فيجيىء رائعاً لشدة مباينته ما يليه فيظهر فضله» والمطبوع الذي هو مستوى الشعر قليل السقط لا يبين جيده من سائر شعره بينونة شديدة ، ومن اجل ذلك صار جيد ابي تمام معلوماً وعده محصوراً» (ص ٥٤) .

٨ — ويتعلق محور العيوب والاخطاء بمحور السرقات ، ويحدد الآمدي فيم يمكن ادعاء السرقة ، إذ السرق «يكون في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك» (ص ٥٥) .

هذه هي محاور المحاججة بين أنصار ابي تمام وانصار البحتري ، ونجدها تنصب على الشعر بدلا من الشاعر ،اي انها تحاور النص مباشرة وتحاول الاشتغال عليه ، سواء تعلق الأمر بأبياته من الفاظ او معان ، او بجماليات تقبله وتأثيره ، او من حيث علاقته بغيره من النصوص ومدى تفاعله معها او استغنائه عنها ، وهي تكاد تكون دعامة لوصف المقدمة بانها بيان نقدي .

عرض المقدمة :

ان الطريقة التي عرضت بها المقدمة وصيغت عليها، الا وهي ايراد حجج كل من الفريقين المتحاججين ومناقشته من طرف الفريق الاخر، جعلت بعض الدارسين يهتمون بأمر علماء الكلام والفلاسفة عموماً في فكر الامـدي . حيث قال ابن النديم عن الآمدي !« واحسبه حيا مليح التصنيف جيد التأليف متعاطي مذهب الجاحظ فيما يعمله بين الكتب» (١). ويؤكد مندور علـى معرفة الامدي للنقد القائم على فلسفة أرسطو حيث يقول!« وأول مانلاحظه هوان الامدي لم يكن يجهل ذلك النوع من النقد الذي اراد امثال قدامة ان يأخذوا به الشعر، أعني النقد العلمي الذي حاول ان يقوم على فلسفة أرسطو وهل أدل على معرفته السفسطة هؤلاء النقاد الفلاسفة من قوله عند الكلام عن العلاقة بين المعاني والصياغة أوفي صدد البحث عن فضل البحتري (ص١٧٣) وانا اجمع لك معاني هذا الباب في كلمات سمعتها من شيوخ اهل العلم بالشعر زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لاتجـود ،

---

(١) الفهرست ص ١٥٥

وتستحكم الاباربعة اشياء جودة الالة ، واصابة الغرض المقصود ،وصحة التأليف، والأنتهاء الى نهاية الصنعة من غير نقص فيها ولازيادة عليها ... وذكرت الاوائل أن كل محدث مصنوع محتاج الى اربعة أشياء ، علة هيولانية وهي الأصل ، وعلة صورية ،وعلة فاعلة، وعلة تمامية...» (١)
واتخذ احسان عباس اسلوب المقدمة دليلا على اطلاع الامدي على علم الكلام ودراسته! « ولانستبعد أن يكون الامدي قد درس علم الكلام، غير أنه لم يتأثر به في النقد الا تأثيراً شكلياً، كما رآينا في صياغته للمقدمة على شكل حوار كلامي جدلي بين صاحب ابي تمام وصاحب البحتري» (٢) .
وجعل أحمد مطلوب قدرة الامدي على ايراد المحاججة قريبة بماكان يفعله الجاحظ في كتبه عندما يدير نقاشاً بين خصمين أو متحاججين: « ويتضح في هذا القسم – المقدمة – قدرته على تلخيص الاراء وايراد الحجج ومناقضتها وهو يذكر بما كان الجاحظ يفعله في كتبه حينما يدير نقاشاً بين خصميين أو متحاججين» (٣)

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل أكتفى الامدي بذكر ماسمعه من احتجاج الفريقين معاً، أم أنه تدخل في صياغة آراء الفريقين حتى يتوحد الرآيان معاً في صوت واحد هو صوت الامدي ؟ وبالتالي يكون صاحب البحتري فمن يكون صاحب أبي تمام إذن ؟

قد لانجانب الصواب اذا قلنا بأن الصولي هو صاحب ابي تمام ، والامدي صاحب البحتري ، واذا خلت المصادر القديمة من ذكر خبر اجتماع هذين الخصمين يبقى من المرجح أن الامدي هو الذي كان يتكلم بلسان الطرفين

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ١٣٢ – ١٣٣
(٢) تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ١٧١
(٣) اتجاهات النقد الادبي ص ٢١٣

معاً، وقد كان يستحضر وينتقي من اراء الصولي واقواله مايخدم طريقتـه يبني عليها حججـه وردوده ؛ ويمكننا القول بأن مقدمة الامدي ، بأعتبارها خطاباً، تدخل في علاقة امتصاص وحوار مع « أخبار أبي تمام» للصولي (١). وبالتالي تنصهر كل تلك الاراء في صوت واحد هوصـوت الامدي صاحب البحتري ، ومن جهة أخرى، فالمقدمة تكثيف واختزال لمتن الكتاب برمته، ولتوضيح هذا الاستنتاج نستأنس ببعض الشواهد :

١) ان الابواب الثلاثة المكونة للبديع (الاستعارة والجناس والطبـاق) التي يتبناها صاحب البحتري في المقدمة ؛ وكذا الشواهد الشعرية الممثل بها عن كل باب من الابواب المذكورة هي نفسها الموجودة فـي متن الكتاب (٢) . وعليه فليس من المصادفة الغريبة ان تتطابق إراء صاحب البحتري في المقدمة وآراء الامدي في المتن، مالم يكن صاحب البحتري هوالامدي نفسه.

٢) انتقل صاحب البحتري بعد فراغه من بيان ابواب البديع الى محـور يتعلق بسوء نهج شعر ابي تمام وتعقيد نظمه وحوشي الفاظه وهـي الطريقة نفسها التي نجدها في متن الكتاب .

٣) اذا تتبعنا اسلوب الحجة (رقم ١٥) في مقدمة الموازنة والمسندة الى صاحب ابي تمام ، وطريقة عرضها ومضامينها وماتصدر عنـه لن نتردد في نسبتها الى الامدي ، حيث يذكر صاحب ابي تمام« هذا في

---

(١) اشار محمد زغلول سلام في كتابه (تاريخ النقد الادبي والبلاغة) ص ٢٣١ الى قوله «نحن ونحن نقرأ للآمدي فيما اورده من آراء انصار ابي تمام آثار آراء الصولي ، بل ما هي في الحقيقة الا تلخيص لاقوال الصولي في اخبار ابي تمام» .

(٢) يقارن ما جاء في المقدمة ص ١٥ – ١٧ وبما جاء في متن الكتاب ص ٢٦١ – ٢٦٢

المعاني التي هي المقصد والمرمى والغرض» (١) ونجد هذا الموقف بنصه للامدي في متن الكتاب .« وقد انتهيت الان من الموازنة بينهما وكان الاحسن ان أوازن بين البيتين والقطعتين اذا اتفقتا في الوزن والقافية واعراب القافية، ولكن هذا لايكاد يتفق مع اتفاق المعاني التي اليها المقصد وهي المرمى والغرض» (٢) .

ويبين امجد الطرابلسي فكرة ان صاحب ابي تمام كان متخيلا . وان حضوره في المحاجة حضور مشروط ومحكوم بما تمليه طريقة الامدي من اراء ، حيث يقول: «حوار طويل بين البحتريين والتهاميين متخيل من طرف الكاتب» (٣) . وبالتالي يبطل الرأي الذي انفرد به عبد القادر القط ومحمود الربداوي . حيث قال الأول :« وبالرغم من شدة الجدل والتأثر بالفلسفة غير مفتقدين في الموازنة، فإنهما ليسا سمتين بارزتين به، فيما عدا المقدمة التي لاتمثل وجهة نظر الامدي» (٤) .

وقال الثاني:« بدأ الامدي موازنته بعرض حجج الفريقين المتخاصمين حول أبي تمام والبحتري وعرضها كما كان يقذف بها أصحابها . في المجالس وندوات المناظرة . دون ان يكون هو طرفاً من اطراف الخصومة او مرجحاً لرأي على آخر، وانما كان بعمله هذا راصداً فحسب للحركة النقدية التي نشأت حول هذين الشاعرين ، وكان مسجلا فقط لوجهات النظر النقدية فيها» (٥) ولم يكن الامدي راصدا اومسجلا لوجهات النظر النقدية المتباينة بل كان طرفها الوحيد.

(١) الموازنة ج١ ص ١٥
(٢) م.س ص ٤٢٩
(٣) النقد الشعري عند العرب ص ٩٣
(٤) مفهوم الشعر كما يصوره كتاب الموازنة للآمدي ص ٣٦
(٥) الحركة النقدية حول مذهب ابي تمام ص ١٧٥ – ١٧٦

مستويات الخطاب النقدي في المقدمة وعلاقته بالمتن :

١) القدم والحداثة : يعد هذا الموضوع من القضايا البارزة في المحاججة وفي الموازنة بين الطائيين في متن الكتاب فقد وقف معظم النقاد الذين سبقوا الامدي موقفاً متعصباً للقديم، فلايرى الاصمعي في كتابه (فحولة الشعراء) الا الشعراء القدامى وخاصة من الجاهليين الذين يمكن الاهتمام بهم أما الشعراء المحدثون فلا يمكن وصفهم في هذا الاطار، وقد اقيمت الفحولة على اساس السبق وقدم العهد وجزالة اللفظ والارتباط بالدواة . وقد اورد ابن رشيق القيرواني شاهداً يمثل هذه القضية: « سئل ابو عبيدة: أي الرجلين أشعر، أبو نواس أم ابن ابي عبيدة، فقال: أنا لاأحكم بين الاحياء» (١) وفي هذا الرأي طرح واضح للحديث جانباً.

واقام ابن سلام طبقاته على اساس زمني وجعل طبقة الجاهليين سابقة على طبقة الاسلاميين وطرح جانباً المحدثين، وعلى الرغم من ان ابي قتيبة جعل الجودة الفنية مقياساً وليس التعاقب الزمني الا انه يقر بمبدأ المحافظة التي يجب على الشاعر اعتمادها ليصون التراث الذي يضم اشعاراً لاتخرج عن تقنية القدماء وفنيتهم في القصيد ، كاعتمادهم المقدمة الطللية وتعدد الاغراض. « الشاعر الجيد من سلك هذه الاساليب وعدل بين هذه الاقسام فلم يجعل منها أغلب على الشعر » (٢).

ووضع ابن المعتز لكتابه (طبقات الشعراء) واعتماده على المحدثين منهم ماهو الا معادل موضوعي لطبقات الشعراء عند ابن سلام. وهو الذي وضع رسالته في ابي تمام وحوت نقداً لشعره ، ودلل في كتابه (البديع) « على ان

---

(١) تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ٢٦

(٢) الشعر والشعراء جـ١ ص ٢١

هذا الفن موجود عند العرب وفي القرآن الكريم والحديث وكلام الصحابة وان المحدثين لم يكونوا مبتكرين له وان حبيب بن أوس من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرغ فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عقبى الافراط وثمرة الاسراف» (١) .

وألف ابن طباطبا كتابه (عيار الشعر) ليعلم الشعراء المحدثين صناعة الشعر ، وعبر عن محنة الشاعر المحدث بقوله: « والمحنة على شعراء زماننا في اشعارهم أشد منها على من كان قبلهم لأنهم قد سبقوا الى كل معنى بديع ولفظ فصيح وحيلة لطيفة وخلابة، فان أتو بما يقصر عن معاني أولئك ولايربي عليها لم يتلق بالقبول وكان كالمطروح المملول» (٢). واكد الصولي ان المحدثين يأخذون من القدماء ويتأثرون بهم : « اما المتأخرين انما يجرون بريح المتقدمين ويصبون على قوالبهم ويستمدون بلغاتهم وينتجون كلامهم»(٣) ولكنه مع ذلك كان الى جانب المذهب الجديد في محاجحته للامدي .

ولم يكن الامدي بعيداً عن هذا الصراع بل لابد له من موقف محدد منه ولابد ان يوضح انحيازه لأحد المذهبين وهنا يجدر بنا ان نتساءل: هل كان الامدي متأثراً بموقف السابقين من النقاد والعلماء والشعراء وماموقف الامدي من القديم والحديث؟ وانطلاقاً من هذين السؤالين يبدو ان الدافع البارز في كتابه (الموازنة) يعتمد على الذوق الفني القائم على السلاسة والسهولة والوضوح. وهذه مسألة معهودة عند القدماء ، ويتضح تأثره بالنقاد السابقين عليه من خلال المحاجحة في المقدمة ولاسيما ابن قتيبة والاصمعي وابن الاعرابي والشيباني، وغيرهم من انصار القديم ، هذا بالاضافة الى أخذه

(١) تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ١٢٠
(٢) عيار الشعر ص ٩
(٣) اخبار ابي تمام ص ١٧

للمقاييس الفنية القديمة والتي لاتقطع صلتها مع ماتعارف عليه العرب القدماء في نظم قصائدهم واهتمامهم بالطلل ، وهذا واضح من اعجابه بالمقدمة الطللية وتعفية الزمان للديار ، والوقوف عليها والتسليم على الديار ، واقوائها وتعفيها . والبكاء عليها وسؤالها واستعجامها عن الجواب ، وما يخلف الظاعنين في الديار من الوحش ومايقارب ، وماتهيجه الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها، والدعاء لها بالسقيا ، ولوم الاصحاب في الوقوف على الديار وقد احتل الطلل سبع عشرة وثلاثمائة صفحة من الكتاب من مجموع الكتاب البالغ ستين وثمانمائة صفحة ، أي مايزيد على ثلث الكتاب. ولابد ان يكون ثمة صراع بين فريقين متصارعين فيما بينهما : كل فريق يدافع عن وجهة نظر معينة ،قد تكون ذوقية متأثرة بوجهة النظر المحافظة ، وقد تكون محدثة فيها من طوابع الجدة والحداثة مايجعلها تشكل بؤرة الخلاف بينها وبين القديم .

ويرتبط هذا الصراع بحركات الانقلاب الثقافي عادة،لقد أصبح المجتمع في القرن الرابع الهجري يتفتح على الثقافات الجديدة . ولم تعد الثقافة الشعرية في حاجة الى ماتعود الناس سماعه منذ عهد امرىء القيس بل اهتموا بالخلق الشعري النابع من صميم الحياة المتغيرة. وعلى ضوء هذا التغيير . يبرز التعارض بين التيارين المختلفين. وهذا يجعلنا نفهم الصراع الحاد بين انصار مدرسة الطبع التي يمثلها البحتري ومدرسة البديع التي يمثلها ابو تمام فريق يتمسك بالمحافظة على التراث وعلى النموذجية وفريق يتمسك بالحداثة والصنعة الشعرية، فالمشكلة تمثل مشكلة المحدثين لكن رؤياهم تختلف بين فريق وآخر.

وهكذا بدأت المحاججة في اتون الصراع بين الفريقين، وارتبط الآمدي بحسب ذوقه مع الفريق الأول فالذوق وحده هو الذي يجعل الآمدي يميل الى القدم، كما ان الذوق هو المؤثر الذي يجعل المتلقي يختار من هو الشاعر الذي يشكل مثله الأعلى: « فأن كنت أدام الله سلامتك ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق فالبحتري اشعر عندك ضرورة، وإن كنت تميل الى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ولاتلوي على ماسوى ذلك فأبو تمام عندك أشعر لامحالة» (ص٥) ويبدأ الاحتجاج بين الطرفين حول شاعرين محدثين كل واحد منهما يمثل مذهباً من المذاهب المعروفة، المذهب التجديدي المبتكر، والمذهب التقليدي التراثي ويؤكد أدونيس محور المحاججة قائلا: «والنقطة الاولى التي يحتج بها اصحاب ابي تمام هي انه مبدع. اما البحتري فمقلد له، ولاتجوز المساواة او المقارنة بين المبدع والمقلد ولذلك فأن ابا تمام اشعر ضرورة من البحتري فكيف يجوز لقائل ان يقول: أن البحتري أشعر من أبي تمام وعن أبي تمام أخذ وعلى حذوه أحتذى » (١) .

ويقول أدونيس ايضاً في النقطة المتعلقة بالعلم والثقافة من المحاججة بين انصار الفريقين: «ويحتج اصحاب ابي تمام بثقافته الواسعة في الشعر وروايته وفي الفلسفة بأنه اوجد تآلفاً بين المعنى الفلسفي غير العربي واللفظ العربي وهو تآلف جديد بدأه هو، ولم يسبق اليه، على ذلك اذا فسر لا يفهمه وحسب وانما يستحسنه ايضاً، وهذا يعني ان عدم فهم الشعراء لا يعود إلى إغرابه بل يعود إلى ان قارئه قليل الدربة والممارسة، منذ ان تتكشف له معانيه بالممارسة والدربة يزول اغرابه ويصير واضحاً» .

(١) الثابت والمتحول ص ١٨٤

وهنا يجدر بنا ان نسأل : لماذا وضع الآمدي مسألة الاحتجاج بين التيارين القديم والحديث ؟

لقد وضع الآمدي هذه المسألة ليبين على انه لم يكن بعيداً عن هذا الصراع ، بل هو حاضر فيه يتتبع خطاه ، هذا بالاضافة إلى كثرة الشعراء المطبوعين وشعراء البديع ، مما جعله يضع المحاجة بينهما خاصة وأن لكل اتجاه انصاره وشعره . مع تثبت الآمدي بالتقاليد الموروثة ، فقد صدم التغير والتحول حسن التعبير المباشر الذي يتوفر عند ناقد ذوقي كالآمدي .

وقد حدد الآمدي عناصر الحداثة عند ابي تمام فقال : «وان كنت تميل إلى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ولا تلوي على غير ذلك فابو تمام عندك اشعر لا محالة» (ص ١١)

١ — وهنا تتضح مسألة الصنعة كعنصر بارز في شعر ابي تمام ، خاصة وانه اعتمد على مجموعة الأدوات التي لها علاقة بالصناعة ووظفها في شعره كالاستعارة والطباق والتجنيس والمقابلة والمجاز ، فهي من عناصر الحداثة في شعر ابي تمام .

٢ — يؤكد الآمدي على الغموض ، ويعده من اهم عناصر الحداثة التي خلقت نوعاً من الهوة بينه وبين التعبير المباشر المعتمد على السلاسة والوضوح . ويمكننا ربط العمق الفكري بالغموض .

٣ — اما الاختراع فيرتبط بعملية الخلق ، حيث قال صاحب ابي تمام «فأبو تمام انفرد بمذهب اخترعه فصار فيه اولا واساساً متبوعاً» (ص ١٦) وقال ايضاً «انما اعرض عن شعر ابي تمام من لم يفهمه ، لرقة معانيه وقصور فهمه عنه : وفهمه العلماء والنقاد في علم الشعر ، واذا عرفت هذه الطبقة فضيلته لم يضره طعن من طعن بعدها عليه» (ص ٢٠ — ٢١) فالقول الأول

يمثل الاختراع والتفرد بمذهب جديد ، ويرتبط القول الثاني بالغموض ، ولكنه يمثل ابرز خاصيات الاختراع ، ومن هنا صعب فهمه على العامة وفهمته الخاصة من العلماء والنقاد .

وقد حدد ادونيس العناصر التي تشكل الحداثة في شعر ابي تمام : «ابو تمام بعامة رمز الخروج على عمود الشعر ، ولكن هل خروجه عليه خروجاً على الشعر ؟ يتمثل اتجاهه في النقط الاربع التالية :

١ ـ الغموض

٢ ـ المعنى غير المألوف

٣ ـ الصورة الشعرية

٤ ـ استخدام الكلمة العربية بطريقة غير مألوفة اي نقل اللفظ عن معناه المعروف ... لكنه اذا كان خروجاً على الطريقة ، فهو ليس خروجاً على الشعر بل إنه افق شعري» (٢) .

لقد كان ابو تمام يختار الالفاظ بطريقة لم تعرف ولم تسلك عند القدماء ، فالالفاظ التي يستعملها يمكن ان تفجر عدداً من الدلالات ، وحتى وإن كانت هناك دلالة واحدة لهذا اللفظ فانها تحتاج إلى الدقة والروية والتدبر والتأمل عند الكشف عن المعنى الملائم للفظ .

مستويات الخطاب النقدي في المقدمة :

الممارسة النقدية كما تعرضها مقدمة الموازنة ، تفرض مستويات اخرى لاتتصل بأدبية النص الشعري ونعني بذلك توثيق النصوص الشعرية التي تتخذ اشكالا متعددة : منها الرجوع إلى المصادر واهل الاختصاص ومقابلة النسخ ،

(١) الثابت والمتحول ص ١٨٦
(٢) زمن الشعر ص ٢٩ ـ ٣٠

صحيح ان هذا المستوى ، اي توثيق النصوص يحمل اثر علوم اخرى كعلم الحديث والرواية وعلم التجريح والتعديل ، ولكنه إلى التفكير المنهجي اقرب منه إلى التفكير النقدي ، هذا الاخير الذي يسعى كذلك إلى تحديد خصوصيات القول الشعري ، اي السمات التي تجعل من النص الشعري نصاً ادبياً بحق ، واذا تركنا جانباً مستوى توثيق النصوص بقرار منهجي ، فالذي يظهر في المقدمة من صميم الخطاب النقدي تنتظمه قضيتان بارزتان هما قضية اللفظ والمعنى وقضية السرقات الشعرية .

١ — **قضية اللفظ والمعنى :** تعد من اهم القضايا في النقد القديم واكثرها تعقيداً واضطراباً نظراً لارتباطها وتقاطعها مع كثير من القضايا النقدية الأخرى، ويمكن القول ان بداية الاهتمام بهذه القضية في الثقافة العربية ، جاء بعد تساؤل العلماء عن إعجاز النص القرآني ، هل هو معجز بلفظه أم بمعناه . وقد تطور البحث في هذه المسألة ليشمل النص الأدبي . والشعري منه بخاصة . لا سيما بعد ظهور الشعر المحدث الذي فاجأ الذوق العربي بالخروج عن مألوفه في اللفظ والمعنى ، والصياغة كذلك ،وانقسم النقاد إزاء هذه الثنائية لفظ ومعنى اقساماً ثلاثة : قسم ركز اهتمامه على اللفظ وعده مدار القيمة الفنية والجمالية للشعر ، ويعد الجاحظ احد اقطاب هذا الاتجاه ، وذهب القسم الثاني إلى ان المعاني هي مدار الاهتمام ، ويمثل الآمدي هذا الاتجاه ، وذهب فريق ثالث رائده عبدالقاهر الجرجاني ، إلى الجمع بين اللفظ والمعنى كصنوين شريكين في الأهمية ، وقد ساعدته هذه النظرة في مقاربة ادبية النص الشعري خلافاً للاتجاهين السابقين اللذين سيطرت عليهما النظرة التجزيئية والتي كانت لها انعكاسات سلبية على مسار الخطاب النقدي لديهما .

نظر الآمدي في شعر ابي تمام والبحتري ورصد ما فيه من عيوب منها ما يتصل بالالفاظ ومنها ما يتصل بالمعاني ، وقال بخصوص اللفظ : «ان ابا تمام تعمد ان يدل في شعره على علمه باللغة وبكلام العرب ، فتعمد إدخال الفاظ غريبة في مواضع كثيرة من شعره» (ص ٢٥) ثم قدم بعض الشواهد الشعرية على حكمه منها قول ابي تمام :

حسن البحتري يا بجيسر اهدى لها الا بؤس الغوير (ص ٢٦)

ثم انتقل بعد ذلك إلى ما اسماه خطأ في اللحن فعلق على قول ابي تمام :

ثانية في كبد السماء ولم يكن لاثنين ثان اذ هما في الغار (ص ٣٠)

بأنه « كان يجب ان يقول في البيت «ولم يكن لاثنين ثانياً لأنه خبر يكن واسمها هو أسم بابك مضمر فيها ، فليس إلى غير النصب سبيل والا بطل المعنى وفسد» (ص ٣٠) .

يظهر من خلال النماذج العديدة التي أوردها ، أن الآمدي لم يناقش أغاليط أبي تمام في اللفظ من حيث حمولاتها الدلالية وسياقها الشعري مماله علاقة مباشرة بشاعرية اللفظة ،وانما ناقشها من وجهة نظر نحوية لغوية صرفة، .وبذلك حصر نفسه في إطار ضيق مغلق ،أي في حدود التفكير اللغوي ، وهذا ماجعله يغفل الجوانب الشعرية والفنية التي تمتلىء بها الكلمة والمفردة، سواء في حالة ذكرها كما في الامثلة التي أوردها في المقدمة أو في حال عدم ذكرها كما يستنتج من موقفه من قول أبي تمام:

يدي لمن شاء رهن لم يذق جرعا

من راحتيك درى ماالصاب والعسل (ص١٩٠)

الذي قال فيه الامدي:« لفظ هذا البيت مبني على فساد لكثرة مافيه من الحذف لانه اراد بقوله : يدي لمن شاء رهن، أي صافحه أو بايعه معاقدة

أو مراهنة إن كان لم يذق جرعا من راحتيك درى ماالصاب والعسل (ص١٩٠)
وينساق في الحديث عن الحذف في كلام العرب واسبابه من وجهة نظر نحوية صرف ، متناسيا الوظيفة الشعرية لسياق الحذف في الشعر والــذي ينطلق من الحاجة الفنية لدرجة ان العدول عن الحذف احياناً قد يسبب فساداً كبيراً .

وتنسحب هذه النظرة المحافظة على تصوره للمعنى ، وينبغي الاشارة الى أن الامدي قدم فهما مزدوجا للمعنى ، فتارة يقدمه على انه مقابل للغرض أو الموضوع الشعري وهذا مايفهم من قوله: «وقد انتهيت الان من الموازنة بينهما، وكان الاحسن أن اوازن بين القطعتين اذا اتفقتا في الوزن والقافية واعراب القافية، ولكن هذا لايكاد يتفق مع اتفاق المعاني التي اليها المقصد وهي المرمى والغرض» (ص٤٢٩) إذ إن هذه المعاني كما يقدمها: هــي، الوقوف على الاطلال وملحقاتها كما عرضناها سابقاً، ومطالع قصيدة المديح ويقدم الامدي المعاني تارة اخرى على أنها موضوعات وحقائق خـارجية يتولى الشعر نقلها بأسلوبه الخاص، ومن ثم يفتقد المعنى الشعري كنهه وعمقه الذي ينبع عادة من جوهر العملية الابداعية ذاتها التي تقدم لنا مــا يمكــن تسميته بالحقيقة الشعرية ، والتي يمكنها ان تنافس بعض حقائق معـــارف أخرى، وليس غريباً ان ينتهي الامدي الى هذه النتائج في فهمه للمعنى فمفهوم الشعر عنده يذكي هذا التصور ويغذيه اذ ليس الشعر عنده الا: «حسن التأتي وقرب المأخذ،وأختيار الكلام،ووضع الالفاظ في مواضعها،وان يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله» (ص٤٢٣) ويحصر الامدي نفسه فــي مقولة ثابتة لاترى أبعد مماتراه العرب، ويحاول تقييد العملية الابداعية لأبي تمام ، ويرفض قوله:

من الهيف لو أن الخلاخل صيرت
لها وشحا جالت عليها الخلاخل (ص١٤٧)

فعيب هذا البيت عنده: « فأقول ان هذا الذي وصفه ابو تمام ضد ما نطقت به العرب» (ص١٤٧). إن نظرة الامدي هذه المحكومة باللغة المعيار تارة وبالتزام طريقة العرب تارة اخرى ، حاصرت الخطاب النقدي لديه وكشفت عن جذب النقد المحافظ الذي يرفض مبدأ التجديد الشعري ويرفض معه القياس والأشتقاق والتأويل والخرق الشعري، وهذا مالاحظه أحمد مطلوب حيث يقول« أولى الامدي اللغة والنحو عناية كبيرة، وتدل ملاحظاته وتعليقاته على ثقافة واسعة، وقد وضع قاعدة هي اللغة لايقاس عليها ، وفي ضوء هذه القاعدة نقد ابا تمام إستعمال اللغة فيما لم يستعمله العرب وتشدد في كل مارآه خارجاً على طريقة العرب ورفضه» (١)

وهو ماذهب اليه جابر عصفور: « وكان اللجوء الى نظام لغوي صارم متعارف عليه هو دعامة الامدي في رفضه مايبدى في استعارات أبي تمام من تجسيم للمعنوي وتشخيص للمجرد» (٢)

وتتداخل مسألة اللفظ والمعنى عند الآمدي بمسألة السرقات الشعرية التي سنأتي على ذكرها، كما تتداخل مع مسألة الجودة والرداءة، حيث يقول الآمدي عن ابي تمام: « فسلك طريقاً وعرا واستكره الالفاظ والمعاني ففسد شعره وذهبت طلاوته» (٣) فالشعر الذي يصدر عن ابي تمام ، في رأي الامدي ، غالباً ماتكون الفاظه ومعانيه مستكرهة فاسدة، وترتبط الجودة عند الامدي بعنصر الملائمة بين اللفظ والمعنى انطلاقاً من السهولة والوضوح

(١) اتجاهات النقد الادبي ص ٢٢٦
(٢) الصورة الفنية ص ٢١٧ – ٢١٨
(٣) الموازنة تحقيق محيي الدين عبد الحميد ص ٥٣

الذي ينكشف ويظهر بدون أية صعوبة. وهو بمنظار جمالي ذوقي يعتمد على طريقة العرب المعتمدة على الطبع، وشعر البحتري هو الشعر الذي يصدق عليه هذا المنظار الجمالي القائم على الجودة ، كما ترك الامدي للقاريء ان يدرك الجودة بذوقه الخاص. اما الرداءة فترتبط اساساً بعملية الكشف عن اخطاء المعاني على مستوى الخروج عن طريقة العرب وعلى مستوى الاخطاء في فني المديح والوصف، والمعاضلة في الكلام والوحشي الذي يضم عدداً من الالفاظ المستكرهة وخاصة في شعر ابي تمام، وهذا ماحدا به الى تضخيم الاخطاء عنده .

وهناك تداخل بين قضية اللفظ والمعنى والطبع والصنعة ، حيث يشير الآمدي الى ان الالفاظ التي يأتي بها ابو تمام منافية للطبع ، وترتبط بالصناعة والتكلف وبالتالي تأتي المعاني غامضة

(٢) قضية السرقات الأدبية :

تعد السرقات الادبية من أقرب القضايا التصاقاً بالنص الادبي ، فهي لاتكتفي ببحث أي الشعراء أسبق الى المعاني الشعرية و إنما تبحث عن علاقة النصوص الأدبية بغيرها من النصوص الأخرى، وبالتالي تبحث القيمة الأدبية للمعاني المأخوذة ، وأي الشعراء أحسن في الأخذ وجدد في المعنى المأخوذ وهي عناصر قريبة من أدبية النص ، والتي تعد بدورها أحد مهام الممارسة النقدية.

• قد اختلف الباحثون حول تحديد البدايات المنهجية لأهتمام النقاد العرب بقضية السرقات الأدبية فذهب طه أحمد أبراهيم الى ربط هذه البدايات بظهور الصراع حول مذهب ابي تمام، يقول :« ومهما يكن من شيء فقد فطن الشعراء والنقاد الى الأخذ والسرقة من قديم ، الا ان عنايتهم بها وحرصهم

على استخراجها لم يكثر ويعم الا من عهد ابي تمام فجعلوا يتبعونهـا ويصلون بين البيت والذي أوحى به ويجعلون لها رسوماً وأصولا وكـان طبيعياً ان يخوض فيها الآمدي والجرجاني» (١)، واشار مندور الى الرأي ذاته :« والذي نظنه هو أن دراسة السرقات دراسة منهجية لم تظهر الا عندما ظهر ابو تمام وذلك لامرين (١) قيام خصومة عنيفة حول هذا الشاعـر ، ومن الثابت أن مسألة السرقات قد اتخذت سلاحاً للتجريح .. (٢) ثم لأنـه عندما قال اصحاب أبي تمام ان شاعرهم قد أخترع مذهباً جديداً وأصبح إماماً فيه لم يجد خصوم هذا المذهب سبيلا الى رد ذلك الأدعاء خيرا من ان يبحثوا للشاعر عن سرقاته ليدلوا على انه لم يجدد شيئاً» (٢) . ونفى مصطفى هدارة هذا الرأي وارجع بداية الاهتمام المنهجي بموضـوع السرقات الى كتاب (سرقات الكميت من القرآن وغيره) لأبي محمد عبدالله ابن يحيى المعروف بأبن كناسة والمتوفي عام ٢٠٧ هـ وتبعه أبن السكيت ٢٤٠هـ في كتابه (سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه) والف الزبير بن بكار إبن عبد الله القرشي ٢٥٦هـ كتاب (اغارة كثير على الشعراء) (٣) ونحن نميل الى رأي طه احمد ابراهيم ومندور بدليل ان التضمية عرفت منذ القديم وعرف الشعراء الجاهليون ذلك وابوا ان ينعتوا بها ، فهذا طرفـة يقول على سبيل المثال لا الحصر :

ولاأغير على الاشعار أسرقهـا عنها غنيت وشر النـاس من سرقـا (٤)

---

(١) تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ١٧١
(٢) النقد المنهجي عند العرب ص ٣٥٧
(٣) مشكلة السرقات ص ٨٨ – ٨٩
(٤) ينظر / طبقات فحول الشعراء ج١ ص٥٨-١ ص٧٣٣ ج٢ ،الحيوان ج٣ ص ٣١١ ، الشعر والشعراء ج١ ص ١٩

ولكن النظرة آنذاك نظرة قديمة لم تشكل هدفاً خاصاً من دراسة وانما كانت تأتي عرضاً في حديثهم ولم تصبح المسألة منهجية الا في كتاب الموازنة حيث يقول: « وكان ينبغي الا أذكر السرقات فيما أخرجه من مساويء هذين الشاعرين، لأنني قدمت القول في ان من أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساويء الشعراء وخاصة المتأخرين إذ كان هذا باباً ماتعرى منه متقدم ولامتأخر ولكن اصحاب ابي تمام ادعوا أنه أول وسابق، وأنه أصل في الابتداع فوجب أخراج مااستعاره من معاني الناس» (ص٣١١ — ٣١٢) صحيح ان هذا الهدف كما يقدمه الآمدي لم يكن مخلصاً لروح العملية النقدية الموضوعية ،لما يظهره من ضيق مجال بحث موضوع السرقات لديه اذ لايتعدى مرحلة بحث اي الشعراء اسبق الى المعاني وتناولها .ولكن هناك مايدل على تلاشي هذا المنظور الضيق والصدور عن منهج منتظم تبدو ملامحه من خلال : (١) التمييز بين المعنى العام والمعنى الخاص ، وحصر السرقة في المعاني الخاصة التي يختص بها الشاعر دون غيره:« وانما السرق يكون في البديع المخترع الذي ليس للناس فيه اشتراك (ص٥٥ ، ٣٤٦) وسيظل هذا التقسيم معتمداً لدى نقاد أخرين أهمهم عبد العزيز الجرجاني وعبد القاهر الجرجاني .

٢ — الالتفاتة المتيقظة والمبكرة لما يصطلح عليه اليوم (بنظرية الاطار)، والتي تعني :« أن معرفتنا المختزنة في الذاكرة على شكل بنيات معطاة، ممثلة لأوضاع متكررة نستقي منها عند الاحتياج اليها لتتلاءم مع الأوضاع الجديدة التي تواجهنا» (١) فان الآمدي قد التفت الى مايشبه هذه النظرية من خلال رده على صاحب ابي تمام الذي ادعى بأن البحتري استعار بعض معاني

---

(١) تحليل الخطاب الشعري ص ١٢٣

ابي تمام . فقال« الا اننا مع هذا لاننكر ان يكون قد استعار بعض معاني أبي تمام لقرب البلدين وكثرة ماكان يطرق سمع البحتري من شعر أبي تمام فيعلق شيئاً من معانيه، متعمدا للأخذ أو غير متعمد» (ص٨)، وهي فكرة أثبتت صحتها على تقادم العهود ، إذ ليس هناك نص أو ابداع ماينطلق من فراغ .

كل هذا يؤكد ان البداية المنهجية لدراسة السرق الادبي كان مع الامدي في كتابه الموازنة، ولكن لاينكر انه كان ينظر الى المسألة بحسب ذوقه الخاص فيضفي عليها عبارات من قبيل « ألطف في المعنى واحسن اللفظ» (ص٧٠) و« أخطأ في المعنى» (ص٧١) و« أساء الأخذ وتعسف اللفظ» (ص٨١) ، و « أفسد المعنى» (ص٨٨) ، كما ان بحث السرقة الأدبية عند الامدي لم يتجاوز حدود اللفظ والمعنى الى الاطار الشعري ، وهذا مايفسر ندرة المصطلح النقدي عنده في هذه القضية ، إذا أقتصر على مصطلح (الاخذ) ، وقلما انصرف غيره ولكن دون تصريح كما في قوله في بيت جرير.

يصر عن ذا اللب حتى لاحراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

«أخذه أبو تمام فجعله في وصف الخمر فقال :

وضعيفة فاذا أصاب فرصة قتلت، كذلك قدرة الضعفاء» (ص٧٦،٧٧)

وهذا في الاصطلاح النقدي يسمى(نقل المعنى أو الاختلاس)، في حين أن بحث السرقة اذا تعدى مستوى اللفظ والمعنى الى بحث سرقة الاطار الشعري ككل ستتبلور لامحالة مصطلحات من قبيل التضمين ، والاقتباس، والتلميح والحل والعقد، وهي مصطلحات تزخر بها كتب البلاغة أساساً.

المصادر والمراجع

اتجاهات النقد الادبي في القرن الرابع للهجرة، أحمد مطلوب، وكـالـة المطبوعات ، بيروت ، ط ٢/ ١٩٧٣ .

تاريخ النقد الادبي عند العرب، إحسان عباس دار الثقافة ، لبنان ، ١٩٧٨.

تاريخ النقد الادبي عند العرب في العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري طه أحمد ابراهيم دار الحكمة، بيروت، بلا .

تاريخ النقد الادبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، محمد زغلول سلام. منشأة المعارف ، مصر، بلا

تحليل الخطاب الشعري، ستراتيجية التناص، محمد مفتاح، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٥.

الثابت والمتحول، أدونيس، دار العودة، بيروت ط ٢، ١٩٧٩.

زمن الشعر، أدونيس، دار العودة، بيروت، ط٢، بلا.

الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار الثقافة، بيروت، بلا.

الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، دار التنوير ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣

طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، ت محمود محمد شاكـر .م المدني، القاهرة، بلا .

عيار الشعر، أبن طباطبا العلوي، ت طه الحاجري، محمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ، ١٩٥٦.

الفهرست، ابن النديم ، ت غوستاف خلوجل ، مكتبة خياط، بيروت ، ١٩٦٤.

كتاب البديع، عبد الله بن المعتز ، اغناطيوس كراتشوفسكي،دار المسيرة ، ط ٢، ١٩٧٩.

كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٨.

كتاب الحيوان، الجاحظ، ت عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩.

لسان العرب. ابن منظور، ت يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت ، بلا .

مشكلة السرقات في النقد الادبي. محمد مصطفى هدارة. المكتب الاسلامي بيروت، ط٢، ١٩٧٥.

مفهوم النقد عند العرب كما يصوره كتاب الموازنة للآمدي ، عبد القادر القط ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٢ .

مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد الادبي، عبد الرؤوف مسعد دار المعارف مصر، بلا.

مقدمة الصولي لاخبار ابي تمام ومقدمة الآمدي للموازنة . دراسة تحليلية عبد الرزاق بلال، مخطوظ الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري الآمدي، ت محمد صقر، دار المعارف ، مصر ، ط١ و٢/ ١٩٦١ ١٩٧٢ الموازنة في شعر ابي تمام والبحتري، الآمدي، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية .بيروت

الموازنة بين ابي تمام والبحتري الامدي ، تحليل ودراسة، قاسم مومني ، دار النشر المغربية، المغرب، ١٩٨٥ .

النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، دار مصر للطبع والنشر، مصر ، بلا.



الخاطرة الحربية
دراسة في البناء الفني

د. جليل رشيد فالح
كلية الاداب – جامعة الموصل

الخاطرة : محاولة في تأصيل المفهوم

ليس ثمة دراسة – فيما نعلم – حاولت تأصيل مفهوم الخاطرة وتحديد خصائصها الفنية وتوضيح ابعادها الوظيفية ضمن فنون الادب على نحو مفصل في الوقت الذي حظي فيه فن المقالة – فضلا عن فنون الادب عامة – بالقدر الوافر من العناية والاهتمام في دراسات النقاد والباحثين .

وترد ثمة تلميحات يسيرة إلى الخاطرة في اطار الحديث عن المقالة – بنحو خاص – سوى ما عقده الدكتور عزالدين اسماعيل من بضعة اسطر للحديث عن الخاطرة موضحاً بعض وجوه الاختلاف بينها وبين المقالة :

يقول : «فالخاطرة ليست فكرة ناضجة وليدة زمن بعيد ، ولكنها فكرة عارضة طارئة . وليست فكرة تعرض من كل الوجوه بل هي مجرد لمحة وليست كالمقالة مجالاً للأخذ والرد ولا هي تحتاج إلى الأسانيد والحجج القوية التي لا ثبات لصدقها .

...... ثم لا ننسى الاختلاف في الطول ، فالخاطرة اقصر من المقالة ، وهي لا تجاوز نصف عمود من الصحيفة وعموداً من المجلة» (١) .

(١) الادب وفنونه : د. عزالدين اسماعيل – ص ٢٣٩

ثم يعرج في الحديث على كاتب الخاطرة ليحدد بعض خصائصه وسماته اذ يقول : «وهذا النوع الادبي يحتاج في الكاتب إلى الذكاء وقوة الملاحظة ويقظة الوجدان وهو يتمشى مع الطابع الصحفي العام في الاهتمام بالاشياء الصغيرة السريعة وتفضيلها على الكتابات المطولة ، وأهميتها تأتي من انها تستطيع لفت القارىء إلى الاشياء الصغيرة في الحياة التي لها دلالة كبيرة» (٢) .

الا انني وجدت ان ما يقال عن المقالة الادبية — بنحو خاص — يميل بعضه للالماح إلى الخاطرة ، وكأنها لون من الوان المقالة القصيرة .

فالاستاذ الدكتور علي جواد الطاهر ينطوي حديثه عن المقالة الادبية على هذا الالماح إلى الخاطرة — وهو لم يحدد له فصلاً مستقلاً من كتابه (مقدمة في النقد الادبي) : يقول :

(كاتب المقالة الادبية على اصح صورها هو الذي تكفيه ظاهرة ضئيلة مما يعج به العالم من حوله ، فيأخذها نقطة ابتداء ثم ، يسلم نفسه إلى احلام يأخذ بعضها برقاب بعض دون ان يكون له أثر قوي في استدعائها عن عمد وتدبير ، حتى اذا تكاملت من هذه الخواطر المتقاطرة صورة عمد الكاتب إلى اثباتها في رزانة لا تظهر فيها حدة العاطفة وفي رفق بالقارىء حتى لا ينفر منه نفور الجواد الجموح) (٣) .

ويشير الدكتور محمد يوسف نجم في حديثه عن المازني إلى الصلة بين الخاطرة والمقالة حيث يقول : «ويبدأ مقالاته احياناً ببعض الخواطر العابرة او الافكار التافهة اي (البسيطة) ثم ينتقل إلى الجد ولكن بطريقته الخاصة » (٤) .

(٢) المرجع نفسه / ص ٢٤٠
(٣) مقدمة النقد الادبي / د. علي جواد الطاهر : ص ٢٩٦
(٤) فن المقالة . د. محمد يوسف نجم / ص ٩٤

وحين يأخذ الدكتور محمد يوسف نجم في الحديث عن المقالة الادبية محدداً سماتها وخصائصها فأني احسبه يتحدث في الوقت ذاته عن سمات الخاطرة وخصائصها ، ولا يبقى — من بعد — فارق بين اللونين الادبيين غير الحجم والطول ، يقول : «المقالة الادبية قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق ، وشرطها الاول ان تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب ،وهذا التعريف ينطبق على المقالة بمعناها الفني الدقيق» (٥) .

وفي حديثه عن المقالة الذاتية يقول :

«تبدو شخصية الكاتب جلية جذابة تستهوي القارىء وتستأثر بلبه ، وعدته في ذلك الاسلوب الادبي الذي يشع بالعاطفة ويثير الانفعال ويستند إلى ركائز قوية من الصور الخيالية والصنعة البيانية والعبارات الموسيقية والالفاظ القوية الجزلة» (٦) .

... مما سبق يسعني القول : إن الدكتور يوسف نجم يعتد الخاطرة الادبية ضرباً من ضروب المقالة الادبية لما عرض من خصائص وسمات يتوافر معظمها — ان لم يكن كلها — في الخواطر الادبية التي يحفل بها ادبنا العربي ولا سيما الحديث والمعاصر . كما ان حديثه عن المقالة الذاتية هو حديث عن الخاطرة على نحو يطمئن القارىء إلى ان المقالة الذاتية هي مصطلح آخر للخاطرة — عند الدكتور يوسف نجم .

وفي دراسة الاستاذ فاضل ثامر (في جماليات المقالة الحديثة في الادب العراقي) يشير إلى الخاطرة فيجعل الفارق الاساس بينها وبين المقالة هو الحجم والطول : حيث يقول :

(٥) المرجع نفسه : ص ٩٥
(٦) المرجع نفسه ص ٩٦

«ونكي تمتلك المقالة حدوداً واضحة ينبغي ان يكون لها طول متوسط بحيث لا تصبح بحثاً ولا تقصر فتستحيل خاطرة» (٧) .

ويرى الاستاذ سيد قطب ان ثمة بين الخاطرة والمقالة شبهاً في الظاهر واختلافاً في الحقيقة ، فالمقالة — عنده — تقريرية والخاطرة انفعالية . ويرى ان «الخاطرة في النثر تقابل القصيدة الغنائية في الشعر وتؤدي وظيفتها في عرض التجارب الشعورية التي تناسبها» (٨) .

والخاطرة — فيما أرى — ليس لوناً غريباً على تراثنا الادبي والفكري ، فكثير من نثر الجاحظ الوجيز المركز وفصول من (الامتاع والمؤانسة) لابي حيان التوحيدي وبعض مقاطع الأدب الصغير والادب الكبير لابن المقفع موسومة بسمات تجعلها قريبة إلى مفهوم الخاطرة .

ولعلي لا اكون مبالغاً اذا قلت ان ما عرف في ادبنا العربي من (فن التوقيعات) انما هو ضرب من ضروب الخاطرة التي تستوحى من سياقات معينة فتدعو إلى هذه التعليقات الفنية البارعة التي تنم عن ذكاء اصحابها وامتلاكهم لزمام التعبير الادبي الفني فتأتي عفو الخاطر والسجية لتؤدي الفكرة في اوجز عبارة واجمل نسيج .

والخاطرة الادبية جنس ادبي متميز من ابرز خصائصه الوجازة والتكثيف بخلاف المقالة التي قد تطول وتستطرد . ويتميز كذلك بالانفعال العاطفي ازاء حدث معين وكذلك الجنوح إلى الاسلوب التصويري في الوقت الذي تجنح فيه كثير من الوان المقالة إلى الاسلوب المباشر الواضح.وهي من حيث الشكل تقع بين المقالة وبين المثل السائر الذي يكون اكثر منها وجازة وتكثيفاً .

(٧) مدارات نقدية في اشكالية النقد والحداثة والابداع — فاضل ثامر ص ٩٤
(٨) النقد الادبي — أصوله ومناهجه : سيد قطب : ص ١٠٨

والخاطرة كذلك تجربة ذاتية مستمدة من معطيات الواقع اليومية . فتصاغ صياغة وجيزة غير مخلة . فهي تمثل من احداث الحياة نقطة معينة لا تستأثر في الغالب باهتمام الآخرين الذين يعايشون الحياة معايشة تقليدية او معايشة تفصيلية لا يقف فيها عند البؤر المضيئة .

ومن هنا فان الاديب المبدع بهذا الانتقاء الذكي يطبع خاطرته بطابع المفاجأة التي تبهج القارىء وتمتعه وتمنحه احساساً خاصاً بوجوب التحديق والتركيز في مجريات الحياة من حوله لتكون له هذه الخاطرة — من بعد — عاملا من عوامل اكتشاف الجديد في الحياة المألوفة ، فتنمو بذلك قدراته الذاتية في مدارج الوعي الحضاري والفني فتنأى حياته عن الاطر الضيقة للمعايشة اليومية التقليدية التي يشبه بعضها بعضاً .

فالخاطرة — من ثمة — تزيدنا وعياً بالحياة من خلال ما تقدمه لنا من شرائح وبؤر ونقاط لم تستأثر باهتمامنا . وها هي ذي الساعة تبدو ذات معنى وذات معطيات .

الخاطرة الحربية :

لقد حفلت الصحافة العراقية بقدر كبير من الخواطر المستوحاة من وقائع حربنا المقدسة على الجبهة الشرقية ، اذ يجد القارىء خواطر يومية في صحفنا وفي مجلاتنا تستوحي من الاجواء الحربية افكاراً وصوراً ومعاني شتى ، تجسد المعايشة الوجدانية والفكرية للمواطن العراقي — اديباً وغير اديب — فناناً وغير فنان — مثقفاً وغير مثقف — مع هذا الحدث الكبير الذي شهدته الساحة العراقية على مدى ثمانية اعوام تمخضت من خلالها صورة (العراقي) مقاتلا وشهيداً او اباً او اماً او اختاً او زوجة او صديقاً لمقاتل او شهيد ، في

اروع ما تنطوي هذه الصورة من بسالة واباء وتضحية ومفاخرة ، وما توحي به من معان سامية في البطولة والصبر والمواكبة الوجدانية التفصيلية لحياة امة تخوض حرباً حضارية مصيرية ، ومدى ما تعكسه من تجاوب ، فكري وشعوري وأصداء كبيرة في عالمنا العربي وأرجاء الارض كافة. كما ان هذه الخواطر صورة للتلاحم الصميمي بين الشعب المقاتل وقائده الذي يسير بموكبه من نصر إلى نصر ، فالقائد في اطار هذه الخواطر هو مصدر العزة والكرامة لهذا الشعب كما هو رمز النصر والاباء لكل المواكب السائرة على طريق التضحيات والفداء.

وتلم هذه الخواطر بالعدو اللدود لتكشف طويته وخباياه ونياته . وهي تلم كذلك باطراف من المعاني الجليلة والخصال البطولية الرائعة التي تتمخض عنها اجواء الحرب كالاباء والشمم وبسالة الجند في قلب المعركة . والتحدث عن النصر وبنوده ، وعن مسيرة الحياة اليومية للمواطن العراقي وهي ترفل بالامان والاطمئنان والارتقاء الحضاري والنشاط السياسي والثقافي والفني المتصاعد .

اذن نهضت الخاطرة الحربية على مدى هذه الاعوام التي شمخت فيها ارادة العراقي اباءً وبسالة ومطاولة بكل ما توجبه دواعي الانغمار في اجواء الحرب واستيحاء كل المعاني السامية التي تزيد العراقي المقاتل المرابط على الثغر ايماناً بعدالة قضيته وتنفخ في روحه عزماً يتجدد ، وبأساً لا يلين واصراراً لا يهادن .

ولعله من العسير ان يلم هذا البحث الوجيز بكل ما حفلت الصحف من خواطر الحرب . ولذلك فاننا نود ان نحدد منهجنا في اصطفاء النماذج التي كانت موضع الاستشهاد في هذه الدراسة ، ففي ما يشير الباحثون في فن المقالة

إلى وجود انماط مختلفة تكون المقالة الادبية واحدة منها فاننا ايضاً توخينا ان تكون (الخاطرة الادبية) هي محور الدراسة .

ولعل الذي حدا بنا إلى منهج الاختيار والاصطفاء وفرة النماذج وكثرة الكتاب المتفننين الذين اجالوا اقلامهم في هذا الميدان ، يدفعهم إلى ذلك الشعور بالمسؤولية الادبية ازاء الحرب ، فمنهم المجيد في هذا المضمار يمتلك الحس الادبي في التعبير ويعي الطرائق الفنية في الكتابة ، ومنهم من وجد سبيله إلى الكتابة في الخاطرة المباشرة التي تعالج الفكرة باسلوب اعتيادي لايستحضر فيه ما تتطلبه الخاطرة الادبية من ادوات فنية جمالية . ولعل هؤلاء هم اقرب إلى ممارسة المقالة السياسية او التاريخية او العلمية في افضل احوالهم . فاذا كان احمد امين قد رأى في المقالة الادبية ادباً انشائياً صرفاً لا ادب بحث ودرس ، واوجب ان يكون أسلوبها سلساً دفاقاً (٩) فاننا نرى ان تنسحب هذه الخصائص والسمات على الخاطرة الادبية على نحو واضح ، فالخاطرة الادبية — فيما أرى — هي ارتق صلة وامس رحماً بأجواء القصيدة ، لما تنطوي عليه من الاقتصاد اللفظي وقوة الدلالة والايحاء والعفوية في التعبير ، واعتماد التصوير الفني سبيلا إلى تجسيد الفكر والاحساس والكشف عن جوانب خفية من القضية التي تعالجها الخاطرة .

حين يجد الباحث نفسه أمام زخم هائل من الخواطر تنثال على اسلات الاقلام فتحتضنها الصحافة اليومية تعويلا على أنها تعبر عن مسيرتنا الحضارية في العراق الجديد ومواكبة ابناء امتنا — ولا سيما المتفننين منهم وقائع الحرب وما يتمخض عنها من مواقف وبطولات هي موضع الاعتداد والاكبار ، لايجد الباحث مناصاً من ان يلوذ باسلوب الانتقاء ، ومرد ذلك إلى ان البحث يتوخى دراسة (البناء الفني) في هذه الخواطر ، وهذا يعني ان تكون الخاطرة

(٩) فيض الخاطر — احمد امين — ١٧٨/١ — ١٨٣

حافلة بتلك الخصائص الفنية التي تجعلها في مصاف النتاجات الادبية الاصيلة، فليس كل من ملأ عموداً بحديث يتصل بالحرب - على نحو خاص - يعد من كتاب الخاطرة - وان اكبرنا فيه صنيعه - فعواطف العراقيين جياشة، واقلامهم مشرعة بصدق. وما يتدفق بين جوانحهم من مشاعر انما هو عين الصدق الذي لا يماري فيه احد. الا ان البحث الادبي او النقدي يتطلب ان تكون النماذج التي هي موضع البحث والدراسة ذات خصائص فنية معينة، واصحابها جديرين بأن يسموا (ادباء الخاطرة) وان تسمى نتاجاتهم بـ (ادب الخاطرة) على غرار المبدعين في المجالات الادبية الاخرى.

اذن يقتضي المنهج ان يكون الانتقاء على قدر واف من الدقة ليكون الانموذج معبراً عن الخصائص الفنية التي حددها البحث سلفاً على محوري: اللغة والصورة والايقاع.

١ - الاداء اللغوي:

ان الخاطرة كأي جنس ادبي يستغل كل امكانات اللغة وطاقاتها الايحائية بحيث تنقل إلى المتلقي خبرة جديدة منفعلة بالحياة.

ويمتاز الأداء اللغوي في خاطرة الحرب بعامة برشاقة المفردات المنتقاة ووضوح المعاني وقصر الجمل، ولذلك فان الخاطرة الحربية التي تمثلها نماذجنا تقوم على اساس التخير اللفظي، وهذا التخير يدل على ان المبدع يحس ان لفظاً بعينه هو الأملأ بالطاقات الفنية الموحية وانه ادل مما سواه على المضامين الدقيقة الخفية

فحين يتحدث عبد الوهاب الطالباني عن القائد صدام حسين يشعرك بأنه قريب منه يناجيه بهمس شفاف عذب وعبارات حالمة مونقة: يقول: (١٠)

نحبه، فقد سكن المهج منا

(١٠) جريدة العراق العدد ٣٧٦٣ في ١٩٨٨/٦/٤

نحبه، فقد غمرنا بدفء الحنان والحب
نحبه لانه منا، من دمنا، من اضلعنا. شجرة باسقة للخير من
طيب ارضنا
هو طيف الحب في احلامنا
هو سيف الحق في صولاتنا
هو صوت التحدي من عمق تاريخنا

ومما يلحظ في البناء اللغوي لهذا المقطع أنه ينأى عن الصخب الجملي الذي يجلجل في بعض الخواطر الحربية، ومرد ذلك الى ان محور الخاطرة (بيت صدام حسين بيت العراقيين كلهم) محور فيه ألفة وتودد ومهابة، ومفرداتها أقرب الى النجوى تعبيراً عن مشاعر حانية تغمر النفوس الجوانح.

الحب- سكن المهج- دفء الحنان- شجرة باسقة- طيب أرضنا: هذه هي المفردات الشفافة التي تناسب المقام وتوائم السياق والجنون. ثم ان قصر المقاطع منح المخاطرة خصائص شعرية لاتخفى، فجملها قصيرة مركزة متعانقة متوادة.

وعلى هذا النهج الفني العذب تنسج ساجدة الموسوي خاطرتها (انت وسام الشعب والشعب وسامك) (١١) وهي حافلة بمفردات المناجاة مع القائد الحبيب.

في مستهل الخاطرة تبدي الكاتبة تحفظها في ان لاتتجاوز مفرداتها عالمها الواقعي الحبيب الي تخوم المبالغة، انها تريد ان تبقى كلماتها موسومة بالصدق والحقيقة تقول :

(١١) جريدة الثورة العدد ٦٥٥٢ في ١٩٨٨/٥/٣

ونحن نمسك اقلامنا لنكتب نتحرج من أمرين :

الاول: من فرط مانحبه نخشى ان نبالغ فيؤاخذ علينا

والثاني: هيبة وتهيبا

ولكننا في غمرة الفرحة نشير الى ان الكلمات، تنفلت من القلب واللسان راسمة لها طريقاً يتمرد على الهيبة والرغبة في الكتمان .

ثم تمضي الكاتبة ترسم بمفرداتها الرشيقة البسيطة المهيبة في آن واحد صورة القائد الفذ وتجسد مشاعرنا ومشاعرها ازاءه . فالحديث عن(صدام) له مراسيم خاصة تتوزع ايقاعاتها بين البساطة والمهابة وهما ابرز خصائص القائد الحبيب (صدام) .

تقول ساجدة الموسوي في خاطرتها :

وقفته المهيبة، طوله المزدان بوقفة العز والشموخ

عيناه الهادئتان الصابرتان اللامعتان ببريق الانتصار

... بين فرح به وتوق لما ينتظره من مهمات لانتصارات اخرى

صدر واسع ينبض تحت قلب العراق .

واذ نفرح بوسامه نفرح به وساماً على صدر كل عراقي ... وعلى صدر كل عربي شريف وسنبقى نشده على صدورنا مع النبض وايقاع النبض طوال الحياة .

أنها لغة منتقاة من معجم الناس الطيبين المشدودة أواصرهم الى القائد الحبيب يعايشون هذه المفردات ويمارسون مدلولاتها في عالم الواقع اليومي فعلا منظورا سواء في ميادين القتال أو العمل او الدرس أو النشاط الابداعي كما هي تجيش مشاعر تنطوي عليها جوانحهم وتزدحم بها قلوبهم ونفوسهم

وفي خاطرة (الفاو عادت محررة) (١٢) للكاتبة سعدية رشيد جمعة نجد المفردات تنسج ملحمة النصر وتجسد الفرحة والبهجة. تستهل الكاتبة خاطرتها بنداء النداء الحاني :

الفاو: ياثغر العراق.

ثم تبدأ المناغاة العذبة في تراكيب تمتاز بالرقة والبساطة. فتقول الكاتبة:

عدت ياوردة العراق ويا كبر العراق
عدت عروساً مع الصناديد مكللة بالغار
عروس زفت على صهوة جواد اصيل
في ثوب ابيض موشى بالعز والفخار
ابناؤك استسهلوا الصعاب
واختصروا الزمن
في خمس وثلاثين ساعة اقتحموا محنة الزمن

لقد مثلت الفاو وايام محنتها جرحاً كبيراً كان يقض المضاجع ويؤرق العيون .. تلك البقعة العزيزة التي احتلت في غفلة من الزمن، اتجهت اليها مشاعر العراقيين مترعة بألوان من الغضب والتصميم على تحريرها وتخليصها من المعتدين، فجاءت مفردات الخاطرة معبرة عن تحرير الفاو منوهة بمكانة الفاو في نفوس العراقيين، فهي (ارادة العراق) و(كبر العراق) فمفردتا: ارادة وكبر عبرتا عن ان تحرير هذه المدينة سيكون له شأن في تأريخ البطولات العراقية الشماء، ويكون حدثاً يدوي في ارجاء العالم أكبارا واعجابا، وهكذا كان.... فالكرامة العربية تأبى ان يستمر الجرح نغارا، ولذلك فهي تأبى ان يطوي الزمان (الفاو) نسيانا، وكيف وهي (ارادة

(١٢) جريدة الثورة العدد ٦٥٦٢ في ١٩٨٨/٥/١٣

العراق) و(كبر العراق)وحين عادت الفاو: فتبدأ المفردات اللغوية تحتضن هذه العودة الكريمة، أنها مفردات ذات شيات تصويرية رمزية لما تحمل من قوة الدلالة المعنوية والشعورية .

فالفاو ليست ارضاً ومدينة وموقعاً جغرافياً ، فهي عروس مكللة بالغار ، وجمهرة الزفاف ابطال صناديد والعروس تمتطي صهوة جواد اصيل والثوب ابيض موشى .. والزمن في موكب هذه الصورة له معنى خاص ودلالة بأروع الصور، ولا سيما صورة الزمن وهو يطوي نفسه، ويختزل ذاته لتتحقق الصورة في اطار سويعات تعد بازاء هذا الحدث الكبير لحظات بل ومضات .

ويقدم عبد الوهاب العدوائي انفعالاته الذاتية البهيجة يوم تحرير الفاو . وفي صورة قلمية ينتقي فيها مفرداته دالا على براعة قلمه في مجال(الخاطرة الادبية) بخصائص لغوية ذات جدة وطرافة. يقول (١٣)

انه نبأ تحرير الفاو
فعش معه حالتي صحوك وحلمك اسعد لحظات القلب العراقي
النابض في صدرك وصدور كل ابناء وطنك
بعد نزف قرابة عامين
دقت فيهما القلوب كالطير المفزع، وطفقت تضرب اقفاصها ..
لتخرج من سورة البكاء على الارض المهاجرة الى عدوها
وهاهي ذي الان تعود الى احضان اربابها
تطوي مساحات الحزن عليها، لتستحم في العيون
المغرورقة عليها بدمع فرح غامر بهيج

(١٣) جريدة الثورة : العدد : ٣٧٦٥ في ١٩٨٨/٦/٦

بعد ان نشطت من عقال اسرها ناقة عربية
متكبرة ...مختالة ..صافية الاديم نقية العرض

فمفردات العدواني شفافة ممتلئة،وتراكيبه تميل الى الامتداد التصويري الذي ينأى بها عن المباشرة، فجمله موسومة بالمجاز غالباً تمنح اجواء الخاطرة فاعلية تحرك المشاعر وتكثفها في بؤرة الحدث الكبير ، فحالة السعادة ازاء الحدث- الفجأة هي حالة حركية تصورها تركيبة (حالتي صحوك وحلمك ...) ثم تكون الصحوة قرينة الحقيقة فيمر القلب العراقي بأسعد لحظات حياته .

ثم صور عامي المحنة في مفردات(الطير المفزع)و(الاجنحة التي تضرب اقفاصها) ثم تنفرج المحنة عن عودة الفاو الى احضان اربابها أو احبابها(واحضان الاحباب) تركيبة لغوية ندية حانية تصور العلاقة بين الارض وأهلها .

والكبرياء العربية بعد عودة الفاو مصورة في(ناقة عربية متكبرة مختالة) والمقاتل العراقي يتبوأ من خواطر الادباء والكتاب مكانة بارزة يخاطب فيها بلغة مفعمة بالاعجاب تارة وبالحياء تارة أخرى وبالمفاخرة والمباهاة ثالثة، فتتوالى المفردات التي تزدحم بالدلالات الحية المتجددة لتعبر عن كل تلك المعاني ، على نحو ما يقول عبد الستار ناصر (١٤)

ياسيدي المقاتل العراقي
وأصرخ ملء حنجرتي في وجه الكرة الارضية واقول
بماذا نفتديك ايها الشامخ وانت الذي وهبت العراق
بكل مايفتدى

(١٤) جريدة العراق - العدد ٣٦٨٣ في ١٩٨٨/٣/٦

ماذا نكتب لك وكيف نكتب عنك ياسيد المستحيل
يامبدع المعجزة
ياسيدي ياعنفوان دمي
ماذا أقول ياسيد النخيل والنصر والمطر
وانت أكبر من صفاتي واعذب من كلماتي كلها
ماذا اقول فيك ايها الامير المبلل بالتراب والمحبة والرصاص
ايها العاشق النقي الطاهر

هكذا يمضي عبد الستار ناصر ممتلئاً بالحب لهذا المقاتل الذي صورته مفرداته وتراكيبه على صورة (المثال) الذي لايدانى، راح يفتديه من شدة الحب والاعجاب، وهو أحق بأن يفتدى لأنه(الذي وهب العراق بكل ما يفتدى) .

وراح يتخير المفردات التي تدل على امكانات لغوية ثرة بازغة يضفيها على المقال الفريد، فهو(سيد المستحيل) و (مبدع المعجزة) و(عنفوان الدم) و(سيد النخيل والنصر والمطر) و(الامير المبلل بالتراب والمحبة والرصاص)

واختزل الكاتب كل مشاعره الثرة المتدفقة في هذه المفردات الدالة المتوهجة ليبرهن لنا أن مبدأ الانتقاء للمفردات في بناء الخاطرة يشكل أحد المحاور الفنية الرئيسية للخاطرة لانه يكثف المشاعر وينأى بالخاطرة عن ان تنسحب على خصائص الاجناس الادبية الاخرى وان كانت تلتقي معها في بعض السمات، أي انها تحقق خصوصية الخاطرة فناً ابداعيا متميزاً .

وتتصاعد المشاعر في مقاطع الخاطرة عند عبد الستار ناصر، ليرتقي بالمقاتل الى معارج الكمال ومدارج المثال: يقول :

اقترب ايها الطاهر

اقترب ، انها شمسك الساطعة . هذا زمانك انت

وهذا الزمان بدونك ياسيدي لا طعم له ولا أحد

يشير اليه

اقترب ايها السيد المعجزة

ادخل وديان الجبال وانحناءات السهول وشعاب الصحارى

فأنت وحدك القادر على مسحها من الغدر والسحت

والظلام والحقد الشيطاني الاسود

ربما توحي هذه المفردات المنتقاة إلى من لايعرف طبيعة المقاتل العراقي ان ثمة مبالغة في هذه السمات والدلالات التي تنطوي عليها مفردات عبدالستار ناصر وتراكيبه

ولكننا وقد عرفنا المقاتل العراقي على مدى ثمانية اعوام ندرك ان الكاتب — وهو يرسم صورة المقاتل العراقي وملامحه — كان يغرف من مداد الواقع ويرسم كذلك بريشة الواقع ، وعلى نحو ما اورد الكاتب كان المقاتل العراقي الند الاصيل .

والمقاتل العراقي في لغة محمد صالح عبدالرضا يقترن بصورة الصاعد إلى الذرى ، والقمر الذي يطلع في افق النصر وابتسامة الفجر والمنار الذي يطلع في سماء المعالي . وسجايا مزدهية بالعنفوان ، وثباته لغة الرعد والصاعقة والنصر على يديه قطوف دانية

يقول محمد صالح عبدالرضا (١٥)

كانت البطولة فضاء ترف فيه ارواحكم

(١٥) جريدة الثورة : العدد : ٣٧٦٧ في ١٩٨٨/٦/٨

هكذا هم المخلصون الصاعدون إلى الذرى
يسرون إلى المجد شمم الانوف
لكم في كل معركة قمر يطلع في افق النصر
لقد بذر الحب في قلوبكم بذرة الايمان
فاورقت ربيعاً ابهج من كل ربيع
مع ابتسام الفجر يسعى لكم الامل العذب
ابهى سنى في طريق البطولة
هذه انتصاراتكم منار في سماء المعالي
هنا سجاياكم مزدهية بالعنفوان
هذه وثباتكم لغة الرعد والصاعقة
ولذلك فنصرنا الاخير قطوف دانية

ويشير محمد صالح عبد الرضا الى ان القادسية الثانية تمخضت عن حالات هي أكبر من اللغة ومفرداتها بحيث تأخذ الحيرة بتلابيب الاديب فيشق عليه ان يقع على المفردة الدالة التي تستوعب الحالة، ولذلك فانه — وهو يناجي المقاتل العراقي — يعبر عن هذه الحيرة ، فتصبح مفردات الحيرة والاضطراب هي الجزء الاملأ بالمشاعر المتوهجة يقول :

في أي القواميس تكمن المفردات التي تليق بكم
في اي القصائد ترتسم سرائركم المنيرة
في اي الكلمات نقرأ يقينكم الذي أخصبه حليب الامهات

ثم يختم الكاتب هذا المقطع الحي في حضرة المقاتل العراقي بقوله :
ليس كمثلكم أحد في الاعجاز القتالي

ليس كمثلكم أحد في صناعة النصر
بلاغتكم .. بلاغة الذود عن الوطن

وفي خاطرة ستاز الماز ذهب تتحدث(الفاو) عن يوم انتصارها وتحريرها حديثاً مفعماً بالثقة والزهو والكبرياء .

يقول (١٦) :

هذا هو اليوم الذي عشت له ، وانمت صغار النخل على وعد لقائه
هذا هو اليوم الذي درت من اجله على كل الابواب
وهمست له بأنه آت ، وسررت للنسيم ان يبشر به كل الشرابع والضفاف
هذا هو اليوم الذي وعدت به المآذن هنا والمساجد
ان يتلى فيها كتاب الله بلسان عربي مبين
هذا هو اليوم الذي سابطل به التيمم فسيكون البحر بين يدي ومن حولي
هذا هو اليوم الذي سيعرف فيه الغزاة مواقع افواههم
التي قالت ماليس لها، ومواقع رؤوسهم من الاكتاف
هذا يوم : ستذهل ايران عما ارضعت
انا الفاو ، وساكون بعد سويعات فم الدنيا ولسان الزمان
انا الفاو : وها هم الاهل قادمون
فلتستجمع الدنيا دهشتها

تتميز لغة ستاز الماز بالبساطة والانسيابية والبعد عن الانفعال الذي يعرض تراكيبه للاهتزاز وفقدان التماسك فلغته تحمل قدراً من الثقة العالية بالنفس

(١٦) جريدة الثورة ٦٥٥٢ في ١٩٨٨/٥/٣

وبالنصر المبين (هذا هو — وعد اللقاء — همست لها بانه آت — سررت للنسيم ان يبشر — وعدت به المآذن والمساجد — سأبطل فيه التيمم — سيكون البحر بين يدي —)

انها اللغة التي تحمل في تضاعيفها التصميم الجاد الذي يتجاوز كل الحالات الصعبة ، ولم يدع لغته أن تدور في فلك المباشرة والتقليدية فحملها في اطر جميلة من الصور المجازية الشفافة ، بل تجاوز ذلك منذ البدء حين جعل الناو تتحدث بنفسها وتحمل الينا بشرى النصر المؤزر في يوم عودتها .

وتستأثر فاجعة (بلاط الشهداء) من خواطر الكتاب بالنصيب الاوفى . فاللغة التي كتبت بها هذه الخواطر ندية كجراح اطفالنا الشهداء، صارخة مضطربة الايقاعات الداخلية كوجيب قلوب الاباء المفجوعين والامهات الثواكل ، ومن ورائهم قلوب كل ابناء الامة .

ذلك هو حسب الله يحيى في خاطرته (الدرس) (١٧) يحمل الينا صورة ذلك اليوم الفاجع وهو يطوف في ارجاء المدرسة التي نالت منها يد البغي ، وامتدت اليها اصابع النظافة والوحشية . يحاول الكاتب بدأ ان يستجمع رباطة جأشه ليروي لنا قصة (بلاط الشهداء) ،فتبدأ تراكيبه وجيزة تفصح عما يعتمل في اعماقه من جيشان الالم واضطراب النفس المكلومة

يقول :

دق الجرس

دق قلب طفلة باسمة كانت تعد نفسها لأن تكون أول من ينهض للاجابة عن الاسئلة التي توجهها المعلمة .

دقات الجرس والقلب : استثناء يقود إلى المعرفة ، والمعرفة لا تبدأ الا

---

(١٧) جريدة الجمهورية — العدد ٦٦٠٦ في ١٥/١٠/١٩٨٧.

من حب الوطن وسموه ورفع راية شموخه .

وفي لحظات

اصطبغت (قرديلة) الطفلة ذات اللون الناصع البياض بالدم . تناثرت قطع الطباشير والمقاعد والنوافذ وسقف الصف المدرسي .

وسكت صوت المعلمة وارتفع الانين ، وسقطت دمعة واخرى .

وازهار الدم تملأ المكان في صباح مشرق .

هكذا تتصاعد لغة الانفعال بعد ان كانت انيناً مكتوماً يحاول الكاتب مداراته وكتمانه ، ليلتقط انفاسه من اجل ان يروي القصة ، ثم تبدأ الجمل القصيرة دليلاً على تفجر المشاعر وفقدان القدرة على السيطرة .

ويستمر الغضب المتأجج في صدر الكاتب مع محاولة يائسة لان يكون هادئاً بعض الشيء ، ولكن الجمل القصيرة تفضح لهيب الغضب في صدره . يقول :

كل القتلة ... فعلوا مثل هذا ... لكن صاروخ الحقد الايراني كان هو الاكثر بشاعة في سيرة الجرائم .

بعد ان روى حسب الله يحيى القصة من مفرداته الحزينة الغاضبة وتراكيبه الوجيزة المكثفة يبدأ الحوار الهادىء الحزين في خشوع ومهابة وشفافية ممزوجة بالغضب الذي لا يهدأ وكانه يبث نجواه من محراب الطفولة والشهادة في اروع معانيها . يقول :

البلاط الشهيد لم يعد اسماً ، بل صار حقيقة

فلنسم كل قطرة دم في بلاط الشهداء طلقة

ولنسم كل الاطفال من بلاط الشهداء ارادة

ومع الطلقة والارادة نثأر للجرح ، نثأر للازهار

نثأر للحياة ارادوا قتلها ، وأن يسكتوا نشيدها الصباحي

وكلمات طه البصري في خاطرته (مزار بلاط الشهداء)محمولة على اجنحة الخشوع واستحضار هيبة الموقف الحزين المكلل بالشهادة والمؤطر باللوعة المنسابة من الاعماق نهراً متدفقاً . يقول (١٨)

يا احبائي ... كأني بارواحكم تزقزق كالعصافير
وهي تصعد إلى السماء لاعنة خميني الحاقد
هل من الممكن ان يصل الحقد إلى هذا الحد ليحصد بسيفه الصدىء
هذه الورود النضرة وينهي احلامها البسيطة وطفولتها البريئة .

هكذا تتداعى الخواطر في خضم مشاعر الالم والحقد المقدس تناجي الاطفال دون ان تبكيهم ،فالخاطرة ليست بكائية كما ان ليس في مفرداتها وتراكيبها ما يمت بصلة إلى الندب او العويل أو الصراخ ، بل هي مناجاة حانية رفيفة ممزوجة بالحزن ، فهي بذلك صورت اطفالنا الشهداء عصافير الجنة : يقول :

يا احبائي يا طيور الجنة يا من تمرحون وتتدافعون الان
في رياضها كما كنتم تمرحون قبل ثوان من نزول صاروخ الحقد
الاسود على رؤوسكم كأني اغمض عيني برهة لافتحها وارى مدرسة
بلاط الشهداء وقد تحولت إلى (مزار) لاخوتكم واحبائكم اطفال
مدارس بغداد ، وكل منهم يلبس اجمل ملابسه ويحمل بيده ورق
ليضعها على نصب بسيط كبساطة احلامكم وبراءتها .

(والعراق) في خاطرة الكاتب الفلسطيني ابراهيم بكر ابراهيم اغرودة حب ومبعث زهو ومجلس فخار . يقول (١٩)

كم هو رائع هذا الشريط النضالي المقاتل

(١٨) جريدة الجمهورية — العدد ٦٦٠٦ في ١٩٨٧/١٠/١٥
(١٩) جريدة الثورة ٦٦٢٧ في ١٩٨٨/٧/١٩

وما اجمل هذا العطاء الثوري
انها صور البطولات العراقية في هذا الزمن الصعب
والاتية من سوح القتال
على كافة الجبهات احرار العرب ينشدون معنا اليوم لانتصار العراق
وقتاله الاسطورة ، ونصره المبين
من كل المفارق والدروب معنا الوطن
وبقلوبنا الإيمان وأيدينا على الزناد
يوحدنا القتال ويقود مسيرتنا رجل اسمه صدام
فالشمس تزين خيوط نصرنا
والارض تنبت الرجال
هذه هي حكاية العراق

لا شك ان حكاية العراق طويلة ذات امتدادات ، نضالاً وتاريخاً ... بطولات وحضارة ، الا ان الكاتب اوجز خاطرته تلك الحكاية ايجازاً اوفى به على الغاية وحقق المطلوب ، ومن ثمة اختار في اسلوب واضح سلس هادىء مفرداته الموحية وصاغ تراكيبه الوجيزة المفعمة بالدلالات العميقة الاغوار في اسطر معدودة ، وبكلماته الواضحة عرف القارىء كل شيء عن هذا العراق ،

صمود مستوحى من هذا الشريط النضالي المقاتل

والزمن الصعب هو الاطار الذي يشي بالاصرار لنيل النصر او الشهادة والقتال الاسطورة تجسيد لهذا التميز الفزادة التي عرف بها العراق المقاتل وشعبه وجيشه الصامد على خطوط النار .

والايمان والزناد والقائد والارض التي تنبت الرجال - كلها صور حافلة بالتحدي والحركة التي لا تضن .

(وأمجد محمد سعيد) يلقي على خاطرته (ايها العصر اشهد لنا) غلالة شعرية شفافة تمنح الخاطرة روحاً تتجدد . فاللغة التي كتبت بها وجيزة ومكثفة . لا تميل إلى البسط والتفصيل ، وتحسن انتقاء المفردة الدالة الموحية .

وخاطرته تؤكد الخاصية الفنية التي اقترحناها مقوماً فنياً لادب الخاطرة ، وهي سريان النفس الشعري في اوصال النص ، فالمفردة الدالة المنتقاة ووجازة الجملة ومجانية الشرح والبسط والافاضة ، فجمل الخاطرة وتراكيبها عند (امجد محمد سعيد) راعت هذه الوجازة فضلاً عن ثراء الدلالة وقوة الايحاء .

يقول (٢٠)

بين الطلقة والطلقة يغتسل المدى بالعزة وترتفع الذرى لتسحق كل فلول الظلام وتمحق كتل الجريمة .

بين الاغنية والاغنية ينفتح الف باب ، مزخرف بالعروبة ومعطر بالدم الزكي ، والشعر ، وحبات القلوب . يبقى الوطن في لوحة السؤدد والمجد .

يحفل هذا المقطع باللغة الشعرية الموحية ، يستحضر الكاتب في مفرداته مؤشرات الصراع القتالي ، ومؤشرات التواصل مع الماضي التليد . ويقدم من خلال هذه المؤشرات صورة الساحة العراقية المطرزة الارجاء بالعزة . وتنطلق فيها الاغاني متبرعة بالدم الزاكي والشعر والحب ، ومواكب الشهداء مقترنة بشموخ الوطن .

---

(٢٠) مجلة الجامعة – العدد – ٨ – السنة ١٢ – ايار ١٩٨٢ (جامعة الموصل)

وتأتي خاطرة (بشرى البستاني) (الاطفال يتطوعون للقتال) (٢١) منداة بعطر الطفولة التي واكبت الحرب حماسة واندفاعاً واستيعاباً لمعاني البطولة والعداء والتضحية . تقول بشرى البستاني مصورة هذه الخلجات الصاعدة احتضنتها الام ، ضمت الرأس الصغير الطافح بالحماس .

ابتلعت دموع الفرح .

زينة : خالك واعمامك لن يدعوك تحملين الصواريخ وصناديق الرصاص

نعم : انا سأسجل اسمك في سجل التطوع ، ولكن من اجل ان تنشدي اناشيد النصر ومن اجل ان يتبسم الفرح في عينيك القنديلين .

زينة : نحن نقاتل من اجل ان يظل شعرك هذا الحرير العراقي الرائع شلال دفء وطمأنينة وأمل ، وأن تبقى الملاعب عامرة بك وبكل طيور وعصافير العراق .

طوعت بشرى البستاني لغتها إلى بساطة غنائية عذبة لتلبس الطفلة زينة ما تنطوي عليه من معان ومفاهيم .

توالت التراكيب في المقدمة من غير فواصل من حروف العطف تعبيراً عن تداخل الحركات وسرعة تواليها ، فاحتضان الأم لزينة وضم رأسها إلى صدرها وابتلاع دموع الفرح احداث تحتويها بؤرة زمنية واحدة تتلاشى عندها الفواصل ولا تبين من خلال تعددية الاحداث .

ثم يبدأ الحوار مع (زينة) بلغة هادئة رقيقة من اجل اقناع زينة ان موعد تطوعها لم يحن بعد . وان ثمة رجالاً ابطالاً هم اعمامها واخوالها سيتولون ذلك .

---

(٢١) مجلة الجامعة — العدد — ٧ — السنة ١٢ نيسان ١٩٨٢ (جامعة الموصل)

المفردات التي بنيت عليها الخاطرة روعي فيها مقتضى الحال على ادق وجوه المراعاة ، مما يجعل زينة تعي الصورة وعياً كاملا . والتراكيب متوزعة بين قصر وطول مناسب ، لان الموقف موقف اقناع وحوار ، وعنده تقتضي اطالة بعض التراكيب ولكن يتخلل ذلك تراكيب جنحت إلى التصوير والمجاز الرقيقين العذبين رقة الطفولة وعذوبتها .

الصورة :

من ابرز الخصائص التي يتميز بها كل عمل ادبي ابداعي ان الخيال فيه عنصر فعال ينسج فيه خيوط الابداع ويحيل المادة المختزنة في الذاكرة إلى فعل درامي جديد .

وقد اكد الباحثون في وظيفة الخيال انه يعيد خلق الاشياء المتعارف عليها خلقاً جديداً وفي صورة غير مألوفة .

يعرف كولردج الخيال بأنه «تلك القوة التركيبة السحرية التي افردنا لها لفظة الخيال تكشف لنا عن ذاتها في خلق التوازن بين الصفات المتضادة والمتعارفة بين الاحساس بالجدة والرؤية المباشرة والموضوعات القديمة المألوفة ، بين حالة غير عادية من الانفعال ودرجة عالية من النظام : بين الحكم اليقظ ابداً وضبط النفس المتواصل والحماس البالغ والانفعال العميق» (٢٢) .

وتولد الصورة من خلال فاعلية الخيال ونشاطه وهي اداته ومادته ، وهي عند نورمان فريدمان «استعادة ذهنية لاحساس انتجه ادراك فيزيقى» (٢٣) .

---

(٢٢) مبادىء النقد الأدبي – ريتشا ردز/ ص : ٣٠٩ – ٣١٢
(٢٣) الصورة الفنية – نورمان فريدمان – مجلة الاديب المعاصر – ص : ٧٢ العدد ١٦ – السنة ٤ – آذار ١٩٧٦

اما الصورة الفنية فهي عنده كذلك «الصورة التي تولدها اللغة في الذهن بحيث تشير الكلمات والعبارات اما إلى تجارب خبرها المتلقي من قبل او إلى انطباعات حسية فحسب» (٢٤)

وتذهب روز غريب إلى ان (الصورة كلام مشحون شحناً قوياً تتألف عادة من عناصر محسوسة : خطوط — الوان — ظلال — تحمل في تضاعيفها فكرة او عاطفة ، اي انها توحي باكثر من المعنى الظاهر واكثر من انعكاس الواقع الخارجي وتؤلف في مجموعها كلاماً منسجماً (٢٥)

ومن وظائف الصورة الفنية انها تزيل عن العمل الابداعي ما يمكن ان يتسم به من الطابع التقريري والمباشرة التي تتوخى نقل المعرفة او اثارة الاحاسيس الطافية على سطح الوجدان وليس الكامنة في اغوارها (٢٦) .

والخاطرة الادبية تستأثر من خاصية التصوير الفني بنصيب اوفر ، ولم تكن الخاطرة الحربية — بنحو خاص — بعيدة عن استثمار هذه الخاصية على نحو ما تكشفه لنا بعض نماذجنا المختارة .

وصور الخاطرة الحربية تتحاور في مجملها بين ذهنية ومحسوسة ، وكلا اللونين يتصل بأعمق جذوره إلى عالم واقعنا الذي نعايش تفاصيله اليومي دون ان يغادره الكاتب إلى عالم طوباوي او اسطوري .

يقول حسن الكاشف عن تحرير الفاو العزيزة (٢٧)

---

(٢٤) المرجع نفسه : ص ٧٢
(٢٥) تمهيد في النقد الادبي — روز غريب : ص : ١٩٢
(٢٦) تنظر : الصورة المجازية في شعر المتنبي — رسالة دكتوراه مخطوطة للدكتور جليل رشيد فالح — ص ٢٤ — ٢٥
(٢٧) جريدة الثورة : ٦٦٤٣ في ١٩٨٨/٨/٤

سنتوقف عند الفاو — نفرش الزهور على ارض الحناء —
ونفتح حقائب الذاكرة ونشرب لحظة النصر التي كانت — والتي تدوم
الفاو رحم العراق ساعة اعلان الخصب
هنا بنى رف الحمام اعشاش النصر الاتي

ومن هنا حلقت اسراب النصر ووصلت إلى الشلامجة ومجنون وزبيدات وسانوية وذرى الشمال .

ولا شك ان القارىء يقف عند هذه المجموعة من الصور الجزئية التي تتتابع وتتداخل لتكون من بعد صورة كلية تمنحك الزهو حين تتراءى الفاو من خلالها متألقة الملامح بهية الطلعة ممشوقة القوام .

نفرش الزهو : الزهو هو هذا الفراش السندسي الاخضر الذي يمتد على ارض سقيت بالدم الزاكي فكان لها خضاباً وحناء وحقائب الذاكرة — وشرب لحظة النصر — صور تحدد ملامح الحياة الضاحكة المستبشرة بعد تحقيق النصر المؤزر

ثم يشبه الكاتب الفاو برحم العراق ، ويرمز بذلك إلى الولادة المنتظرة التي تمثلت في الوليد الحبيب (النصر) ثم قدم لنا ملامح الفرحة الطاغية في صورة (رف الحمام) الذي يبني اعشاشها : وسدى هذه الاعشاش ولحمتها من النصر الذي ولد مؤكداً من خلال هذه الصور الجزئية المتداخلة المتواشجة حركيتها وتفاعلها مع الوجدان المتطلع إلى يوم النصر والمزهو بيوم النصر .

وتحفل خاطرة سالم العزاوي : (الفتية قادمون) بالتراكيب الصورية التي تضفي الحياة على كل شيء وتمنحه الحركة والبهجة ، يقول (٢٨)

هي ذى فيالق صدام حسين البهية تندفع من جديد

(٢٨) جريدة العراق — ٣٧٨٢ في ١٩٨٨/٦/٢٦

كما الموج الهادر ، كما الاعصار المدمر ، كما الريح الصرصر ، كما القدر الماحق .

ويقول :

وجاؤوا يمخرون عباب الحاضر وصولات المستقبل الخصب

ويقول ايضاً :

ها هم يهبون ريحاً طيبة على شبه جزيرة مجنون

يعبقونها بعرقهم ، ويبثون فيها اريج ارواحهم الشفيقة ، ويعمدونها بدمائهم النقية

ولا شك ان صورة الفيالق القادمة تقترن بالموج الهادر تارة ، وبالاعصار المدمر اخرى وبالريح الصرصر ثالثة ، والقدر الماحق رابعة ،وهي صورة الارادة العراقية حين تقتحم ولا تلوى على شيء . وتقدم ولاتني خطواتها على طريق تحرير النصر .

ثم تجد الفتية ريحاً طيبة لها عبق وأريج ، كل هذه الصور الجزئية تشعر ىتعانق بعضها لبعض بحيث تخلق (الخاطرة) منها لوحة متكاملة منسوجة بالمفردات الصورية الدالة الموحية .

وفي خاطرة الاديبة الاردنية هند ابي الشعر (٢٩) يتحول الامل إلى شجرة تورق ، ويزهو في مساحات الارض العربية ويقدم لنا رمزي تركي راشد (الفاو) (٣٠) ربيعاً ينبض بالحياة . ويمنح وجودها حركة فاعلة دائبة ومشاعر انسانية عليا يجسدها على صعيد الواقع المشهود .

عادت الفاو إلى اهلها ... ونزعت عنها ثوب الحزن

(٢٩) جريدة الثورة ٦٦٠٥ في ١٩٨٨/٦/٢٧
(٣٠) جريدة الثورة ٦٥٥٢ في ١٩٨٨/٥/٣

لتخضب شعرها بحنائها

وعاد سعف النخيل يصفق للشاطىء ولعشاقه جند العراق بعد انتظار وسكون . هكذا يصور الفاو امرأة حبيبة ، تعود إلى اهلها عزيزة مكرمة تعود إلى عالم الفرح والبشر ، وقد تخلت عن كل معالم الحزن .

وخضاب الشعر رمز دال على هذا التحول الكبير في حياة هذه المرأة التي لفت حياتها غلالة من ظلام العدوان ، ثم حطمت قيود الاسر فعادت فرحة مستبشرة وترفع يديها وخضاب الفرح يعلن هذا الانتصار الكبير ، والعود المبارك إلى احضان الاسرة العراقية الحبيبة ، واذ تعم الفرحة كل الارجاء فانها تنعكس في صورة النخيل وسعفها الذي يصفق للشاطىء والجند والعشاق .

هذه صور محسوسة تعتمد الرؤية البصرية والسمعية منافذ لتسرب دلالاتها إلى اعماق الانسان العراقي والعربي الذي طال انتظاره لهذه الساعة .

ثم تأمل على نحو خاص صورة التلاحم والتواشج بين الفاو ، ارضاً ونخيلا وشاطئاً وبين عشاقها الجند الاباة ومن ورائهم كل افراد الشعب .

وخاطرة محمد صالح عبدالرضا تحفل بالصور المجازية حفولا واضح الملامح حتى لتحسبها قصيرة اعتدت بالمجاز منهجاً في صياغة إقطارها ليحقق من خلال ذلك شرط ناقد مثل (س دي لويس) في اعتداد القصيدة برمتها مجازاً (٣١)

يقول : (٣٢)

انبتت ارضك الفرسان والرماح
تسجرك تنانيرك وتشعلين في الدم الحرائق

---

(٣١) الصورة الشعرية — س دي — لويس : ص ١٠٢
(٣٢) جريدة الثورة ٦٥٨١ في ١٩٨٨/٦/٣

تسكبين في عيوننا الضوء
ليورق احلاماً خضراً في ايامنا القادمات
قالت الارض : يا سيدة المدن المقاتلة
لرغيف خبزك طعم الكرامة
وما دمت درعاً ضد الغزاة
ففي صباحاتك يتفتح النصر الجديد
شموساً لعراق النور والالق
ازهاراً لشرفات البصرة

على صعيد النسيج التصويري تغرف الصور الجزئية من معين الاستعارة المكنية التي من شأنها ان تمنح الاشياء والمواقف والخلجات بعداً حركياً حيوياً لها فعل الارادة وسمات الكائن الحي .

فالمنهج المجازي تمثل في احتشاد الافعال الاستعارية :
انبتت – تسجرين – تسكبين الضوء – تورق الاحلام – قالت الارض – ينفتح النصر

كل ذلك يتيح للمبدع والقارىء ان يتحاورا مع كل الاشياء تحاوراً حيوياً لما تضفيه الاستعارات المكانية – بنحو خاص – على تلك الاشياء خصائص التجسيد والتشخيص .

وفي (تداعيات مدنية محررة) (٣٣) يضعنا حاتم الصكر امام حشد متداخل من الصور الفنية تعتمد الكتابة الواضحة الشفافة محوراً لحركية تلك الصورة ووفرة معطياتها وقوة ايحاءاتها فضلا عن التلوين الصوري الذي يغرف من عالم التشبيه الجميل ما يزيد الصورة بهاء وائتلافاً .

(٣٣) جريدة الجمهورية ٦٧٩٩ في ١٩٨٨/٤/٢٧

يقول

اليدان مبسوطتان يميناً وشمالاً إلى البحر
كجناحين حريريين ، والصدر مفتوح إلى
جهة الوطن عشاً للنوارس والشعراء
اما الظهر فهو الوحيد المكشوف من جهة الاعداء
ولهذا جاؤوا إلى الفاو من الظهر
فكان عليها ان تتلقى طعناتهم وتوجهها إلى الوطن
بينما يداه مغموستان في البحر
وصدرها مكشوف لافق النخل

فالتجسيد الكنائي يتمثل في اليدين المبسوطتين نحو البحر . والصدر مفتوح إلى جهة الوطن وكذلك في (الوجه إلى الوطن ... وانغماس اليدين في البحر ، والصدر مكشوف للنخيل) كل اولئك صور كنائية متلاحمة متواشجة تعبر عن هذا الاحتضان الحبيب لكل ارجاء الوطن ، وتصوير لذلك الانتماء للارض الواحدة التي لا تتجزأ .

والظهر يتلقى الطعنات : صور كنائية اخرى ترمز إلى فعل الجبان حين لا يقوى على المواجهة الصريحة الشجاعة ، فيتلمس طريقه في الظلام ليطعن من الظهر .

وفي (وطن الابداع) (٣٤) لمحمد راضي جعفر نقف عند صور الموازنة بين بغداد وطهران :

فبغداد كبرياء العلى ، يكتحل بها الحدق ويطمئن لها الوجدان
سيدة وعروس المنصور

(٣٤) جريدة العراق : ٣٦٩٦ في ١٩٨٨/٣/١٥

ينبت الحق على ارضها ، وينطق الصدق على شفتها

ينام القمر على مخدتها ، وتشرق الشمس من مخابئها

هكذا تبدو بغداد من خلال الصور الجزئية المتلاحمة في ابهى حلل المجد وليس من شك في ان القارىء يستوحي هذا البهاء من خلال هذه الرموز الحركية المتدفقة فاكتحال الحدق بكبرياء العلى : صورة مشهودة الملامح لم تغادر الواقع اذ هي تنتمي إلى عالم الفرح والعرس والزينة ، وهي صورة مألوفة حبيبة .

والحق زرع كريم ينبت على ارض بغداد ، صورة استعارية حانية والصدق ينطق على شفتيها : صورة اخرى محفوظة بجلال المعنى الذي يجعل بغداد رمزاً للحق الصراح وموطن الصدق الذي يجعلها موضع الاكبار والاعتزاز .

وكل ذلك يشكل بمجموعه رمزاً لصدق اهلها قولا وفعلا وإصراراً ومجابهة وبطولة واباء في كل احوالهم .

وحين ننتقل إلى اللوحة الثانية : لوحة طهران مدينة الخائبين نجدها :

شائهة الوجه ، تستحم في غبار التلوث

متعبة — خائضة في مستنقع الوحشة والتيه

فزعة في الليل — خائفة في النهار

غارقة في الكئيب حتى اذنيها

شائهة الملامح — كسيرة النفس ، سوداء السريرة

فقد رسم لنا الكاتب هذه الملامح من خلال مفرداته الاستعارية التي تعتمد التشخيص محوراً لها ، فجاءت الصور الجزئية من خلال لوحة (طهران) معبرة عن حالة البؤس والتدهور والشقاء التى تلف هذه المدينة التعيسة فى ظل التخلف والعمى .

٣ ـ الايقاع :

يتبوأ الايقاع في البناء الشعري عنصراً رئيساً متمثلا في الوزن والقافية فضلا عن الموسيقى الداخلية التي تشكل العصب النابض بالحياة والنماء والتجدد في مفاصل ذلك البناء الابداعي .

فالموسيقى الداخلية «تعبر عن المشاعر والاحاسيس الموجودة في العالم الداخلي تضفي عليها روحاً وتعبر عنها بوسائل حسية هي الاصوات والانغام والارتباط الهارموني والاثارة النغمية» (٣٥) .

وكما اشرنا سلفا الى ان ال (الخاطرة الادبية) تنطوي على خصائص شعرية واضحة المعالم بينة الاثار فأن البحث ـ من ثمة ـ عن الخصائص الايقاعية فيها تكتسب اهمية لاغنى لنا عنها .

واذا ما جعل الدكتور محمد يوسف نجم (٣٦) العبارات الموسيقية من الركائز القوية التي تستند اليها المقالة الذاتية فان حاجة الخاطرة تكون أشد الى هذه الموسيقى. ومجموعة مابين ايدينا من خواطر الجرب في الصحافة العراقية تضعنا امام مظهرين ايقاعيين رئيسين : يتمثل أولهما في الجرس الموسيقي للمفردات، بحيث نحس ان ثمة علاقة بين اجواء الخاطرة وبين هذه المفردات، وقد يكون ذلك عبر حس ابداعي يترسم لنفسه خطة الأنتقاء والاختيار او ان يكون عبر تجربة ذاتية تغرف من معين الحماسة الصادقة التي حدت بالكاتب الى ان يعبر عن مشاعره في خاطرة او مجموعة من الخواطر فالاثار الايقاعية ـ على الرغم من عفوية الكتابة في هذا المضمار ـ تبدو أيضاً متناغمة مع السياق والاجواء، معبرة عن ذلك العطاء الصادق لكاتب الخاطرة.

(٣٥) الصورة الشعرية ونماذجها في ابداع ابي نواس ـ ساسين عساف : ص ١٧
(٣٦) فن المقالة : ص ٩٦

كما يتمثل ثاني المظهرين في توافر قدر لايستهان به من المقاطع الموزونة التي تتوافق مع اوزان الشعر المعروفة، واحياناً تتداخل اوزان مختلفة ضمن المقطع الواحد

ظاهرة الجرس :

الجرس خاصية ايقاعية ذاتية تتمثل في مفردات بعينها تأخذ موقعها الدقيق في البناء التركيبي والتصويري للنص او المقطع دلالة المعنى .

وقد رأى بعض النقاد« ان الجرس يجب ان يكون صدى للمعنى»(٣٧) .

«فالجرس ... من حيث هو قيمة جوهرية في الالفاظ وبنائها اللغوي وهو اداة التأثير الحسي بما يوحيه من السامع باتساق اللفظة مع غيرها من الالفاظ في التعبير الادبي والذي يشبه الى حد بعيد طرب الانسان باللحن الموسيقي» (٣٨).

وفي الخواطر موضوعة البحث- كما في غيرها- تأتي ايقاعات الحروف الصائتة اي حروف العلة واضحة الاثار والأصداء لما لها من فعل مؤثر يحيل المفردة وما يجاورها من المفردات الى حالة غنائية تكسب المقطع النثري خصائص شعرية: فحين يقول سلمان داود الشهد (٣٩).

عندما تسرجون العوادي
عندما تمتطون صهوات المجد
عندما تفتحون النوافذ صوب الفرح الطاغي
وعندما تزرعون الماء والتراب

---

(٣٧) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه - اليزابيث درو : ص ٤٩
(٣٨) جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي ، د. ماهر مهدي هلال ص : ١٩ - ٢٠
(٣٩) جريدة العراق ٣٧٨٤ في ١٩٨٨/٦/١٨

بالخطوات الواثقة
عندما يعتلي القمر جباهكم
نكتب نحن قصائد الامل

نحس ان الحروف الصائتة– بنحو خاص– تشكل الايقاع الرئيس في هذا المقطع– وتكاد كل كلمات المقطع تحوي حرفاً منها أو أكثر .

عندما– تسرجون– العوادي (الالف– الواو– الياء)– تمتطون– صهوات (الواو– الالف)– صوب الفرح الطاغي– (الواو– الواو– الالف) تزرعون الماء– التراب(الواو– الالف) .

ولعل احساس الشاعر بأهمية وجود هذا الايقاع والذي قاده الى ان يضع خاتمة متميزة بمفردة لاتحتوي على حرف صائت ليشعرنا بأنتهاء الأغنية– اذ قال: قصائد الامل :ويقيني ان الشاعر قد حالفه التوفيق في خلق حالة من التناغم الهارموني فضلا عن التناغم المعنوي في انسياب المفردات ذات الايقاعات المتوازنة بعضها مع البعض فالاسراج الذي يناسب الخيول المعادية (الراكضة) من خلال التناغم الصوتي صورة حركية ذات اصداء وحركة تتمثل في تلك الخيول التي يمتطيها الابطال وهي مسرحية متهيئة لخوض ميادين القراع والمنازلة.

وتشعرك مفردة(تفتحون) بأنفراج مصراعي النافذة المغلقة ويقتضي الأيقاع –وهو يؤدي مهمته التصويرية والمعنوية– ان يمتد الصوت بالواو ليتحقق ذلك الاحساس بانفراج النافذة .

وفي (معادلة الحب الجميلة) (٤٠) ليعرب السعدي تتسم اوائل المقطع بأنسيابة ايقاعية هادئة حالمة، فتأتي مفرداتها معبرة عن هذا الهمس الجميل.

(٤٠) جريدة الثورة ٦٥٨٤ في ١٩٨٨/٦/٦

وكان الوقت ضحى
وكل شيء في البصرة كالمعتاد
وكنا في دوائرنا ومدارسنا واسواقنا ومقاهينا
وفي احاديثنا عن الفاو والنصر وزمن القائد
هناك ....

بعد هذا المقطع الذي تصور مفرداته بايقاعاتها البسيطة المنسابة على آلالسنة عذباً هامساً كالنسيم هادئاً هدوء المساء اذا بالايقاع يأخذ بالتنامي على نحو مباين لخصائصه الاولى، حيث تبدأ مراسيم التوجس الواعي من الشر القابع خلف التخوم الغربية.

(هناك): مفردة ذات ايقاع قوي كايقاع الطبل الذي يقرع ساعة الخطر تشعرنا بأن وراء الأكمة ماينذر بالشر ويدعو الى اليقظة .. ماذا بعد(هناك) هناك ... حيث تمتد فوهات مدافعهم نحونا

نحو اطفالنا وبيوتنا واحلامنا

وحيث يحلم الفرس بأنتزاعنا من ارضنا واهلنا

لايخامرني شك في ان السامع تستنفر كل حواسه ومشاعره بكل هـذه الايقاعات القوية التي تحمل في تضاعيفها انذارا بالخطر المحدق .

ففي المفردة الاولى: (تمتد) بتوالي مقاطعها الداخلية المتوازنة الايقـاع (تم + تد + د) فضلا عن التضعيف في حرف الدال قوة الانذار الذي يسعى الى تجسيده مفردات المقطع .

ثم تتوالى الحروف الصائتة لتؤدي دورها في احداث مـايشبه الصرخات التي توقظ المشاعر والاحاسيس وتعبئها لتكون على درجة عالية من اليقظة .

فوهات – مدافع – نحوننا – اطفال – بيوت – احلام – انتزاع – ارضنا – اهلنا

كل مفردة تؤدى من خلال الايقاع الصارخ دورها في شحذ الهمم واستنفار القوى التي سترابط على الثغر استعداداً للموقف الفاصل .

والتنوع في جرس المفردات يظهر كذلك في خاطرة الدكتور عبد الاله الصائغ (الفاو) (٤١) .

اذ هي تبدأ بالمفردات الهامسة الوادعة التي ترسم صورة جمالية للفاو قبل ان تهب عليها كتائب الجراد، فمفرداتها في المقطع الاول لاتحمل الا ملامح الوداعة والسكينة ، حتى ان تلك المفردات لاتأتي فيها الاحرف الصائتة الا متباعدة غير متتالية تعبيرا عن ذلك الجو الوادع الرفيف، ولكن بعض مظاهر الايقاع الشعري قد تسربت الى مفاصل المقطع لتكسبه غنائية محمودة متناغمة مع اجواء الخاطرة، فثمة سجعات تهادت في غنائية عذبة.

(لمست غلالة الشمس البرونزية افئدة الاشياء الحالمة، فاستفاق العشق جمرة تهب المفردات سحرها الحلال – السنابل الصفراء – الوجوه الزهر – المروج الخضر – الطيور كانت تنقط زرقة السماء بالوان مشابهة، بينما احتفلت الشواطيء بصخب اللألأ) .

ولكن لم يطل الكاتب النفس لئلا يدخل في مظنته التكلف والاقتراب من عالم المقامات وهو العالم المفعم بكل مايذكر بالصنعة والتكلف والتعليمية .

ثم يلي المقطع الثاني :

(فجأة – قلت : فجأة اندلعت عاصفة من الجراد الاسود – تأكل الهواء والتراب والالوان والالحان ، ..... فغادر الضوء اهاب المصابيح ، وهجر

(٤١) جريدة الثورة ٦٥٦٢ في ١٩٨٨/٥/١٣

العطر غلالات الورد ونفر السحر الحلال عن صباحات الوجوه دراما الحياة والموت) .

هكذا يمضي الكاتب بنبرة ثائرة منذرة مهيبة باليقظة داعية للتصدي للخطر القادم ، لمواجهة الجراد الآكل لكل شيء جميل .

وتعود النبرة الهادئة الوادعة في نهاية المقطع ، وهو مقطع النصر والعودة اذ يختفي جرس المفردات الصاخبة المنذرة ، فيأخذ الايقاع في اسباغ البهجة على الاجواء احتفالا بالنصر .

(مباركة عودة الفلذة إلى القلب ، هي ذي بانوراما صورة كبرى تعلق في الذاكرة لتعشق بين اقاليم الزمن الثلاثة : هي ذي العراق) .

المقاطع الموزونة :

تخللت كثيراً من بنى الخواطر الادبية مقاطع موزونة عروضياً ، مما يدل على ان اكثر هذه الخواطر مطبوع بطابع شعري تنساب بها المشاعر انسياباً غنائياً عذباً . وهذه الظاهرة التي شهدناها في اغلب الخواطر الحربية تأتي عفو السجية من غير ان يكون لكاتب الخاطرة حاجة تضطره إلى تحشية خاطرته بايقاعات موزونة ، لان ذلك يبعد به وبمشاعره المتناغمة مع الحدث عن دائرة العفوية والانسيابية ويجعلها اقرب إلى الاقحام المذموم والصنعة المتكلفة . ولعل الكاتب لا ينتبه وهو متفاعل مع اجواء خاطرته ومعانيها إلى ان مواضع فيها جاءت موزونة على الابحر العروضية المعروفة ، وقد تتوالى ايقاعات لاكثر من بحر في المقطع الواحد وحتى — احياناً — في الجملة الواحدة حين تطول ، وهذا امر طبيعي في حالة انسيابية المشاعر وتدفق الرؤى والصور دون تعمل او تعمد .

واكتفينا على سبيل الاستشهاد ببضع مقاطع موزونة اجتزأناها من خواطر شتى حفلت بها صحفنا اليومية ، دون ان نورد الخاطرة كاملة . ومن ذلك :

١ ـ اعدناها إلى حضن الوطن الزاهي (٤٢)
ونثرنا الزهور في حضرتها

انشطرت الجملة الاولى إلى شطرين تضمنا ايقاعين مختلفين .

البداية (اعدناها .. إلى) جاءت على ايقاع (مفاعلتن ـ مفا) من الوافر المجزوء او الهزج ، ثم انتهت الجملة بايقاع المتدارك (حضن الوطن الزاهي) .

وتدخل بنا الجملة الثانية إلى ايقاع الخفيف (فاعلاتن ـ مفاعلن ـ) (ونثرنا الزهور في) . ويشكل الجزء الثاني مع بقاء (في) مشتركاً بين الشطرين ايقاع المتدارك (في حضرتها) .

٢ ـ عيناك في عيني كل الشرق تسكبانه (٤٣)
واضح ان ايقاع الرجز قد استبد بقلم الكاتب في اربع تفعيلات حتى يمكن عد هذا السطر من الخاطرة شطراً مجزوءاً مدوراً .

٣ ـ صدقت يا عراق (٤٤)
صدقت ارضك وسماؤك

وعلى غرار ما سبق يأتي (صدقت يا عراق) ايقاعاً شعرياً على وزن الرجز وكأنه بداية قصيدة ويأتي السطر الثاني على ايقاع المتدارك . وهو من البحور الصالحة للغناء والانشاد بطواعية معروفة .

---

(٤٢) العراق ٣٧٨٤ في ١٩٨٨/٦/٢٨
(٤٣) جريدة العراق . العدد السابق نفسه (جاسب عبدالحميد)
(٤٤) جريدة العراق ـ ٣٧٨٣ في ١٩٨٨/٦/٢٧ (مزاحم علاوي)

٤ ــ عاشقة انا (٤٥)
وقلبي عندكم
يا غيارى وطني
كيف لا نحبكم ــ قولوا لنا ــ امس كنتم قادمين
تتوزع اجزاء المقطع ايقاعياً على النحو الاتي

عاشقة انا = مستعلن فعلن
وهذه التفعيلة ألتي تذكرنا بالايقاع الذي ابتكزه الشاعر احمد شوقي وقد تمثل في قصيدته المغناة .
(هلا هلا هيا)
وقلبي عندكم : جاء على ايقاع الوافر
يا غيارى وَطني : جاءَ على ايقاعِ الرَمل
كيف لا نحبكم : جاء على ايقاع الرجز (اذا اضفنا واواً)
قولوا لنا : جاء على مستفعلن ــ وهي التفعيلة التي ترد في اكثر من بحر
امس كنتم قادمين : جاء على ايقاع الرمل

٥ ــ وبورك العراق نبع الابطال
وبورك العراق ، بدء تاريخ البطولة

جاء السطر الاول على ايقاع الرجز
اما السطر الثاني فانه اذا قرىء من غير انقطاع فان بقاء الرجز واضح ، اما اذا سكن (العراق) فان الشطر الاول يكون رجزاً ، والشطر الثاني المنفصل في الاداء الصوتي يأتي على الرمل ، وهو بحر غنائي انشادي ايضاً .

(٤٥) جريدة الثورة ٦٢٧٦ في ١٩٨٨/٥/٢٩ (عاطفة رومايا)

٦ — ان العراق عريس السلام مصان سيبقى بعزم الرجال (٤٦)
بعزم صلاح الدين وسعد
بعزم الفتى صدام
... وانهار امواجها مواكب عشق لاهل العراق
تقص حكايات اجدادنا الخالدين

لقد بني هذا المقطع على ايقاع المتقارب ، ومعنى هذا الايقاع مع جمل المقطع مسافة يظن السامع معها انه يقرأ قصيدة من المتقارب

عريس السلام : فعولن — فعول
مصان سيبقى : فعولن فعولن

بعزم الرجال — بعزم صلاح — بعزم الفتى — وانها — اموا — جها — لاهل العراق — تقص حكايات اجدادنا الخالدين وكلها مبنية على ايقاع (فعولن) .

(٤٦) جريدة العراق ٣٦٥٤ في ١٩٨٨/١/٢٧

خاتمة البحث :

انعقد هذا البحث لدراسة ظاهرة ادبية تبوأت مكانة بارزة من اعمدة الصحف العراقية خلال اعوام الحرب ، الا وهي ظاهرة (الخاطرة الحربية) ، اذ كان بها حاجة إلى دراسة تكشف عن مضامينها الفكرية والوجدانية وابعادها الفنية ، فكانت هذه الدراسة محاولة متواضعة للوقوف عند الجوانب الفنية ، وقد بنيت على محورين رئيسين : محور تأصيل مفهوم الخاطرة ، والمحور التطبيقي الذي تم فيه تحليل عدد من خواطر الحرب ضمن ظواهر اللغة والصورة والايقاع .

ومما ينبغي الاشارة اليه ان الخاطرة اصبحت في زمن الحرب مجلى رؤى الكتاب ونظراتهم ومشاعرهم ازاء الحرب ومعطياتها ، فمن هؤلاء الكتاب من هو متمرس في كتابة الخاطرة باسلوب ادبي شيق يعنى فيه بلغته وصورته وايقاعاته المعبرة ، ومنهم من يجنح إلى السرد المقالي والبسط والتفصيل .

وكانت نماذج البحث مقتصرة على النمط الذي دبجته اقلام المتمرسين من الادباء الذين حققوا في الخاطرة الادبية كثيراً من خصائصها الفنية .

وعلى الصعيد التنظيري لم اجد بحثاً يعنى بتحديد الخصائص الفنية التي تميز الخاطرة عن غيرها من الفنون الادبية سوى بضعة اسطر الم فيها الدكتور عزالدين اسماعيل ببعض سماته وخصائصه في ايجاز لا يغني عن التفصيل والافاضة .

وقد وقفت الدراسة عند ابرز الظواهر الاتية :

١ ــ ان ثمة تقارباً في الخصائص الفنية بين الخاطرة والمقالة الادبية ــ على نحو ما عرض له الباحثون ــ ويكاد يكون الحجم هو الفارق الاكثر وضوحاً بينهما .

٢ – اشار البحث إلى ان الخاطرة ليست لوناً جديداً في ادبنا المعاصر . بل ان ثمة نماذج في ادبنا القديم تنتمي إلى هذا اللون .

٣ – حدد البحث سمات الخاطرة بانها ذاتية المنزع مستمدة موضوعاتها من معطيات الحياة اليومية .

٤ – نمت الخاطرة الادبية في خضم وقائع الحرب العراقية الايرانية نمواً مطرداً بحيث استطاعت ان تحتضن خلجات الادباء وحملة الاقلام على حد سواء ، ازاء مجريات الحرب وما تمخض عنها من مفاهيم وتصورات .

٥ – امتاز الاداء اللغوي في الخاطرة الحربية بوضوح المعاني وقصر الجمل ووجازتها وغنائية الاداء التركيبي وايحائيته .

٦ – حفلت الخاطرة الحربية الادبية بالصور الجزئية المحتشدة من ذهنية وحسية تميزت بالوضوح والانتماء إلى عالم الواقع واحداثها اليومية . وهي بذلك جارت القصيدة في اعتمادها الصورة الفنية محلاً لتجسيد الافكار والمعاني .

٧ – امتازت الخاطرة الادبية بوفرة الايقاعات الموسيقية على صعيد المفردة وجرسها المتناغم مع سياقات الفكرة والحدث ، وتوافر الايقاع الداخلي في العبارة مجتزأة وكاملة . وكذلك وفرة الجمل الموزونة وزناً عروضياً ، مما يقرب الخاطرة من عالم القصيدة المغناة .

وللــه الحمــيــد اولا واخـــراً

مراجع البحث

١ — الأدب وفنونه — د. عزالدين اسماعيل — دار الفكر العربي — القاهرة — ١٩٥٨

٢ — تمهيد في النقد الأدبي — د. روز غريب — دار المكشوف — بيروت — ١٩٧١

٣ — جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي . ماهر مهدي هلال — وزارة الثقافة والاعلام — دار الرشيد للنشر — سلسلة دراسات — ١٩٨٠ .

٤ — الشعر كيف نفهمه ونتذوقه — اليزابيث درو — ترجمة محمد ابراهيم الشوش — بيروت — ١٩٦١

٥ — الصورة الشعرية : سي. دي — لويس — ترجمة د. احمد نصيف الجنابي وآخرين — وزارة الثقافة والاعلام — دار الرشيد للنشر — بغداد — ١٩٨٢

٦ — الصورة الشعرية ونماذجها في ابداع ابي نواس . د. ساسين عساف — المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع — بيروت — ط١/ ١٩٨٢

٧ — الصورة المجازية في شعر المتنبي — د. جليل رشيد فالح ، رسالة دكتوراه بالآلة الكاتبة قدمت إلى كلية الآداب — جامعة بغداد — ١٩٨٥.

٨ — فن المقالة — د. محمد يوسف نجم — دار الثقافة . بيروت — ط٣ .

٩ — فيض الخاطر — احمد امين — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ط٣ — ١٩٥٣

١٠ ــ مبادىء النقد الأدبي ــ أ.أ ــ ريتشاردز ــ ترجمة ــ د. محمد مصطفى بدوي ــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ــ مطبعة مصر ــ ١٩٦٣

١١ ــ مدارات نقدية ــ في اشكالية النقد والحداثة والابداع ــ فاضل ثامر ــ سلسلة دراسات ادبية ــ دار الشؤون الثقافية العامة ــ ط١ ــ ١٩٨٧

١٢ ــ مقدمة في النقد الأدبي ــ د. علي جواد الطاهر ــ ط٢ ــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت ــ ١٩٧٩

١٣ ــ الدوريات والصحف :

أ ــ مجلة الأديب المعاصر ــ العدد ــ ١٦ ــ السنة ٤ ــ آذار ١٩٧٦ (الصورة الفنية ــ نوردمان ــ ترجمة د. جابر عصفور)

ب ــ مجلة الجامعة (جامعة الموصل) العددان ــ ٧ ــ ٨ ــ ايار ونيسان ١٩٨٢ .

ج ــ صحف : الثورة والجمهورية والعراق ــ (اعداد مختلفة)



فضاء الشاعر
تأملات في قصيدة شاذل طاقة السياسية الحديثة
١٩٤٨ – ١٩٦٣

د. عبدالوهاب محمد علي العدواني
كلية الآداب – جامعة الموصل

ولتكن «الموصل» الفضاء الذي تسبحُ هذه الدراسة في آفاقه على جناح شاعرها الراحل الجميل ، تطوف معه في أجواء مطوية ، لا يملك القارىء المعاصر غير استحضارها بكلمات الشاعر وصوره وخيالاته ، فهي بُعدُه الغائب الذي لا تدركه الا البصائر المتأملة المعنية باكتشافه ،لا الأبصار المتطلعة إليه بعد حين من الإنطواء والزوال والغيبوبة .

وحين يكون ما ذكرناه هو حال القارىء الناقد ، فإن حال القارىء العام أكثر صعوبة إزاء النصوص الغنية بالإشارات والرموز المحتاجة إلى تحليل وتفسير مناسبين موفقين قدر الطاقة . ذلك أن الشاعر لا يسأل نفسه : مالون العذاب الذي سيدخل قارئه فيه ، وهو يقدم إليه نصاً مكتنزاً بالدلالات الظاهرة والباطنة ، فيحمله في سبيل الفهم على مركب صعب ، ويجعله يضرب في أرض لغوية بلا تخوم ، تلك هي أرض الشعر وفضاؤه العجيب .

وإذا كان من نافلة الجهد أن يرجع الدارس إلى المعجم العربي ، ليقول : إنّ «الفضاء» هو : «الساحة وما اتسع من الأرض» (١) ، فإن من المُعضل المضني أن يجد الناقد نفسه بين أرض الشعر وفضائه ضارباً في الكامن والمجهول

(١) الصحاح : ٢٤٥٥/٦ .

من فكر الشاعر ورؤاه السرية ، أضف إلى هذا أن الشاعر ، في العادة ، ذو فضاءين :

— أولهما : مادي ، وهو البيئة التي يضطرب فيها ، وتشارك من طرفها بتشكيل الإطار المُدرك الملموس لتجربته الفنية .

— والآخر : أثيري ، وهو الخيال الذي يسبح فيه ، ويدنو من خلاله إلى تأطير صور شعرية يتداخل فيها واقع وتصور يصعب الوصول فيهما إلى فرز جازم بين جوهريهما الفنيين المفصحين بتكاملهما عن تجربة الشاعر في معالجة قضيته الخاصة في هذا النص أو ذاك ، ويخطىء من ينتظر من الشاعر أن يكون مسجلاً (طبوغرافياً) لبيئته ، لأن ذلك يخرجه من بُردة الشاعر ، ويحرفه عن وظيفته مبدعاً ، تسمو كلماته عن النقل والتسجيل اللذين يُفقدانه أقوى خصائصه الانسانية ارتكازاً في ذاته المنشئة الخلاقة ، فهو بدون الترفع عن فروض التسجيل لا يكون مبدعاً مشهوداً له بعبقرية الخلق والأداء الأدبي الرفيع .

نقول هذا ، ولا نعني ، البتة ، ألاّ تكون ثمة ارتسامات بيئية متباينة الأشكال والرموز والدلالات في نتاج الشاعر ، وهو المشدود بالضرورة — أيـاً كان — إلى بيئته بأكثر من سبب ، بالولادة والنشأة وبداية الوعي والنضج والمعايشة الاجتماعية والذكريات وما إلى ذلك ، فهو لصيق دائرة البيئة التي نمته وأنمته ، وبعثت في عروقه دم الاحساس بالوجود في داخلها ، ودم الحنين إليها من خارجها ، ولهذا بقي حافظ في نظرنا مصرياً ، والرصافي عراقياً ، والسياب بصرياً ، ونزار دمشقياً ، وشاعر هذه البحث شاذل طاقة (٢) موصلياً ،

(٢) الولادة في (الموصل : ٢٨/نيسان / ١٩٤٩)،والوفاة في (الرباط : ٢٠/تشرين الأول / ١٩٧٤) ، ينظر: سعد البزاز : شاذل طاقة — السيرة والانجازات ، ضمن : المجموعة الشعرية الكاملة : ٥٠٥ ، ٥٣٦ .

فكل واحد من هؤلاء الخمسة قد عبر عن المدينة أو الريف الذي نجم منه - تعبيراً دالاً على قسمات معروفة أو غير معروفة من وسامة الفضاء الذي تحرك فيه أو دمامته ، وهو في الحالتين لا يعبر إلا عن عمق إحساسه به ، وذوبانه فيه إنساناً ومبدعاً ، وآية ذلك أن طبائعه وأخلاقه ومواقفه من الكون والطبيعة والإنسان والحضارة والاجتماع تأتي مفعمة بروح المكان الذي يستوعب جثمانه الإنساني بفعل ما يستقر في نفسه من المؤثرات التي تبعثها حالة التفاعل فيه ، وعندئذ يكون التعبير عن الوسامة حالة من الاقبال على المكان بعشق صادق ، والتعبير عن الدمامة حالة من النفرة والرفض لأسباب ذاتية أو موضوعية ، يتصاعد فيها الصراع الداخلي الصامت بين الشاعر وفضائه الخاص ، مما نراه جلياً في أشعاره المعبرة عن المكان بالقصد أو بالتداعي الفني العارض .

ويؤكد هذا أن أحداً — فيما نزعم — لا يشك في أن الشاعر وليد أرضه وفضائه الخاص ، وليس بمقدوره أن ينفلت منهما إلى فراغ فارغ من الارتباط القوي بهما ، فيكون عندئذ مخلوقاً خارقاً وشاعراً بلا اصول تشده إلى جذوره الأولى ، وتغرقه في ملكوت ارضه العظيم الذي يجري في ذاته متدفقاً كالنهر ، يُرَبُّ شعره وينضجه ، ويعطيه المادة والفكر واللغة والطابع والروح ، لأن افتراضاً من هذا القبيل يجعلنا على أهبة التوقع والاستعداد لمواجهة شاعر قادم من كوكب خرافي مجهول ، لا نحس في نتاجه انه مُنتمٍ إلى إية أرض ، أو أي إطار اجتماعي ، يساعدنا على معرفته في نفسه قبل معرفته في شعره . ونزعم أن شاعراً — كهذا — لم يكن له وجود منذ آدم الذي نسبوا إليه أنه قال :

تغيـرت البـلادُ ومـن عليهـا فوجه الأرض مغبر قبيـح (٣)

(٣) الكامل في التاريخ : ١/٤٥ .

وعلى هذه الأحدوثة أو الأسطورة يكون الأب الكبير أول من عبّر عن الوطن تعبيره عن صيرورة الشيء إلى شيء آخر مختلف جديد ، ورصد في أبياته المزعومة استحالة الوسامة الأرضية دمامة جديرة بالتشخيص . فكيف بمن ملكتُه صنعة الشعر ، ووعكته حمى الشعور بكل ما يتكور حوله من الوجود ، فهو لا فكاك له من هجس البيئة في نفسه ، تلك التي لاتغادره إلاّ لتعاوده وشيكاً ، كي يتضح برسومها وآثارها ومظاهرها ، فحين يتحدث إليك عن فضائها ، يعطيك المكان والزمان والأشياء واللغة والأحداث الواقعة تحت سلطة إدراكه ، تماماً كما يفعل الروائي الذي وصفوا فضاءه بأنه : «الحيز المكاني التي تتمظهر فيه الشخصيات والأشياء متلبسة بالأحداث تبعاً لعوامل عدة ، تتصل برؤيته الفلسفية ونوع جنسه الأدبي ، وحساسيته في الكتابة» (٤).

— ٢ —

ويقفنا النص الذي ختمنا به آنفاً على فكرة أولية في تحديد فهمنا لطبيعة «الفضاء الشعري» الذي تحرك فيه شاذل طاقة ، فقد بدا لنا ، ونحن نتمثل شعره ، أنه عميق الاحساس به ، مديناً له بأفضال النشأة والتربية العاطفية والفكرية واللغوية والاجتماعية دينونة تصل في بعض نصوصه حد التوحد معه والكينونة الوجودية جزءاً منه ، ومن ذلك قوله :

قلبي يَخْذلني
ما عاد يطاوعني ... يبستُ شفتي ولساني
أرضي المحروقة ما بلّتها قطرةُ ماء
ما شقّتها سكة محراث
مازالتها خضرة عُشب .. أو واحةُ ثلج

(٤) منيب محمد البوريمي : الفضاء الروائي في (الغربة) — الاطار والدلالة : ٢١ ، وأراد: رواية (الغربة) لعبدالله العروي ، المنشورة في المغرب سنة ١٩٧١ .

أولادي ابتلعهم شدقٌ من ملح وتراب
كفي ارتعشت ..
عيني عشيت ..
شفتي ارتجفت ..
لكني ما زلتُ أعيش (٥)

ومثل هذا الكلام المنسوج من إشارتين متوازيتين إلى الذات: (قلبي / شفتي / لساني / كفي / عيني)، والمكان: (أرضي / سكة / محراث / خضرة عشب / واحة ثلج) يشعرنا بأن الشاعر قد وعى حقيقة وجوده في المكان وعياً حميماً، فأكمل أشياء ذاته بأوصاف مكانه، فبات بهذه المثابة لا يعبر عن أقنومين منفصلين في خاطره الشعري، وإلا فما الحاجة إلى اجتراح التوازي بين الداخلي والخارجي لتشخيص حالة المريض في ذاته ومكانه؟.

ومثل هذا الصنيع، فيما نراه، ضربةٌ مُثلى من ضربات الشاعر المبدع، الشاعر الذي لا ينقل نفسه في فضائه الشخصي، وكأنه بيدقٌ شطرنجي معزول عن الرقعة، يتصرف به اللاعب كيف يشاء، ويحمله مسلوب الارادة مقطوعاً عن موضع المغادرة إلى حيث يغادر ثانية إلى آخر الشوط، لأن حالة الالتصاق بالمكان، وأخذ الآثار العزيزة منه ليس من خصائص اللعبة التي لا تفرض على البيدق الجامد حالة التشبث بمكانه لعجزه عن ذلك بحكم وجوده الميت في المكان، لأن حياته عارية مستعارة من حياة الأُنملتين اللتين تقلانه من المربع إلى المربع مجرداً إلا من شكله الظاهر المنحوت بالهيئات المجسمة المعروفة الخالية من الحياة الحارة المتدفقة.

(٥) سعد البزاز: شاذل طاقة – المجموعة الشعرية الكاملة: ٤٤١.

وتسلمنا هذه الفكرة إلى أن الشخصية في الرواية أو القصة غير بعيدة عن حالة ألبيدق ، لأنها رهن بقلم الكاتب الذي يتحدث بهواه الصناعي عن مخلوقاته المبتدعة اولاً وأخيراً ، بخلاف الشاعر الذي يُفرغ نفسه في شعره إفراغاً ذاتياً ، فهو لا يتحدث فيه إلا عن ذاته وهواجسه في إطار من أرضه وفضائه ، ونحن لا نقول هذا غير منطلقين فيه من أستيعاب كاف للفروق الشاملة بين الشعر والرواية بوصفهما نوعين أدبيين لا يلتقيان على حذو واحد في الشكل والمضمون والنغمة وطبيعة ألاداء ، لأن لكل واحد منهما رسوماً فنية تعطيه شخصيته الأدبية المستقلة ، فهما إذا التقيا على صعيد الحاجة إلى «حيز زمكاني» يعبران فيه عن قضية ، فقد افترقا في نمط ذلك التعبير ، فلا الشخوص متشابهة ولا الأشياء ، ولا الأحداث ، ولا الروح ، لأن الرؤية الفلسفية التي تحرك الشاعر ايحائية لطبيعة فن الشعر ، لا تقييدية ولا تسجيلية ولا توثيقية لطبيعة فن الرواية . ومن هنا فليس منتظراً من شاذل طاقة أن يتحول في شعره إلى وصاف تقليدي لأشكال البيئة الموصلية وملامحها المحفورة في ذاكرته الشعرية ، لأنه سيكون بهذا النهج قد سلب شعره شارة الامتياز بالاثارة اللغوية المكتشفة التي تنقب خلف الاديم الظاهر للبيئة ، وكأن الشعر عنده لايضرب في الوجوه الخفية لشكل المدينة في الواقع والتصور، والماثل والمطلوب. وإلا فمن أي تصور ظاهر للمدينة يمكن أن تفيض قصيدته الآتية :

ومدينتي
خُمٌ الذباب بها .. وخاطتها العناكب
والموت قاء على شوارعها رؤاه
وعلى التلال .. وفي الخرائب
أسراب غربان تحوم

وعلى ارتعاشات الشفاه
ألف ابتسامه
ماتت .. ولم تذق الحياه
أنّى التفتُ .. فثمّ بومٌ أو غراب
في البيت .. في المقهى .. وفي السوق القديمة
نسج الغبار على مصارع كلّ باب
وعلى الوجوه .. وفي الجباه
أثار معركة قديمة
وغداً .. أموت
فيجنُّ حفار القبور
زهواً بما حفرت يداه (٦)

— ٣ —

نقول : من أي تصور ظاهر للمدينة يمكن أن يفيض نص مكتز ، كهذا النص ، بالرموز والدلالات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية ؟ . وها هنا تتجلى حدة الجدل الرؤيوي بين الشاعر ومدينته ، وتبرز المدينة له ذات برقعين ، يستر كل منهما وجهاً مختلف الملامح والقسمات على الوجه الآخر ، فيحملنا ذلك على أن نسأل : وهل كانت موصل الشاعر في الخمسينيات مدينة ذات وجهين حقاً ؟ وما طبيعة ذينك الوجهين ، وما علاقة كل منهما بالوضع السياسي والاجتماعي في العراق آنذاك ؟

(٦) م . ن : ٢٦٥-٢١٦٩ .

ومثل هذا السؤال المركب محتاج إلى ذاكرة تاريخية ، تستحضر تفاصيل الإجابة الصحيحة عنه من القرائن العمرانية ، ومذاهب الناس ، والأحوال السياسية التي جعلت الشاعر يلجأ إلى التعريض والترميز في تصوير حالة المدينة والناس فيها يومئذ ، لأن وضعه معلماً وسياسياً وشاعراً ورب أسرة كان يمنعه من التصريح بما لا تحمد عقباه من مواجهة الانحراف السياسي عن النهج القومي في عراق نوري السعيد الذي أقلقته ثورة (٢٣ / تموز /١٩٥٢) في مصر ، فرأى فيها نذيراً سيكون له صداه وآثاره في المجتمع العراقي ، لأن العراق سيعمل على أن يكون له في يومه أو غده ما كان لمصر التي خرجت من محنتها السياسية بثورة وضعتها يومئذ على الطريق الصحيح للأمة العربية ، فبدأت تأخذ مركز الاشعاع القومي في آفاق الوطن العربي الكبير ، فكان العراق ومجتمعه مستقبلا مستعداً ، ومتلقياً جيداً لخيوط تلك الحالة الجديدة من الانقلاب على الوضع الداخلي الفاسد . وحين تغلي الشوارع الداخلية للموصل القديمة بمظاهرات الاحتجاج على العدوان الثلاثي على مصر في (سنة ١٩٥٦) تنشأ القصيدة في نفس شاعرها ، وقد أطبق كابوس القهر السياسي والقمع والمراقبة والمطاردة على الأنفاس ، فاستحالت صورة المدينة العتيقة الكئيبة أكثر قتامة ، وأوصد فضاؤها برموز هذا الموقف المضاد : (العناكب / البوم/ الغربان / الغبار / حفار القبور) الذي جُنَّ حين قاء الموت رؤاه على شوارع المدينة ومحا فيها ألف ابتسامة لم تذق الحياة الجديدة فجعلها «مدينة عناكب» حقاً في نظر شاعر منقلب في نفسه على واقعها الماثل ذاك بفعل تصوره لما ينبغي لها أن تكون عليه من الجدة والرواء والإشراق في عالم بدأت حركة التنوير تطرق أبوابه بعنف بوعي الشباب العربي وعزمه وثقافته ، وبتحريك عفوي من المثال المصري للدولة القومية الحديثة المستقلة .

وقد شهد الشاعر هذه الحالة ابن سبعة وعشرين عاماً (٧) ، وعاشها في الزمان والمكان ، وفهم دلالتها البيئية والسياسية والاجتماعية ، فحاول الخروج من قلبها بنص شعري منضج بحرارة المعايشة الصادقة المباشرة للأحداث ، فضلا عن الامتلاء الكامل في نفسه بالصور القائمة التي رشحت مدينته لصيرورتها مدينة عناكب في قصيدته ، فوجهاها المشار ليهما آنفاً :

.. عمرانٌ جديد بدأ يدب في تركيب المدينة القديم ببطء ، يصارع فيه شكلاً عمرانياً سلفياً ملموماً على نفسه ، يحاذي دجلة من ضفته اليمنى ، يمتد معه امتداداً قصيراً مشرفاً عليه ، ثم يأخذ من الجنوب إلى جهة الغرب ، لينتهي إلى مقبرة باب البيض ، فينعطف إلى الشمال الغربي ، ليصطدم بمقبرة الشيخ فتحي في الركن الأعلى لذلك الاتجاه ، فيميل إلى الشمال الشرقي ، لينغلق على محتواه الداخلي عند النهر . وقد ضمت هذه الدائرة غير المنتظمة ثماني وثلاثين محلة ، وامتدت شوارعها الكبرى بمقاييس أيامها تلك غير مستقيمة ولا مهندسة بنظر حديث ، وتداخلت دروبها ودورها غير المهندمة تداخلاً عجيباً غير محكوم بنظام عمراني ، يحدد تشكيلها الحضري العام (٨) ، فهي بهذا الشكل مدينة مهيأة للغليان الشعبي الذي يمكن أن تتشربه الطرق والحارات والدور عند المطاردة والملاحقة بعد المظاهرات التي كانت الساحات والشوارع تضج بها في المناسبات الوطنية والقومية مشكلة بأسبابها وأحداثها وأهدافها حالة جديدة في وضع المدينة الساكن ظاهرياً منذ ثورة (مايس ١٩٤١ م) ، ويتصل بما تقدم تاريخ طويل من المعاناة التي فرضتها الظروف على المدينة في تأريخها المتعاقب الذي شهد أنماطاً من الحصار (٩) بعثت فيها شعوراً كاملاً

---

(٧) ينظر : الهامش الثاني .

(٨) هاشم خضير الجنابي : التركيب الداخلي لمدينة الموصل – دراسة في جغرافية المدن : ٨٣ ، ٨٤ ، ٩١ .

بضرورة الاستعداد لأية حالة متوقعة من هذا القبيل ، لأنها قد أصبحت مدينة تجارب وخبر سياسية وحربية واقتصادية متراكمة . والوجه الآخر :

.. قدرة عالية على الجيشان الشعبي والثورة والتحدي العارم لكل ظروف القهر والاستلاب والفساد السياسي والاجتماعي ، فضلا عن مواجهة حالات الحصار بما يناسبها من الأُهبة ، كما يعرض ذلك كُتاب تاريخها البطولي ، ويمثلون له بوقفة المدينة كلها بوجه حصار طهماسب في سنة (١١٥٦هـ/١٧٤٣م) (١٠) ، ناهيك عن انتفاضاتها المعروفة في تاريخها الحديث ، ومن أشهرها ثورة (آذار ١٩٥٩) التي أخذت في شعر شاذل طاقة مداها المناسب من التوثيق السياسي والاجتماعي والأدبي لها .

أما شاذل في نفسه فقد ولد في محلة «الميّاسة» المتصلة بأقصى غرب الأطار الفضائي الذي وصفناه للمدينة القديمة (١١) ونشأ فيها وتعلم وأنهى دراستيه الابتدائية والثانوية قبل أن يرحل إلى بغداد طالباً في دار المعلمين العالية (١٩٤٧ — ١٩٥١) لتكتمل هناك شخصيته الأدبية والقومية ، فيعود إلى الموصل مدرساً للغة العربية في مدارسها ومدارس دهوك (١٢) بعد نُضج علمي وأدبي وفكري وسياسي ، طبع شخصيته بكثير من أمارات الامتياز ، فكان ماكان من نتاجه الشعري مرآة نفسه وفلسفة ذاته في قلب المشكلة الوطنية في المدينة والعراق الفسيح والوطن العربي الكبير.

(٩) حصار جاولي مقي سنة (٥٥٠هـ / ١١٠٦م) ، وحصار نورالدين محمود بن زنكي في سنة (٥٦٦/١١٧٠) ، وحصار سنداغو المغولي في سنة (٦٦٠/١٢٦١) ، وحصار تيمورلنك في سنة (٧٩٦/١٣٩٣) ، وحصار طهماسب في سنة (١١٥٦/١٧٤٣) ، ينظر سعيد الديوهجي : بحث في تراث الموصل : ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٩ .

(١٠) محمد أمين العمري : منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء: ١٤٩/١ .

(١١) ينظر : التركيب الداخلي لمدينة الموصل : ٩٩ .

(١٢) شاذل طاقة — السيرة والانجازات ، ضمن : المجموعة الشعرية الكاملة : ٥١٩ .

وها هنا قد يسأل سائل : هل أنضجت خمس سنوات قضاها الشاعر بين الموصل وذهوك تجربة شعوره المر بواقع مدينته ، لتجيء قصيدة «مدينة العناكب» المكتوبة في (صيف ١٩٥٦) معبرة تعبيراً صادقاً عن الحقيقة ، وهو في غمرة السنوات الخمس التي تلت تخرجه في دار المعلمين العالية كان ممتلئاً – كما يستشف من قصائد الصفحات المئتين الأوليين من مجموعته الشعرية الكاملة – بهموم عاطفية واضحة ، لم تتضمن أية اشارة إلى موقف رؤيوي عقيدي (أيديولوجي) محدد من المدينة وواقعها وشخوصها وأخلاقها ونمط الحياة السياسية والاجتماعية فيها ؟ .

فنقول : كان لابد لشاذل في مرحلة الانتقال من العاطفية إلى السياسية أن يعطي نفسه مدى كافياً ، يستوعب فيه حقائق ما يدور حوله بهدوء ، وكان من وسائله في تحقيق هذه الغاية إطالة التأمل في تجربته الشخصية في الحياة ، تلك التجربة التي أوصلته – على حين غرة – إلى معالجة فلسفية لقضايا الحياة والموت ، والهداية والغواية ، والجبر والاختيار ، في قصيدة مكثفة بعنوان «اسطورة الحياة» (١٣) ، لا يتأتى مثلها إلا بالمكابدة التأملية في : الداخلي والذاتي والخاص قبل أن يستغرق في سورة العبور منه إلى الخارجي والموضوعي والعام ، ليكون فضاء المدينة بكل أشكاله ومظاهره وأسراره ميدانه الجديد .

ومن هنا كان تصويره الدقيق لمدينة العناكب في النص الذي أثبتناه آنفاً صورة من صور ذلك العبور ، بعد أن وعى في مدينته كثيراً من «الصور ، والمواقف ، والأحداث ، والحكايات التي تلتقطها الحواس لتكون خلفية في

(١٣) المجموعة الشعرية الكاملة : ١٧١-١٧٥ .

مسار إدراك العالم . وحل رموز الكون والتفاعل مع الحياة ، ثم التقدم لتحديد اتجاهات تطورها بعد ذلك» (١٤) .

وكان من جملة ماوعاه من المدن طفولته الأولى حكايات موصلية كثيراً ما كانت تجري على الألسنة حول مواقد الشتاء في المدينة الباردة ، أولاها : «حكاية المدينة نفسها ، فليس ثمة بين الفتى والماضي القريب من مسافة تجعل تلك الحكايات مجرد حكايات ، إن الحديث حول مواقد الشتاء كان يدور عن الأحياء التي كانت تغلق في الموصل على أهلها حتى يقرضهم مرض فتّاك ، وعن الجوع الذي يسفك الدم من أجل كسرة خبز يابسة ، ويقرب فم الانسان من لحوم جثث الدواب الميتة ، حكايات المواقد عن الماضي القريب كانت تذكر بجنود قدموا من أطراف شتى ، مروا بالمدينة في زمن الحرب العالمية الأولى ، وبأسلحة جديدة حملها جنود غرباء ، وهم باتجاه ساحات المعارك ، وتحدّث كيف تدهورت هيبة سلطة العثمانيين ، وأصاب ولاتهم على المدينة الخرف والعجز بعد ازمان البطش والابادة . لقد صار الفتى يرى هذه المدينة — وبيته واحد من بيوتها — تتمون كل عام مستعيدة أوجاع مواسم القحط أو عهود محاصرة ابوابها القديمة ، فقد جرى أهلها على عادة خزن المؤن بما يكفي أهل البيت سنة كاملة ، وحين ينطلق إلى الشارع ، يرى الناس مجتمعين حول أجهزة المذياع التي تنقل اخبار العالم المتأجج وصراعاته ، بحيث يدرك السامع أن ما سيحدث في الغد لابد أن يصيب كل بقعة من العالم .. فيتفجر الغضب عنده ، وهو يراقب جنوداً شُقْراً من العاملين في العراق المُذل بطغيان الحاكم وفساده وتبعيته ، إن الوطن — إذن — موطوء بأقدام المحتلين» (١٥) ، إن مفردات هذا الوصف كانت أول الوعي الذي أنضج رؤيته السياسية ، هيأه

(١٤) شاذل طاقة — السيرة والانجازات ، ضمن المجموعة الشعرية الكاملة : ٥٠٧.

(١٥) م.ن : ٥٠٧—٥٠٩— بتصرف يسير .

لاستقبال حياة حافلة بالوطنية والنضال والشعر الذي خلف به صوراً عيانية التقطها من فضاء المدينة ، ونحسب أنه فيها نسيج وحده بين شعراء المدينة في دقة الرصد وزاوية النظر وأسلوب المعالجة وشكل القصيدة ولغتها ورموزها ودلالاتها .

— ٥ —

فإذا كان ماذكرناه هو ظهر الصورة الظاهرة للمدينة ، لا الصورة التي يريدها الشاعر لها في تصويره البعيد لحاضرها ومستقبلها الذي وعدت به قصيدة كتبها من سجن الكوت في (نيسان ١٩٥٩) بعنوان «رسالة حزينة» :

وبعدُ يا حبيبتي
فاننا بخير
جميعنا بخير
القيدُ .. والسجانُ .. والغياهب ..
السحيقة
والصمت .. والظلام .. والنوافذ الصفيقة
جميعنا بخير
لكننا ..
رغم الدجى .. رغم القيود ..
لنا الغدُ الزاهي السعيد ..
لنا .. لنا
السواعدُ المتينة
تهزُّ سور السجن .. نصهرُ الحديد
وفي غدٍ .. تطّهر المدينة

فأشرب الدموع من عينيك .. يا حبيبتي الحزينة
ونجمع الصغار ..
اطفالنا الصغار
نحكي لهم حكاية جديدة
عن عربي .. اصمّه القطار
مسافر .. بلا هوية .. بلا وداع
رقم مضاع
في زحمة المدينة البعيدة
عاد إلى المدينة السعيدة
في وضح النهار (١٦)

فإن ما ذكرناه ظل عالقاً بخياله الخصب لا يغادره ، لأن المدينة نفسها كانت قد ملكت عليه قلبه بكل مشكلاتها التي تحاصره وتضنيه وتملؤه إحساساً بالمرارة منها ولها ، فهو مكتو، أبداً ، بتاريخها القريب الذي وصفناه وبحاضرها الدامي الذي وصل إلى ذروته المتردية في (آذار ١٩٥٩) ، فاستحالت في قرارته هاجساً مؤلماً ، يدمي قلبه وعينيه وشعره ، لأنها أشبه ما تكون بمقبرة كبيرة ، وهو شاعر كثير الانشغال بفكرة الموت التي هزت كيانه من لدن وفاة والده قبل سنة (١٩٥٠) بدليل النصوص الجنائزية في ديوانه البكر : (المساء الأخير — الموصل ١٩٥٠) المستهل بكلمة مؤثرة تحمل روح الشعر وروح كلمات الإهداء المعاصرة :

بعيداً .. في طرف المدينة
وفي جلال المساء الحزين

(١٦) م.ن : ٢٤٣-٢٤٤ .

أضع بخشوع ..
هذه الاضمامة من الزهر
على قبرك يا أبي (١٧) .

ثم جرى على افتتاح كل قصيدة بعد قصيدة «أبي» بكلمة نثرية معبرة بحرارة عن مصابه بأبيه : (أرأيت إلى اليتيم يستقطر دمعه ، ويعتصر حزنه ، وبثه بحرارة ليبكي أباه (١٨) // واها لنفس حطمها القضاء على أعتاب المقابر في رونق الربيع (١٩) // إليك يا نفسي فقد علمتني الصبر ، ولكنه خذلني فيك (٢٠) //) ثم ختم رثاءه بقصيدة «المقبرة الخرساء» وهي قصيدة مهمة في ديوانه المذكور (٢١) ، ومن أهميتها هي والقصيدة التي وسمت الديوان بعنوانها (٢٢) وأخريات (٢٣) أنها ترجعه إلى زميليه السياب ونازك الملائكة ، وترجعنا معهم جميعاً إلى جدل الريادة في تاريخ الشعر العربي الحديث ، وتعطيه دوراً مذكوراً في إقرار صورة الحداثة في بنية هذا الشعر ، ولكنه دور لا نتعسف بتشخيصه في هذا المقام ، لأنه خارج لدينا عن دائرة التأمل في الفضاءِ الشعري لقصيدته السياسية الحديثة فقط .

— ٦ —

ويقع في النفس أن «المقبرة الخرساء» في دلالتها الخفية قصيدة لا تعالج همّاً وجودياً للشاعر حسب ، ذلك أن المقبرة قد أصبحت معادلة لجسامة

(١٧) م.ن : ١٧ .
(١٨) م.ن : ١٣ .
(١٩) م.ن : ٣٠ .
(٢٠) م.ن : ٣٤ .
(٢١) م.ن : ٣٦–٣٨ .
(٢٢) م.ن : ٦٩ .
(٢٣) م.ن : ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٩٣ .

شعوره بحالة (اللاجدوى) من الاضطراب في عالم كئيب يميت إنسانه الشاعر في حياته ، فضلا عن إيمائها من طرف غير خفي إلى قضية الجوع والبؤس وانعدام الأمن في فضاء موصد خانق ، توسل الشاعر في التعبير عنه برمز مرعب

وإذا عدت إلى القبر مساء
ورأيت الدود يسعى في الحفيرة
فدعه .. إنه يبغي الغذاء .
ويمني النفس آمالا كبيرة
فلقد كنت أصخت السمع يوماً في الظهيرة
وسمعت الدود يشكو الجوع شكوى البائسين
وتهافت على التراب .. ونكست الجبين
فاذا عدت إلى قبري .. فجودي بالأمان
لضحايا لم تكن تعرف معنى للأمان (٢٤)

وفي هذا النص — كما لايخفى — وعيٌ اشتراكيٌ جدُّ مبكر في حياة الشاعر ، ينقل قصيدته من الوجودية إلى السياسية نقلاً واضحاً ،ولكنه لايفقدها دلالتها على الغرض الذي كان الباعث على كتابتها ، ومثل هذا النمط من الاكتناز الدلالي في قصيدة شاذل طاقة يجعلها قادرة على أداء وظيفتها الفنية في أكثر من إتجاه ، واذ نشير إلى الوعي الاشتراكي المبكر في القصيدة التي بين أيدينا فذا يستلزم بالضرورة إرجاعها إلى حيزها الزمكاني في فضاء شاعرها ولا يصرفنا عن معالجة هذه النضجية مجيءُ القصيدة غفلاً من تاريخ نظمها ؛ لأن الوصول في ذلك الى رأي مقارب للصواب ليس معضلا ، فمن تاريخ

(٢٤) م.ن : ٣٧ .

نشر ديوان «المساء الأخير» الذي آحتجنها سنة ١٩٥٠ ، ومن معرفتنا لانتقال شاذل إلى بغداد للدراسة العالية فيها قبل هذا التاريخ بثلاث سنوات واحتكاكه برواد القصيدة العربية الحديثة في دار المعلمين العالية ، نصل الى أنها من بنات سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وألف ، نظمها ، فيما يبدو ، في أثناء استغراقه بتجربة عاطفية بين جدران تلك الدار ، وجاءت وفاة أبيه في المدة نفسهـا لتجعل «المقبرة» فضاءاً للقصيدة ، ولكن تداخل الطرفين البغدادي والموصلي في تجربة الشاعر ، آنذاك ، جعل المقبرة خرساء عن الإفصاح بمكان وجودها وكأنه قد أراد إسكاتها عن التصريح بذلك ، ليعطي القصيدة بُعداً غير محدود في الأمكنة التي استوعبته إنساناً .. وعاشقاً .. وشاعراً .. ومتأملاً .. واشتراكياً، ونحن نزعم أن بُعدها العاطفي بغدادي،وبعدها الاشتراكي موصلي ، وذلك، لطبيعة مانشأ عليه شاذل في مدينة مهددة بالفقر .. ومحاصرة بمشاعر الخوف منه ،وفي بيت كان عليه أب راحل ، طَعم حياةً مجهولة ، يتصبب رزقها من قلم كاتب عرائض في ذلك الزمان (٢٥) لايجني غير صُبابة ضئيلة من الكسب الحلال الذي يسد الأرماق،ولكنه لايجعل كاسبَه وأسرته من الموفوزين بدليل قول شاذل نفسه معبّراً عمّا كان من غنى روحه بأبيه ، وهو يخاطبه في مرثاته له بعد وفاته :

أبي لم أصدق من نعاك وقد همّا	وحين رأيتُ القبر أشعلني همّا
وأبصرتُ أهلي بالسواد معالماً	تَبين .. لتخفى .. غير تاركة رسما
حياتك لي كنزٌ من الحب والغنى	وموتك أودى بي وجرعني السُّما
فلا تحسبني اليوم إبنك أوغـداً	إذا لم أُراع الأخت والأخ والأما
فإن عطشـوا جبتُ البحور لريِّهم	وإن يسغبوا أبذل لهم مهجتي طعما(٢٦)

(٢٥) شاذل طاقة –السيرة والانجازات ، ضمن المجموعة الشعرية الكاملة : ٥٠٩ .
(٢٦) المجموعة الشعرية الكاملة : ٢٧ .

ولكنه غني فارغٌ من أي شعور بالطمأنينة والاكتفاء الاقتصادي في تلكم الحياة المرة العصيبة .

— ٧ —

كان ذلك في موصل أواخر الأربعينيات ، وقد بكر الشاعر في نظرتـــه السوداء إلى مدينته بعد تلك الوفاة التاسية التي أشعرته بمرارة الحياة وحطمت قيثاره كما قال (٢٧) فجعل يقول :

أيا أبتي إن الحياة مريـــــرة   ولستُ أطيق العيش بعدك أعطبا
لئن لم تعد إني اليك لراحــلٌ   سريعاً .. وماذا في الحياة لارغبا(٢٨)

قال هذا حقاً ، لأنه كان يعيش في مدينته حياةً بلا مباهج ، ويشقى بنفس حيةٍ «مرهفة» شاعرة بفضاضة واقع اجتماعي واقتصادي وبيئي مفروض عليها :

لك الله من نفسٍ ينوءُ بها الشجى   ويحطمُها حطم الصفاة نكودها
أغار عليها الدهرُ في ميعة الصبا   وأظمأها .. وهي القريبُ ورودها
وجرّ عليها الموتُ ذيلَ نوائب   ألمت فما تنزاح عنها سدودها(٢٩)

وتسلمنا هذه الشطريات الرثائية الصاخبة إلى قصائد حديثة مأنوسة منظومة بعد سنة ١٩٥٠ ، إبان استقبال شاعر ذي رؤى من التبيل الذي أفصحت عنه الشطريات السابقة لحياة سياسية متلاطمة في فضاء حضري موصد وقاتم وخانق يتنفس فيه رائحة الفقر والبطش والتجبر والاستلاب ، فتستحيل المدينة الكئيبة لديه ، كما أسلفنا ، مقبرةً كبيرة :

(٢٧) م.ن : ٣٢ .
(٢٨) م.ن : ٣٣ .
(٢٩) م.ن : ٣٤ .

ليت شعري ..
مالهذا الكون محزوناً .. كئيباً ؟
ما لعيني لا ترى إلا الضحايا .. والخطوبا
ما لأذني لا تعي إلاّ صراخاً ونحيباً
لست أدري .. أي معنى لبقائي
غير أني اليوم في أسر الفناء
حائر .. أمثُلُ قدّام القضاء
وهو لا يحكم إلا بالشقاء (٣٠)

وكان هذا كله حين بدأت حركة الشاعر بالاتساع في الفضاء الموصلي بعد أن غادر حياة الطالب إلى حياة المعلم ، فكان عليه أن يضطلع بمهمته في التحريض على قلب الواقع إلى حالة اخرى، تخرج من رحم النضال الوطني ، لتضع نهاية لكل شيء ، وقد عمد أحد تلامذته إلى مخطوطة قصيدته : «ذات ليلة» فنشرها في سنة ١٩٧٦ بعد وفاته بسنتين ، مقدماً لها بكلمات تعرض لنا بجلاء حركته بين الشباب الموصلي في الخمسينيات قائلاً (٣١) : «الحريةُ المكبوتة آنذاك .. والتي كنت تحاول فكَ قيدها بأكثر من وسيلة ، كنت تتسلل إلى سجنها من خلال تحليل القصيدة أثناء دراسة الموضوع ، في مناسبة ما ، وإن أعوزت المناسبة ابتدعت المناسبة ، خطراتك ، رؤاك ، كلماتك باقية في أعماقنا ، لأنها كانت تنساب من أعماقك ، لأنها كانت الحقيقة الملتهبة التي تلفح أفكارنا البكر ومشاعرنا الغضة ، كنا نعوم في تيار النقاء ، ذلك الفيض المتدفق من فمك ، لنعرف أن القومية هي شخصية الأمة الطامحة

(٣٠) م.ن : ١٥٨ .
(٣١) م.ن : ١٩٩ ، وتنظر : مجلة النبراس ، الموصل–آذار ١٩٧٦–: ٨٤ ، بتوقيع (أحد تلاميذك) ، وقد أخل ناشر المجموعة الشعرية الكاملة بهذا التوقيع ، فأتصل نص الكلمة بالمقدمة النظرية التي كان الشاعر قد كتبها لقصيدته ، فلزم التنبيه على ذلك.

إلى امتلاك العصر ، لا الغيبوبة في مغامرات السكون . ونعلم أن الحياة تعني التجدد أبدا ، وأن الجمود هو الموت ، ولنفهم أن مفتاحنا لنهم تأريخنا أن ندرك أن التاريخ هو تاريخ الشعوب لا الخلفاء ، كنت غريباً علينا لأنك كنت حقيقياً ، وكان الزيف يحطينا ، وكنت ثائراً وشجاعاً ، وكنّا نركن إلى العادة والمألوف استسهالاً وانقياداً وخوفاً ... البلد يغلي ، وضميرك يرفض الازدواجية والتمزق بين متطلبات الممارسة ونداء الأعماق الثائرة ، وكانت خاتمة بثّك الشجي ابتسامة الواثق بالنصر» (٣٢) .

— ٨ —

ولم يكن هذا النضج بعيداً عما أفاضته المدينة العانية في نفس شاعرنا ، لأنها أضافت إلى مايمتلكه من قناعة نظرية بضرورة التغيير مثالاً حياً من الحياة المستكينة فيها ، فتطلع إلى ذلك التغيير الاحصائي بمحاضرة مجددة يلقيها(٣٣) وقصيدة محرّضة ينظمها ، وحركة سياسية ينتظم فيها (٣٤) . وتمضي معه

---

(٣٢) ثم تأتي مقدمة الشاعر لقصيدته هامسة رقيقة ايضاً : (كانت مصابيح الطريق تلقي شعاعها الضئيل على وجهك الحزين في أمسية من أماسي الخريف ، وكنت كالشجرة تساقط أوراقها أمام الريح المجنونة ، كنت أخافك ، وأخاف الخريف ، وأخاف قلبي ، فاليك .. وإلى الخريف .. وإلى قلبي هذا النشيد :

سأمضي .. سأمضي .. وراء الغيوم
بعيداً .. وأسأل عنك النجوم ...

(... القصيدة : المجموعة الشعرية الكاملة : ٢٠٠–٢٠٢) .

(٣٣) مما ذكره المرحوم الدكتور هاشم الطعان عن زميله الشاعر فى حديث أفضى به في (تشرين الأول ١٩٧٥) إلى مجلة : الاذاعة والتلفزيون : أن الشاعر في عام ١٩٥٠ عاد من بغداد مبشراً بالشعر الحر ، وألقى محاضرة عنه في الموصل ، أثارت ضجة ، ولكنها فعلت فى الشباب فعل السحر ، فاذا بنا من غلاة الداعين الى الشعر الحر ...) .
ينظر : شاذل طاقة السيرة والانجازات ، ضمن : المجموعة الشعرية الكاملة : ٥٤٦ ، وقد نشرت المحاضرة بعنوان : (في جنة عبقر) في ثلاثة أعداد متوالية من مجلة : (الثقافة المصرية ، القاهرة ، يونيه : حزيران ١٩٥٢ – الأعداد ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ص ص ٨–١١ ، ١٠–١٣ ، ١٩–١٢ ، وهي محاضرة جديرة بالتأمل والدراسة والتحليل حقاً.

(٣٤) شاذل طاقة – السيرة والانجازات ، ضمن المجموعة الشعرية الكاملة : ٥٢٢–٥٢٣ .

ذكريات مدينته إلى مرحلة لاحقة من حياته ، تغاديه صورها القاتمة الكئيبة وتراوحه وتأخذ محلها في ثنايا هذه القصيدة أو تلك من قصائده السياسية الحديثة . حتى وجدناه في قصيدة «بطاقة عيد إلى الموصل :حزيران ١٩٥٩» يصف الموصل بأنها «المدينة الشهيدة» (٣٥) ، لأن ريحاً عاتية همجية قد عصفت بها بعد ثورتها الباسلة في (٨/آذار/ ١٩٥٩) ، فكتب إليها من سجنه السياسي في مدينة الكوت :

في الشارعِ القديمِ من مدينتي الكظيمه
مازال حفّارُ القبور
تأكل عيناه من اللحدِ الصغير
ويستبيحُ المقبره
ياأخوتي .. ياأهل ودي .. أقبل العيد الكبير
وكفّن المدينة
براية سوداء
والناسُ في المدينة
تشجيهم الروايةُ القديمة
رواية العيدِ الكبير
المسخرة
أيامكُمْ .. أيامُنا السعيدة
ياضائعين في التلال المُعْفِرة
تحنو عليهم نسمةٌ وطيرٌ
وقُبّرة

(٣٥) المجموعة الشعرية الكاملة : ٢٤٧ .

وتستزيدُ من دمائهم عروقُ الشجَرة
أيامكُم سعيدة
وكلُّ عامٍ .. ياضحايا المجزرة
وأنتمُ بخير (٣٦)

وقد صوّر حالة مدينته أبلغ من هذا التصوير في قصيدة «قابيل في الدملماجة» التي اتسع فيها فضاؤه الشعري فخرج عن حدود الموصل القديمة اليمنى إلى ضاحية كانت قبل (حزيران ١٩٥٩) نائيةً مهجورةً خارج سور نينوى الآشورية العريقة، فهناك في الجانب الشرقي الأيسر من الموصل الكبرى المعاصرة جرت مذبحة رهيبة، عبّر عنها برمز مستفاد من مأساة هابيل التي تحكي ظلم الانسان لأخيه الانسان، وعلى حين غرة تدخل الدملماجة وهي البئر المهجورة المنسية — وجدان الذاكرة الموصلية بقوةٍ وعنف، فبعد أن كان المواصلة يقدمون لها النذور ملحاً وحنّاءً وأفاويه وبخوراً، ويعتقدون فيها معتقدات أسطورية غريبة، فيدقون المسامير في جدرانها، ويشدون بها الخرق، ويلتمسون منها الشفاء والرزق والنسل (٣٧)، أصبحت ساحة إعدام بشع اقترفته أيدٍ أثيمة شريرة في ثورة مضادة لثورة المدينة على الانحراف السياسي الذي شهده العراق بعد ثورة تموز ١٩٥٨، فكانت ثمة أيام من غياب الوعي، ومن سقوط العقلانية في شوارع المدينة وحاراتها، عاش الشاعرُ دقائقها المأساوية بكل تفاصيلها، ثم اختزنها ليفرغها بعد سنتين في قصيدة حارةٍ محكمة البناء حكى فيها على لسان هابيل :

كفني في البئرِ المهجورة
ثلجٌ قانٍ .. ووسادي من حجرٍ ..

---

(٣٦) م.ن : ٢٤٨-٢٤٩ .
(٣٧) م.ن : ٢٠٩ .

ومن الأغصان المقرورة ..
وعظام الأموات
وبقايا الآثار
تاريخ أعمى حولي .. ينظر مأساتي
ويعيش الأسطورة
الريح تئن بلا مطرٍ ..
والبوم تحوّمُ مذعورة
وأخي قابيل يفتّشُ بين الأطمار
عن سرِ الثوار
عن سكينٍ يُغْمِدها في قلبِ الصورة
عن حبل ينفعُ في شنقِ القمرِ (٣٨)

— ٩ —

وكان ذلك في صقيع آذار ، وكانت ثمة أجسادٌ مطروحةٌ في العراء ،تُلّ أصحابها من مأمنهم ، وسيقوا إلى حتوفهم الهمجية التي لم يند لها جبين انسانية زعم الجناة لها أنها تُحب السلام وتناصره ، وتعمل من أجل وطن حر وشعب سعيد ، إذا بها إنسانية بومٍ وغربان وأفاعٍ وذئاب مسعورة تذكّرنا بالرموز التي عوّل عليها الشاعر في قصيدة «مدينة العناكب» ، وجعل رمزه الجديدُ في قصيدة «هابيل...» هابيلُ ذلك الشهيد الأول في تاريخ البشرية ، فعلى مقربة من «تل التوبة» الذي يقوم عليه جامع نبي الله يونس كانت مأساة الأخوين الجديدة في الموصل المعاصرة ، التي مدّ فيها قابيلُ القاتل — وهو يصرع أخاه — حبلاً من دم(٣٩) إلى ذلك التل المبارك ليجعله تلاً للشيطان:

(٣٨) م.ن : ٢١٠ .
(٣٩) م.ن : ٢١١ .

هابيلُ ماتْ
هابيلُ مات
وأولمّوا في التلِّ للشيطانْ
لم يبق منه .. من دمِ الانسان
من لحمه الخجلان
إلا فُتاتْ
إلاّ فتاتْ (٤٠) .

وكيف لا . وقد أكلت شوارع المدينة من الأجسادِ المسحولةِ لحومُها وكرامتُها ونقاءُ الدمِ الانساني الشريف فيها ، فحين وقف الشاعر على البئر المهجورة المطمورة وجد قبره فيها بعد أن تمزقت أوهامُ جناتها الذين عاثوا في المدينة فساداً ،وأماتوا بذرة الخير فيها بسُمٍ أحمر ، ذرته الريح إلى تلّ التوبة (٤١) ، فوجد — وهو ينعم النظر في قعر البئر — نفسه بين الشهداء:

وانشق عن الموتى الكفنُ
وتدفق من قلب البئرْ
ماءٌ أسِنُ
ووقفتُ على قبري
أمتاحُ من الأعماق المطمورَة
من قلب البئر المهجورة
رؤيا المَجرْ
فانزاح عن العينِ الثرة
وشلّ دنُ

(٤٠) م.ن : ٢١٤ .
(٤١) م.ن : ٢١١ .

وتحوطها غُصُنُ
عطشان الجذر إلى قلب الصورة
في أفق عربي الفجرْ (٤٢)

ولايخفى ماتؤكده هذه الخاتمة من إيمان الشاعر بفكرة «التغيير» التي استقرت في نفسه منذ بواكير وعيه الأدبي والقومي ، وهو في هذه القصيدة يضع أمام القارىء وحدة «.. قلب الصورة» التعبيرية ذات الإيحاء الجناسي المثير مرتين :

- وأنمي قابيل ينتشُ بين الأطمار .. من سكين يغمدها في قلب الصورة.
- فانزاح عن العين الثرة وشَلٌ درنٌ ، وتحوطها غُصُنٌ عطشانُ الجذر إلى قلب الصورة .

وأراد في النص الأول تشخيص الجريمة القابيلية بأشد مايمكن التعبير به عن بشاعتها ، فكان المعادل أبلغ مايمكن التعبير به عن الموقف المضاد لحالة الانحراف الذي سيطر على الفضاء ، ولكنه هاهنا — نعني : في خاتمة القصيدة — فضاء شعري بحجم الوطن العربي الكبير بعد أن كان الفضاء قبل ذلك موصلياً مؤطراً بروح المدينة ومشكلاتها وواقعها الاجتماعي الذي أنضج تجربة الشاعر الأدبية والفكرية والنضالية . فبدأت تتوارد في أشعاره بعد خاتمة قصيدة «قابيل...» إشاراتٌ تضربُ خارج الفضاء العراقي ، بله الفضاء الموصلي ، والا فما تفسير قوله في قصيدة «الجزائر.. والفجر.. والشهيد»:

الليل تطريه وتنشره المقابر .. والمدينة
ثكلى .. وخلف قبورها ينداح أفق
وعلى الجراحات المخينة

(٤٢) م.ن : ٢١٥ .

وهران أغفت .. والجزائر .. والصحارى
من قبل النف .. والرمال يخضها للمجد
توق
والثائرات على الذرى ينسجن للثوار غاراً
للصامدين ..
لكل عملاق يهز النجم زهواً ..
وانتصاراً (٤٣)

— ١٠ —

وقلنا آنفاً : «الفضاء العراقي» توسيعاً ، ولم نقل : «.. الموصلي» مع أن مصطلح «المدينة» إلى الصفحة العشرين بعد المئتين من المجموعة الشعرية الكاملة لا ينصرف إلى غير الموصل ، لأن الشاعر كأن قد انتقل بعد ثورة (١٤/ تموز/ ١٩٥٨) من الموصل إلى بغداد ليعمل في الاذاعة وفي ديوان وزارة الارشاد(٤٤). (: الثقافة والاعلام — الآن) . وليتحدث عن الموصل ومأساة آذار فيها من هناك ، فقصيدته «قابيل ..» مذيلة بـ (بغداد ١٩٦١/٣/٤) ، وهي تتصدر ديوانه الثاني : (ثم مات الليل — بغداد ١٩٦٣) ، ثم تأتي قصيدة : «الجزائر ..» مذيلة بـ (بغداد ١٩٦٣/١١/٣) ، وبغداد يومئذ كانت تضج بالنشاط الرسمي والشعبي الخانق المنتفض على الاحتلال الفرنسي للجزائر ، بيد أن الشاعر قد أحسن المداخلة بين الموصل وبغداد في نسيج القصيدة ، من أولها إلى آخرها ، فقد اعتدنا منه أن يتحدث عن العراق الذي أنشأه وعلمه مفردات البؤس والنضال والتطلع إلى المستقبل العربي المشرق بمثل قوله :

(٤٣) م.ن : ٢٢٣ .
(٤٤) شاذل طاقة— السيرة والانجازات ، ضمن المجموعة الشعرية الكاملة : ٥٣٢ .

يا إخوتي .. يا أهل ودي .. يا قرابين العروبة
الفجرآت .. والظلام يموت في الوادي الخصيب
والشمس تلثم وجه أمي .. والصبايا
ينثرن من شغف أكاليل النجوم على الضحايا

....

وأنا هنُا

.....

في قاع قبري أستفيق مع الرمال
راياتكم كفني .. وسيفكم صليبي
أنا قد بُعثتُ .. ونصركم خمري وطيبي
والفجر أقبل ..
والظلام يموت في الوادي الخصيب (٤٥)

لأن «الوادي الخصيب» قد أصبح فضاءه العراقي الواسع الذي يندرج فيه فضاء موصله المستقرة في وجدانه ؛ موصله التي تلثم شمسها وجه أمه في بيتها المنصوب على هضبة من أرضها العزيزة عليها ؛ ذلك البيت الذي حرص الطغاة في أيّام نضاله الموصلي (٦) معلماً وشاعراً وسياسياً على أن يكون مغيّباً مندرساً ، لتموت فيه نأمة عربية ووجه عربي أقلقهم وأقضّ مضاجعهم .

---

(٤٥) المجموعة الشعرية الكاملة : ٢٢٥-٢٢٦ .
(٤٦) وهذا الاستنتاج من قوله :

وعلى الذرى بيتي .. يغيبه الطغاة عن الدروب
كم كنت أدرج في ملاعبها
وكم تاهت خطايا

......(القصيدة : في المجموعة الشعرية الكاملة : ٢٢٥) ، ويعرف صدق هذا الوصف من تهيأ له التطواف في محلة المياسة وما يتصل بها من محلة المحموديين في الموصل القديمة ، فالمحلتان على نشز من الأرض حقاً .

وتتأكد لدينا هذه الخلاصة ، حين نعلم أن الرجل لم يكن يختزن في داخله ذكريات عن بغداد كالتي وصفناها ، فكل ما كان لبغداد في نفسه اربع سنوات دراسية قبل أكثر من عشر سنوات وتجربة عاطفية ونفثتها قصائد ديوانه : «المساء الاخير» قبل أن يطرأ على بغداد ثانية بعد ثورة (تموز ١٩٥٨) موظفاً متقدماً في الدولة الجديدة ، منتهياً إليها على سكة نضال موصلية أدمت روحه وعينيه وكفيه وقدميه ، وفي هذا تفسير لطبيعة المداخلة التي أشرنا اليها آنفاً بين المدينتين في القصيدة ، فهما فضاء واحد تتنفس فيه أريج العراق الذي أراد أن تتناوح منه رايات النضال القومي في الشهور التي خلصت فيها أمور الدولة لحزب البعث العربي الاشتراكي (٤٧) قبل ردة (تشرين ١٩٦٣) ، والذي يؤكد هذا أنه كان قد أرخ قصيدة : «الجزائر ..» بـ(١٩٦٣/١١/٣) . وهذا يعني : أنها من بنات وجدانه في المدينة البعثية التي أشرنا اليها ، ولكنه لم يحررها ألا بعد مصاب الردة ، بدليل عودته إلى استعمال «المقبرة» رمزاً للحالة الجديدة :

بين قلب مقبرتي .. إلى أعماق سجنك يا جميلة
تتناوح رايات النضال
وترف في الأجواء أغنية بديلة
عبر المفاوز والجبال
عربية الأنغام والألوان .. ترفل بالجلال
وتهز سور السجن .. تبعث في الرجال (٤٨)

وكان هذا حلماً بحثياً من أحلامه العذاب التي أقام على التعبير عنها في كل لحظة وفي كل موقف منذ الانتكاسة التي منيت بها انتفاضة الموصل في

(٤٧) ٨/شباط–١٨/ تشرين الثاني / ١٩٦٣ .
(٤٨) المجموعة الشعرية الكاملة : ٢٢٦ .

آذار /١٩٥٩ . ومن أجمل ذلك قصيدة «بعد ساعات يموت الليل» التي كتبها في سجن الكوت في الشهر المذكور :

بعد ساعات يموت الليل يا سيدتي
وتواريه الدجى آخر نجمة
ويطلّ الفجر من نافذتي
فاغماً منك بأشذاء تحية
مرح الخطوة .. يلقاني ببسمة
ويحييني بكلْمة
— رغم سجاني — فصحى عربية
نهلت من بردى أعذب نهلة
وربت بين ظلام الحرم
وسرت ما بين وهران ودجلة
مثل خطو الحلم
في جفون النوم
رغم أسوارك يا سجان .. رغم الظلم (٤٩)

— ١١ —

وكان شاذل شاعراً قد أدمن الحلم الوطني والقومي الجميل قبل تلك الانتفاضة أيضاً ، وهو قد يدس الحلم الجميل إلى قارئه في أثناء قصيدة غزلية هامسة ، فتتشابك العاطفية والوطنية تشابكاً يفصح عن قدرته على خلق قصيدة ثرية بالدلالات المثيرة من ذاته ومن فضائه الفسيح ، وخير مثال على هذه الظاهرة في شعره قصيدة «حصاد القمر» التي تبدأ من غرفة نومه

(٤٩) م.ن: ٢٣٥-٢٣٦ .

يا حلوتي ..
يا حلوة السَّمَر
خدُّك فوق صدري
وسادةُ القمر (٥٠)

ثم تحلق بعيداً في الفضاء العربي الذي كان يرصد أحداثه ويتابع قضاياه السياسية والقومية بروح المناضل وروح الشاعر . وكأنّا به يشير في القصيدة إلى شيء قد كان بين رجال الثورة الجزائرية سماه «صراعاً» .

يا حلوتي ..
تشدق المذياع ..
بقصة عن إخوتي
يلوكهم صراع
ومن دماهم تشرب الرمال (٥١)

ولكنه يعود وشيكاً إلى فضائه الخاص ، فيذكر أحزانه الذاتية (٥٢) ، ثم يختم قصيدته بحلم من أحلامه التي أشرنا اليها :

يا حلوتي .. ستنجلي الغيوم
عن زرقة السماء
سيشرق القمر
منتصراً .. ملون الجناح
فيغسل الجراح

(٥٠) م.ن : ٢٥٩-٢٦٣
(٥١) م.ن : ٢٦١ .
(٥٢) م.ن : ٢٦٣ .

ونحصد الثمر

بمنجل القمر .. والقمح .. والتفاح (٥٣)

والقمر عنده هو الثورة التي ستعيد كل شيء إلى نصابه السليم ، فتمنح الوطن حريته ، والشعب كرامته ، والشاعر طمأنينته وأفق إبداعه المنطلق ، حيث لا سجن ولا سجان .

ومن الغريب أن يؤرخ الشاعر قصيدته «حصاد القمر» بـ (١٩٥٦/٦/٢٠) ، ثم يردفها في ترتيب قصائد ديوانه ، ثم «مات الليل» بقصيدة «مدينة العناكب» المؤرخة — كما أسلفنا — بصيف السنة نفسها، ذلك الصيف الذي أرهص في الموصل بنشاط سياسي مكبوت ، انفجر فجأة بمظاهرات الاحتجاج على العدوان الثلاثي على مصر في (٢٩/ تشرين الأول /١٩٥٦) ، وهذا العرض التاريخي يجعل قصيدة «مدينة العناكب» التي ارتبطت دلالاتها السياسية لدينا بالأوضاع السياسية التي تلت تلك المظاهرات في الموصل من نتاج الشاعر في خريف السنة المذكورة لا في صيفها ، ولكنه خط ذلك بقلمه ، ونشره في ديوانه ، ولم يبق لنا غير استنتاج ما استنتجناه من القرائن والإشارات الباطنية للقصيدة .

— ١٢ —

وإذا صح لدينا التاريخ الذي ذكره الشاعر للقصيدة ، أو حملنا حملا على القبول به ، ففي القصيدة وتاريخها اذاً ما يؤكد طبيعة النشاط في ذلك الصيف الموصلي ، ولكنه نشاط مطارد ومحاصر ومقموع ، ولهذا لم يعد الشاعر إلى الفضاء الموصلي ليتحدث عنه كما كان يتحدث عن ملابسة ومعايشة دائمة ، لأن مغادرته للمدينة بعد ثورة تموز شدته إلى الفضاء العراقي كله ، فاتخذ

(٥٣) م.ن : ٢٦٢ .

بغداد رمزاً وطنياً يعبر به عن حالة الانشداد الجديدة هذه ، فخلص لها وحدها مصطلح «المدينة» في قصيدة «كان ماكان» :

وتنامُ بغدادي حزينة
ديفت لها بالحزن احلامُ الصحارى
جوعى .. وفي القصر العتيد
مُدت موائدُ للسكارى
تسلطين على المدينة (٥٤)

بيد أن هذه القصيدة تُمثل من التاريخ الذي يرجعها إلى أحدى المدتين :

- مدة الفساد الوطني والسياسي الذي سبق ثورة تموز .
- مدة الفساد الذي تلا انحراف الثورة عن طريقها الصحيح .

ولكن عنوانها يرشحها للمدة الأولى بوصفها حكاية ماضوية عن حالة منطوية :

كانوا ..
يعبون الكؤوس .. ويزرعون الأرض ..
عار .
...
رباهم التاريخ اقزاماً صغار
ليعود يكتب من جديد
قصصاً مزيفة كبار
تحكي عن العهد السعيد (٥٥)

---

(٥٤) م.ن : ٢٥٤ .
(٥٥) م.ن : ٢٥٤ .

بيد أنه يعبر في (١٩٦٢/٣/٥) بقصيدة : «مرثية عربية» التي جعلها في ثلاثة مقاطع عن حالة العراق في المدة الثانية إبان الاستحواذ القاسمي على دفة الحكم تعبيراً صادقاً :

أطل شجني .. يا زمان العذاب
وأطبق دجاك .. وشد الجبال بقلبي .
ومزق عروقي ، كل من شبابي
وعطش ترابي
وضيّع على الناس حبي
أطل همهم .. يا زمان الهموم
وغلّق أمامهم كل دربي (٥٦)

وهو في المقطع الثاني من القصيدة يحكي بعض فصول المهزلة التي جعلته يجر خطاه حاملا صليبه المدمّى إلى قمة الحلم القومي الذي بشرت به ثورة تموز قبل ان تذهب في غير المنهج المرسوم لها ، ذلك الحلم الذي أصبح جنته الضائعة (٥٧) بين الدروب ، فانفكأ على نفسه يمضغ همّه ، ولا يجد بين قبره ودنياه إلا جبال هموم اختلط فيها كلُّ شيء :

الخطى الداميات الكليلاتُ تروي فصولا
من المهزلة
والعرايا الجياع الملايين في قريتي
أقسموا : لن يذوقوا الكرى
قبل أن تنتهي قصتي

(٥٦) م.ن : ٢٨١-٢٨٢ .
(٥٧) م.ن : ٢٨٤ .

لم يكن بين ليلي وبين الضحى غير بوابة ..
للجحيم
لم أجد بين قبري ودنياي .. إلا جبال الهموم
يا إلهي ..
سماءُ النجوم
مثل أرض الهموم
يا إله الحزانى ...
أعنّي على محنتي (٥٨)

قال هذا عن العراق كله في غمرة محنته القومية ، بعد أن سقط حلمه الجميل قتيلا مضرجاً يوم انحراف الثورة عن خطّها الذي أوصل اليها . ورسم لها أهدافها ، ثم تساءل عن بغداد :

إيه بغداد .. أين الصبا والجمال
اين سُمّارك العاشقون
غيّبتهم شؤون
إيه وادي القرى .. أين انت
الصبايا
فاتنات العيون
مائلات البوادي
بالهوى والشجون
يا بلادي .. مباركة كنت بين البلاد (٥٩)

---

(٥٨) م.ن : ٢٨٥ .
(٥٩) م.ن : ٢٨٧ .

ثم كانت قصيدة «أغنية عربية» في ١٩٦٢/٤/٢٠ آخر بَوْحه الوطني في ديوان : «ثم مات الليل» والتلخيص العام لأحلامه القومية في أرض شاسعة حرة ، ونشيداً يبعث الهمة في قومه ، وأعصاراً من حب يطل على كهفه الذاتي البعيد ، فيفيض عليه أسراره ، لأنه ثمة من يبوح له عن الزنزانة والريح بالحب وبالحرف المسحور :

يتفيأ ظل خميلة
فتدك أصول السور
وتبشر بالحرية
كل أمرأة عربية
في عنابة .. في الموصل في سورية (٦٠)

وبهذا يدف الطائر الشعري الحالم بين أقصى الشرق العربي إلى أقصى الغرب بالحب وبالشوق الخلاّق ، ينساب ويكتشف الآفاق (٦١) .

• الموصل ٢ / ١٠ / ١٩٨٩ •

(٦٠) م.ن : ٢٩٢ .
(٦١) م.ن : ٢٩٣ .

المصادر والمراجع :

— بحث في التراث : سعيد الديوه‌جي : الموصل ١٩٨٢ .

— التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة — دراسة في جغرافية المدن ، الدكتور هاشم خضير الجنابي ، الموصل ١٩٨٢ .

— شاذل طاقة ، المجموعة الشعرية الكاملة ، جمع وإعداد : سعد البزاز ، بغداد ١٩٧٧ .

— شاذل طاقة — السيرة والانجازات ، سعد البزاز ، ضمن : المجموعة الشعرية الكاملة المشار اليها آنفاً .

— الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) لإسماعيل بن حماد الجوهري ، القاهرة ١٩٥٦ .

— الفضاء الروائي في الغربة — الاطار والدلالة ، منيب محمد البوريمي ، بغداد ، بلا تاريخ .

— في جنة عبقر ، شاذل طاقة ، مجلة الثقافة ، القاهرة — حزيران ١٩٥٢ ، الأعداد ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ .

— الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، تحقيق : الدكتور إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٥ .

— من تراث مربٍّ راحل ، لغير مسمىً من تلاميذه : مجلة النبراس ، الموصل — آذار ١٩٧٦ : أصدرت العدد وحدة التدريب في مديرية التربية لمحافظة نينوى ، العدد غير مرقوم .

— منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء ، محمد أمين العمري ، تحقيق : سعيد الديوه‌جي ، الموصل ١٩٦٧ — ١٩٦٨ .

الصورة الفنية للحبيب
في النص المقاتل قبل الاسلام

د. عبد الاله الصائغ
جامعة الكوفة

١ – تقديم

اذا سألت البحث عن مسوغ عنوانه الذي تموضع فيه فإن الجواب الذي يقترحه هو خلو الساحة البحثية (تقريباً) من دراسة تنهض على مستوى هذا العنوان ، اذن ثمة جدة في الانتقاء ؛ والمسوغ الثاني هو قرابة الباحث من العنوان بسبب من الاختصاص الأدبي والأكاديمي ، والمسوغ الثالث هو استجلاء صورة الجمال على مستوييه : الحسي والنفسي فى نصوص المعركة وبيان القيم الجمالية والفنية التي لازمت الصورة ومن ثم اضاءة النفق الفسيح الموصل بين صورة الحبيب (امرأة او رجلاً) وبلاغات النصر بين حد السنان وحد المروءة لتأثيل عناصر التأثير التي تضمن كسب المتلقي وانحياز ه إلى بؤرة القضية من خلال تسليط جماليات الصورة على ذائقته (١) فإن مبدعي اليوم ورثة شرعيون لمنجزات مبدعي الامس .. والجدل ماثل ابداً ..

---

(١) عناصر التأثير في قصائد المعركة . د. عبدالاله الصائغ ، فرزة من مجلة آداب الرافدين العدد الثاني ١٩٨٨ .
الزمن في قصائد المعركة . د. عبدالاله الصائغ . ضمن كتاب : الشعر العربي عند نهايات القرن العشرين محور (قصيدة الحرب) تقديم د. محسن الموسوي . مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد ١٩٨٨

٢ — تمهيد

يحاول البحث بهذا التمهيد تأصيل اساسيات المسرى المنهجي للتواصل مع مدلولات الفقرات التي يتنجم من خلالها البحث .. من نحو :

المنهج الدلالي والمنهج الصوفني ثم دلالات الحبيب ، ودلالات (ما قبل الاسلام) زمناً وفناً ..

ويلزم البحث مخططه بالتصدي لعنوانات صغيرة تشكل العنوان الكبير للموضوع ، من نحو صورة المرأة في ذهنية الفارس العربي ، وصورة الفارس الحبيب في ذهنية المرأة المبدعة لكي يصل البحث بتلقائية محسوبة إلى النتائج المهمة التي توصل اليها ..

اما مظان البحث ، فهي النصوص المثبتة في الدواوين وكتب الاختيارات والحماسات فضلا عن المصادر والمراجع التي تقدم بين يدي البحث المعلومات التي تضيء عتمات الكتابة وتحل اشكالاتها ومن الله التوفيق ...

أ — المنهج الدلالي

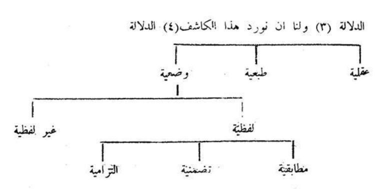
ينتسب هذا المنهج إلى الدلالة التي تعني (كون الشيء بحالة يلزم من العلم به — بعد العلم بتلك الحالة — العلم بشيء آخر ، فالأول دال والثاني مدلول والحالة هي اساس التلازم بينهما فإن كانت وضعاً فالدلالة وضعية وان كانت طبعاً فطبيعية وان كانت عقلاً فعقلية (٢) .

ومن اجل تعيين العلاقة القائمة بين الألفاظ والمعاني توصل العرب إلى وضع اسس عامة لنظريات العلامات Signe او السمياء Semiotique تحت عنوان

---

(٢) الصلة بين علم المنطق والقانون . د. مصطفى الزلمي ، مطبعة شفيق بغداد ١٩٨٦ ص ١٣
منطق العرب . د. عادل فاخوري ، مطبعة دار الطليعة . بيروت ١٩٨٠
علم الدلالة عند العرب . د. عادل فاخوري . مطبعة دار الطليعة . بيروت ١٩٨٥

الدلالة (٣) ولنا ان نورد هذا الكاشف(٤) الدلالة



• اما الدلالة العقلية فهي كامنة في الملازمة الذاتية للوجود الخارجي للدال والمدلول كالاثر والمؤثر فاذا علم الانسان مثلا ان ضوء الصباح اثر لطلوع قرص الشمس ورأى الضوء على الجدار ينتقل ذهنه إلى طلوع الشمس قطعاً فيكون ضوء الصبح دالاً على الشمس دلالة عقلية

• الدلالة الطبعية وهي فيما اذا كانت الملازمة بين الشيئين ملازمة طبعية اعني التي يقتضيها الانسان مثلا آخ دال والمدلول الاحساس بالألم والتثاؤب دال والنعاس مدلول ..

• الدلالة الوضعية وهي فيما اذا كانت الملازمة بين الشيئين ناشئة من التواضع والاصطلاح على ان وجود احدهما يكون دليلا على وجود الثاني مثل الخطوط التي اصطلح على ان تكون دليلا على الألفاظ

• الدلالة المطابقية بأن يدل اللفظ على تمام معناه الموضوع له ويطابقه كدلالة لفظ الكتاب على تمام معناه

---

(٣) منطق العرب ص ٣٨
الصورة الفنية في سياق النص الشعري . د. عبدالاله الصائغ . فرزة من وثائق مهرجان المربد الشعري التاسع . مطبعة دار الحرية بغداد ١٩٨٨ ص ٣ وبعدها

(٤) المنطق . الشيخ محمد رضا المظفر . الطبعة الثالثة ١٩٨٢ مطبعة حسام بغداد ٣٦ وعلى هذا السفر عولنا في التعشيق بين النظرية الدلالية وتطبيقاتها والمخطط الكاشف ص٤١

• الدلالة التضمنية بأن يدل اللفظ على جزء معناه الموضوع له داخل ذلك الجزء في ضمنه كدلالة لفظ الكتاب على الورق وحده او الغلاف وكدلالة لفظ الانسان على الحيوان وحده او الناطق وحده ، فلو بعت الكتاب يفهم المشتري دخول الغلاف فيه .

• الدلالة الالتزامية بأن يدل اللفظ على معنى خارج عن معناه الموضوع له لازم له يستتبعه استتباع الرفيق اللازم الخارج عن ذاته كدلالة لفظ الدواة على القلم فلو طلب منك احد ان تأتيه بدواة لم ينص على القلم فجئته بالدواة وحدها لعاتبك على ذلك محتجاً بان طلب الدواة كاف في الدلالة على طلب القلم (٥) .

وصفوة القول ان المنهج الدلالي يعتمد النص غاية ووسيلة ولا يقدم القاعدة على النص او المثال وانما يقدم النص او المثال على القاعدة لمعرفة الكلي من الجزئي والمستتر من الظاهر والنتيجة من السبب اي معرفة المدلول الذهني من خلال الدال الحسي وسيحاول البحث التخفف من المصطلحات غير الراكزة والتخطيطات التي تركب البسيط وتعتم المشرق مقترباً من روح هذا العلم العربي الأصيل (٦) .

ب ــ المنهج الصوفي :

يرى رولان بارث في (الرسالة الصورية) التي صدر في باريس عام ١٩٦١ ان الصورة هي اعادة انتاج شبهي للواقع ومع ذلك تنمو دلالات طفيلية

---

(٥) المنطق ص ٣٧ وبعدها وقد نقلنا حدود الألفاظ نصاً من هذا السفر . وانظر : علم الدلالة عند العرب ص ٢٣ وبعدها .

(٦) انظر للباحث الدراسات التالية :
نظرات في دلالة طوق عمرو . جريدة القادسية ١٩٨٢/٤/٢٦
فراسة اياس . جريدة القادسية ١٩٨٢/٣/١٥
علم الدلالة منهجاً تطبيقياً . جريدة الثورة ١٩٨٨/١/٢٨

منتمية إلى صعيد الايحاء (٧) ولقد تهيأ للباحث في جهد سابق غب استقراء مضن لجهود العرب وسواهم قدامى ومحدثين تأثيل دلالة الصورة الفنية فنص على انها (نسخة جمالية تستحضر فيها لغة الابداع الهيئة الحسية او الشعورية للأجسام او المعاني بصياغة جديدة تمليها موهبة المبدع وتجربته وفق تعادلية فنية بين طرفين هما المجاز والحقيقة دون ان يستبد طرف بآخر) .. فتكون العملية الصوفنية (سعياً إلى تقديم نسخة جزئية او كلية للواقع الحسي او الشعوري كما تهيأ للمبدع وباسلوب فائق مؤثر) (٨) .

وسنلاحظ الحبيب من خلال الصورة الفنية (Artistic image) مرة ومن خلال الصورة الايقونية اخرى (Icon image) باعتداد العلاقة التي تقوم على علاقة تشابه بين الدال والمدلول كالصورة التي تماثل موضوعها .

ج - الحبيب

قال ابن بري : الحبيب يجيء تارة بمعنى المحب كقول المخبّل

أتهجر ليلى بالفراق حبيبها وما كان نفساً بالفراق تطيب .

ويجيء اخرى بمعنى المحبوب كقول ابن الدمينة :

وإن الكثيب الفرد، من جانب الحمى إلي ، وإن لم آته لحبيب (٩)

وليس ثمة صورة اقرب إلى عواطف النص القبسلامي من صورة الحبيب التي تهيمن عليه وعلى مستقبليه ، ويمكن القول ان النصوص العظيمة هي

---

(٧) مبادىء في علم الأدلة . رولان بارت ، تعريب محمد البكري ، مطبعة دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٨٦ ص ١٥٩

(٨) الصورة الفنية معياراً نقدياً . د. عبدالاله الصائغ مطبعة دار الشؤون الثقافية . بغداد ١٩٨٧ ص ١٥٩
الصورة الفنية في شعر الشريف الرضي . د. عبدالاله الصائغ كتاب آفاق عربية رقم ٧ لعام ١٩٨٥

(٩) لسان العرب . ابن منظور ت ٧١١هـ طبعة دار صادر بيروت (د:ت) مادة (حبب)

النصوص التي تفاعلت مع الحبيب بأسلوب فائق (١٠) ولن نجد شاعراً قبسلامياً فتى غرا كطرفة او شيخاً فانياً كزهير بمنجى عن الحب .. قارن قيس بن الحدادية :

وإني لالهي النفس عنها تجملا ـ وقلبي اليها الدهر عطشان جائع
وإنني لعهد الود راع وإنني ـ بوصلك ما لم يطوني الموت طامع (١١)

ولنا ان نقترب مشاعر زهير بن ابي سلمى الحكيم الواعظ الذي سئم الثمانين فهو عاشق لا يغتال (حدث الزمان) عشق سلمى في قلبه ..

فلست بتارك ذكرى سليمى ـ وتشبيبي بأخت بني العدان
طوال الدهر ما ابتلت لهاتي ـ وما ثبت الخوالد من ابان
فاني لا يغول الدهر ودي ـ ولا ما جاء من حدث الزمان (١٢)

لقد كان العشق خصباً للروح مقابل جفاف المكان وطمأنينة الزمان مقابل اضطراب الحدث ... ومن سنن العرب انهم كانوا يسقون العاشق المولة على خرزة تسمى السلوان فيسلو (١٣) .

واتساقاً مع تأسيس البحث فإن صورة الحبيب شركة بين المرأة والرجل وذلالة الحب تتصرف الى كل المعاني القريبة من القلب .. قارن قول وجيهة أبنة أوس الضبية ..

---

(١٠) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام د. عبدالإله الصائغ ـ الطبعة الثانية مطبعة الشؤون الثقافية ـ بغداد ١٩٨٦ ص ٢٢٠ . وانظر للباحث :
الإبداع العربي قبل الاسلام بين الواقع والتوقع ،فرزة من مجلة آداب المستنصرية ،العدد السادس عشر ١٩٨٨ ص ١٤٥ .

(١١) شعر قيس بن الحدادية صنعة د. حاتم الضامن.مجلة المورد المجلد ٨ العدد الثاني ١٩٧٩ ص ٢١٣ .

(١٢) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى صنعة ثعلب طبعة الدار القومية بالقاهرة ١٩٦٤ ص ٣٥٥

(١٣) عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي ت ٣٢٢ تحقيق د. طه الحاجري . طبعة القاهرة ١٩٥٦ ص ٣٤ .
الحياة العربية من الشعر الجاهلي د. احمد الحوفي . مطبعة الهيئة المصرية القاهرة ١٩٧٢ ص ٣٩٧

وعاذلة تغدو علـي تلـومنـــــي على الشوق لم تمح الصبابة من قلبـي
فمالي إن احببت أرض عشيرتي وابغضت طرفاء القصيبة من ذنب (١٤)

وبين الحب والحبيب ثمة الام والزوج وكل المفردات المبهجة التي تلمس شغاف النص ..

• الام.. ان كثيراً من الشعراء الذين بلغوا الشهرة والسيادة، سموا بـأسماء امهاتهم (١٥). قال لبيد ..

نحن بنـو ام البنيـــن الاربعـــة ونحن خير مالك بن صعصعة (١٦)

بل ان الفارس صخر بن عمرو بن الشريد اخ الخنساء يعلن دون مواربة ان الام احب الى النفس من العشيقة أو (الحليلة) .

فأي امريء ساوي بـأم حليلـة فـلا عاش الا فـي شقـا وهو ان(١٧)

وانصرف معنى الحبيبة الى الزوجة الصالحة التي لاتفشي (سر) زوجهـا عند غيابه، قال علقمة بن عبدة :

إذا غاب عنها البعل لم تفش سره وترضي اياب البعل حيـــن يعـود (١٨)

وخير الزوجات العروب .. تلك المختلمة مع زوجها التي لاتتمنى فحولة سواه قال عميرة بن جعـل :

---

(١٤) شرح ديوان الحماسة (ابو تمام) شرح يحيى بن علي الخطيب ت ٥٠٢ طبعة بيروت (د:ت) ١٨٧/٣

(١٥) القاب الشعراء ومن يعرف بامه . محمد بن حبيب ت ٢٤٥ (نوادر المخطوطات – المجموعة الخامسة) تحقيق عبدالسلام هارون . مطبعة التأليف والترجمة . القاهرة ١٩٥٤

(١٦) شرح ديوان لبيد تحقيق د. احسان عباس مطبعة الحكومة . كويت ١٩٦٢ ق ٥٩ ص ٣٤١ ب ٧ ، ٨

(١٧) الاصمعيات ، الاصمعي ت ٢١٦ تحقيق احمد محمد شاكر مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٤ الاصمعية ٤٧ ب ٣ ص ١٤٦

(١٨) ديوان علقمة بن عبدة تحقيق لطفى الصقال مطبعة الأصيل حلب ١٩٦٩ ق١ب ٤ ص ٣٣

قليلا تبغيها الفحولة غيره   اذا استعصلت جنان أرض وغولها (١٩)

والمرأة الجميلة الصالحة تبث الحياة في الأوصال الميتة .. قال المرقش الأكبر

أينما كنت أو حللت بأرض   أو بلاد احييت تلك البلادا (٢٠)

وسيصطنع البحث تقابلا بين نصوص الفرسان الشعراء ونصوص الشواعر اللواتي احببن الشمائل الحسية والمعنوية في الحبيب .

د — القبسلامي زمناً وفناً : — تواضع الدارسون على تسمية ذلك العصر بالعصر الجاهلي ولامشاحة في التسميات حين تصدق النوايا وتصفو الأهداف ولقد استعمل القرآن الكريم (الجاهلية) وفق مستويين الأول : زمني وهو الفترة التي سبقت الاسلام والثاني ديني ليخص المجتمع الذي لم ينعم بإشراقات الإسلام (٢١) وفي الشعر القبسلامي وردت المفردة لتدل على الجهل بالشيء.. قارن مقولة عمرو بن كلثوم .

الا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا (٢٢)

ثم قارن مقولة عنترة بن شداد :

هلا سألت الخيل يابنة مالك   ان كنت جاهلة بما لم تعلمي

ينبئك من شهد الوقيعة انني   أغشى الوغى واعف عند المغنم (٢٣)

---

(١٩) المفضليات . المفضل الضبي ت ١٧٨ تحقيق احمد محمد شاكر مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٤ رقم ٦٤ب ٤ ص ٢٥٨

(٢٠) المفضليات . رقم ١٢٩ب ٢ ص ٤٣١

(٢١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . اعداد محمد فؤاد عبدالباقي مطبعة دار الكتب ١٩٤٥ مادة (جهل)

(٢٢) شرح القصائد العشر . صنعة ابو زكرياء يحيى بن علي ت ٥٠٢ تحقيق فخرالدين قباوة . مطبعة المكتبة العربية حلب ١٩٧٣ ق ٦ ب ٩٦ ص ١٦٦

(٢٣) ديوان عنترة تحقيق محمد سعيد مولوي ، مطبعة المكتب الإسلامي ١٩٧٠ ق١ ب ٤٩ ص ٢٠٧

طيف الحبيبة في الشعر الجاهلي — منحى تطبيقي في نصوص عنترة ، د. عبدالاله الصائغ — فرزة من مجلة آداب الرافدين العدد الثامن عشر ١٩٨٨

اما تميم بن مقبل (شاعر مخضرم) فقد ادرك الاسلام بقلب مفجوع لأن تعاليم الدين الجديد فصلت شرعاً بينه وبين زوجة ابيه (دهماء) التي احبها بعد وفاة أبيه وتزوجها .. فتساءل :

هل عاشق نال من دهماء حاجته في الجاهلية قبل الدين مرجوم(٢٤)

والبحث ميال لاسباب اعتبارية الى استعمال (قبل الاسلام) ونحت النسبة منهما (قبسلامي) لكي يفوت على اعداء العرب من غلاة المستشرقين والشعوبيين سانحة ايذاء الأرومة العروبية حين يصرفون المعنى الى الجهل مع ان العرب قبل الاسلام تميزت بعلوم الأنواء والانساب والقيافة والفراسة وتعبير الرؤيا(٢٥) واسست حضارات كندة واليمن وبابل ومكة والحيرة وبصرى (٢٦) اما على المستوى الفني فإن العصر القبسلامي يمثل عصر نضج اللغة العربية وتوحيدها (٢٧) ونضج القصيدة التقليدية، فالنص الشعري القبسلامي عينة تتوفر فيها وعليها شروط محددة لقبول الإجازة حتى ولو خرج النص عن الحقبة القبسلامية الزمنية وآية ذلك شعر الحطيئة، فهو شعر قبسلامي رغم ان شاعره أدرك العهد الاموي.

(٢٤) ديوان ابن مقبل تحقيق د. عزة حسن ، مطبعة احياء التراث دمشق ١٩٦٢ ق ٣٥ ب ٣ ص ٢٦٧

(٢٥) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ص ١٣ ثم انظر.:
تحديد مصطلح الجاهلية والأمية في التراث العربي الإسلامي . د. عادل البياتي ، مجلة كلية الآداب عدد ٢٧ عام ١٩٧٩
الجاهلية . د. يحيى الجبوري مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨

(٢٦) حضارة العرب . غوستاف لوبون . ترجمة عادل زعيتر مطبعة احياء التراث العربي ، لبنان ١٩٧٩ ص ١٠٨
حضارة العرب ومراحل تطورها د. احمد سوسة مطبعة دار الحرية بغداد ١٩٧٩

(٢٧) انظر للباحث :
الأسواق العربية القديمة طقوس للتجارة والأدب ، مجلة التراث الشعبي شتاء ١٩٨٦ (فقرة سوق عكاظ)
صناجة العرب بين نقاد الكوفة وشعرائها ، فرزة من كتاب(دور الكوفة في التراث العربي الإسلامي) وقائع المؤتمر العلمي الثالث المنعقد في كلية الفقه مايس ١٩٨٨ جامعة الكوفة (فقرة سيماء الكوفة) ص ٣٠٧
١٩٧٧

٣– صورة المرأة في ذهنية الفارس

يلاحظ الدارس ان الجزيرة العربية تمثل منعطفاً حادا بين اهل المدر الثابتين (سكان المدن) واهل الوبر المتحولين (سكان البادية) بين حضارة سبأ وحمير وبابل ومكة وكندة والحيرة وبصرى وبين بداوة الأعراب الذين يطاردون رزقهم صباح مساء، بين حقول اليمامة وأسواق عكاظ ودوحة الجندل وبين صحراء النفود واطلال طسم وجديس منعطف حاد بين القيظ والقر والعطش والطوفان، فكانت الحرب تقويماً يقابل الاعوجاج وتأثيلا يواجه الفوضى، فكانت الحرب سبيلا الى السلم والموت تخليقا للحياة (٢٨) قال زهير بن ابي سلمى:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لايتقي الشتم يُشتم(٢٩)

ولكن الفارس العربي مفطور على محبة السلام وكراهية الحرب، فهو لايلجأ اليها الا مضطراً. قال الفند الزماني:

فلما أبى الصلح وفي ذلك خذلان
شددنا شدة الليث غدا والليث غضبان (٣٠)

وبين يدي البحث مرثاة لفارس اثلها صديقه، فالفارس القتيل هو حمل إبن بدر، والفارس الذي رثاه هو قيس بن زهير، والأشكال هو ان قيساً حزين بسبب سمة الظلم التي لمسها في صديقه فتأمل..

---

(٢٨) الحياة والموت في الشعر العباسي. هشام فاضل محمود. رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب. جامعة بغداد ١٩٨٤

الصورة الفنية لعدة الحرب في القصيدة العربية قبل الاسلام د. عبدالاله الصائغ، مجلة المورد المجلد السابع عشر العدد الأول ١٩٨٨

(٢٩) شرح ديوان زهير – المعلقة

(٣٠) شعر الفند الزماني، صنعة د. حاتم الضامن. فرزة من مجلة المورد، المجلد الثامن. العدد الثالث ١٩٧٩

ولولا ظلمه مازلت ابكـي عليه الدهر ماطلع النجوم
ولكـن الفتى حمـل بـن بدر بغـى والبغي مرتعه وخيم (٣١)

وثمة نص آخر .. نستحضره للمثال وليس للحصر .. للشاعر نفسه ... يضيء لحظة الصراع بين الخير والشر في النفس الانسانية ويحسم الأمر على هذا النحو :

واذا تشاجر في فؤادك مـرة أمران فـأعمد للأعف الأجمل (٣٢)

ومهما تكن الحال التي سوغت فإن مشاهد الموت التي ترسمها الحرب مفجعة ومناظر الخراب والجوع والاوبئة مفزعة، وكل النصوص تشي بذلك تصريحاً أو تلميحاً ومن هنا كانت المرأة خيمة للجميع، فهي أم تقاوم الموت بالولادة و العطش بالرضاعة والأثرة بالايثار، وهي حبيبة تواجه قلق الفارس بالطمأنينة ومقت الدماء بالمودة وهي أيضاً حليلة واخت وأبنة .. هي الصورة النظيفة التي ترتب فوضى الأشياء وتزين السلام، وهي الهم الاكيد للفارس الذي يريد ان ينأى بنظافة الصورة عن دنس العدوان وقد مر بنا بلاغ المرقش الأكبر ..

اينما كنت أو حللت بأرض أو بلاد احييت تلك البلادا

وتؤثر الأخبار ان كثيراً من الاصنام كانت بهيئة انثى نحو اللاة والعزى ونائلة (٣٣) وريق المرأة يشفي العطش الصدي .. قال النابغة .

---

(٣١) شعر قيس بن زهير صنعة د. عادل البياني . مطبعة الآداب في النجف ١٩٧٢ق ٢ ب٤، ٥ ص ٣٢

(٣٢) المفضليات رقم ١١٠٦ب ١٦ ص ٣٨٥
من رثى نفسه من الشعراء في الجاهلية، نوري حمودي القيسي . مجلة الاقلام جزء ١٢ عام ١٩٦٥

(٣٣) المرأة والجنس د. نوال السعداوي مطبعة المؤسسة العربية بيروت ١٩٧٧-٦ ص ٢٠
مظاهر جمال المرأة في الشعر الجاهلي والإسلامي ،فائزة ناجي السعدون . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد ١٩٦٩ ص ٢

زعـم الهمام ولـم أذقـه انـه   يشفي بريا ريقها العطش الصدي (٣٤)

فهي وماتريد، كأنها القدر الذي لاراد له والزمن في الزمن قال الطفيل :

أم مـاتحاذر مـن شماء مافعلت   وماتحاذر من شماء مفعول (٣٥)

ويبالغ الإعشى في فضل الحبيبة ... فهي قادرة على احياء الميت فتأمل :

لـو أسندت ميتـا الى نحـرهـا   عاش ولـم ينقل الى قابر (٣٦)

وهي (الحبيبة) تمثل في منهج الشاعر ذاته حالة يستطيع الانسان من خلالها نيل الخلود ..

مـن نالهـا نال خلدا لاانقطاع له   ومـا تمنى فأضحى ناعما انقا (٣٧)

وقد تهيأ لأرشيف البحث نصوص كثيرة .. تصطنع معضلات مجازية أو واقعية تبدو من خلالها المرأة سببا في تعكير اقدام الفارس فابنة عجلان تخاف على المرقش من الحتوف .. والشاعر ينهرها بحكمة أبدية

وللفتـى غـائـل يغـولـه   يابنة عجلان من وقع الحتوف (٣٨)

---

(٣٤) ديوان النابغة تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٧ ق ١٢ ب ٢٤ ص ٩٥
المرثاة الغزلية في الشعر العربي د. عناد غزوان اسماعيل مطبعة الزهراء بغداد ١٩٧٤ ص ١٩

(٣٥) ديوان الطفيل الغنوي تحقيق محمد عبدالقادر مطبعة معتوق بيروت ق ٥ ص ٥٥
حول مدلولات رموز المرأة في مقدمة القصيدة العربية قبل الإسلام د.محمود عبدالله الجادر فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الرابع المجلد ٣١ للعام ١٩٨٢!

(٣٦) ديوان الاعشى الكبير تحقيق محمد محمد حسين مطبعة دار النهضة بيروت ١٩٧٤ ق ١٨ ص ١٨٩
الصورة الفنية معياراً نقدياً(فقرة الجيدية)وانظر صناجة العرب بين نقاد الكوفة وشعرائها ص ٣٢٦

(٣٧) ديوان الاعشى ق ٨٠ ص ٤١٧

(٣٨) شعر المرقش الأصغر صنعة د. نوري القيسي مجلة كلية الآداب العدد الثالث عشر ١٩٧٠ ق ٣ ب ٢٢

وصاحبة عنترة تغري عنترة لتستبقيه في فراشها وترهبه من الموت الذي تبثه ساحات التتل .. فيسخر الشاعر من ترهيبها وترغيبها ..

بكرت تخوفني الحتوف كأنني ... اصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها ان المنية منهل ... لابد ان اسقى بماء المنهل (٣٩)
فاقني حياءك لا ابا لك واعلمي ... اني امرؤ سأموت ان لم اقتل

وينبغي هنا .. ان لاينساق الباحث وراء الدلالة الظاهرة لهذه النصوص .. فاذا كان منع الحبيبة دالا .. فإن المدلول هو موقف الفارس وهذه دلالة تحتكم الى المجاز .. بيد اننا نحيل الى مواجهة دلالية اخرى وهو ان دلالة منع الحبيبة للفارس انما هي دلالة فنية تسهم في تشويق المتلقي .. والمدلول الاكيد غير المعلن هو قدرة الشاعر في (تثوير) الصورة ..

اما عبد المسيح بن عسلة فلم يشأ ان ينهر الحبيبة، ولماذا ينهرها؟ فهو يصطنع حواراً (مفترضاً) بينه وبينها لتكون الدلالة بنا للمواجع .

الا يا اسلمي على الحوادث فاطما ... فإن تسأليني تسألي بي عالماً (٤٠)

لقد حشد الشاعر هذه الابيات :

١ — الدعاء لها بالسلامة .

٢ — توكيد فعل الحوادث

٣ — التحبب للحبيبة بايراد اسمها المرخم .

٤ — يقترح عليها ان تسأله .

٥ — يلصق بنفسه صفة العالم .

---

(٣٩) ديوان عنترة ق ٦ ب ١٧ — ١٩ ص ٢٥١ وانظر طيف الحبيبة في الشعر الجاهلي
(٤٠) المفضليات رقم ٨٣ ب ١ ص ٣٠٤

وحصيلة هذه الاشارات كما ألمحنا .. بث المواجع لتكون الصورة أقرب الى نفس المتلقي من الصور التي تبتز المرأة وتفجع التوقع ونلمس بعدهـا بأناملنا جرحاً فاغرا فاه وهو جرح الشيخوخة الذي ينزف بسبب من اعراض الفتاة الحسناء الغانية عن الشيخوخة الجدباء الفانية .. انه يغير الدلالة الطبيعية الى دلالة عقلية .. فالشيخوخة دال طبيعي والعجز ونفور النساء مدلولها ... فوضع الشاعر دالا عقليا هو المروءة ليكون مدلوله التواصل مع الحيـاة والفتوة .. قارن نص مالك بن حريم

فإن يـك شاب الرأس مني فإننـي أبيت على نفسي مناقب اربعا(٤١)

ونظير ذلك ما صنعه عوف بن عطبة الرباني .. فقد جعل صورة الشيب عنده لمدلول مختلف هو (جهل) صاحبته كبيشة .. وهو سلوك غاية فـي الذكاء اذا ما ادركنا ان الفتوة عند العرب لصيقة بالمروءة وليست قرينـة بالشباب (٤٢) يقول الشاعر .

وقـالـت كبيشة مـن جهلهـا اشيبـا قديمـا وحلمـا معارا(٤٣)

وقريب من ذلك ايضاً بلاغ الاعشى مع صاحبته ..

ودعـي الـذكـر من عشائي فما يـد ريك مـاقـوتـي وما تصريفي(٤٤)

اما الكحلبة .. فإنه يقلب المعادلة تماماً ..ليغير دلالة الصورة المـألـوفـة

فالشيخ (حالة كونه جريحاً) دال ←— الدلالة (العجز عن مقاتلة العدو)

الشيخ (حالة كونه جريحاً) مع الانتصار على العدو(دال ←— الدلالة الجديدة (قوة الروح) !! ولنلاحظ الصورتين المجازية الأ ستعارية (هي الفرس التي

---

(٤١) الاصمعيات رقم ١٥ب ١٤ وانظر ما بعده ص ٦٤
(٤٢) الصورة الفنية لعدة الحرب في القصيدة العربية قبل الإسلام (فقرة الفتوة)
(٤٣) المفضليات رقم ١٢٤ ب ٧ – ١٠ ص ٤١٣
(٤٤) ديوان الأعشى ق ٦٣ ب ١١ ص ٣٦٣

كرت عليهم) والصورة الواقعية التشبيهية (عليها الشيخ كالأسد الكليم)(٤٥) ونواجه في النص الذي انجزه نهشل بن حري ظهور المدلول وغياب الدال .. وللمتلقي ان يحدسه دون عناء .. فالمدلول هو الصبر .. والدال الغائب هو قوة الاحتمال الذي يعني تفوقا على اهم مزايا الشباب وهو الأحتمال .

صبرنا له حتى يبوخ وإنما   تفرج ايام الكريهة بالصبر(٤٦)

ويلجأ عروة بن الورد الى الحوار والإقناع .. فصاحبته تريد استبقاءه الى جانبها حباً به، وهي اذ ترهبه من الحرب انما تخشى عليه من الموت ونلاحظ ان الفارس يواجه دفوع الحبيبة بدفوع منطقية .. فالحرب التي يخوضها انما هي من اجل حياة كريمة لها ..

فإن فاز سهم للمنية لم اكن   جزوعاً وهل عن ذاك من متأخر
وإن فاز سهمي كفكم عن مقاعد   لكم خلف ادبار البيوت ومنظر(٤٧)
دعيني للغنى اسعى فاني   رأيت الناس شرهم الفقير (٤٨)

واجوء عروة إلى الحوار يمتلك اسباباً للزهو مختلفة تماماً عن لجوء ابي ذؤيب الهذلي ، فالمشهد مختلف آلياً بين شاعرين (عروة المزهو بشبابه) و(الهذلي المفجوع باولاده الشبان) ..

امامة (فتياً) تسأل الشاعر عن سر شحوبه وهي تعلمه تماماً تسأل الشاعر عن هزال جسمه مع توفر المال (النافع) فينبئها انه فقد الصبر بمقاتل بنيه .. الدلالة

---

(٤٥) المفضليات رقم ٣ب ٢ ص ٣٢
اصول البيان العربي د.محمد حسين علي الصغير طبعة دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٦م ص٤٠
(٤٦) عيون الأخبار .ابن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦ طبعة دار الكتب بمصر ١٩٦٣م(٢/١٢٥)
(٤٧) ديوان عروة بن الورد تحقيق عبدالمعين الملوحي مطبعة وزارة الثقافة دمشق ١٩٦٦ ص ٦٧ب ٦ ، ٧
(٤٨) المصدر نفسه ص ٩١ وانظر : الغربة والحيرة والذهول بين الشاعرين الجاهلي والمعاصر د. جلال الخياط مجلة الأداب العدد الثالث ١٩٦٨

الطبيعية مطابقة للمدلول .. بينما نلاحظ الدال التواضعي والمدلول الذهني في البيت الثاني .

ولقد حرصت بأن ادافع عنهم فإذا المنية اقبلت لا تدفع
واذا المنية انشبت اظفارها الفيت كل تميمة لا تنفع (٤٩)

ويعزف الأخنس بن شهاب التغلبي عن الخليلة ، لأن الخليلة عنده ناقة لا تتعب وسيف لا ينبو

خليلاي : هوجاء النجاء شملّة وذو شطب لا يحتويه المصاحب (٥٠)

وللبحث ان يتلبث عند الكيف الذي عامل به الفارس عمرو بن كلثوم المرأة .. وهو كيف مختلف باختلاف الحالة والصورة ..

أ – الصورة الاولى (الحالة الاولى) خطاب الشاعر لساقية الخمرة (ساقية وكفى)

ب – الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا

٢ – الصورة الثانية (الحالة الثانية) خطاب الشاعر لفتاة اخرى (الحبيبة ربما)

ب ٨ – قفي قبل التفرق يا ظعينا نخبرك اليقين وتخبرينا

ب ٩ – بيوم كريهة ضرباً وطعنا أقر به مواليك العيونا

ب ١٠ – قفي نسألك هل احدثت صرماً لو شك البين أم خنت اليمينا

٣ – الصورة الثالثة (الحالة الثالثة) خطاب الشاعر للمتلقي او لنفسه عن فتاة ليل او حبيبة ذات وصل ..

---

(٤٩) شرح اشعار الهذليين صنعة السكري ت ٢٧٥ تحقيق عبدالستار فراج مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٦٥ (١/٨ ق ١ ب ٨+٩)

ظاهرة الشكوى في شعر هذيل بتول حمدي البستاني رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة الموصل ١٩٨٧ ص ٢٠٩

(٥٠) المفضليات رقم ٤١ ص ٣٠٤

ب ١١ – تريك اذا دخلت على خلاء وقد امنت عيون الكاشحينا

ب١٢ – ذراعي عيطل ادماء بكر تربعت الأجارع والمتونا

ب١٣ – وثدياً مثل حق العاج رخصاً حصاناً من اكف اللامسينا

ب ١٤ – ومأكمة يضيق الباب عنها وكشحاً قد جننت به جنونا

٤ – الصورة الرابعة (الحالة الرابعة) يعتذر الفارس لامرأة تختلف هيئة ذهنية عن الاخريات اللواتي استحضرهن النص .. فالمرأة ملاقية في الغد مالم تره او تتوقعه .. والشاعر يستطيع ان يرى ما لا يرى

ب١٩ – وإن غداً وإن اليوم رهن وبعد غد بما لاتعلمينا

د – الصورة الخامسة (الحالة الخامسة) يلتفت الفارس إلى المتلقي كأنه يقرأ ما يدور في نفسه : وإلا كيف لنا ان نعلل هذا الاستبسال في الحرب واعداؤه اشداء اعترف ببطشهم النص (كأن سيوفنا منا ومنهم + مخاريق بأيدي لاعبينا) انه بالتأكيد استبسال الغى من معجماته مفردة الفرار وكيف يفر المقاتل ونساؤه ردف له

ب٨٣ – على آثارنا بيض كرام نحاذر ان تفارق او تهونا

ب٨٤ – ظعائن من بني جشم بن بكر خلطن بميسم حسباً ودينا

ب٨٥ – اخذن على بعولتهن عهداً اذا لاقوا فوارس معلمينا

ب٨٦ – ليستلبنّ ابداناً وبيضاً وأسرى في الحديد مقرنينا

ب٨٧ – اذا مارحن يمشين الهوينا كما اضطربت متون الشاربينا

ب٨٨ – يقتن جيادنا ويقلن لستم بعولتنا إذا لم تمنعونا

ب٨٩ – إذا لم نعمهن فلا بقينا لشيء بعدهن ولا حيينا (٥١)

---

(٥١) شرح القصائد العشر – المعلقة ص ٣٢٠ .
بلاغات الرؤية في نصوص المعركة . ضمن كتاب الأدب العراقي الحديث في ظل قادسية صدام . اصدار كلية الآداب . جامعة الموصل ١٩٨٨

إذن نحن بازاء معضلة فنية تنحصر في تعدد اشكال الفتاة فهي حامية ومحمية وهي ناهية ومنهية وقبالتها يظل الفارس واحداً في مواجهة تعددية الأسباب والأشكال لكسب المتلقي من خلال بث عناصر التأثير في قصائد المعركة (٥٢) ولنا ان نتذكر في هذا المعرض استفادة لقيط بن يعمر الايادي الفنية من صور الذعر التي يبثها في النص ليخوف العرب من اطماع كسرى غير المعلنة

ب١ — يا دار عمرة من محتلها الجرعا هاجت لي الهم والأحزان والوجعا

ب٣٨ — يا قوم بيضتكم لا تفجعن بها إني اخاف عليها الأزلم الجزعا

ب٣٩ — يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا على نسائكم كسرى وما جمعا (٥٣)

ويؤسس الفارس زهير بن مسعود الضبي مدخلا آخر للتعبير عن تفوقه على اقرانه في عيني حبيبته .. فاذا كان الحسب إتكالاً على سمعة القبيلة فإن حسب الشاعر هو قدرته في الطعن حين تحمر احداق المقاتلين من الغضب والخوف

هلاّ سالت هداكِ الله ما حسبي عند الطعان اذا ما احمرت الحدق (٥٤)

وهذا التأسيس عربي صليب .. فعامر بن الطفيل وهو سيد بني عامر يرفض السيادة اتكالا على سمعة القبيلة او شرف الأبوين

فما سودتني عامر عن وراثة أبى الله أن اسمو بأم ولا اب

ولكنني احمي حماها واتقى اذاها وارمي من رماها بمقنب (٥٥)

---

(٥٢) عناصر التأثر في قصائد المعركة وانظر للباحث

(٥٣) ديوان لقيط بن يعمر الإيادي تحقيق خليل العطية مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام بغداد ١٩٧٠ وانظر :

صحيفة لقيط . تحليل عبدالاله الصائغ مجلة الطليعة الأدبية العدد الثاني السنة الخامسة ١٩٧٩

(٥٤) الحماسة الشجرية ، ابن الشجري ت ٥٤٢ تحقيق عبدالمعين الملوحي مطبعة وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٠ (٢/٨٦) ق ٥٧ ب ١ .

(٥٥) ديوان عامر بن الطفيل ص ٢٨ تحقيق كرم البستاني مطبوعات دار صادر بيروت ١٩٦٣

ويبدو ان (اميمة) صاحبة الحارث بن وعلة الذهلي قد عيرت الفارس بمقتل اخيه وقعوده عن الأخذ بثأره فلم تمكنه من مودتها فغضب وأنبأها حقيقة الامر الذي جعله يؤثر قبول الفجيعة ..

قومي هم قتلوا اميم أخي فإذا رميت يصيبني سهمي
فلئن عفوت لاعفون جللا ولئن سطوت لاوهنن عظمي(٥٦)

لقد واجه البحث نصوصاً عديدة تتصرف بصور المرأة ليجعلها آية على النصر والطمأنينة ، وقد انتقينا واحداً للفارس بشر بن ابي خازم نلاحظ فيه النسوة العقيمات راغبات في الإنجاب .. وهن بالتأكيد نسوة يتعاطف معهن الشاعر لانهن من قومه .. والمشهد يعرض لنا النسوة المقاليت وهن يتجولن بين جثث الاعداء ، ويبدو ان بعض الجثث كانت عارية بادية العورات !!

فالمشهد كله دال .. والحاصل هو النصر بوصفه مدلولا عقلياً وتواضعياً معاً ..

تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن الا يلقى على المرء مئزر (٥٧)

والمقلات هي المرأة التي لا يبقى لها ولد والتي لا تلقح الا بطيئاً (٥٨) ويدرك تراثنا العربي ان الفارس ليس رجلا خارقاً ، ليس هيكلا حجرياً دون مشاعر ، ليس الها او اسطورة، هو إنسان اعتيادي كما هو استثنائي ،يصمد كما هو يقلق ، يضعف ويقوى،اماصورة المرأة فهي غائمة او واضحة بحسب الحال والمآل ، ومعظم الفرسان يحرضون على تربية اولادهم ليكونوا فرساناً مثلهم ويجتهدون اهمية بالغة لحليب الرضاعة .. قارن طمأنينة تميم بن مقبل على مستقبل وليدة :

---

(٥٦) شرح ديوان الحماسة ١٠٧/١

(٥٧) ديوان بشر بن ابي خازم تحقيق د. عزة حسن مطبعة الكتبي دمشق ١٩٧٢ ق ١٦ب ٢٧ ص ٨٨

(٥٨) عيار الشعر ص ٣٤ وانظر لسان العرب (قلت)

في طريق الميثولوجيا عند العرب . محمد سليم الحوت مطبعة خليفة بيروت ١٩٧٩ ص٩٤

لـم يـرضع الـذل من ثديي مربيـة حتى يشبَّ ولم يصبر على عار (٥٩)

بطمأنينة شاعر آخر .. ، شاعر يجد طمأنينته في قلق ممض يساوره على وليده بسبب من شكك بولاء الزوجة وجديتها في تربية وليده معمر

واني لأخشى ان امـوت فتنكحـي ويقـذف في ايدي المراضع معمر
وترخى ستور دونـه وقـلائــد ويشغلكم عنه خلوق ومجمر (٦٠)

ويدافع حاتم الطائي عن سلوكه في تربية اولاده فرسان الغد .. فقد تزوج من سبية غنمها في الحرب وانجبت له اطفالاً زهر الوجوه ومفردة (زهر) ذات دلالتين : الاولى واقعية وهي ان امهم بيضاء فولدت ابناء بيضاً ودلالة ثانية مجازية تعتمد الكناية .. فالوجوه الزهر كناية عن كرم الاصل والفضل والكناية تعادل هنا الدلالة

فمـا زادهـا فينـا السبـاء مـذلـة ولا كلفت خبزاً ولا طبخت قدرا
ولكـن خلطنـاهـا بخـير نسائنـا فجاءت بهم بيضاً وجوههم زهراً (٦١)

ويمارس عنترة طمأنينة اخرى ، مذهباً آخر .. فيعمل اللبن لفرسه ويحرم زوجه منه ، فاذا غارت من الفرس على عنترة فالاولى ان يغار عنترة من الرجال على زوجه التي ابتلي بها ..

«ان الـرجال لهـم اليـك وسيلـة ان يـأخذوك تكحـلي وتخضبي
لا تـذكـري فـرسي وما اطعمتـه فيكون جلدك مثل جلد الأجرب

---

(٥٩) ديوان تميم بن مقبل ق ١٤ ب ٨٤ ص ١١٥ وانظر الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص ٤٩٨

(٦٠) عيون الأخبار ١١٥/١٠

(٦١) ديوان حاتم بن عبدالله الطائي تحقيق د. عادل سليمان مطبعة المدني بالقاهرة – الزيادات ق ١١١ ب ٢ ، ٣ ص ٢٩٨

ان الغبـوق لـه وأنـت مسـوءه فتـأو هي مـا شئت ثـم تحـوبي
كـذب العتيق وماء شـك بـسـارد ان كنت سائلتي غبوقاً فاذهبي (٦٢)

ويبدو ان هناك اقتراناً بين (صورة المرأة) و (صورة الفرس) في ذاكرة الفارس وشواهد ما بدا لنا كثيرة (٦٣) فابو بصير الشاعر العربي الفارس يؤسس صورة للمرأة تجلوها شبيهاً للفرس .

إذا مـا عـلاها فـارس متبـذل فنعم فراش الفارس المتبذل (٦٤)

وامرؤ القيس يركب فرساً في المعركة فيشبهها بالجرادة .. ثم يتهيأ له بالتخييل ان الفرس فتاة ليلة جلوتها

واركـب فـي الـروع خيفـانـة كسا وجهها سعـف منتشر
لهـا ذنـب مثـل ذيـل العروس يشـد بـه فرجهـا مـن دبـر
لهـا غـدر كقـرون النسـاء ركبـن في يـوم ريـح وصر (٦٥)

وفي نص افرزته معلقة عنترة تكون صورة الفرس شبيهة بصورة الفتاة السابحة بالدم وقد حشدت حبال البئر على صدرها

يـدعون عنتـر والـرمـاح كأنهـا اشطـان بئر في لبـان الأدهـم
فـازور مـن وقـع القنا بلبـانـه وشكا إليّ بعبـرة وتحمحـم (٦٦)

ويتسابق الشعراء الفرسان في توصيف المرأة وفق رؤية كل فهم لموضوعها في الذاكرة .. المثقب العبدي يصنع وجه شبه بين النساء الجميلات والقواتل من الأفاعي ..

---

(٦٢) ديوان عنترة ق ١١ ص ٢٧٣ وانظر : الاقتران بين الحلم والقصيدة . صحيفة القادسية عدد السبت ١٩٨٦/١/٢٢ (مهرجان المربد السابع)
(٦٣) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام (فقرة : المرأة الفرس)
(٦٤) ديوان الأعشى ق ٧٧ ب ٧ ص ٤٠١
(٦٥) ديوان امرىء القيس ق ٢٩ ص ١٦٣
(٦٦) ديوان عنترة — المعلقة

وهـنّ عـلى الرجائـز واكنـات   قواتل كـل اشجع مستكيـن (٦٧)

وامرؤ القيس يوئل وجه شبه بين المشيتين .. مشية المرأة ومشية النزيف

واذ هـي تمشي كمشـي النـزيـف   يصرعـه بالكثيـب البهـر (٦٨)

ولعل امرأ القيس ينفس على المرأة والحرب معاً .. فالاخبار تذكر لنا خيباته المتعددة مع المرأة حتى انه لم يعثر على حبيبة تحتمله وخيباته المتكررة في الحرب .. وهنا يكمن وجه الشبه بين الاثنتين

فالحـرب اول مـا تكـون فتيـة   تسعى بزينتهـا لكـل جهـول
شمطـاء جزت رأسهـا وتنكرت   مكروهة للشـم والتقبيـل (٦٩)

٤ – صورة الفارس الحبيب في ذهنية المرأة :

يرتكب خطأ علمياً من يظن المرأة القبـلامية مخلوقاً ايقونياً حسب . لانها فضلا عن الجمال الذي تشيعه عنصر فاعل زمنذاك في قرارات السلم او الحرب مباشرة او بصورة غير مباشرة (٧٠) هذه الشموس بنت غفار الجديس توبخ قومها وتدعوهم لملاقاة العدو ، والا .. فلا مانع لديها من ان يشاركها القوم في الكحل !

فـإنت انتـم لا تغضبـوا بعـد هذه فكونوا نساء لا تغرو من الكحل (٧١)

الفتاة + الكحل = صورة انثى مغرية

---

(٦٧) ديوان المثقب العبدي تحقيق حسن كامل الصيرفي . ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ١٦ عام ١٩٧٠ ق ٥ ب١٠ ص ١٥٠

(٦٨) ديوان امرىء القيس تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم مطبعة المعارف بمصر ١٩٦٩ ق ٢٩ ص ٥٦

(٦٩) المصدر نفسه ق ٩٦ ص ٣٥٣

(٧٠) المرأة في العصر الجاهلي د. احمد الحوفي مطبعة المدني بمصر ١٩٦٣ ص ٤٤٠ – ٤٥٩ . الموثبات في الشعر العربي قبل الإسلام . محمد فتاح عبد الجباوي . رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب في بغداد (الفصل الثاني ص ٦٤ وبعدها)

(٧١) مروج الذهب . المسعودي ت ٣٠٦ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٤ (١٣٧/٢)

(الكحل) دال ضمني اي ان اللفظ جزء يدل كل على والدلالة التضمنية فرع من الدلالة المطابقية ، ومن هنا نشعر بفنية المرمى الذي صوبتُ نحوه الشاعرة (الشموس) فارادت ان تبدل العلاقات لتستعير صورة المرأة المغزية لصورة الرجل المخذول في الحرب

وكانت ابنة ذي الاصبع العدواني قد اقترحت صورة للفارس الذي تتمناه بعلا لها ، هو ذو شمم وحاد مثل نصل السيف .. يدرك ما تهفو اليه نفس المرأة

الا هبيل تـراها مـرةً وحليلـهـا   أشمّ كنصل السيف عين المهنـد
عليـم بـأدواء النسـاء ورهطـه   اذا ما انتمى من أهل بيت ومحتد (٧٢)

ونذرت هند بنت خالد نفسها للفارس الذي ترهبه كتيبة الأعداء فمثل هذا الفارس وحده يستحق مشاعر الحبيبة وجمالها

مَـنْ رجـل ينـازل الكتيبـة   فذلكـم تنزو لـه الحبيبـة (٧٣)

والفتاة الحرة حين تفقد فارسها الحقيق بها تمتنع عن الزينة ومخالطـة الرجال ، وتجعل مهرها الثأر من قاتل فارسها (٧٤)

وتؤثر الاخبار ان النساء المنكوبات بفرسانهن المكتويات بتخاذل رجالهن ، كن يبالغن في اعلان طقوس الحداد إيلاماً للنفوس ودفعها لمعترك القتال ،

---

(٧٢) مجمع الأمثال الميداني ت ٥١٨ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥ (٣٢٠/١)

الصورة الفنية في المثل القرآني د. محمد حسين علي الصغير. شركة المطابع النموذجية ١٩٨١ ص ١٥٣

(٧٣) الأغاني . ابو الفرج الاصفهاني ت ٣٥٦ تحقيق عبدالستار فراج مطبعة دار الثقافة ١٩٥٦ (٢٤٤/١٣)

(٧٤) صبح الأعشى . القلقشندي ت ٨٢١ مطبعة كوستاتوماس ١٩٦٣ (٤٠٥/١) .
الروض الانف . السهيلي ت ٥٨١ تحقيق عبدالرحمن الوكيل مطبعة دار النصر بمصر ١٩٧٠ (٥٤/٢)

مثلا ابنتا داود بن هبالة حلقتا رأسيهما وتخليتا عن جدائلهن الطوال وشقتا جيبيهما وحثتا التراب بعد مقتل ابيهما (٧٥) وما صورة الخنساء ببعيدة عن الذاكرة فقد حرمت نفسها من ارتداء الحرير وشرب الماء البارد والاقتران بسيد جشم حزناً على صخر .. فارسها واخيها (٧٦)

ولم تشأ ماوية بنت مرة وهي ترثي زوجها ان تغفر للدهر فعلته ، فهي بين نارين : نار الترمل (المقتول زوجها) ونار الثكل (القاتل اخوها) .. فعلى اي جانبيها تميل ؟

يـا قتيـلاً قـوض الـدهـر بـــه سقـف بيتـي جميعـاً مـن عـل
هـدم البيـــت الـذي استحـدثتـه وبدا في هدم بيتي الأول (٧٧)

وليعترف البحث جدلاً ان هذه الصور قائمة ، لان حزنها غير شفيف والوانها لصيقة بالسواد والرماد ، وهي (الصور) على اية حال تترجم موقفاً انسانياً بدلالة (طبعية) وسنضع قبالة هذه الصور موقف سعدى بنت الشمردل الجهنية . التي اصطنعت حواراً دفاقاً مع نفسها (المروعة) لتنهاها عن قباءة الضعف الذي لا يجدي فتيلا ولا يعيد قتيلا

أمـن الحـوادث والمنـون اروع وأبيـت ليـلي كلـه لا اهجـع
إن الحوادث والمنون كليهمـــــا لا يعتبـان ولو بكى من يجزع (٧٨)

ولقد جزعت (سعدى) في موضع الجزع ،فهي تعلن الغضب وتمحق الحزن، لأن اخاها الفارس (سعدا) قضى نحبه وهو (دريئة) للرماح في مقتلة الرصاف التي ابلا بها بلاء الابطال وذلك عزاؤها الحقيقي

(٧٥) اسماء المغتالين لابن حبيب (ضمن نوادر المخطوطات) ١٢٩/٢
(٧٦) الشعر والشعراء لابن قتيبة ت ٢٧٦ مطبعة دار الثقافة ١٩٦٩ بيروت ٣٥٣/١
(٧٧) الزهرة . محمد بن داود الاصفهاني ت ٢٩٧ تحقيق د. ابراهيم السامرائي و د. نوري القيسي مطبعة الجمهورية ١٩٧٥ بغداد باب ٥٧ ص ٨١
(٧٨) الاصمعيات رقم ٢٧ ب ٩ ، ١٣ ، ١٩ رقم ٢٨ ب ١ ، ٥

ويل أم قتـلى بالرصاف لو انهـم بلغـوا الرجاء لقومهم او متعـوا
ويـل امـه رجـلا يليـذ بظهره إبـلا ونُسال الفيـافـي اروع
أجعلت سعداً للرماح دريئـة هبلتك امك أي جرد ترقع (٧٨)

(أي جرد ترقع) كناية عن ان الجرح بمقتل الفارس أعمق من ان يلتئـم بالمسوغات وهي دلالة التزامية لأن المقصود غير متداول بالمعنى الثانـي : والوصول اليه يقتضي التزامه بقرينة تعدل مسار الدلالة من حالتها المطابقيـة الى حالتها الالتزامية .

وللاخ الفارس الذي تنوشه مقاتل الاعداء جرح في الصدر فاغر فاه ، وقد بلغنا مبلغ حزن تماضر ابنة الشريد على قرة عينها (صخر)، فهي واجدة فيه صورة الفارس التي احبتها وتمنتها وزهت بها، فإذا انطفأت أنطفأ معها الحلم المستحيل

يذكرني شروق الشمس صخراً وأبكيه بكل غـروب شمـس
على صخر وأي فتى كصخـر ليوم شديدة وطعان خـلس (٧٩)

وهو نظير موقف سعدى ابنة الشمردل المفجوعة بأخيها الذي مر بنا وشكل موقف قتيلة ابنة الحارث حين امسكت بزمام ناقة النبي العربي الامين (ص) وتجرأت على رثاء أخيها (النضر) أمامه فرق النبي (ص) لمشاعر الاخت :

ظلت سيوف بني ابيه تنـوشه لله أرحـام هنـاك تشقـق
النضـر أقرب ماأخذت قرابـة وأحقهم ان كان عتق يعتـق (٨٠)

وفي معركة (قضة) ضعف المقاتلون بسبب المطاولة وشدة الصولـة فأستصحب عوف بن مالك بن ضبيعة أحب نسائه واهل بيته، فكانت امـه

---

(٧٩) ديوان الخنساء ص ١٣٢
(٨٠) الزهرة باب ٥٦ ص ٦٥

بينهن وبناته فكان صنيعه سببا نفسياً مهما في بث الحماسة في صـــدور المقاتلين (٨١) .

وفي هذه المعركة ذاتها نهدت ابنتا الفند الزماني فكشفتا عن وجهيهمـــا وتنقلتا بين حشود المقاتلين البكريين. فهاج المقاتلون وماجوا فما عـــرف اعداؤهم اي سلاح فتك بهم .. فقالت الاولى .

وغـــى وغـــى وغـــى حـــر القتـــال والنظـــى

وملئت منه الربا

لقد خبأت الشاعرة صورة الفارس بين كلمات التوثيب . فكأنها ترسم لوحة لايراها الا العالمون بالكنايات وبواطن الدلالات كأنها تقول .. حبيبي الذي يخوض الوغى وتكررها ثلاثا ، ذلك الفارس الذي يخوض نار القتال.. فيملأ الروابي بجثث الاعداء .. وهو استدلال قمين بالنساء اللواتي يتوحدن مع القوم فيرتقي الجمال عندهن الى مراقي الصمد .

وقالت اختها مخاطبة الرجال . دون كنايات ، فمن يخوض غمارها .. ويقبل عليها (الحرب) حقيق ، ومن يفر عنها ويصطلى سعيرها فهو حقيق بالفراق ..

ان تقبلـــوا نعانـــق و نفـــرش النمـــارق (٨٢) ه
أو تـــدبـــروا نفـــارق فـــراق غيـــر وامـــق

وسلوك هذين البنتين اللتين قومتا موقف ابيهما الفند الزماني وكان يومها قد جاوز مائة سنة جعل كتب الاخبار مذهلة بجرأتهما واثرهما في المعركة

---

(٨١) الأغاني ٢٣/٢٥٤
(٨٢) المصدر نفسه (وعا وعا وعا وعا + ++ حر الجياد والمطا ++ ياحبذا ياحبذا المحقون بالضحى)

فقال المؤرخ ابن الكلبي (اقبل الفند الزماني وهو شيخ كبير ومعه بنتان له شيطانتان من شياطين الانس ....) (٨٣) .

ولعل اشد المواقف التصبرية التي تؤسسها امرأة هو موقف ام الفارس ربيعة بن مكدم الكناني .. فهي مولعة بابنها الوسيم ذي الذؤابتين الفتى الذي شغفت به وعشقته عذراوات كنانة ! بيد ان حبها لم يتسلط على موقفها فتماسكت حين جاءها وليدها جريحاً غب معركة طاحنة يطلب جرعة ماء .. قائلاً لها ..

شدي علـيّ العصب ام سيّـــــار   فقد رزئت فارساً كالدينـــار

فأجابته امه متماسكة تغالب ضعفها حتى لا يضعف ابنها :

إنا بنـــي ربيعـــــة بـــن مـالك   نرزأ في خيـارنـا كـــذلك

مـن بيـن مقتـول وبيـن هالك

ثم عصبت جرحه وحجبت عنه الماء خشية ان يطفىء الماء جذوة الجرح قائلة له (اذهب ايها الكناني فقاتل القوم   إن الماء لا يفوتك) (٨٤) .

وقد حللنا في بحث سابق موقف هذا (الفارس الذي حمى قومه حياً وميتاً) (٨٥) .

فرجع وكر على اعدائه فكشفهم ورجع إلى الظعن وقال اني لميت وساحميكن

---

(٨٣) نقلا عن : الأغاني ٢٥٤/٢٣ ولم نعثر على (يوم فضة) في كتب ايام العرب ...انظر مثلا :
ايام العرب في الجاهلية. محمد احمد جادالمولى وآخرون .طبعة دار احياء التراث العربي بيروت (د: ت)

(٨٤) مجمع الأمثال ٢٢١/١.

(٨٥) الفارس ربيعة الكناني حمى قومه حيا وميتاً، عبدالاله الصائغ . جريدة القادسية-١٩٨١/٥/٣ ١٩٨١

يا نساء القبيلة ميتاً كما حميتكن حياً بأن اقف بفرسي على العقبة واتكىء على رمحي فإن فاضت نفسي كان الرمح عمادي فالنجاة النجاة ..

فقالت امه وهي تستمع إلى خطابه دون ان تسمح للدموع بمغالبتها

الحـق بنـيّ والمحـامي لاحـق   واشغل القوم بضرب صادق (٨٦)

وها نحن نضع نصاً مقابلا نرى من خلاله صورة ام صابرة أكلت خيبتها بابنها قلبها ولسعت مشاعرها .. فام ثواب (وثواب اسم ابنها) لم تكن تتخيل ابنها سوى فارس ذي مروءة واقدام .. وحين رأته ينكص ويتأنق ويرجّل هامته ويخضب شعره بكت دون شعور منها ..

ربيتـه وهـو مثـل الفـرخ اعظمه   ام الطعام ترى في جلده زغبـا

انـي لابصـر في ترجيـل لمتـه   وخط لحيته في خده عجبـا (٨٧)

ويجرؤ البحث على بلاغة مؤداها ان ام السليك وهي السلكة انجزت نصاً فائقاً موافقاً للمدلول الذي تبوح به قوة الدال .. فدلالة الهرب عن الهلاك هي الحياة عند الابن والوقوع في الهلاك عند الام

طـاف يبغـي نجـوة   مـن هـلاك فهـلك

ليـت شعـري ضلـة   اي شـيء قتـلك

أمـريض لـم تعـد   ام عـدو ختـلك

والمنايـا رصد   للفتـى حيـث سـلك

اي شـيء حسـن   لفتـىً لـم يـك لك

كـل شـيء قـاتـل   حيـن تلقـى اجـلك

---

(٨٦) نقلا عن (الموثبات) ١ ولم اعثر على البيت في شرح ديوان الحماسة ٩٣/٢

(٨٧) شرح ديوان الحماسة ١٣٣/٢

إن امــرأً فادحـاً عـــن جـــوابـي شغلك (٨٨)

وثمة نسوة عيرن الرجال لأنهم طلبوا (نجوة من هلاك)فتخاذلوا في الحرب وتشاغلوا عنها بما اورث نساءهم خزياً لا تطيقه حرة .مثلا الشاعرة عاصية الطائية تذكر قومها ان صاحبها قتل برماح جبانة فالمصاب الجلل اثنان ..واحد لمقتل الفارس وآخر للعار الذي لحق قومه ..

اعيني جودي بالدموع السواكب وبكّي لك الويلات قتلى محارب
قبيل لئام إن ظهرنا عـليهـــــم وان يغلبونا يوجدوا شر غالب (٨٩)

وهذه اعرابية تعيّر قوماً لم يجيروا زوجها فقتل بين ظهرانيهم ليورثهم عار لا يخفيه خاف .

متـى تردوا عكاظ تـوافقـوها بـأسماع مجـادعـهـا قـصار
فـإنكـم ومـا تخفـون منـهـا كذات الشيـب ليس لها خمار (٩٠)

لكن ام عمرو ابنة وقدان لم تكني او تلمح بل اشهرت سلاح الكلمات لتقول لقومها من الرجال .. هلا لبستم ثياب النساء الزاهية وكحلتم اعينكم واظهرتم مفاتن اجسادكم .. !!

إن انتم لم تطلبـــوا بأخيكـــــم فذروا السـلاح ووحشوا بالأبرق
وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا نقب النساء فبئس رهط المرهق
الهاكم ان تطلبـوا بأخـيكــم اكل الخزيز ولق اجرد امحق (٩١)

---

(٨٨) شرح ديوان الحماسة ٢/"١٩ وانظر تحليل السيد عبدالجبار حسن علي الزبيدي لهذا النص في الصورة الفنية في شعر الصعاليك قبل الإسلام.رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية آداب الموصل ١٩٨٨ ص ٥٦

(٨٩) شرح ديوان الحماسة ٥٦/٤

(٩٠) المصدر نفسه ٤٠/٤

(٩١) المصدر نفسه ٥٥/٤

وقبالة هذا التصريح نورد موقف تلميح لامرأة سيد كندة اكثر ايلاماً لانه يتضمن سخرية قاتلة .. واي عار يكمن في قوم لا يضرون ولا ينفعون :

لا تخبروا الناس الا ان سيدكم اسلمتموه ولو قاتلتم امتنعا
انعى فتى لم تذر الشمس طالعة يوماً من الدهر الا ضر او نفعاً (٩٢)

وحالة اخرى يمتزج فيها التهديد بطلب الثأر تتجلى في نص لكبشة اخت الفارس عمرو بن معد يكرب فهي تتكلم باسم القتيل وربما وضعت على لسانه كلمات (لم يقلها) امعاناً في تسخين الموقف .

أرسل عبدالله إذ حان يومه إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي
ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبكرا واترك في بيت بصعدة مظلم

ثم تبتدع (كبشة) لوحة فنية مضحكة لاولئك الذين يقبلون الدية (إفالا وابكرا) وهي ابل بأعمار مختلفة ، بدلا من الثأر ، ولوحة اخرى قاتمة لنساء الفرسان المهزومين تراهن (بالتخييل) داميات الأعجاز .

فإن انتم لم تثأروا واتديتم فمشوا بآذان النعام المصلّم
ولا تردوا الا فضول نسائكم اذا ارتملت اعقابهن من الدم (٩٣)

هذه اللوحة ذات آصرة بلوحة اخرى حققتها امرأة عامرية .. تعرض باولئك الذين يدبرون في الحرب كالجمال التي لا مروءة لها .. فتعرض بأعدائها وتنبه قومها راسمة امامهم المصير الأسود للمهزوم .

وحرب يضج القوم من نفيانها ضجيج الجمال الجلّة الدبرات
سيتركها قومي ويصلى بحرها بنو نسوة للثكل مصطبرات

---

(٩٢) المصدر نفسه ١٧/٣
(٩٣) المصدر نفسه ١١٧/١

فإن كان ظني صادقاً وهو صادقي   بكم وبأحلام لكم صفرات
تُعِدْ فيكم جزر الجزور رماحنا   ويمسكن بالأكباد منكسرات (٩٤)

وستلبث بعد هذين النصين عند صور تنطوي على احزان قاتمة بسبب من ضعف إنساني لا ينهض له وعي مناسب .. وهو على اي حال سياق طبيعي لا يظهر المقاتلين وعوائلهم خيطاناً صماً لا يجتاحها الحزن بل هم بشر من لحم ودم يحزنون مثل كل الناس لكنهم لا يستسلمون، هذه صفية الباهلية تحزن لمقتل فارسها الذي ملأها حباً وامناً في حياته وفخراً وحزناً في مماته :

كنا كغصنين في جرثومة سمقنا   حينا بأحسن ما يسموا له الشجر
حتى اذا قيل قد طالت فروعهما   وطاب فياهما واستنظر الثمر
اخنى على (واحدي) ريب الزمان وما   يبقى الزمان على شيء ولا يذر (٩٥)

ولعاتكة ابنة زيد بن عمرو بن نفيل فتى يسر الناظر ، والفتى في تراثنا الأدبي القبسلامي دال ومدلوله المروءة دون اعتبار للعمر او التضاريس المورفولوجية (٩٦) فتى عاتكة قاتل اعداءه وصبر وصابر حتى قضى بعد ان ناشته الرماح

آليت لا تنفك عيني حزينة   عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فلله عيناً من رأى مثله فتى   اكر واحمى في الهياج وأصبرا
إذا اشرعت فيه الأسنة خاضها   إلى الموت حتى يترك الموت احمرا(٩٧)

وفي منزلة ثانية يتهدم صبر عاتكة وهي تشهد جثة الفارس عمرو

من لعين عادها احزانها   ولعين شفها طول السهد (٩٨)

---

(٩٤) المصدر نفسه ١٣٢/٢
(٩٥) المصدر نفسه ٧/٣
(٩٦) الصورة الفنية لعدة الحرب في القصيدة العربية قبل الإسلام .
(٩٧) شرح ديوان الحماسة ٧٠/٣

ويتهدم صبر فاطمة بنت الأحجم الخزاعية وهي تشهد انحسار الجبل الذي كان يظلها .

يا عين بكي عند كل صباح   جودي بأربعة على الجراح
قد كنت لي جبلا ألوذ بظله   فتركتني أضحي بأجرد حناح
قد كنت ذات حمية ماعشت لي   أمشي البراز وكنت انت جناحي
فاليوم أخضع للذليل واتقي   منه وادفع ظالمي بالراح (٩٩)

فإذا اضفنا نصاً لسيدة شيبانية أكتملت اللوحة الكبرى التي تؤسس ان الشرفاء اسرع عطباً من دود الارض ،لان الموت (والرمح دال جزء من كل) يعشق (يكلف) بالكريم .

وقالوا ماجد منكم قتلنا   كذاك الرمح يكلف بالكريم
بعين اباغ قاسمنا المنايا   فكان قسيمها خير القسيم ١٠٠

قالت شاعرة من طيء :

دعا دعوة يوم الشرى يالمالك   ومن لا يجب عند الحفيظة يكلم
فيا ضيعة الفتيان إذ يقتلونه   ببطن الشرى مثل الفنيق المسدم(١٠١)

وسنلاحظ ان الحزن يقتم ويعتم حين تفتقد المرأة الحرة اباها أو اخاها لانهما مفقودان غير موجودين فالزوج والولد موجودان غير مفقودان

قالت اعرابية ترثي اباها القتيل .

الا فاقصري من دمع عينك لن تري   أباً مثله تنمى اليه المفاخر
وقد علم الأقوام ان بناته   صوادق إذ يندبنه وقواصر(١٠٢)

(٩٨) المصدر نفسه ٣/٧٣
(٩٩) المصدر نفسه ٢/١٨٩
(١٠٠) المصدر نفسه ٢/١٧٨
(١٠١) المصدر نفسه ١/١١٢
(١٠٢) المصدر نفسه ٣/٤١

وحين تلجأ الشاعرة الى مفردة العين . فلابد أن فعلها عاكس بوعي منهـا شيئاً من خيبتها.. شيئاً من قناعة مؤداها ان الفارس الذي يمضي لايمكن تعويضه .. وبحسب البحث ان يكتشف ان خطاب النص للنفس أو القلب يمثل شيئاً من التماسك وخطاب النص للقلب أو العين يمثل شيئاً من التهدم .. قـارن نص عمرة بنت مرداس ترثي اخاها :

أعينـي لـم أختلكمـا بخيـانـة   أبـى الدهر والأيام ان اتبصرا
ومـاكنت أخشى ان أكون كأننـي   بعير اذا ينعى أخـى تحسـرا
ترى الخصم زوراً عن أخي مهـابـة   وليس جليس عن أخي بازورا(١٠٣)

واذا قلنا ان خطاب النص للنفس يمثل شيئاً من التماسك ولم نقل اشياء فلأن استقراء النصوص في هذا الموقف يضع بين يدي الدارس قناعة مؤداها ان النفس تتعلل .. والتعلل حالة بين الصبر ونفاده .. قالت الطائية ..

أعلل نـفسي بـالمـراجـم غيـبـة   وكاذبتها حتى ابان كذابها (١٠٤)

وليس من قبيل اعتساف الحقائق حين ننص على ان حالة طردية مــن التناسب بين صورة الفارس الحبيب ومشاعر الطمأنينة عنده المرأة .. فكلما ايقنت ان فارسها قادر على حمايتها وصويحباتها كلما اقتربت منه وتمسكت به .. وكلما ايقنت ان فارسها هش لايثبت امام النكباء كلما ابتعدت عنـه وتجاهلته، ولقد افعمتنا النصوص بدلالات عالية تؤكد مدى تماسك المرأة.. واعتدادها بنفسها فحبها للفارس يمثل حبها لنفسها وحبها لقيمه يمثل ايمانها بقيمها ورثاؤها للفارس يمثل رثاءها لنفسها .. والفارس المنتصر ليس المنتصر في الحرب حسب وانما المنتصر في السلم ايضاً قارن نص الخنساء

---

(١٠٣) المصدر نفسه ٦٩/٣
(١٠٤) المصدر نفسه ٧١/٣

دل على مصروفه وجهه بورك هذا هادياً من دليل
تحسبه غضبان من عزه ذلك منه خلق مايحول
ويلمه مُسْعر حرب إذا القي فيها وعليه الشليل (١٠٥)

وصورة الفارس في عين الشاعرة الايادية تجلوه مقاتلا صعباً ومتعففاً سمحاً وحكيماً ثبتا

الخيل تعلم يوم الروع ان هزمت ان ابن عمرو لدى الهيجاء يحميها
لم يبد فحشاً ولم يهدد لمعظمة وكل مكرمة يلقى بساميها
لايرهب الجار منه غدرة ابدا وإن الـمت امور فهو كافيها(١٠٦)

والخيل في ذاكرة النص الجاهلي تمتلك اشارتين الاولى مطابقية .. اي تكون المفردة بحجم الاشارة والثانية الترامية وتحتاج الى قرينة تؤثل المجاز...
تكون المفردة بحجم الاشارة والثانية الترامية .. تاج الى قرينة
عنترة يدعو عبلة (هلا سالت الخيل يابنة مالك).

وخداش بن زهير العامري (جلبنا الخيل شازبة عليهم) وابو دؤاد الايادي (وتبنا عراة لدى مهرنا) والشاعرة الايادية (الخيل تعلم يوم الروع) والفرس هنا انسان يتنفس ويشعر ويحزن ويفرح والا كيف تعلم الخيل ان ابن عمر يحميها في الهيجاء لو لم تكن الدلالة الترامية .. وكلما سحق الفارس ترك لذويه سانحة الذود عنه والزهو به والارتفاع بمجده ..قالت اعرابية :

سبّي أبي سبُّكِ لن يضيره إن معي قوافيا كثيره (١٠٧)

والقوافي هنا دالة الفعل الحسن الذي يستحيل كلاما يجلب الفخر لقائله. والسبّ لايضير فارساً يقري الناقة مايسوّغ لها رحلتها المضنية كما يقري الحلبة

---

(١٠٥) المصدر نفسه ١٤٩/٤
(١٠٦) المصدر نفسه ١٤٩/٤
(١٠٧) المصدر نفسه ١٧٣/٤

نجيعاً اسود ، قالت حبيبة ابنة عبد العزى

والى الفتى برّ تلكمّا ناقتـــــي فكسا منا سمها نجيعا اسودا (١٠٨)

والسب أيضاً لايضير القوم الذين يدركون المقتلة بالجرد اللهاميم .. قارن قول الشاعرة المخزومية

قوم إذا صوّت يوم النـــزال :قامـوا الى الجرد اللهاميـم
من كل محبوك طوال الشوى مثل سنان الرمح مشهوم (١٠٩)

كذلك .. فهو لايضير اولئك الذين سنحت لهم الحياة بالفرار فطلبوا الموت بالثبات ، هذه الشاعرة ام الصريخ الكندية تنشر ماطوته روحها ..

هوت امهم ماذا بهم يوم صرّعوا بجيشان من اسباب مجد تصرّما
أبو ان يفروا والقنا في نحورهم وان يرتقوا من خشية الموت سلما
فلو انهم فرّوا لكانوا اعـــزّة ولكن رأوا صبراً على الموت أكرما (١١٠)

فاذا شك احد في مجالي القوم فله ان يسأل .. والسؤال تحد يعكس طمأنينة المتحدّي لنتائج السؤال .. قارن مقولة عاتكة ابنة عبد المطلب

سائل بنا عن قومنـــــا وليكف عن شرّ سماعــه
فيــه السنــوّر والقنـــا والكبش ملتمـع قناعـــه
فبه قتلنـــا مالكـــــا قسراً واسلمـــه رعاعـــه
ومجـدّلاً غادرتـــــه بالقاع تنهسه ضباعــه (١١١)

اما الشاعرة الاسدية فتجتهد صورة للفارس الذي يوائم بين محجة الفعل وبلاغة القول .. بتوحيد دلالتيهما :

---

(١٠٨) المصدر نفسه ٨٧/٤
(١٠٩) المصدر نفسه ١٤٨/٤
(١١٠) المصدر نفسه ٢٠١/٢
(١١١) المصدر نفسه ١٣٠/٢

فنعم الفتى ان الفتى كان بينــــه ‏ وبين المزجّى نفنق متباعـــد
إذا انتصل القوم الأحاديث لم يكن ‏ غيبّياً ولا رباً على من يتاعد(١١٢)

وقد سرّ بنا الدلالة الجزئية التي تشحن اللفظة فتمنحها قوة الدلالة الكلية . فصفرة الوجه تعني الموت وعض الانامل يعني الندم والسيف يعني السلاح والقناة تعني المطابقية .. اي القناة ذاتها وتعني الالتزامية التضمنية ايضاً ..اي الكرم والأروقة قارن قول الاعرابية

اذا قناة امرىء ازرى بها خور ‏ هزّ ابن سعد قناة صلبة العود (١١٣)

واتساقاً مع الدلالة الجزئية والتي تقترب كثيراً من ايماءآت الكناية نقارب نصاً للعوراء ابنة سبيع ترسم لنا فيه صورة فارسها الذي لايرخي للمظلمة ازاره والمظلمة بائعة الجب .. كانت في العصر القبسلامي تطفيء سراج بيتها لكي لاتحرج ولا تحرج ولكي ينماز بيتها المظلم عن البيوتات .. ومثل هذا الفارس لاينكس لواء ولا ينكص وقفة .. يمضي وقته جائعاً لان عزة النفس قبل غريزة البطن

طيان طـــاوى الكشــــح ‏ لايرجـــى لمظلمـــة ازاره
يعطي البخيـــل إذا ارا ‏ د المجد مخلوعاً عـذاره (١١٤)

تقول مية ابنة ضرار الضبّية في رثاء اخيها قبيصة

لاتبعدن وكـل شيء ذاهـــــب ‏ زين المجالس والنديّ قبيـــصا
يطوي اذا ماالشح أبهم قفلــــــه ‏ بطناً من الزاد الخبيث خميصا(١١٥)

---

(١١٢) المصدر نفسه ١٨/٣
(١١٣) المصدر نفسه ١٣٨/١
(١١٤) المصدر نفسه ٧٢/٣
(١١٥) المصدر نفسه ٤٩/٣

وهذه شاعرة من بني الحارث تغرينا بمودّة فارسها ، فنوده ، ثم تنقل الينا خبر هلاكه في القتال دون ان تذرف دمعه عليه تصبرا وتجملا .. لانه طار بالحبيبة فوق رؤوس الاعداء والاقرباء ولم يشأ ان يطير بفرسه وحده .. لأن الباس منه شيمه

فارس ماغادروه ملحمــــا غيـر زميل ولا نكس وكـــل
لو يشا طار به ذو ميعــــة لاحق الآطال نهد ذو خصـــل
غير ان الباس منه شيمــــة وصروف الدهر تجري بالأجل(١١٦)

ثم تغرينا أم قيس الضبيّة بمقاربة صورة فارسها، فهو الفتى الذي تخشاه الخصوم وتعرفه الخيل حين يضج الكون

من للخصوم إذا جدّ الضجاج بهم بعد ابن سعد ومن للغمر التمود(١١٧)

لكن الصورة الاكثر اغراءاً هي صورة الفارس الذي عشقته الشاعرة الباهلية فقد عشقت مروءة اخيها المقصص الذي منح نفسه لجميع الناس دون أن يختص بذويه وحدهم،وهي صورة عربية بحت تنبيء بسياقات المروءة عند الفرسان . الم يوزّع عروة بن الورد جسمه في جسوم كثيرة ويشرب الماء الحار المشاب وبمقدوره شربه بارداً وصافياً .. اذن هي الشمائل العربية التي تؤثر الغير مع وجود الخصاصة .

لكم المقصص لا لنا إن انتـــم لم يأتكم قومٌ ذوو أحساب(١١٨)

---

(١١٦) المصدر نفسه ٧٣/٣

(١١٧) المصدر نفسه ٤٦/٣

(١١٨) المصدر نفسه ٦٧/٣ .

٥ – نتائج البحث المنهجية

أ – الفئة النظرية : –

١ – كل دال له مدلول من سياقه فكل تشكيل له دلالة تتعدد بتعدد القرائن والاستيعاب وغائية منتج النص سواء اكان التشكيل لفظياً أو اشارياً أو صورياً أو رمزياً . ولاحظ البحث ان الدلالة التطبيقية تمتلك سيادة مناسبة في نصوص الحرب فالابتسامة دالة الصبر والدموع دالة التشتت وهذا لايطرد سيادات الدلالات الاخرى .

٢ – ثمة صور ايقونية للفارس أو المرأة . تكتنز العلامة التي تجعلها دالة حتى في حال نأيها عن غرض الموضوع الاساس نحو التلبث عند الوجه أو قعقعة السلاح او أكداس القتلى ، وينبغي للدارس ملاحظة ان النص ليس خطابا علميا وانما هو خطاب انفعالي يؤثر الاستفادة من معطيات الحالتين الابداعية والنفسية .

٣ – لاحظ البحث تداعياً صريحاً للصور يمتلك مسوغاً للدخول في باب الدلالة ..مثلا اذ حدث قطع ظاهري بين صورة وأخرى او وصورة وجزئها فإن علينا ان لانتساق مع الظاهر باعتداد الاتصال الباطني بين الهيئتين (المعاني الثواني)وللسياق الدلالي ادراك هذا السلوك الفني الذي الفته النصوص الشعرية .

٤ – يتلازم الدال والمدلول لتكوين دال ثان ثم يتلازم الدال الثاني والمدلول الثاني لتكوين دال ثالث وهكذا .

دال ١ + مدلول ١ = دال ٢

دال ٢ + مدلول ٢ = دال ٣ وهكذا

صليل السيوف دال ١ + الحرب مدلول١ = دال ٢ وهو الصورة(س)

دال ٢(الصورة س) + مدلول ٢ بإضافة الصبر = دال ٣

والنتائج هو مزاج حالتين تصنعان حالة ثالثة هي تأتلف مع الحالتين بكونهما عنصريها وتختلف عنهما بكونها حالة جديدة .

٥ – الصور البيانية ترتبط بمعنى المعنى اي بتعلق المدلول الاصلي بالمدلول المجازي فاللفظة موضوعة اصلا لكي تطابق مدلولها الموضوعة له الذي يحيله لوجود علاقة ما الى مدلول آخر، فالأسد صورة بيانية دالة والشجاعة صورة ذهنية مدلولة . والفرس لوجود علاقة ما صورة دالة والفارس صورة حسية مدلولة ..

٦ – عند اتحاد المدلول الاول الأصلي مع المدلول الثاني المحدد له تكون دلالة اللفظة هي دلالة المطابقة (الدلالة الحقيقية) وقد نطلق اللفظ العام على الخاص مثل الفارس حيث نريد الشجاعة مع علمنا ان الفارس دون قرائن صفة لكل راكب فرس، كذلك حين نطلق الجزء ونريد الكل مثل العينين للدلالة على جمال المرأة والرمح للدلالة على السلاح والمسوغات هي مسوغات فنية واختزالية .

٧ – المطابقة مثل تناسق جسد الحبيبة والجمال، والالتزام مثل هيئة الأسد والشجاع ، وصور الالتزام على صعوبتها كثيرة. كما ان الكناية مثلا، تمتلك دلالة المطابقة والالتزام معا.. عبارة (بعيدة مهوي القرط) قد تطابق الواقع ولانريد النص أبعد من المطابقة ، وقد ترحل العبارة الى حيث تكتسب دلالة التزامية فيكون الغرض الاشارة الى جمال الحبيبة بذكر لازمة واحدة منه وهي طول العنق .

٨ – ولاحظ البحث وجود دلالات ومدلولات متعاقبة ومتصاقبة فمثلا الرمانة في واقعها دالة وفي السياق الواقعي يكون المدلول وجود فاكهة ، ومع قرينة التشبيه أو المجاز يكون والمدلول هيأة الثدي، والثدي وهو مدلول يكون دال

بالتعاقب والمدلول هو الحليب، والمدلول بالتعاقب هو دال والمدلـول ، الرضاعة والرضاعة يمكن ان تكون دالا والمدلول هو الطفل ونظير ذلك :

وضع اليد على جهة القلب = دال اشاري

الحب = مدلول ذهني

الحب دال ذهني = الحسناء مدلول حسي

الحسناء دال حسي =الحدث مدلول مشترك (ذهني حسي)

الحدث دال مشترك = الجزع (بأفتراض التراق) مدلول ذهني

الجزع مع الافتراض وعلامة في الوجه أو تاوه = دال طبعي

٩ – تعرض النصوص القبسلامية الحربية اختلاف الدلالة العقلية عن الدلالة الطبيعية فالاولى قائمة على المجاورة في الزمكان بينما الثانية قائمة على المثيل وللمثال (عن العقلية) فإن الصورة التي تمشي مبانيها عن معانيها بالأستنتاج تكون ادخل في الحالة الاولى بينما تقترن الثانية (الطبيعية) بالسلوك الانساني وتكون الصورة قريبة الروح من الدلالة الايقونية

١٠ – المدلول ليس شيئاً ولكنه تمثل نفسي أو ذهني للشيء : بالـرمـز بوصفه دالا في مواجهة الايقونة أو الاشارة يترك مدلولا مختلفاً في الذهن أو النفس القتل مثلا دالة الثأر وان لم يكن علة ملازمة، والقتل غير الثـأر لأن الاول ايقوني والثاني ذهني .

١١ – الدال الحسي علامة صوتية او بصرية أولمسية أو شمية أو لمسيـة هو شيء من الصيرورة التي تثمر الدلالة : والفعل (ضمن نظام التخييل) يوحد الدال بالمدلول، صفرة الأنامل دال والموت مدلول والقتل (ضمن نظام الذاكرة) بوتقة تصل الدال بالمدلول .

ب ـ الفئة التطبيقية :ـ

١ ـ صورة الفارس الفنية تجلوه (على صعدة الحواس) فتى ذا ملامح محببة، بعينين حادتين وجبين ازهر وضيء وجسد قوي طويل مثل سيف ومعظم هذه الصور انجزتها نصوص نسائية .

٢ ـ صورة الفارس الفنية تجلوه (على صعدة الذهن) انساناً ذا مروءة شجاعاً صادقاً صبوراً عفاً كريماً، ولم تكن المروءة بدعا بين الرجال، بيد ان الفارس يمثل امتيازاً في الامتياز .

٣ ـ قوة الفارس تمثي بقوة قومه وسلطة سلاحه وعنفوان روحه ، ولهذا السبب لم يكن لصالح الفارس ان يكون عدوه جباناً اوضعيفاً، فكانت النصوص الموثبة ترسم العدو قوياً ذكياً موحدا لكي تعلي عليه صورة الفارس لحظة تسلمه آليات النصر .

٤ ـ صورة الحبيبة الفنية (على صعدة الحواس) تجلوها فتاة منعمة ممنعة محببة، بجسد متناسق لدن وبشرة ناعمة ووجه مليح، فهي طاقة ملتهبة تغري الحبيب وتغري العدو ايضاً. فالنصوص الحربية لاتغفل جمال المرأة الذي يعلق اقدام كثير من الفرسان العشاق .

٥ ـ صورة الحبيبة الفنية (على صعدة الذهن) تجلوها انسانة استثنائية في كل قيمة جمالية أو خلقية فهي مع المجد والاقدام عاشقة معشوقة لاتمنح ودها الصعب وسرها الغامض لسوى الفارس الشهم الذي يوحد بالفعل الحميد بين الرغيف والفوز .

٦ ـ ليس ثمة حبيب أو حبيبة (صوفنياً) خارج اطار التوقع الأنساني فالأثنان مقطوران على الحب والتسامح والقوة والأثنان معرضان للضعف

البشري الا ان الغلبة تحسم لصالح الخير وهو امر (اعلاميا وتعبوياً) يـؤدي فعلا مقنعاً في وجدان المتلقي .. لأنه (الأمر) لايبتز المتلقي او يتسلط عليـه وانما يأخذ قناعاته بتؤدة محسوبة .

٧ — ايقاعات النصوص في أكثرها ميالة للبحور الصافية والقوافي الذلل الحادة، لذا شاع الرجز والكامل والمتقارب والمجزوءات وشاعت الـراء والدال واللام والعين، وتأيد للبحث ان الايقاعات ترقى الى محاكاة ايقاع الحرب .. فاذا قرأ المتلقي النصوص قراءة (علمية) فانه (كما نزعم) سيصغي الى صليل السيف وصهيل الخيول وصرخات المشرعين للموت .. وربمـا تسمع انيناً وما الى ذلك .

٨ — النصوص الحربية قصيرة خلوة من المقدمات الطللية والمحسنـات البديعية فلاوقت لمنتج النص (الشاعراً اوالشاعرة) لأمور تأخذ من حصة المرمى الاساس وهو التوثيب وهذا ايضاً يعكس تخفف النص من المجازات المركبة والتياذه الى مجازات غادرت الكثير من لمحاتها المجازية وجاورت التوقع المألوف.وهذا القول لايزعم ان النصوص كانت عجافاً شغلت بالقضية الحربية على القضية الفنية .

٩ — يمكن تقرير حال غاية في الأهمية وهو ان النص النسائي(كمـاً ونوعاً) لايقل عن النص الرجالي، والطريف ان البحث توصل الى أكتشاف طاقات توثيبية وفنية عالية في عدد كبير من النصوص النسائية وهـذا دال ومدلوله عظمة دور المرأة القبسلامية في ايام الهياج وأيام السكون . بما يعزز دفوع اولئك الصفوة الذين ردوا سهام سهام اعداء العرب الى نحورهم .

١٠ — اشرك منتجا النصوص (العاشق والمعشوق) الطبيعة في همـومهما وانسناها، فهي تبكي معهما وتغضب لهما وتقحط وتخـصب استجابـة

لمشاعرهما ، واشراك الطبيعة فعل فني الغاية منه بث عناصر التأثير في النص لكسب انحياز المتلقي اليه وما يقال عن اشراك الطبيعة الميتة يمكن ان يقال عن اشراك الطبيعة الحية والعاقلة وغير العاقلة .

١١ - النفس الفروسية العربية ميالة للسلم لأنها تدرك ان الحرب خراب مفزع للروح البشري ولمفردات الطبيعة والكون، وانها تمسخ الاشياء الجميلة وتحيلها الى مباءة للقبح بيد ان الحرب ان كانت قدرا لامفر منه تكون سبباً لأثبات الذات والحفاظ على الأرض والعرض فمن لايذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لايتقي الشتم (الحرب الاعلامية) يشتم اما عدة السلاح فهي تقليدية كالرمح والسيف والسهم والدرع والبيضة وغير . تقليدية مثل الطاقة البشرية والروح المعنوية فضلا عن سلاح الكلمة.

١٢ - جعل البحث وكده في القيم الاخلاقية التي ثمرتها النصوص الحربية ولم يتلبث عند مغازي الشعر الذي قيل في انتقاص قبيلة من اخرى أو الشعر الذي يبث الفرقة بين الاشقاء وعلى هذا المنهج نقترح على الدارسين رصد النصوص الحربية التبسلامية والحمد لله أولا وآخراً .



مسألة الخمر في
همزية حسان بن ثابت الاسلامية

د. رشدي علي حسن
جامعة مؤتة – مؤتة – الكرك – الاردن

ملخص

يتناول هذا البحث مسألة الخمر في مقدمة همزية حسان بن ثابت الاسلامية تناولا مستفيضاً ، إذ يناقش مواقف النقاد القدامى والباحثين المحدثين من هذه المسألة ، لأن حساناً نظم هذه القصيدة في ظل الإسلام ولأن موضوعها الأساسي الدفاع عن الإسلام والنبي عليه السلام .

ولعل اهمية هذا البحث تبدو في محاولة تفسير هذه المسألة من حيث تاريخ نظم القصيدة ، وتاريخ تحريم الخمر تحريماً نهائياً ، وتحليل الأبيات تحليلا فنياً يؤكد اللحظات الشعرية القصيرة التي يختزل فيها الشاعر الزمن .

ويقوم منهج هذا البحث على دراسة القصيدة وتحليلها وبخاصة المقدمة التقليدية ، زيادة على عرض الآراء المختلفة في تفسير هذه المسألة التي اعترضت الباحثين قديماً وحديثاً ، ومناقشتها والخروج برأي فيها .

ويتخذ نص القصيدة من ديوانه المحقق عمدته في هذه المسألة ، مستعيناً ببعض المصادر والمراجع التي تناولت شعر حسان او همزيته .

تقديم :

عندما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، وأقام الدولة الإسلامية ، شعرت قريش بخطر المسلمين يهدد مركزها . فجردت كل الوسائل لمحاربة هذاالخطر الإسلامي . وطبيعي ان يكون الشعر من بين هذه الوسائل إذْ بدأت شاعرية قريش تستيقظ وتقوى بعد ان كانت قليلة الشعر في الجاهلية ، وبرز من ابنائها شعراء لم يعرفوا بالشعر قبل الإسلام كعبدالله إبن الزِّبعرى وضرار بن الخطاب والحارث بن هشام وابي سفيان بن الحارث إبن عبدالمطلب ، ابن عم الرسول (ص) الذي ظل في صفوف المشركين في مكة يدافع عنهم ويحرضهم على المسلمين ، ويؤذي الرسول (ص) ويهجوه ، فانبرى له حسان بن ثابت يُسفّه قوله ، ويذب عن دينه سهام ابي سفيان بن الحارث وأذاه ، وإلى ذلك يشير في همزيته :

هجوت محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجـزاءُ

وهذه الهمزية من شعر حسان بن ثابت الإسلامي الموثق الذي لا تحوم حوله شبهة من وضع او انتحال . وقد نظمها الشاعر في الرد على ابي سفيان بن الحارث ، قُبيل فتح مكة ، وأبو سفيان شاعر من شعراء قريش الذين لم يُسلموا إلاّ عام الفتح (١) اولئك الذين كانوا قبل دخولهم في الإسلام ، يصدون عن سبيل الله ، ويصرون على الكفر به ، ويناصبون النبي (ص) العداء، والذين دارت بينهم وبين شعراء الأنصار (حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة) كثير من المناقضات بعد هجرة النبي عليه السلام إلى المدينة .

---

(١) أسلم أبو سفيان المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب ابن عم النبي سنة ٨هعام الفتح عندما كان الرسول متوجهاً من المدينة إلى مكة لفتحها أو يوم الفتح قبل دخوله مكة . (انظر السيرة النبوية لا بن هشام ج٤ ص١٢) .

مقدمة القصيدة التقليدية :

والقصيدة تنقسم إلى قسمين اساسيين هما : المقدمة التقليدية ، والموضوع الأساسي .

القسم الاول : المقدمة التقليدية التي تتألف من الأبيات العشرة الأولى . وتمثل ثلث القصيدة ، وهي (٢) :

عفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجواء ... إلى عذراء منزلها خَـلاءُ (٣)

ديارٌ من بني الحَسْحاس قَفْرٌ ... تُعفيها الـروامسُ والسماءُ (٤)

وكـانت لا يـزالُ بها أنيسٌ ... خلال مروجها نَعَمٌ وشاءُ (٥)

فدع هذا ولـكن ما لطيْـفٍ ... يُؤرقني إذا ذهب العشاءُ (٦)

لشعثاء الـتي قَـد تيمَتْـهُ ... فليس لقلبه منها شفـاءُ (٧)

كـأن خبيئـةً منْ بيتِ رأْسٍ ... يكونُ مزاجها عَسَلٌ ومـاءُ (٨)

---

(٢) حسان بن ثابت (ت ٤٠هـ تقريباً /٦٦٠م) :ديوان حسان بن ثابت، تحقيق د. سيد حنفي حسنين ، ط دار المعارف بمصر ١٩٨٣ ، ص٧١ وما بعدها.

(٣) عفت : درست وامحت معالمها . وذات الاصابع والجواء وعذراء : أسماء مواضع ببلاد الشام كانت من منازل الغساسنة القدماء الذين كان حسان كثير التردد عليهم والمدح لهم في الجاهلية .

(٤) بنو الحسحاس : من العرب،وقيل : إنهم من بني النجار قوم الشاعر . والروامس : جمع رامسة وهي الريح تدفن الآثار وتغطيها بما تحمله من رمال،ومن هذه المادة الرمس بمعنى القبر .

(٥) النعم : الإبل وأما الأنعام فهي الماشية وتدخل فيها الإبل أيضاً ، والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل ،فإذا جمعوها أرادوا بها الماشية ومن بينها الإبل .

(٦) العشاء (بالكسر) : أول الليل بعد غروب الشمس .

(٧) شعثاء هذه التي شبب بها حسان بن سلام بن مشكم اليهودي ، وقال ابن الاعرابي: وشعثاء اسم امرأة حسان بن ثابت (انظر تاج العروس ، مطبعة حكومة الكويت ج٨ ص٢٨٢) وتيمته :أوقعته في حبها . والضمير في تيمته وفي قلبه يعود على الشاعر ،انتقل إلى ضمير الغائب على طريقة الالتفات .

(٨) الخبيئة : الخمر المخبوءة المصونة المضنون بها .بيت رأس: قرية بالأردن كانت مشهورة بخمرها الجيدة ولعلها التي تقع في أيامنا قرب أربد .

على أنيابها أو طعم غضٍّ ... من التفاح هصره الجناءُ (٩)
إذا ما الأشرباتُ ذكرن يوماً ... فهنَّ لطيب الراح الفداءُ (١٠)
نُوليها الملامة إنْ ألمنا ... إذا ما كان مَغْثٌ أو لحاءُ (١١)
ونشربُها فتتركنا ملوكاً ... وأُسداً ما يُنهنهنا اللقاءُ (١٢)

وهذه المقدمة تتكون من جزئين :

جزء يتحدث فيه الشاعر عن اطلال صاحبته التي عفت آثارها، ودرست معالمها وامحت رسومها ،لما تعرضت له من تعاقب الرياح والأمطار عليها ، بعد رحيل أصحابها عنها، الذين خلفوها قفراً لا أنيس بها، بعد ان كانت آهلة بهم تتدفق فيها مظاهر الحياة .

وجزء آخر من المقدمة يختلط فيه الغزل بحديث الخمر، يبدأه الشاعر بالحديث عن طيف صاحبته شعثاء الذي يزوره في نومه فيؤرقه ويثير في نفسه ذكريات حبه البعيدة التي عاش لها فترة من شبابه، ثم طوتها الرمال فيما طوت من منازلها وآثارها وتعيد هذه الذكريات الى نفسه صورة صاحبته

(٩) الأنياب : الأسنان . هصره : أماله والجناء (بالكسر) الثمر .

(١٠) الأشربات : جمع أشربة هو جمع شراب وهو مايشرب من أي نوع كان وعلى أي حال كان . والراح : الخمر .

(١١) ألام الرجل يليم الإمة : اذا أتى مايلام عليه . والمغث : القتال ، الشر . واللحاء : السباب والمنازعة .

(١٢) نهنهه عن الأمر : كفه عنه وزجره كنهاه عنه . واللقاء يريد به لقاء الأعداء في الحرب . وعاب المرزباني قول حسان بأننا نشرب فنشجع ونهب كأنا ملوك إذا شربنا(المرزباني: الموشح ص٧٩).وقال البرقوقي :وقد فات هذا البعض أن حسان ليس بصدد مدح الخمرة والإشادة بها ، وإنما يقصد إلى وصفها في ذاتها وأثرها في نفس شاربها (البرقوقي : شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ص٦٠ هامش١) . وجاء في بلوغ الأرب : وقد عابه عليه بعض الأدباء ، فزعم أنه فيه قصر في الفخر ، فإنهم إذا كانت الخمر تجعلهم ملوكاً وأسداً،فليس في ذاتهم سيادة وشجاعة،وإنما استفادوا ذلك في الشراب . والجواب أن المقام مقام صفة الخمر لا مقام الفخر ، فالمطلوب هنا إنما هو توفيتها حقها، وكما قيل : إن الخمرة تظهر الشجاعة في الشجاع ، ولا تجدثها في الجبان (الآلوسي : بلوغ الأرب : شرح محمد بهجة الأثري ج٣ ص١٣٥ هامش٣) .

التي تيمت قلبه، وماكان يجده عندها من تلك المتعة الشهية التي يشبهها مرة بخمر جيدة جلبت من بيت رأس في بلاد الشام، ومزجت بالعسل المصفى والماء العذب، ومرة أخرى بتفاح غض تهدلت أغصانه لكثرة ماتحمل من ثماره، ويستطرد من هذه التشبيهات الى الحديث عن الخمر، فيصفها ويصف تأثيرها في نفوس شاربيها، وماتفعله بهم، حتى لتخيل لهم أنهم أصبحوا ملوكاً أو أسداً شجعاناً لايهابون اللقاء .

وبحديث الخمر ينهي الشاعر هذه المقدمة التقليدية وينتقل مباشرة إلى موضوع القصيدة الأساسي .

مسألة الخمر :

والمسألة التي تواجه الدّارس في هذه القصيدة هي ذكر الخمر، ووصفها ووصف تأثيرها في نفوس شاربيها في المقدمة، وبخاصة أنّ حسان بن ثابت شاعر النبي عليه السلام . وهو من الصحابة ، وحديثه عن الخمر في مطلع قصيدة إسلامية يدافع فيها عن النبي وعن الإسلام (والإسلام يحرم الخمر) يثير التساؤل .

وقد وقف النقاد والباحثون أمام هذه المسألة مواقف متباينة .

اولاً : موقف القدماء : قال القدماء: إن هذه القصيدة نظمت في فترتين: نظمت مقدمتها في العصر الجاهلي ، ونظم موضوعها الأساسي في العصر الإسلامي ، وعليه معظمهم .

وردّدوا هذا الحكم الذي أطلقه مصعب الزبيري من أنّ «هذه القصيدة قال حسان صدرها في الجاهلية ، وآخرها في الإسلام» . وأنّ حسان «هجم على فتية من قومه يشربون الخمر فعيرهم في ذلك ، فقالوا يأبا الوليد ، مأأخذنا هذه إلا منك ، وإنا لنهمّ بتركها ثم يُثبطنا عن ذلك قولُك :

ونَشْرِبُهـــا فتَتْرُكنا ملوكـــاً
وأسداً مايُنَهْنِهُنَـا اللّقَـــاءُ

فقال : هذا شيءٌ قلته في الجاهلية ، والله ماشربتها منذ أَسلمت. (١٣)

وتناقلوا قول الأصمعي: طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ؛ ألاترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي (ص) وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما ، وغيرهم لان شعره، وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امريء القيس وزهير والنابغة ، من صفات الدّيار والرَّحْل ، والهجاء ، والمديح ، والتشبيب بالنساء ، وصفةِ الحُمر والخيل والحروب والافتخار ، فإذا أدخلته في باب الخيرلان» (١٤) .

وشككوا في صحة البيت السابع :

علـــى أنيابهـــا أو طعـــم غـض
مــن التفـــاح هصـره الجنـــاء

فقال السهيلي: البيت موضوع لايشبه شعر حسان ولالفظه ، وقال:« إن بعض هذه القصيدة قالها في الجاهلية، وقال آخرها في الإسلام» . (١٥)

(١٣) ابن عبد البر (يوسف بن عبدالله بن محمد ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق طه محمد الزيني ، ط١ ، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة ١٩٧٠، ج٣ ص١٩ .

(١٤) المرزباني (محمد بن عمران ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص٨٥ . وابن عبد البر : الاستيعاب ج٣ ص٢٣ .

(١٥) السهيلي (أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ت ٥٨١هـ/١١٨٥م) : الروض الأنف فى تفسير مااشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام ، ط الجمالية بالقاهرة ١٩١٤م ، ج٢ ص٢٨٠ .

وذهب ابن هشام الى ان حسانا قال هذه القصيدة يوم الفتح (١٦).

وذكر الدكتور سيد حنفي حسنين في تحقيقه ديوان حسان أنه جاء في النسخ الأخرى (للديوان الشاعر) أنه قال (القصيدة الهمزية) في يوم فتح مكة (١٧).

فالنقاد القدماء في هذه النصوص يرون مايلي :—

— ان مسألة الخمر ترتبط بموضوعات الجاهلية ،فحسان نظم هذا الشعر الخمري في الجاهلية ولم ينظمه في الإسلام .
— ان موضوع الخمر منحول على شعر حسان الإسلامي .
— ان شعر حسان في الإسلام أصابه ضعف ولين .
— إن القصيدة كلها نظمت يوم فتح مكة .

ثانياً : موقف الباحثين المحدثين : هذه النصوص المثبوتة في كتب النقاد القدماء كان لها صدى كبير في دراسات الباحثين المحدثين . فاستندت طائفة منهم إليها، وبنت أقوالها عليها ، وعارضت الطائفة الأخرى ماجاء به القدماء ورأت غير مارأوا ...

أ — الطائفة الأولى: استوحت هذه الطائفة أحكامها من أقوال القدماء فذهب الدكتور محمد خلف الله أحمد الى ان شاعرية حسان تقل وضوحاً وقوة في الإسلام عنها في الجاهلية ؛ لأن الشعر في هذا العهد أصبح وسيلة عملية لا هدفاً فنياً ؛ وأن حسانا صار واحداً من مجموعة انصارية تقذف شعرها على ملاحاة المشركين والدفاع عن رسول الله، يقوم كل منها بنصيبه

(١٦) ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ت ٢١٣هـ/٩٢٥م) : السيرة النبوية تحقيق محمد فهمي السرجاني ، ط دار التوفيقية ، القاهرة ١٩٧٨ ، ج٤ ص٣٠ وص٣٢ .

(١٧) حسان بن ثابت : ديوانه ص٧١ هامش ١ .

في الغرض المشترك، ورد هذا الكاتب كذلك قول القدماء من ان المقدمة كان مما نظمه في الجاهليه ، ثم نظم بقية القصيدة في الإسلام في يوم الفتح (١٨) .

وتبنى الدكتور شوقي ضيف رأي ابن عبد البر في تحليل همزية حسان، فرأى أنّ الشاعر استهل قصيدته بذكر منازل صاحبته ، مشبباً بها ، ومستطرداً إلى ذكر الخمر على طريقة الجاهليين ، وأنّ القصيدة تتكون من جزئين : جزء نظم في الجاهلية ، وجزء نظم في الإسلام (١٩) .

وجعل محمد بهجة الأثري في شرحه كتاب بلوغ الأرب المقدمة جاهلية وبقية أبيات القصيدة الأخرى إسلامية مردداً رأي القدماء ، فقال : وكان حسان (رضي) قد ابتدأ هذه القصيدة في الجاهلية ثم كملها في الإسلام من قوله « عدمنا خيلنا إن لم تروها » ، فلا اعتراض عليه من أنّه كيف يذكر في شعره الخمر ويمدحها ، فافهم ! ثم قال : وهذا البيت :

ونَشْرَبُهـا فَتَتْرُكُنـا ملوكـاً
وأسداً مايُنَهْنِهُنَا اللّقَـاءُ

آخر ماقاله (رض) من هذه القصيدة في الجاهلية (٢٠) .

وبرّأ محمد ابراهيم جمعة حسان بن ثابت من الخمر ، فقال : لم يقرب حسان الخمر في إسلامه ، فبريء منها فمه ولسانه ، بعد أن أغرم بشربها في جاهليته ، وتغنى بها في شعره فوصفها ، ووصف الساقي والندمان والشاربين.

(١٨) د. محمد خلف‌الله احمد : دراسات في الأدب الاسلامي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م ، ص٢٥ و ص٥٧ .

(١٩) د. شوقي ضيف : العصر الاسلامي (سلسلة تاريخ الأدب العربي) ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ ص٨٢ .

(٢٠) الآلوسي (محمود شكري ت ١٩٢٤): بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ،تحقيق محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ج٣ ص١٣٥ هامش ٢و٣ .

وما يعتريهم من آثار الشرب . وصداع السكر وتردّد الكاتب في إصدار حكم حول مسألة الخمر في همزيته ، فتارة يظن أن وجود عنصرين متغايرين في هذه القصيدة هو من صنع الرواة . وتارة يجنح إلى القول بأن حساناً قد أنشد المقدمة في الجاهلية ، ثم بنى عليها في الإسلام (٢١) .

واستغرب الدكتور يحيى الجبوري من عودة حسان لذكريات الجاهلية ، وتغنّيه بالخمرة التي حرّمها الإسلام ، خاصة في يوم انتصار الإسلام ، وبدا له (كما افترض السهيلي ثم الدكتور خلف الله) أن المطلع ووصف الخمرة كان مما قاله حسان في الجاهلية . ثم نظم في الفتح قصيدته التي تبدأ بقوله :

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إنْ لمْ تَرَوْهَا
تُثيرُ النَّقْعَ موعدها كَداءُ

وبدا له كذلك أنّ الرواة رأوا اتفاق القصيدتين في البحر والقافية ، فظنوهما واحدة ، فرويت بالشكل الذي أتت في ديوانه (٢٢).

والجدير بالذكر هنا ، أن النقاد القدماء كانوا يصدرون في كثير من أحكامهم عن تحرج ديني ، فلا يستطيعون الذهاب في حلّ هذه المسألة أكثر مما صنعوا أو أن يتجاهلوا الخوض في الحديث عنها ، من مثل ماصنع ابن هشام ، أمّا الباحثون المحدثون (من الطائفة الأولى) فكان بامكانهم أن يذهبوا مذاهب شتى في هذه المسألة ، إلاّ أنّهم قصروا أنفسهم على النقل عن القدماء وترديد افتراضاتهم وادلتهم .

---

(٢١) محمد ابراهيم جمعة : حسان بن ثابت (سلسلة نوابغ الفكر العربي رقم ٣٤)دار المعارف بمصر ١٩٦٥ ، ص٥١ وص٦٤ .

(٢٢) الدكتور يحيى الجبوري : شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، ط٢ مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨١ ص٦٩ وص٧٠ .

ب ــ **الطائفة الأخرى** : محّصت هذه الطائفة أقوال القدماء في هذه المسألة ورأت غير مارأوا .

فربط الدكتور يوسف خليف المسألة بتلك المزاوجة الفنية بين التيار القديم والتيار الجديد التي قام عليها شعر حسان وشعر غيره من المخضرمين ، خاصة أنّ حساناً نظم همزيته في أعقاب صلح الحديبية ، وأنها من شعره الإسلامي الثابت الذي لايحيط به شك ،ولا تحوم حوله شبهة من وضع أو انتحال ، وهذه القصيدة تمثل المزج بين العناصر الجاهلية الموروثة والعناصر الإسلامية المستحدثة (٢٣) .

واستعرض الدكتور سيد حنفي حسنين تعليل القدماء لهذه الظاهرة ، وقال إن رأيهم ضعيف ، إذ لم يكن صعباً على حسان أن يبدأ في نظم قصيدة جديدة وخاصة أنها في مدح الرسول وفي استعداد ليوم عظيم ، وهو يوم فتح مكة . غير أن القدماء استعظموا الأمر ، ولم يجدوا سوى تعليلهم هذا . وقال : ربما نظمها حسان قبل تحريم الإسلام للخمر تحريماً نهائياً . وخاصة أنّنا نجد في رواية لابن سلام . أنّ هذه القصيدة أول مانظم حسان في الإسلام ،ثم رأى الكاتب أنّ ذكر الخمر فيها تقليد للفن الجاهلي القديم (٢٤) .

واشار الدكتور إحسان النص الى ماأثاره وصف حسان الخمرة في هذه القصيدة الإسلامية التي تشتمل على مديح للرسول عليه السلام من أقاويل القدماء ،ووضح بعد ذلك أن الناظر في القصيدة يتبين يسر انسجام أقسامها وتسلسلها ووحدتها الفنية ، وأن القسم الأول منها لايستقل بنفسه. وفصل أن

---

(٢٣) الدكتور يوسف خليف : تاريخ الشعر العربي في العصر الاسلامي ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧٦ ص٤٢ .

(٢٤) الدكتور سيد حنفي حسنين :حسان بن ثابت ،شاعر الرسول (سلسلة أعلام العرب رقم٣٠) مطبعة مصر ١٩٦٤ ؛ ص١٧٠ وما بعدها .

يقول: إن حسانا إنما يصف هذا المطلع أيام شبابه ولهوه، يوم كان مولعا بالخمرة والغيد الحسان. فهو من قبيل تذكر أيام الصبا وليس تصويراً لحياته في الإسلام. وحاول بعد ذلك تحديد تأريخ نظم القصيدة، فجعله في السنة السابعة للهجرة معارضاً بذلك ابن هشام. (٢٥)

ومن هذه الاراء يمكن أن نستخلص مايلي :—

— أن القصيدة (مقدمتها التقليدية وموضوعها الرئيسي) نظمت في الإسلام.
— ان القصيدة نظمت قبل تحريم الإسلام للخمر تحريماً نهائياً.
— ان المزاوجة الفنية بين التيار الجاهلي والتيار الإسلامي كانت طابع عصر المخضرمين.
— أن ذكر الخمر ماهو إلا تقليد للفن الجاهلي.

تفسير مسألة الخمر :

آراء هذه الطائفة من الباحثين المحدثين تعود الى محاولة تفسير هذه المسألة تفسيراً تأريخياً دينياً وتفسيراً فنياً.

أ— التفسير التاريخي الديني : وأما التفسير التأريخي الديني فهو محاولة تحديد تأريخ نظم القصيدة ثم تاريخ تحريم الخمر في الإسلام تحريمـــاً نهائياً.

أما تأريخ نظم القصيـــدة فيمكن تحديده من خلال تحليل بعض الأبيات الواردة في القصيدة نفسها.

فمن الواضح أنها نظمت بعد غزوة بني المصطلق من خزاعة المعـــروفة بغزوة المُرَيْسيع نسبة الى ماء لهم دار القتال حوله، لأن حسان بن ثابت يتحدث

(٢٥) الدكتور احسان النص : حسان بن ثابت، حياته وشعره، ط٣، دار الفكر، دمشق ١٩٨٥م، ص٢٧٠ وص٢٧٨.

في القصيدة عن هذه الغزوة، ويفتخر بأن هزيمة بني المصطلق كانت شفاء لما في صدور المسلمين من ناحيتهم ،بسبب ماكان من محاولة الحارث بن ضرار قائدهم وسيدهم تجميع القبائل ضد المسلمين .وذلك في قوله في الأبيات الأخيرة من القصيدة : (٢٦)

فإمّا تَثْقَفَنّ بنو لُؤيٍّ
جَذِيْمةَ إنّ قَتْلَهُمُ شفاءُ
أولئك معشرٌ نصروا علينا
ففي أظفارِنَا منْهُم دماءُ
وحلْفُ الحارث بن أبي ضرارٍ
وحلفُ قُرَيظةَ منّا بَراءُ

وجَذيمة الذي يذكره في البيت الأول من هذه الأبيات هو المصطلق بن سعد الذي تُنسب إليه القبيلة .

وهذه الغزوة حدثت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة أو من السنة السادسة على خلاف بين المؤرخين (٢٧) ، وهذا يعني أنّ القصيدة نُظمت بعد هذه الغزوة .

(٢٦) حسان بن ثابت: ديوانه ص ٧٦ وما بعدها. وثقفه : صادفه أو ظفر به. وبنو لؤي : يريد بهم قوم النبي عليه السلام من المسلمين ، ولؤي :حد أجداده صلى الله عليه وسلم . وجذيمة: يريد بني المصطلق الذين غزاهم النبي عليه السلام فوجدهم على ماء يقال له المريسيع ، فقاتلهم وسباهم ،وفي السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعي زوج النبي (ص)، وهي ابنة الحارث الذي أشار إليه الشاعر في البيت الثاني من هذه الأبيات، وفي هذه الغزوة كان حديث الإفك ، وقريظة : قبيلة يهودية من القبائل التي كانت تنزل المدينة، وكان بينها وبين المسلمين عهد فنقضته وتحالفت مع المشركين ضدهم- وقوله: « منا براء» مبالغة في إعلان تبرؤ قومه من هذه الأحلاف ، ولهذا قلب التعبير فلم يقل« نحن براء منهم»، و«وإنما قال « هم براء منا» .

(٢٧) انظر ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ ص٢٠٤ ويرى أن الغزوة كانت في السنة ٦هـ . النويري (احمد بن عبد الوهاب ٨٢٣هـ/١٣٣١م): نهاية الأرب في فنون الأدب نسخة مصورة عن طبعه دار الكتب مطابع كوستاتسوماس، القاهرة، ج ١٧ ص١٦٤، ويرى أن الغزوة كانت في السنة الخامسة للهجرة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإنّ القصيدة نُظمت في أعقاب صلح الحديبية بعد نزول سورة الفتح ؛ لأن حسانا يتوعد قريشاً فيها بفتح مكة ، مستلهماً وعد الله تعالى للمسلمين بدخول مكة وفتحها على أيديهم ، وهو الوعد الذي بشّر الله به المسلمين في هذه السورة في قوله تعالى (٢٨) «لقد صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلنّ المسجد الحرام ، إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصّرين لاتخافون ، فعلم مالم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً» . وذلك في قوله مخاطباً أهل مكة : (٢٩)

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إنْ لمْ تروْهَا ... تُثير النّقْعَ موعدها كَدَاءُ

يُبارِين الأسنّة مُصْغِيَاتٍ ... على أكتافها الأسَلُ الظّمَاءُ

تظلُّ جيادُنا مُتَمطِّرَاتٍ ... تُلَطِّمُهُنّ بالخُمُرِ النّساءُ

فإمّا تعْرِضُوا عنّا اعتَمَرْنَا ... وكان الفتحُ وانكشف الغطاءُ

فهو يتخيل خيل المسلمين تسابق الأسنة المشرعة فوق ظهورها لما يخيل لها من أنّها تحاول أن تسبقها في هذه المباراة الحامية، ويتصور الخيل في اندفاعها السريع المظفر وقد فرّت جموع المشركين من أمامها ، مخلفين وراءهم

---

(٢٨) سورة الفتح ، الآية ٢٧ .

(٢٩) حسان بن ثابت: ديوانه ص ٧٣. والنقع : الغبار. وكداء: موضع الثنية التي في أصلها مقبرة مكة، ومنها دخل الزبير بن العوام. والمصغيات: المواثل المنحرفات للطعن. والأسل : الرماح ، ومتمطرات : خارجات من جمهور الخيل من سرعتها ، ويقال: تمطر الفرس أمام الخيل إذا سبقها ..خارجا منها. والخمر : جمع خمار وهو ماتغطي المرأة به رأسها ووجهها . والفتح : يريد به فتح مكة. وانكشف الغطاء: وضح الأمر وزال اللبس ، وظهر الحق .

نساءهم . يضربن الخيل بخمرهن التي كشفنها عن وجوههن ورؤوسهن ، في محاولة يائسة لردّها عن طريقها ، وهذا القول فيه إهانة لهم ، لفرارهم وتخليهم عن نسائهم . وأيضاً لخروج النساء سافرات كاشفات رؤوسهن ووجوههن . وقد حدث هذا فعلاً يوم الفتح فقد خرجت نساء قريش يعترضن خيل المسلمين، ويضربنها بخمرهن ، وابن هشام يروي في سيرته عن الزهري أنّه قال : «لمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسّم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه» (٣٠) .

ومن المعروف أن صلح الحديبية حدث في آخر السنة السادسة للهجرة ، وأن سورة الفتح نزلت في طريق العودة من الحديبية . وهي تتحدث عـــن الصلح وتجعله فتحاً مبيناً ، وتعرض لموقف أولئك الذين ارتابوا فيه، وتُبشّر المسلمين بفتح مكة (٣١) .

وأمّا تاريخ تحريم الخمر تحريماً نهائياً ، فالعلماء يختلفون حوله ، فبعضهم (ومنهم القرطبي) يذكر أنها حُرّمت بعد غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة (٣٢) ، وبعضهم يذكر أنّها حُرّمت عام الفتح سنة ثمان ، وعليه أكثر المفسرين ، يقول الشوكاني (٣٣) : قال أهل العلم والمفسرون وغيرهم: كان تحريم الخمر بتدريج ، لأنهم كانوا قد ألفوا شربها ، وحبّبها الشيطان

---

(٣٠) ابن هشام: السيرة النبوية ج ٤ ص ٣٣ .

(٣١) انظر : المصدر السابق ج٣ ص ٢١٢ وص ٢٣٢ ،والقرطبي (ابو عبد الله محمد بـــن أحمد الأنصاري ت ٦٧١/ ١٢٧٢م): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، نسخة بالاوفست عن طبعة دار الكتب ودار احياء التراث العربي ، بيروت ١٩٦٥م. ج ١٦ ص ٢٥٩ ،يقول: سورة الفتح مدنية بأجماع نزلت في شأن الحديبية. والشوكانـــي (محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤)م: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ،نشره محفوظ العلي ، بيروت (بلا تاريخ) ج ٥ ص٤٣.

(٣٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص ٢٨٥ .

(٣٣) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ٧٤ .

إلى قلوبهم . فأول مانزل في أمرها قوله تعالى (٣٤) : «يسألونك عن الخمر والميسر . قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما» «فترك عند ذلك بعض من المسلمين شربها ، ولم يتركه آخرون ثم نزل قوله تعالى (٣٥)»: «ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون» . فتركها البعض أيضاً . وقالوا لاحاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة حتى نزلت هذه الآية (٣٦) «ياأيها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» ، فصارت حراماً عليهم . حتى كان يقول بعضهم : ماحرّم الله شيئاً أشد من الخمر ، وذلك لما فهموه من التشديد فيما تضمنته هذه الآية من الزواجر ، وفيمـــا جاءت الأحاديث الصحيحة من الوعيد لشاربها ، وأنّها من كبائر الذنوب.

وتحريم الخمر تحريماً نهائياً (كما هو واضح في قول الشوكاني) ورد في سورة المائدة . وهي آخر سورة نزلت ، فقد روى عن السيدة عائشـــة أنّها قالت : «سورة المائدة آخر سورة نزلت ، فما وجدتم فيها من حـــلال فاستحلوه . وما وجدتم من حرام فحرّموه» (٣٧) .

وسورة المائدة نزلت بعد سورة الفتح ، وبينها وبين سورة الفتح نزلت سورة التوبة ، فترتيب السور الأخيرة وفق نزولها هو ، سورة الفتح ، ثم سورة التوبة ، ثم سورة المائدة .

والواضح إذن أنّ تاريخ نظم القصيدة كان بعد نزول سورة الفتح ،وان تاريخ تحريم الخمر تحريماً نهائياً جاء في سورة المائدة ،فتاريخ نظم القصيدة

---

(٣٤) سورة البقرة، الاية ٢١٩ .
(٣٥) سورة النساء، الاية ٤٣ .
(٣٦) سورة المائدة، الاية ٩٠ .
(٣٧) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص٣ .

سابق لتاريخ تحريم الخمر تحريماً نهائياً (٣٨) .

فالمقدمة التقليدية التي يتحدث فيها حسان عن الخمر نُظمت مع موضوع القصيدة الأساسي قبل تحريم الخمر تحريماً نهائياً ، في الفترة التي كان بعض المسلمين لايزالون يشربونها (كما لاحظنا في قول الشوكاني) وهم الذين نزل فيهم وفي غيرهم من المسلمين ممن لم يدركوا التحريم قوله تعالى : (٣٩) «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناحٌ فيما طعموا إذا مااتّقَوْا وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتّقَوْا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين» . فهذه الآية نزلت رداً على تساؤل بعض الصحابة الذين قالوا لما حُرّمت الخمر : كيف بمن قتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس»؟ (٤٠)

وهذا التحديد لتاريخ نظم القصيدة يخالف ماذهب اليه ابن هشام وبعض رواة ديوان حسان . من أنّ حساناً نظم هذه القصيدة يوم الفتح (٤١) ؛ لأنّ أبيات القصيدة كلّها لا إشارة فيها إلى أنّ الفتح قد تم فعلاً ، وإنّما هي وعيد وتهديد بفتحها على أيدي المسلمين .

هذا بالإضافة إلى أنّ الشاعر أبا سفيان بن الحارث كان قد دخل في الإسلام قبل أن يتم الفتح أو يوم الفتح قبل دخول مكة ، وأن حساناً هجا أبا سفيان في هذه القصيدة قبل فتح مكة بقوله : (٤٢)

(٣٨) انظر الفيروز أبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤): بصائر ذوي التمييز في الطائف الكتاب العزيز ، تحقيق محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت(بلا تاريخ)، ج ١ ، ص٩٩.

(٣٩) سورة المائدة: الاية ٩٣ .

(٤٠) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص٢٨٥ وما بعدها. والشوكاني : فتح القدير، ج ٢، ص٧٤ وما بعدها، وغيرهما من كتب التفسير .

(٤١) ابن هشام: السيرة النبوية ،ج ٤، ص٣٠ وص٣٢ . وحسان بن ثابت : ديوانه، ص٧١ هامش ١ .

(٤٢) حسان بن ثابت: ديوانه، ص٧٥.

ألا أبْلغْ أبا سفيان عَنّـــي

فأنتَ مُجوّف نَخبٌ هواءُ

فلا يمكن أنْ يهجو حسان أبا سفيان بهذا الشعر وهو مسلم .

ب ـ **التفسير الفني للمسألة** :حسان في مطلع همزيته يرسم صورة للطلّل ، يحرص فيها على أن يقيم تقابلاً بين الماضي والحاضر ، في لحظة شعرية قصيرة يختزل فيها الزمن اختزالاً في صور جزئية يبنيها من عناصر مختلفة من البيئة الطبيعية من حوله ، يقول : (٤٣)

عَفَتْ ذاتُ الأصابع فالجـواءُ

إلى عذراء منزلها خـلاءُ

ديارٌ من بني الحَسْحاسِ قَفْـرٌ

تُعفّيهـا الرّوامسُ والسّمـاءُ

وكانَتْ لايزالُ بها أنيـسٌ

خلالَ مُروجها نَعَـمٌ وشاءُ

فهو يمضي في اختزال الزمن في لحظات متنوعة ، فيقابل بين صور الخراب ومظاهر الحياة في الأطلال ، وبين ذكريات الماضي وأحداث الواقع ، في صور يشخّص بها هذه الذكريات ، وكأنّه يعايشها من خلال حركة الرّياح ونزول الأمطار وحياة الحيوان .

وهو يحرص في رصد ذكرياته على تحديد الأماكن الشاميّة التي كان يمر بها عندما كان يتردد على الغساسنة ، فذات الأصابع والجواء ، وعذراء أسماء مواضع ببلاد الشام كانت من منازل الغساسنة الذين كان حسان كثير التردّد عليهم والمدح لهم في الجاهلية ، وقد استخدم الفاء في العطف بينها ،

(٤٣) المصدر السابق ، ص٧١ وص ٧٢ .

وهي تفيد التتابع السريع دون تراخ ، فكأن هذه المواضع على تباعدها في المواقع متقاربة في نفس الشاعر ، تهاوت من بينها حواجز المكان، وتلاشت المسافات . فأصبحت كلها تمثل شيئاً واحداً في نفسه .

وهو يؤكد على ذكر الأسماء ، فهذه الديار لبني الحسحاس أيام الجاهلية وذلك الطيف لشعثاء يزوره في منامه في حاضره، يستحضر له الماضي ، فيختصر الزمن ، ويقصّر المدى ، ويتركه مع الذكريات مؤرقاً .

وهو يبني صوره عن طريق المقابلة بين المواقف المختلفة :وهي صور يختزل فيها حسان لحظات بعينها ، وهي لحظات أيامه الأولى عند الغساسنة بالشام ، فهو يقابل بين العمار والخراب كما هو واضح في البيتين الثاني والثالث . فماضي هذا الطلل ممتلىء بالحياة والحب ، وحاضره قفر خرب ، ويلحّ على رصد الذكريات التي تتداعى بسبب ملاحظته لبقايا الديار ، وهي ذكريات الأمس البعيد أو القريب ، وما فيها من خمر كان يلتجيء إليها في زمانه الذي ولّى ، يقول : (٤٤)

إذا ماالأشرباتُ ذُكِرنَ يوماً
فَهُنَّ لطَيِّبِ الرّاحِ الفِداءُ

نُوَلّيها الملامةَ إنْ ألَمْنَا
إذا ماكان مَغْثٌ أو لِحاءُ

ونَشْرَبُهَا فتتركُنا مُلُوكاً
وأُسداً مايُنَهْنِهُنَا اللِّقاءُ

فهو يفديها بكل أنواع الشراب ، ويحملها وحدها تبعات الخصام والشر والمنازعة التي تحدث بين الشاربين عندما تذهب بعقولهم، ويصف ماتخيله

(٤٤) المصدر السابق ص ٧١ و ص ٧٢ .

لشاربيها في لحظة سكر ، من أنّهم أصبحوا ملوكاً أو شجعاناً .

فالبعد الزمني عنده لايخضع لحركة الأرض والشمس ، وتعاقب الأيام والفصول والسنين . وإنّما يخضع لحركة نفسيته التي تجعله يعبر عن الشعور بالزمنّ بطريقة يدرك فيها بأحاسيسه المرتبطة بتجاربه جريان الوقت في ذاته ، فهو حينما يذكر الدّيار ويشبّب بالمحبوبة ، ويذكر طيفها ، ويتغنى بالخمر يعني أنه رهن حالة من الشوق إلى الماضي ، وأنّه يسحب ماضيه إلى حاضره وأنّه ليس له من وسيلة سوى الذاكرة .

والتعلق بالماضي طبع في الإنسان ، فقد كان بعض أصحاب رسول الله (ص) يتحدثون بأخبار الجاهلية ، ويقول قائلهم : ودّدت أنّ لنا مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا في الجاهلية (٤٥) .

موضوع القصيدة الأساسي

القسم الثاني : موضوع القصيدة الأساسي : إذا ماتركنا المقدمة التقليدية من القصيدة ، واستعرضنا موضوعها الأساسي لنبين الترابط الفني المحكم بينه وبين المقدمة . سنرى أنه يمكن أن يجزأ إلى أربعة أجزاء هي (٤٦) :

---

(٤٥) ابن عبدربه (احمد بن محمد ت ٣٢٨هـ/٩٢٩م) : العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، ودار الكتاب العربى ، بيروت(بلا تاريخ) جـ٥ص١٣٢ (الدرة الثانية) .

(٤٦) فكرة تقسيم موضوع القصيدة الأساسي الى أربعة أجزاء مستمدة من كتاب د. يوسف خليف (تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي) وهي فكرة يهدف صاحب الكتاب منها تأكيد ظاهرة المزاوجة بين التيار الجاهلي القديم والتيار الإسلامي الجديد ، او المزج بين العناصر الجاهلية الموروثة والعناصر الإسلامية المستحدثة (انظر :د. يوسف خليف : تاريخ الشعر العربي في العصر الاسلامي، ص٤٢ وما بعدها)، ولكن هذا البحث يهدف منها إلى أن بناء القصيدة الفني في مقدمتها وموضوعها الأساسي بناء واحد يتمثل فيه انسجام أقسامه وتسلسل وحداته الفنية ، وأن القصيدة(استناداً إلى ذلك) نظمت في فترة زمنية واحدة .

الجزء الأول : وفيه يهدد أهل مكة بفتحها على أيدي المسلمين ، ويتوعدهم بأن يخلّوا لهم سبيل العمرة ، وإلاّ فليستعدوا لقتال مرير ، يعين الله المسلمين فيه بالملائكة ، ويكتب لهم النصر ، يقول (٤٧) :

عَدِمْنَا خيلنَا إنْ لَمْ تَرَوْهَا
تُثيرُ النقعَ موعدُها كَداءُ

يُبارين الأسنّة مُصْغِياتٍ
على أكْتَافِهَا الأسَلُ الظّماءُ

تَظَلُّ جيادُنا مُتمطّراتٍ
تُلَطِّمُهُنّ بالخُمُرِ النّساءُ

فإمّا تُعرِضُوا عنّا اعتمرنَا
وكانَ الفتحُ وانكشفَ الغطاءُ

وإلاّ فاصبروا لجلادِ يومٍ
يُعِينُ اللهُ فيه مَنْ يَشاءُ

الجزء الثاني : وفيه يفتخر بقومه الأنصار ، فقد آمنوا برسول الله (ص) حين دعاهم إلى الإسلام بينما كفرت به قريش ، ثم وقفوا معه جنداً من جنود الله في وجه أهل مكة المشركين ، يدافعون عن الإسلام بألسنتهم وسيوفهم يقول (٤٨) :

وقال الله قد يَسّرتُ جنداً
هُمُ الأنصارُ عُرْضَتُها اللقاء

---

(٤٧) حسان بن ثابت : ديوانه ص ٧٣ .
(٤٨) المصدر السابق ص ٧٤ .

لنا في كلِّ يومٍ منْ معدٍ

قتالٌ أو سبابٌ أوْ هجاءُ

فنحكمُ بالقوافي مَنْ هجانا

ونضربُ حيثُ تختلطُ الدماءُ

وقال الله قدْ أرسلتُ عبداً

يقولُ الحق إنْ نفعَ البلاءُ

شهدتُ به فقوموا صدّقوهُ

فقلْتُم لانُجيبُ ولا نشاءُ

وجبريلُ أمينُ اللهِ فينا

وروحُ القُدُسِ ليس له كفاءُ

الجزء الثالث : وفيه يرد على أبي سفيان بن الحارث هجاءه للنبي (ص) ويتهكم على شعراء قريش ويعلن أنه سيدافع عن النبي ، وهو لايرجو من وراء ذلك إلا جزاءه من عند الله ، وينكر عليه هجاءه للنبي وهو ليس كفئاً له ، ثم يعلن أنه مستعد لفدائه (عليه السلام) بكل مايملك ، وبكل مايعتز به يقول (٤٩) :

ألا أبلغْ أبا سفيان عنّي

فأنت مُجَوّف نَخِب هواءُ

فَمَنْ يهجو رسول الله منكم

ويمدحُه وينصرُهُ سواءُ

---

(٤٩) المصدر السابق ص٧٥ .

هجوت محمداً فأجبتُ عنه
وعند الله في ذاكَ الجزاءُ

أتهجوهُ ولست لهُ بكُفْءٍ
فشرّكُما لخيرِكُمَا الفداءُ

فإنّ أبي ووالده وعرضي
لعرضِ محمد منكم وقاءُ

الجزء الرابع : وفيه يشير إلى بعض الأحلاف التي تألبت ضد النبي عليه السلام ، وتحالفت في وجه دعوته الإسلامية ، وتآمرت عليه وعليها ، ويعلن براءته وبراءة قومه الأنصار منها ، يقول : (٥٠)

فإمّا تَثْقَفَنّ بنو لُؤيّ
جُذَيمة إنّ قتلهُمُ شفاءُ

أولئك معشرٌ نصروا علينا
ففي أظفارنا منهُم دماءُ

وحلفُ الحارث بن أبي ضرارٍ
وحلفُ قُريظةٍ منّا بَرَاءُ

ثم يختم قصيدته ببيت يفتخر به بشعره على أبي سفيان وأمثاله من شعراء مكة المشركين يقول (٥١) :

لساني صَارِم لاعَيب فيه
وبحري ماتُكَدِّرُه الدّلاء

---

(٥٠) و(٥١) المصدر السابق ص ٧٦ وص٧٧.

هذه الهمزية تجري على منهج القصيدة الجاهلية المعروف، فهي تبدأ بمقدمة تقليدية يصف فيها الأطلال. ويذكر طيف صاحبته شعثاء، ويتغنى فيها بالخمر، ثم يخرج بدون تمهيد الى موضوع القصيدة الأساسي الذي جزىء الى اربعة أجزاء (٥٢).

والشاعر في اجزاء القصيدة كلها(كما أشرنا في التفسير الفني لمسألة الخمر) يحرص على ان يقيم تقابلا بين الماضي والحاضر في لحظة شعرية قصيرة يختزل فيها الزمن .

ففي الجزء الأول الذي يتضمن تهديد قريش ، نراه يدور في دائرة جاهلية قديمة، وفي هذه الدائرة نرى الخيل تثير النقع، وتباري الأسنة، والفرسان على صهواتها يحملون رماحاً ظامئة الى دماء الأعداء، وأهل قريش يعيرون بالهزيمة والفرار، وترك النساء كاشفات سافرات. ونراه يختصر الزمن، ويقصر المدى، فيخرج من هذه الدائرة الجاهلية الى الدائرة الإسلامية التي يتحدث فيها عن العمرة، وانكشاف الغطاء، ونصر الملائكة للمسلمين في قتالهم للمشركين .

وهو في الجزء الثاني يجمع بين الماضي والحاضر في موضوع الفخر ويعلن امتلاكه لحرية الفعل في الحاضر المجيد ،كما امتلكها من قبل أجداده فيفتخر بأنتصار قومه الأنصار اليمنيين على أهل مكة المضريين في ميادين القول وميادين القتال. فنراه يدور في دائرة جاهلية قديمة، ثم لايلبث ، أن يخرج من هذه الدائرة الى الدائرة الإسلامية .ليفخر بالإسلام، ومسارعة

(٥٢) يستفيد البحث في هذه الدراسة الفنية (كما أشرنا في هامش ٤٦) من دراسة د. يوسف خليف ، ظاهرة المزاوجة بين التيار الجاهلي القديم والتيار الاسلامي الجديد التي قدمها في كتابه «تاريخ الشعر العربي في العصر الاسلامي ص٤٢ وما بعدها» .

قومه الى اجابة دعوته . وتصديق نبيه . ويعتز بوقوفهم الى جانب النبي عليه السلام للدفاع عن الدين جندا من جنود الله المخلصين .

وكذلك في الجزء الثالث الذي يرد فيه على ابي سفيان بن الحارث ، نراه يجمع في موضوع الرد والهجاء بين الدائرتين: الجاهلية والإسلامية فيقابل بين الماضي والحاضر، فتتلاشى عنده حدود الزمن كما تلاشت حدود المكان فتراه يهجوه بالجبن والهلع على الطريقة الجاهلية، ثم لايلبث أن يعلن أنه يرد عن النبي هجاء الشعراء المشركين، وأنه لاينتظر الا جزاء الله على الطريقة الاسلامية . والبعد الزماني في هذا الجزء . يأخذ خصائص هذا الموضوع الهجائي فيكون شديداً في وقت العداوة والحرب، وتأتي كلماته ومعانيه قوية ، وتسلك سبيل الفخر والهجاء .

وأما الجزء الرابع (وهو خاتمة القصيدة) فقد تلاشت فيه الحدود الزمانية بين الماضي والحاضر. تتداخل الدائرتان: الجاهلية والإسلامية في دائرة واحدة يتحدث فيها بأسلوب جاهلي وألفاظ اسلامية عن الأحلاف التي تآمرت على النبي ودعوته وبراءة قومه منها .

وإذا ما حاولنا وضع أقسام القصيدة وأجزائها في وحدات توضح التقابل بين الماضي والحاضر في لحظة شعرية قصيرة يختزل فيها الزمن. نلاحظ بيسر انسجام أقسامها وتسلسلها ووحدتها الفنية .



نلاحظ أن القسم الأول (المقدمة التقليدية) لايستقل بنفسه . ولا يسدور حول موضوع يجعل منه قصيدة قائمة بذاتها . وأن القسم الثاني (موضوع القصيدة) بأجزائه كلها تمتزج فيها العناصر القديمة والعناصر الجديدة ، وأن دوائر القصيدة كلها من مقدمتها إلى خاتمتها تتداخل تداخلا موضوعياً وفنياً لتشكل هذه الهمزية .

خاتمـــة

يدور هذا البحث في فلك مسألة الخمر في همزية حسان الإسلامية ،فيعرض أجزاء مقدمة هذه القصيدة التي تتحدث عن الطلل والغزل والخمر ، ويناقش آراء النقاد القدامى والباحثين المحدثين المتباينة في مسألة ذكر الخمر في مقدمتها ويتداول تفسيرها ، إذ يتوصل إلى أنّ القصيدة نظمت قبل تحريم الخمر تحريماً نهائياً ، وأنّ ذكر الخمر كان من باب تذكر أيام الشباب واللهو الماضية ، وليس تصويراً لحياته في الإسلام .

ويكشف من خلال تحليل أبياتها وعرض مقدمتها وموضوعها الأساسي عن أنّ الشاعر كان يجمع بين الماضي والحاضر في لحظة شعرية قصيرة يختزل فيها الزمن.

ولعل أهم ماانتهت إليه في هذا البحث : —

— أنّ الهمزية من شعر حسان الإسلامي الموثق ، وأنّ أبياتها كلّها نُظمت في الإسلام .

— أنّ المقدمة التقليدية تشكل وأقسام القصيدة الأخرى وحدة فنية واحدة تتميز بالانسجام والتسلسل .

أن القصيدة نظمت قبل تحريم الخمر تحريماً نهائياً .

— أنّ البعد الزمني الذي يخضع لحركة نفسية الشاعر ، ويُعبر عن شعوره وأحساسه وخبرته في جريان الوقت ، ويسحب الماضي إلى مسرح الحاضر — سمة فنية تُفسّر هذا النص الشعري وبخاصة المقدمة التقليدية .

مصادر البحث ومراجعه الأساسية

- الدكتور إحسان النص : حسان بن ثابت ، حياته وشعره ، ط٣ ،دار النشر ، دمشق ١٩٨٥ .

- الآلوسي (محمود شكري ت ١٩٢٤) : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، شرح محمد بهجة الأثري ، الطبعة الثانية (بلا تاريخ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- البغدادي (عبدالقادر بن عمر ت ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م) : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق عبدالسلام هارون ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة (تواريخ متعددة وفق الاجزاء) .

- حسان بن ثابت (ت ٤٠هـ تقريباً /٦٦٠م):

١. ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق سيد حنفي حسنين ، دار المعارف بمصر ١٩٨٣ .

٢. ديوان حسان بن ثابت ، شرح عبدالرحمن البرقوقي ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٦ .

- الحموي (ياقوت ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) : معجم البلدان : دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

- الدكتور سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، مطابع الرسالة ، الكويت ١٩٨٣ .

- السهيلي (أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ت ٥٨١هـ/١١٨٥م) : الروض الأنف في تفسير مااشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام ، ط الجمالية ، القاهرة ١٣٢٢هـ/١٩١٤م .

- الدكتور سيد حنفي حسنين : حسان بن ثابت شاعر الرسول (سلسلة أعلام العرب رقم ٣٠) . مطبعة مصر ١٩٦٤م .
- الشوكاني (محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ،نشره محفوظ العلي، بيروت (بلا تاريخ) .
- ابن عبدالبر (أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق طه محمد الزيني ، ط١ . مطبعة الفجالة الجديدة . القاهرة ١٩٧٠ م .
- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد ت ٣٢٨هـ/٩٢٩م) : العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرين طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ، ودار الكتاب العربي . بيروت (بلا تاريخ) .
- عبدالاله الصائغ : الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ، دار الرشيد. بغداد ، ١٩٨٢ .
- الفيروزبادي (مجدالدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق محمد علي النجار المكتبة العلمية ، بيروت ، بلا تاريخ .
- القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري ت ٦٧١هـ/١٢٧٢م): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) نسخة بالأوفسيت عن طبعة دار الكتب المصرية ، دار احياء التراث العربي . بيروت ١٩٦٥.
- محمد ابراهيم جمعة : حسان بن ثابت ، ط دار المعارف (سلسلة نوابغ الفكر العربي رقم ٣٤) مصر ١٩٦٥ .

- محمد خلف‌الله أحمد : دراسات في الأدب الاسلامي . ط لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م .

- المرزباني (محمد بن عمران ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦٥م .

- النويري (أحمد بن عبدالوهاب ت ٧٢٣هـ/١٣٣١م) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ،مطابع كوستاتسوماس ، ومطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة (تواريخ متعددة وفق الأجزاء) .

- ابن هشام (أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري ت ٣١٣هـ/٩٢٥م) : السيرة النبوية تحقيق محمد فهمي السرجاني ، ط دار التوفيقية ، القاهرة ١٩٧٨م .

- الدكتور يحيى الجبوري : شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه . ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١م .

- الدكتور يوسف خليف : تاريخ الشعر العربي في العصر الاسلامي ،ط دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧٦م .

القصة العربية في مرآة فخري ابي السعود

حسين يوسف حسين
كلية الآداب ـ جامعة الموصل

قبية توفيق اليوزبكي
كلية الاداب ـ جامعة الموصل

مقدمة :

لعل كثيراً من القراء يسأل : من فخري ابو السعود ؟

فنقول : انه اديب مصري مر كالشهاب في الحياة الادبية المعاصرة ، (١٩١١ ـ ١٩٤٠) ، وقد انتهى نهاية مأساوية بعد ان انتج شعراً باذخاً وادباً نقدياً مرموقاً ، وعى فيه الثقافتين العربية والانكليزية ، ونشر مقالاته النقدية في المجلات المصرية التي كانت تصدر في العقد الرابع من هذا القرن كالثقافة والرسالة والهلال ، وقد اتسعت اطروحتنا التي ننشر منها هذا المبحث، وهو ثاني مباحث فصلها الثاني (*) لدراسة تحليلية لكل كتاباته التي صور بها الأدب العربي نشأة وتطوراً واغراضاً وطوابع فنية ، والقصة فيه شيء من ذلك وهي عنده احدث صور الادب ظهوراً في الحياة الادبية عند العرب على جذور من حكايات واساطير ومدركات عقلية ساعدت على نشأتها وتطورها قبل انقطاعها في اول الطريق ، حتى استعادها العصر الحديث بطوابعها الفنية الجديدة .

(*) مبحث مستل من رسالة اعدتها الطالبة قبية توفيق اليوزبكي بعنوان :
(صورة الادب العربي في مرآة فخري ابي السعود) باشراف الدكتور حسين يوسف حسين وقدمتها الى قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الموصل سنة ١٩٩١.

وهي عند ابي السعود احدث صور الأدب ظهوراً (١) .وهي كما وصفها بعبارته : «ضرب من الأدب حديث عظيم القيمة .. مرن أرحب صدراً للنزعة العلمية من الشعر وغيره ، لأنها تجمع مزايا النثر كالرحب والدقة والاستقصاء لشتى الأوصاف والتفصيلات التي لا يتسع لها الشعر . إلى مزايا الشعر كالخيال والعاطفة ... فاتسعت القصة الحديثة للشائق الممتع من الأوصاف الطبيعية وحياة المجتمع ودخائل النفس» (٢) .

أمّا فن القصة فهو اقدم الأشكال الأدبية ، فحب الحكاية وتأليفها والاصاخة اليها — على حد قوله — من اعمق الميول الانسانية الطبيعية تأصلاً ، فما ميل الانسان إلى تتبع ورواية كل ما ترى امام عينيه من المشاهدات او حوادث الحياة او بعض مظاهرها وظروفها كما رآها او تخيلها ،الا ليشبع بها حوافز او غرائز الاستطلاع والخيال من نفسه ، واليها وألى بداهة كل صديقين تلاقيا بعد طول غياب ، ويهش اليها الأطفال والانسان في عهد طفولته التاريخية ، ولطبيعة نشأة تلك الجماعات المعنة في القدم كالطفل قليلة الادراك لكنه الأشياء والاحداث واتصال المسببات بالأسباب ، سريعة الانقياد إلى عواطفها وأوهامها ومخاوفها ، ما لبث ان زكت بينها شتى الأساطير والخرافات التي غذاها الخيال ليفسر بها قوى الطبيعة وليمجد الأسلاف وليدعم كيان المجتمع انذاك ، ورويت عن الآلهة والملوك والأبطال والقبائل حكايات تعج بالخوارق والعظائم والمحالات والمناجآت والمخاطرات والمصادفات غير المحتملة التي هي جماع الأدب والعلم والفنون القليلة والديانة والتقاليد والثقافة العامة بالخلق والطبيعة والتاريخ ، متمثلة في خرافات قدماء مصر

---

(١) م/٥٢ –الثقافة–١٧/١٠٦ ، م/٥٣–الرسالة–١٠٩٢/٥٢ ، م/٥٥–الرسالة–٦٥١/١٩٨.
(٢) م/٥٢ –الثقافة– ١٧/١٠٦ ، م/٥٥ –الرسالة– ٦٥٢/١٩٨ .

التي دارت موضوعاتها حول الآلهة والفراعنة ووداديهم ونهرهم ، وفي اساطير اليونان والرومان التي تعلقت باعمال الآلهة وحروبها وحبها وغضبها كما كانت للبابليين ايضاً عجائب وغرائب وحكايات عن مخيف المخلوقات من الحيوان والأطيار فقد توهموا بوجود وحش يخرج الماء من فيه فيغمر السهل والجبل ، ومن الكائنات الأسطورية التي تصورها العرب في خرافاتهم الغول والعنقاء والرخ (١) .

وبناء على هذا يبدو لنا انّ القصص الحكائية الأولى الموصوفة بأنها اساطير كانت ذات طوابع خرافية «هي — كما قال ابو السعود — الاعتقاد بالمستحيل عقلا» (٢) . لأنها لا تكون «إلاّ حديث خرافة إذا قسناها بقوانين العقل» (٣).

فلا غرو أنْ يميل اليها الانسان البدائي بخياله ومخاوفه وأوهامه وعواطفه، وقد «اسدلت عليه الطبيعة القاسية استارها الحالكة وملأت عالمه بالطلاسم المحيرة» (٤) . فلجأ إلى الأسطورة بوصفها سلوكاً رمزياً يواجه به المظاهر الكونية لتطويعها وفك ما يدور في عالمها من الألغاز والأسرار ، ليمتلك من ثم تصوراً متقبولاً وواضحاً للحياة ، فبدت الأسطورة — كما قال الدكتور عزالدين اسماعيل — وكأنها «نظمت شتيت الحياة .. وحددت للانسان

(١) م/٣١ –الرسالة– ١٩٧٠/١٧٤، م/٣٣ –الرسالة٢٠١/٧٧٢ ، م /٤٥ –الرسالة – ١٩٤ /٤٥٨ ، م/٥٢–الثقافة– ١٧/١٠٦ .
(٢) م/٣١ –الرسالة– ١٧٩٠/١٧٤ .
(٣) شكري محمد عياد ، البطل في الأدب والأساطير /٨٢ .
ولقد ألمح بعض النقاد إلى أن الأصل الأول للأساطير مأخوذ عن الأغريق وتعني قصة خرافية ، الى أن أصبحت كلمة الميثولوجيا تعنى بهما معاً.في هذا ينظر :محمود سليم الحوت في طريق الميثولوجيا عند العرب /١٦ ، ١٧ ومنظر زكي المحاسني – ، أساطير ملهمة /٧ ، أحمد أمين ، فجر الاسلام ٤٨/١ ، ٤٩ ، صموئيل نوح كريمر ، أساطير العالم القديم/٧ .
(٤) يوسف أمين ، الحكاية والانسان /٢٩ .

وضعه . ورأيت كل صدع كان بينه وبين نفسه ، او بينه وبين مجتمعه (١) ؛ لمجيئها استجابة لعاطفة الانسان ، لا لتفسيره العقلاني لمظاهر الكون (٢) ؛ وهذا هو ما نستشفه من كلام ابي السعود في التاريخ لنشأة القصص الأسطوري والخرافي ، ومصداق هذا أنّ ما نراه في النسيج القصصي للأسطورة لايمكننا من إبعاد انماطها عن العمليات العقلية تماماً ، ولكن حدود الجانب العقلي فيها يبدو واهياً او محدوداً يفسح المجال لسيادة العنصر الانفعالي لتفصح عن نوازع الانسان وأوهامه في تفسير الطبيعة ، لأنّ الانسان — كما يرى البعض — على اي مستوى كان من الحضارة لا يمكن أنْ يعيش في عالم من دون أنْ يحاول فهمه ؛ مما يحتم عليه اللجوء إلى وضع تصورات ومقولات فكرية (٣)؛ يمكن أنْ تعد وجهاً من وجوه موقفه الخاص من الحياة ، ومنها القصـــة الأسطورية أو الخرافة .

ولا يقف ابو السعود عند حد الاعتقاد العام المشاع بأنّ الأسطورة قصص خيالي وأوهام وضعها الانسان لتفسير وجود الأشياء والظواهر الطبيعية حسب — كما اسلفنا — بل رآها لا تقل عن حوادث التاريخ في صدق تصويرها لأحوال المجتمع الذي ولّدها والبيئة التي انتجتها (٤) ، وعلى هذا أصبح الأسطوري عنده — كما تمثله رتشاردز وكولردج ويونغ وبوكاشيو وآخرون — قائماً على الحقيقة او مجسداً لها ، بوصفه تجربة وجودية عاناها الانسان البدائي .

---

(١) عزالدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر وقضاياه وظواهره المعنوية والفنية /٢٢٩ .
(٢) أحمد شمس الدين الحجاجي ، الوظيفة بين الأسطورة والمسرح ١٩٣٣–١٩٧٠م ، ٢/٣٨٢ ؛ وينظر : أحمد كمال زكي ، الأساطير دراسة حضارية مقارنة /٤٥ .
(٣) آرنست كاسيرر ، الدولة والأسطورة /٣١ .
(٤) م/٣١ –الرسالة– ١٧٤/١٧٩٠ .

ثم عرضها في لبوس فني من الإدراك الرمزي لتلك الحقائق (١) ، لا تختلف في وظيفتها عن وظيفة الأخبار التاريخية . بيد انها لا تنافس تلك الأخبار في حقائقها بل تكون رافدة لها (٢) . ويرجع ابو السعود إلى موقع الأسطورة في الأدب العربي القديم ، ليشير إلى أنّ اتساع المدارك العقلية للعرب أدخل القصص في شعرهم ونثرهم (٣) . وتمثل الحكايات او القصص العربية شرعة الانسان البدائي في التفكير وحدود الفكر الذي ربط بينه وبين موجودات الحياة وظواهرها الطبيعية ، فابتدأت كغيرها من القصص في العالم في أحضان الأساطير والخرافات التي امتاحتها العرب كما يقول ابو السعود من حياة البادية، وما اوحته إلى النفوس من الرهبة والبأس بالفلوات والحزون والسباع والأنواء، ومما حيك من التصورات الخارقة عن الآلهة والأبطال والملوك وغابر الدول والجن والغيلان والسعالي والعنقاء والعدائين الذين يسبقون الظباء ، وحديدي النظر الذين يرون التمائم والمغير من رأس اميال ، كزرقاء اليمامة ، ومن الأخبار التي حيكت حول بعض شذاذ العرب الخارجين على اعراف القبيلة والمجتمع ومن بينهم تأبط شراً والسليك بن السلكة واشباهما ، وبعض القصص التي وردت في كتب الأدب عن مصرع احد اقيال اليمن على يد اخيه الطامع في العرش ، واستشارة هذا للعرافين قبل الاقدام على القتل ، والخدع الحربية التي لجأ اليها ابن الملك ، في أنّ يستعير كل مقاتل شجرة اقتلعها في طريقه حتى بدا جيشه وكأنه غابة تسير ، وهي حكاية اعتمد في نسجها على عجائب

(١) ك.ك. راثفين ، الأسطورة/٢٨ ، وينظر : خليل أحمد خليل ، مضمون الأسطورة في الفكر العربي/١١ ؛ أحمد كمال زكي ، الأساطير ١٢٣ ، ستانلي هايمن ، النقد الأدبي الحديث ٢/٢٠٩ ، مجلة المكشوف ، أثر القصة في تربية الشعب ، محمود تيمور ، ع٣٦١٤ ، السنة العاشرة ، ١٩٤٤ م ، ص٢٧ .

(٢) صالح بن حمادي ، دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية/٤٣ ، وينظر : أوستن وارين ورينيه ويليك ، نظرية الأدب/٣٤٦ .

(٣) م٥/٢ -الرسالة- ١٠٦/١٧ .

السحر والتنبؤ والغيب ، وقد روى فيها شعر لشاعر يدعى ذو رعين (١) ، منه قوله :

فإنْ تَكُ حميرُ غدرتْ وخانَتْ فمعذرةُ الآلهِ لذي رُعَيْـن (٢)

وهذه القصص الأسطورية او الخرافية التي حاكتها العرب كان منشأ بعضها شعرياً ، والعلم بالأسطورة — كما نعلم — رافد يثري حركة فهم الشعر ، لأنها حصيلة من حصائل المعارف الانسانية ، فعلى الباحث الذي يود أنْ يسهل عليه فهم بعض الأشعار في إطارها الأسطوري او الخرافي السالفة الذكر الظفر بتلك الأساطير والعمل على التعمق فيها معرفة وتفسيراً (٣) .

وتنبه ابو السعود إلى أنّ اكثر تلك الخرافات على ما بها من اوهام ومبالغات ، تحوي كثيراً من «صفات الجمال ومظاهر الروعة ، ودلائل العظمة وأحاديث البطولة والمخاطرة التي يغرم بها الطبع الانساني ، وصور الفضائل والرذائل التي يرتاح إلى رؤيتها مصورة معروضة .. وانّ استعارة مشاهد تلك الخرافات ووقائعها وأسمائها في الوصف يكسبه التشبيه قوة ووضوحاً (٤) ؛ ومن اجودها من الأمثلة الدالة عنده على الاقتران الجيد للخرافة بالتشبيه الرائق القوي الواضح ، قول امرىء القيس (٥) :

أيقتُلنـي : وَالمشـرفيُّ مضاجعي ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنياب أغوال؟ (٦)

وقد نال هذا الضرب من القول استحسانه فتمنّى لو اكثر الشعراء — على حد قوله — من الطرق على وتيرته (٧) .

(١) م/٣١ —الرسالة— ١٧٩٠/١٧٤ .
(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ١٥١/١ .
(٣) مصطفى ناصف ، دراسة في الأدب العربي /٢٠٧ ، ينظر : نبيلة ابراهيم، الأسطورة/٧٩.
(٤) م/٣١ —الرسالة— ١٧٩١/١٧٤ .
(٥) م.ق.ن والصفحة .
(٦) ينظر : ديوان امرى القيس / ١٤٢ .
(٧) م/٣١ —الرسالة— ١٧٩١/١٧٤ .

ومن تمثلنا ومعرفتنا لنمطية الموضوعات التي كانت مطروقة آنذاك ينجاب لنا سر الالتياث والتداخل بين القصص والأخبار والأيام والأساطير والخرافات في أدب ذلك العصر شعره ونثره ، فقد حوى القصص كالشعر أخبار العرب ومشهور حوادثها وأيامها وأخبار ارتحالها واستقرارها ، وكل ما يصور لنا طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعصبية آنذاك ، ويأتينا مختلطاً بثقافة العرب ودينهم ، لذا يمكن انْ يكون السبيل إلى دراسة الأسطورة لديهم تناول «كل ما سطر عن الجاهليين تأريخاً كان او ديناً» (١) .

ويشير أبو السعود إلى أنَّ الأجيال المتعاقبة قد تناقلت ذلك بالزيادة والتهويل والتغيير والتبديل ليناسب حوادثها الطارئة ومشاهدها . وقد تخلف من ذلك الكثير بعد ذهاب الجاهلية وظلّ ملتاثاً بالأدب والتاريخ يظهر فيما شحنت به الآثار في هذين العلمين . ككتب الجاحظ والأصمعي والطبري والأصبهاني وغيرهم من الكتاب والمؤرخين على السواء . ومن أمثلة ما تناوله القصاص من النوادر الجديدة ما حاكوه عن أعلام الحب والحروب ، كعنترة والمهلهل وعمر بن ابي ربيعة وابي نواس ، ومن بعض ذلك القصص المحكم ما سيق للوعظ والاعتبار كالذي نسب إلى لقمان ، ومنها ما أجري على السنة الحيوان مما بسط فيه الحكماء لأبنائهم ثمار معارفهم وكمنت في ثناياه نفحات الحكمة والحض على حسن التعامل والدعوة إلى الفضيلة وما غدا مثلا يضرب ، وكان تلفيق الأقصوصات القصيرة التي ترفع إلى عصر ما قبل الاسلام وتنسب اليه قد بلغ حداً من الشرح المقصود المعبّر عن ارومة تلك الأخبار والأمثال والحكم (٢) ، ولهذا ظلّت اشباه تلك القصص المتعلقة بالطير والحيوان والجان

(١) محمد عبدالمعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب /٤١ .
(٢) م/٥٥ -الرسالة- ١٩٨-٦٥٣ ، م/٣٠ -الرسالة ١٣/٢٠٧/١٠١٠،م/١ -الهلال-٩١٥/٧.

مما أسفر عنه أدب الجاهلية يحوي شتى الخوارق وغرائب الأوصاف (١) ، ويرمز إلى ما كانوا يرومون من سيادة القيم الاخلاقية لأخذ العبرة او لشرح علّة او لبيان غاية مما غدا مثلاً او حكمة في بابه وفي مضربه (٢) .

وقد جاء في القرآن الكريم الكثير من القصص الشائق عن أخبار الأمم الغابرة والنُذُر الأولى ، كقصص يوسف ومريم ونوح ؛ وما فتأت السور المحتوية عليها اقرب سور القرآن — كما قال ابو السعود — إلى نفوس العامة والخاصة (٣) .

ولا غرابة في هذا لأنّ هذا الفن — كما اسلفنا — من اكثر ميول الانسان الطبيعية التصاقاً به ، واكثرها نفاذاً إلى قلبه واختلاباً لِلُبّه . ولهذا كان لابد للقرآن وهو يسعى لانتزاع عقائد العرب القديمة وتقاليدهم الدينية والحياتية الخاطئة ، من أنْ تكون فيه بسطة من هذا النوع الذي يحكي أخبار الأمم الغابرة ترغيباً وترهيباً وعظة منسجمة مع رسالته السماوية التي جاءت هدى ورحمة للعالمين .

وحين ترد الإشارة إلى الأمثال في سياق الكلام على الحكاية العربية القديمة، فقد أُجريت تلك الأمثال بشكلها الحكائي على السنة الحيوان ومنها ما استرعى انتباه العرب في احواله ومسعاته كقصة الثيران الثلاثة والرسالة البليغة عن النمل المنسوبتين إلى الامام علي (رضي الله عنه) (٤) وذلك قبل أنْ يدخل الفن القصصي في عهد انتشار الكتابة وذيوع الطور الثاني من النثر الفني ؛ وقد

---

(١) ينظر : نهاد توفيق نعمة ،الجن في الأدب العربي /٩١ ، ١٢٤ ؛ جواد علي،المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٣٧٨/٨ .

(٢) عبدالحليم محمود ، القصة العربية في الجاهلية /٢٠٤ ، ٢٠٥ ، أنس داود ، الأسطورة في الشعر العربي الحديث /١٣٠ ، ١٣١ .

(٣) م/٥٥ —الرسالة— ١٩٨/ ٦٥٣ .

(٤) م/٤٥ —الرسالة— ١٩٤/ ٤٥٨ .

استخدام هذا النمط لغاية معينة كغاية ابن المقفع في بث الحكمة بحكايات كليلة ودمنة التي أجراها على السنة الحيوان ، وغاية محاورات اخوان الصفا في رسائلهم ، ورسالة حي بن يقظان مما اتخذ وسيلة لعرض الآراء والقضايا الفلسفية ؛ بيد أنّ أبا السعود قد اكد أن الخصائص الفنية في تلك القصص وأمثالها كانت واهية ضعيفة البناء (١) . وما عتم أنْ ظهرت بوادر القصة الفنية بعد أنْ تمهدت بعض أسباب دخول هذا النثر الفني طوره الثالث بتحضر الأمة وتثقفها ورواج سوق أدبها في القرن الرابع الهجري .

وقد عنيت هذه القصة بتحليل الشخصية واهتمت بالبناء الفني والفكرة الموحدة الجامعة في عملين مهمين من الأعمال القصصية الخيالية ، هما مقامات بديع الزمان الهمداني ، ورسالة الغفران للمعري (٢) ، وقد قرأ أبو السعود المقامات والرسالة قراءة تحليلية ، وأعطى لكل منهما تقويماً نقدياً في مكانها من حركة القص الأدبي عند العرب ، وقد بدا له أنّ مكان البديع الهمداني في هذا المجال كمكان أديسون وستيل (٣) في الانكليزية ، وفي المقامات علل تستوجب منحها الاستحقاق المستأهل لمضارعتها أسمى انواع القصص بما فيها من :

– نفاذ البصيرة ، و
– بداعة الوصف ، و
– براعة الفكاهة ، و
– تنوع الموضوعات : فضلا عن :

(١) م/٤٥ –الرسالة ٤٥٨/١٩٤ ، م/٥٥ –الرسالة ٦٥٣/١٩٨ .
(٢) م/٣٣ –الرسالة ٧٧٤/٢٠١ ، م/٥٥ –الرسالة– ٦٥٤/١٩٨ .
(٣) هما كاتبا القرن الثامن عشر الميلادي : جوزيف أديسون(١٦٧٢–١٧١٩)وريتشارد ستيل (١٦٧٢–١٧٢٩) . ينظر : Adventures in English Literature, '. 286.

— شخصية أبي الفتح الاسكندري المخترعة التي تعيّن من مراحل تطور القصة العربية نفس المرحلة التي تعينها شخصية سير رودج ديكنري من تطور القصة الفنية . وبهذا رجّح عند ابي السعود أنّ البديع الهمداني هو المؤلف العربي الوحيد الذي اخترع شخصية شائقة واضحة من صنع الخيال. (١)

ولم يقف الأمر في نظره عند هذا الحد بل رأى في المقامات أيضاً :

— مزية الأسلوب ، و

— وما أمدته من جمال ، و

— وما حققته من ذيوع ونجاح (٢) .

وجاء هذا الحكم بعد ثلاث سنوات من حكم سابق له على المقامات ، لم ير فيها عملاً يمكن أنْ يدخل في حساب مقاييس القص الفني المبتكر الجديد ، لأنها بدت له آنذاك «هزيلة عجفاء تدعو إلى السخرية .. قليلة الحظ من الصدق والحياة وعمق الفكرة» (٣)

ويبدو لنا أن نظرة ابي السعود إلى المقامات في مجمل ما قاله عنها في الرأيين لم تعطها اكثر من كونها عملاً أدبياً جامعاً لا فن فيه ولا ابتكار ، لعناية كاتبها بالتنقير في المسائل اللغوية واصطيادها والعناية بالزخرف اللفظي ، فهي غير بعيدة عن «الروايات والأخبار العديدة التي كان يخترعها الرواة والكتّاب ، يطلبون الاغراب والتظرف والرواج ، أو يؤيدون الحجج والمذاهب» (٤) ، وهو بهذا ينسبها إلى الافتعال اللغوي ، ولا غرابة في أنْ يكون رأيه فيها على هذا النحو ، وقد لحظ فيها الافراط في العناية باللفظ

(١) م/٥٥ –الرسالة– ٦٥٤/١٩٨ .
(٢) م/٣٣ –الرسالة– ٧٧٤/٢٠١، م/٥٩ –الرسالة– ١٤٥٦/١١٤ .
(٣) –الرسالة– ١٢/١٨٣ ، م/٣٢ –الرسالة– ١٤١٤/١٦٥ ، م/٤١ –الرسالة– ١٩٦/ ٥٨٦ ، م/٣٢ –الرسالة– ١٦٩١/١٧٢ .
(٤) م/٣٣ –الرسالة– ٧٧٤/٢٠١ .

الذي لا يعبر بصدق عن الحياة بمعانيه وأفكاره . فهي على ما توفرت عليه من شتى المعارف الثقافية العامة والمناظرات الخيالية وأوصاف بعض الجوانب الاجتماعية قد ظلّت اسيرة شكلها اللغوي ، لأنّ مؤلفها — كما قالت مجموعة من الدارسين — لم يفك عنها قيود اللفظ وأغلال البديع وايغال اللغة والفاظها العويصة ، وأساليبها البليغة التي كانت ومازالت أدباً ومقياساً للبراعة والمهارة اللغوية (١) .

اما ما بدت عليه مقامات البديع من العجف والهزال فلا مقصد له — فيما أظن — الاّ نقد افكارها ، او عناصرها الشكلية المتصلة بأشكالها كالحوار والحبكة القصصية للأحداث فيها ، ولكنها تبقى — على أية حال — إرهاصاً لنشأة القصص الفني الذي لم يبلغ شأوه الرفيع أيامئذ بالمفهوم الحديث ، وهو نتاج لم يحقق شأواً رفيعاً من الفن في تلكم الأيام المتقدمة من القرن الرابع الهجري ، فظل يحمل في شكله ومضامينه وبنيته الفنية ما يحمل الارهـاص المبكر في كل شيء من عناصر القوة والضعف والرفعة والانحطاط ، وما يقوي هذا التصور النقدي التشبيه الذي اجترحه أبو السعود بين المقامات وسبحات الخيال في الأدب الانكليزي فهما «كطيران الدجاجة الخفيف مقيساً بتحليق البازي الكاسر» (٢) . ولهذا وجدناه يعد عمل البديع الهمداني فيها غاية ما وصل اليه القصص العربي في أيامه من تطور اجتزىء فيأول طريقه. ولم يتخط المرحلة التالية او يبلغها (٣) .

(١) لجنة من أدباء الأقطار العربية ، المقامة : ١٠ ، وينظر :محمود تيمور ،فن القصة/٣٧ ، فيكتور الكك ، بديعات الزمان/٦٦ ،موسى سليمان ،الأدب القصصي عند العرب /٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٣٩ ، حسني نصار ،صور ودراسات في أدب القصة/١٦ ،آدم متر(ترجمة، محمد عبد الهادي أبو ريدة) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة الاسلامية ٤٦١/١ .

(٢) م/٣٧ –الرسالة– ٧٧٤/٥١ .

(٣) م/٣٣ –الرسالة– ٧٧٤/٥١ ، م/٥٥ –الرسالة– ٦٥٤/١٩٨ .

أما رسالة الغفران التي عدّها طه حسين اول قصة خيالية عند العرب (١). فهي لدى ابي السعود اعظم وأجرأ أثر عربي في هذا الاتجاه باحتوائها من الخيال المتصل ومتعاته مالا نظير له في الأدب كلّه (٢) ، ونظنه :

عنى الأدب الانساني كله بهذا الاعمام ، بيد أنّ غاية مؤلفها لم تكن الخيال او الجمال او القص بالقصد عند الإملاء ، على الرغم من جمال فكرتها ، وامتلائها بالمواقف والمحاورات الممتعة وروائع الصور والأوصاف والتقصيص والفكاهات المكتظة بالأخبار والروايات التي اخترعها الرواة والكتّاب لغلبة العناية فيها بالمسائل اللغوية والنحوية والأدبية النظرية التي وصفها أبو السعود بالعقم (٣) ، وكأنّ هذه العناية هي المقصد الأول فيها ، وتجلت بمظاهر اسلوبية اشار اليها – كما فعل الزيات من قبله ، وبنت الشاطيء من بعده – من اسراف باصطناع الزخرف اللفظي ، والتكلف في صناعة الجمل الموشاة بصنوف البديع مجارياً الفن الشائع في عصره – وهو القرن الرابع الهجري – والحرص على اظهار براعته في ذلك (٤) ، فضلاً عن ابتكار اكثر القواعد المتبعة لهذا النمط من الكتابة (٥) ، مما جعل أبا السعود ينظر اليها كسابق نظرته إلى مقامات البديع ، فيعدها مرحلة في نمو القصص الصحيح الذي يعود إلى القصة الفنية الاجتماعية والتحليلية الحديثة في وقت لم يبلغ فيه الخيال الراقي من الازدهار شأوه البعيد قياساً – كما اسلفنا معه – بسبحات الخيال في الأدب الانكليزي، بيد ان مذهب البديع الهمذاني وأبي العلاء في الخلق

---

(١) طه حسين ، تجديد ذكرى ابي العلاء /٢٣٩ ، وينظر : السباعي بيومي ، تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي /٨٢–٨٤ ، ادوارد أمين البستاني ، ابو العلاء متأمل في الظلمات/١٤٧ .

(٢) م/١ –الهلال– ٩١٤/٧ ، ٩١٥ ، ٣٢/ –الرسالة– ١٤١٤/١٦٥ ،م/٥٥ –الرسالة– ٦٥٤/٩٨ .

(٣) م/٣٣ –الرسالة– ٢٠١ : ٧٧٤ .

(٤) عائشة عبدالرحمن بنت الشاطيء ، الغفران لأبي العلاء المعري /٧٥ .

(٥) الزيات ، في أصول الأدب /٢٤٠ ، ٢٤١ .

الخيالي قد توقف فيما بعد ، ولم يتطور خلال العصور المتعاقبة ، لأنّ الأدباء قد اقاموا في الأنماط التالية كمقامات الحريري وغيرها معارض للزركشة والصنعة اللفظية والألغاز المعماة والحيل اللغوية الملفقة (١) .

ولم يكن أبو السعود مهيأ — فيما نزعم — لمثل هذا التقويم والمقارنة لولا وعيه — كما قال أحد الباحثين — بالموروث وقيمته الفنية جراء الانفتاح على الثقافة الغربية والاطلاع على سبل تجاوزها معهُ (٢) . بانكبابه — كما قال باحث آخر — على دراسة الأدب والحياة الانكليزية وحبّه للأدب العربي القديم ووعيه لكليهما معاً (٣) ، وهو في ضوء ما سبق له من تقويم للعوامل المؤثرة في بنية تاريخ الأدب العربي (٤) ، يجد أنّ الظروف لم تكن ملائمة لتطور القصة العربية إلى الاكتمال والنضج ، لأسباب صاحبت نشأتها فأوقفتها في أول الطريق ، وهي : البيئة ، والدين ، ونزعة المحافظة والتقليد ، وعدم الانتفاع بالآداب الأجنبية وتنصل الأدباء من وظيفتهم الاجتماعية وغلبة الشعر على غيره من الأنواع الأدبية ، وضمور دور المرأة في المجتمع ، مما سنعرض له بالتفصيل فيما يأتي

أولاً : البيئة ، ينطلق أبو السعود في تشخيص اثر هذا العامل من أن البيئة العربية لعبت دوراً في كبح جماح الخيال الواسع لدى أديبها العربي ، فلم تمنحه حب التأمل الذي هو قوام القصص النثرية والشعرية ؛ لأنّ ما كانت تبثه فيه غالباً هو الصحو والسرعة في التحول من غير اطالة المكث في المكان فضلاً عن قلة ما يحجب الأشياء فيها كالضباب ، فيفتح المجال ، لتصورات الأديب وأخيلته كتمثل الاشباح وكل ما يثير في النفس احساساً

---

(١) م/٩ —الرسالة— ٦٦٤/١٩٩ ، م/٣٣ —الرسالة— ٧٧٤/٢٠١ ، م/٥٥ —الرسالة — ١٩٨ . ٦٥٤

(٢) محسن جاسم الموسوي ، الرواية العربية النشأة والتحول /٢٥ .

(٣) علي شلش ، ديوان فخري ابو السعود /٤٤ ، ٤٥ .

(٤) ينظر : المبحث الثاني من الفصل الاول .

بالرهب والوهم والتوجس ، مما تحفل به خرافات الأمم الأخرى وأساطيرها من ذكر للغلس والغسق والضباب (١) ، ومرد هذا إلى بساطة البيئة العربية وحدود ما تقدمه للأديب من مادة تصويرية متنوعة ليشكلها تشكيلات فنية دالة على خصب التصور والتخيل (٢) ؛ ومن هنا نجد مسارعة الأديب — على حد قول أبي السعود — إلى انكار الخوارق ونبذ الأغراب والسخرية من المغربين (٣) ، مما عبّر عنه احد الباحثين بفكرة التصاقها بالجوامد وهي فكرة لا يحملهم الخيال فيها على ارتياد عوالم فسيحة (٤) تزقى فيها الصورة الأدبية ، كالذي نلحظه من سخرية دعبل الخزاعي من قبيلته حين زعموا أنّ احد الأجداد قد حادث ذئباً ، فهو يقول (٥) :

تهتمْ علينا بأنّ الذئب كلمكُم فقد لعمري أبوكم كلّم الذيبا
فكيف لو كلّم الليث المصور ؟ إذن أفنيتُم الناس مأكولا ومشروبا (٦)

فالبداوة والصحراوية أفقان كبحا جماح الخيال الأدبي عند العرب ، فوجدنا الأديب عندهم كثير الالتزام بالواقع المحقق ، شديد الوجازة في الموضوع والأفكار والتعبير عما يحس ، يرسل قوله على السجية أبياتاً محكمة النسج لا يربط فيها حاضراً بماض (٧) ، كان هذا في الشعر ، ومن الأولى أن يكون في القصة أيضاً ، لأنها تحكي عن الحياة باسلوبها السردي ، فحين تشح معطيات الواقع ، لا يتسع المجال لنشأة مادة قصصية تساعد على نشأة

(١) م/٣١ —الرسالة— ١٧٩٢/١٧٤ .
(٢) محمد خير الحلواني ، العرب وآداب اليونان/١١ ، وينظر : محمد مفيد الشوباشي ، القصة العربية القديمة /٩—١٢ .
(٣) م/٣١ —الرسالة— ١٧٩٢/١٧٤ .
(٤) احمد ابو حاقة ، فن الشعر الملحمي /٧٢ .
(٥) م/٣١ —الرسالة— ١٧٩٢/١٧٤ .
(٦) ينظر : شعر دعبل بن علي الخزاعي /٢٣٨ .
(٧) م/٣٢ —الرسالة— ١٤١٥/١٦٥ ، م/٣٣ —الرسالة ٧٧٣/٢٠١—٧٧٥ .

نوع ادبي منضج متكامل كنضج الشعر وتكامله . يضاف إلى هذا أنّ العرب غير شديدي الولوع — كما قال أبو السعود — بتقصي مناظر الطبيعة وتصويرها والتحليق على اجنحة الخيال الرحب (١) ؛ مما يكسر طوق الواقعية التي فرضتها عليهم حياة البداوة في الصحراء .

ثانياً : الدين . الذي طبع كل مرافق الدولة والمجتمع بنزعته التهذيبية ، وحمل الكثير من الأدباء على الأخذ بالأخبار الصادقة عن اسلافهم من الجاهليين والاسلاميين وزهدهم بالأساطير والأحاديث المختلفة وجمحات الخيال (٢)، حتى قال من قال : انه «أضعف من إمكان صنع المعجزات والخوارق المدهشة، وحدّ من قدرة الانسان على الاتيان بما ليس معقولاً او ما ليس في نطاق عمله . ومن هنا ضاق مجال العمل الخارق امام المسلمين » (٣) . على الرغم مما أمدهم به القرآن الكريم من القصص المعجب ، كقصة الجان وائتمارهم بأمر سليمان (٤) ، بيد انّه صرفهم عن اساطير الأولين التي ادعى المشركون الأوائل معرفتها وكانوا يتهمون النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن ما جاءهم به من معجزة القرآن شيء منها (٥) ، ودعاهم إلى النظر في خلق السموات والأرض ، وطلب العلم الصادق الصحيح ، ولكنهم آثروا رواية الأخبار التاريخية والأدبية وحفظوها بما خالطها من التحريف بزعم أنّها حقيقة لااختلاق، فكثرت لديهم كتب التواريخ والسير دون كتب القصص ، وغاية

---

(١) م/٣١ –الرسالة– ١٧٩٢/١٧٤ ، م/٣٢ – الرسالة– ١٤١٥/١٦٥ ، م/٣٣ – الرسالة – ٧٧٥/٢٠١ .

(٢) م/٧ –الرسالة– ١٧٣٧/١٧٣ ، م/٣١ –الرسالة ١٧٩١/١٧٤ .

(٣) أحمد أبو حاقة : فن الشعر الملحمي /١٠٧ ، ١٢٤ .

(٤) سورة النمل ، الآية ١٨ ، وسورة سبأ ، الآية ١٢ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية ٢٥ ، سورة الأنفال ، الآية٣١، سورة النحل ، الآية ٢٤،سورة المؤمنون ، الآية ٨٣ ، سورة الفرقان ، الآية ٥ ،سورة النمل،الآية ٦٨ ،سورة الأحقاف الآية ١٧ ، سورة القلم ، الآية ١٥ ، سورة المطففين ، الآية ١٣ .

ما يذكر منها كما صرح ابو السعود ما حيك حول يوم من أيامهم العظيمة .
أو ما أشيد به بأمجاد قبائلهم . وما أخرج من احاديثهم مخرج الحق .
كالروايات والنوادر التي اخترعها ابن دريد وأطلق لخياله فيها شيئاً قليلاً
من الحرية وقصص بعض أمثالهم كقولهم : «عند جهينة الخبر اليقين» .
و «الصيف ضيعت اللبن» . و «جزاء سنمار» . بل أن اصحاب المقامات
حرصوا على الا يبعدوا كثيراً عما يدخل في حيز الامكان من الأحداث
القصصية التي سردها المتلقون . حتى ان العرب لما اطلعوا على حضارات الأمم
الأخرى من فرس ويونان وهنود لم يتأثروا الا بما صدقوه واستملحوه من
التواريخ والحكم والأمثال، ولم يعن لأحد من ادبائهم ان يستعير من خرافات
أولئك واساطيرهم معاني الجمال والروعة لتكون مادة ثرة لأدبه (١) .

ومما زاد من نفرة العرب من الأساطير جرأة بعض المغرضين على الأحاديث
النبوية بالتقليد والاختراع والتفسير الذي يوافق اهواءهم ويخدم اغراضهم :
وقد أشار ابو السعود أيضاً إلى ان من آثار تحريم الخمر في التعاليم الاسلامية
غلبة سمات التؤدة والصحوة والاحجام عن الخيالات المحلقة في أجواء
الوهم (٢) الذي هو مادة القصة ورفدها الكبير .

ثالثاً : نزعة المحافظة والتقليد ، وسيادة الولع الأدبي بمحاكاة بدائع
المتقدمين واستتبعت هذه النزعة بالبداهة ولعاً بالألفاظ التي استغرقت كل
تفكير الأدباء واجتهادهم والهتهم عن المغامرة الأدبية او الابتكار والتنويع
في الموضوعات والأشكال الجديدة ، ولهذا عدت مقامات بديع الزمان ورسالة
الغفران – كما اسلف واسلفنا معه – سمات القصة الفنية المتكاملة لحرص

(١) م/٣١ –الرسالة– ١٧٩٢/١٧٤ .
(٢) م.ق.ن والصفحة .
(٣) م/١ – الرسالة– ١٧٩٢/١٧٤ ، م/٥٥ –الرسالة– ٦٥٤/١٩٨ .

الكاتبين على الزركشة اللفظية المعجبة المصنوعة ، وكانت هذه السمة المقصد الأول للحريري في محاكاته لمقامات البديع فضلاً عن التقليد في شكل البناء الفني بجعل المقامة — كما قال ابو السعود — دهليزاً إلى القصة — اي مدخلاً اليها — وقصة تبدأ بظهور بطله أبي زيد السروجي الذي لم تتضح شخصيته وتتعدد نواحيها في نصوص الحريري كما اتضحت شخصية أبي الفتح الاسكندري في نصوص البديع (١) . وظلت العقدة الكبرى في وقوف تطور القصة العربية في تقديس الخلف لآثار السلف في الأدب العربي القديم كله ، لسيادة القوالب الأولى التي صب فيها ذلك منذ عصر ما قبل الاسلام . وسيادة فكرة احتذاء تلك القوالب وحدها ، والعمل على ترقيتها وتجميلها بفعل الحضارة دون العمل على اختراع قوالب جديدة (٢) .

رابعاً : عدم انتفاع ادباء العربية من الآداب الأخرى ، فقد رأى ابو السعود أنّ ذلك من العوامل التي حالت دون احتفال العرب بالأساطير والخرافات والقصص المختلفة ، فابتعدوا عن الاطلاع على عوالم الأدب اليوناني والروماني الزاخرين بالحقائق والخيالات والخرافات والأقاصيص العديدة المفعمة بروائع الصور والجمال ، المرصعة باشتات الآراء النقدية والنظرات الثاقبة التي تشغل الناس في شؤون عالمهم وحياتهم الاجتماعية مما هو — عند أبي السعود — مادة الأدب وصميمه (٣) .لأنّ مخيلة اولئك واحساساتهم الفياضة قد أطلت على العالم إطلالة شاملة فنظروا بها إلى الوجود من خلال الأساطير نظرة فنية تشعرنا بتيار الحياة يتدفق ويجيش في كل جانب (٤) ،

---

(١) م/٣١ — الرسالة — ١٧٩٢/١٧٤ ، م / ٥٥ — الرسالة — ١٩٨ / ٦٥٤ .

(٢) أحمد أمين وزكي نجيب محمود ، قصة الأدب في العالم ٤٠٥/١ .

(٣) م/١٧ —الرسالة— ١٩/١٨٣ ، م/٣٢ —الرسالة— ١٤١٥/١٦٥ ، م/٣٣ —الرسالة— ٧٧٥/٢٠١ .

(٤) أبو القاسم الشابي ، الخيال الشعري عند العرب/٤٠ .

ويخفي في ثناياه فكراً وحكمةً وفلسفةً وأدباً متبلوراً ناضجاً (١) ، كثير التفنن وافر الموضوعات في نقد الحياة في اشكالها واحوالها المختلفة (٢) ، مما يستدعي حالة التجديد في اشكال الأنواع الأدبية ، ولو كان العرب قد التفتوا إلى هذا الجانب من الانتفاع بالآداب الأخرى لرحبت آفاق ادبهم ، وبانت مناهجه . وبرزت اشكاله على النحو الذي اخذ يدب في نسيجه الفني الحديث والمعاصر ، بعد ان اتسع ابناؤه في الافادة من النتاج الانساني الشامل ، فبدأ ادبهم بالغنى والتنوع في الأشكال والمواضيع شعراً ونثراً ، فاقتبسوا القصة القصيرة والقصة الطويلة والرواية التمثيلية والمقالة ايضاً ، مما تأتى عن اطلاعهم على الأدب الغربي ، وترجمة الآثار المشهورة فيه ، فوقع في نفوسهم وأدبهم من ذلك اكبر الأسر بقصد وبغير قصد (٣) .

خامساً : تنصل بعض الأدباء من وظيفتهم الاجتماعية ، واستمرار التوجه بأدبهم الى الأمراء دون الشعب مما جعلهم يعيشون جفوة عن المجتمع وقلة تواصل وتجاوب معه في تقلبات عصوره السياسية والاجتماعية والمشاركة بأدبهم في نقد الظروف ومعالجتها وتحليلها واصلاح الفاسد منها ولو فعلوا ذلك لاضطروا الى انتزاع بعض صورهم من خرافات المتقدمين لتصوير حالة مجتمعهم، ولكنهم لم يصوروا مشكلات الشعب أو يعبروا عن مشاعره وحاجاته، أو يحاولوا قيادته والأخذ بيده كما يجب ، فالحريري مثلا حين أطرى بديع الزمان في مقاماته ذكر أنه لم يكتبها بداع نفس دعاه الى تناول مشكلات مجتمعه وقضاياه دراسة وعرضاً وتوجيهاً واصلاحاً، وانما امتثل

---

(١) محمد حمدي ابراهيم ، دراسة في نظرية الدراما الأغريقية/٧ .
(٢) أحمد أمين وزكي نجيب ، قصة الأدب في العالم ٤٣٥/١ .
(٣) م/٨ –الرسالة ١٨٤٠/١٧٥ ، م/١٥ –الرسالة– ٦١٧/٤١ ، م/٣٢ –الرسالة– ١٦٥ ١٤١٥ ، م/٣٣ –الرسالة– ٧٧٥/٢٠١ ، م/٤٦ –الرسالة– ٥٦/٨٠ .

لدعوة أحد الأمراء الى صناعتها ، ومن هنا فهي ليست قصصاً اجتماعيا ومن المحال -كما ذكر أبو السعود- أن تبلغ القصة مراقي القصة الأجتماعية في مجتمع يتنصل فيه الأدباء من مشكلات الشعب ويلوذون بأكناف الأمراء (١)

سادساً: غلبة الشعر على غيره من الأنواع الأدبية، لانه كان أول الوسائل التعبيرية عند العرب، وهو الوسيلة التي استوعبت ملكات نوابغهم ومثقفيهم، وكادت تكون فنهم الوحيد الذي ساد على مادونه من ضروب الأدب والفنون(٢) وقد رأى أبو السعود أن الشعر لو أفسح المجال لغيره لاحتمل ان يلجأ أديب كأبي نواس الى القصص يودعه شتى أخبار لهوه ووقائع غرامه وغور عواطفه ولكن سيادة الشعر جعلته لايتردد في سلوك سبيل الشعر القصصي أو القصص المنظوم شعراً مما سبق اليه عمر بن أبي ربيعة وبقية الشعراء ، وسيادة الشعر وجه من سيادة الأدب جملة عند ابي مسعود ، لأن الأدباء لو وجدوا رواجا في الفنون الأخرى كالتصوير والنحت وغيرهما كرواج الأدب لانصرفوا بها عنه أو لمارسوها معه جنباً الى جنب (٣). أما الشعر فقد كان- كما قال أحد الباحثين- «يغنيهم عن الفنون الأدبية الأخرى غناء كاملا .. وكان يشبع في نفوسهم النزعة التي تنزع بعشاق القصة اليوم الى قراءتها» (٤) . وعلّ هذا الإقرار بمكانة الشعر قد جنى على القصة لأنها معدودة عند البعض أحبولة أكاذيب، ومرتبة من الإنشاء يسيرة يستطيعها كل من رامها، ولاتجعل بالأديب- كما قال أبو السعود-ولا بالأدب الراقي ان يتدليا إليها أو يلهثوا بحوكها،ولم يسلك سبيلها من الأدباء الجيدين الا من كان يبتغي غاية أخرى

(١) م/٥٣ -الرسالة- ١٠٩٢/٥٢ ، م٥٥ -الرسالة- ٦٥٤/١٩٨ .
(٢) م/٥٣ -الرسالة- ١٠٩٢/٥٢ ، ١٠٩٣ .
(٣) م/٥٣ -الرسالة- ١٠٩٢/٥٢ ، ١٠٩٣ .
(٤) ثروت اباظة ، القصة في الشعر العربي / المقدمة .

دونها كالاعتبار بها والصناعة البلاغية (١) التي يمكن ان تتسع فيها كما رأينا في المقامات ورسالة الغفران. ولهذا تبدو القصة وكأنها لم تكن عندهم من جوهر أدبهم، فتخلى عنها كبار الأدباء إلى الوعاظ وكتاب السير والوصايا، ليرسلها هؤلاء روايات وشواهد قصيرة على وصاياهم وحكمهم (٢).

سابعاً: ضمور دور المرأة في المجتمع، وهو دور غائب فبأمتداد التسري والأختلاط المختلف الأجناس انتشر التسري والعبث والفساد، وضرب الحجاب على المرأة، وخيم عليها الجهل، فاعتزلت المجتمع، فاتسع المجال لأنتاج أدب بذيء كأشعار بشار بن برد وأبي نواس واضرابهما (٣) لم يكن فيه للمرأة تأثيرها المرقق للشعور المتسامي، والقصة لن توجد في الأدب كما قال أحد الباحثين الا بوجود المرأة ولن تكون الا إذا رأوها بحرية وصراحة، فهي في جميع الاداب موقوفة عليها (٤) ورأى أبو السعود أن اخراج القصة الفنية لايتم الا بها تلك القصة التي تنتجها المرأة، وتعنى فيها بدراسة المجتمع وتشرح عواطف الحب، وتقدس الزواج، وتتقصى تفاصيل الحياة بحركاتها وسكناتها، وتتابع حوادثها، فتكون خير مجالاتها للتعبير عن خوالجها وملكاتها ومنازعها، لأن لطف نفسها، ودقة ملاحظتها يمكنانها من فهم نزعات الأشخاص والإلمام بالأشياء، فضلاً عما لها من الخبرة في مجالات الحياة وشؤون الأجتماع والمعاملات والأحاديث، زد على هذا مايتاح لها في القصة من التعبير على ألسنة الغير من نزعات الحب وأطوار وأحواله مما لايستساغ منها لو أزمعت ارساله شعراً

(١) م/٥٣ -الرسالة- ١٠٩٢/٥٢.
(٢) محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن /٢٢٠
(٣) م/٥٥ -الرسالة- ٦٥٤/١٩٨.
(٤) أنور الجندي، خصائص الأدب العربي /٣٢١.

ويتضح من هذا: أن رقي أدب المرأة رهين برقيها في المجتمع، والنهضة أليق بطباعها وأمزجتها عند أبي السعود، لأن الشعر محتاج إلى قوة وفخامة وشمول نظرة واتساع أفق وأخيلة جامحة لاتتوفر لكثير من النساء، بعد أن كان الشعر خير مجال نبغت فيه المرأة العربية في صدر التاريخ الأدب العربي وأخرجت فيه أحسن آثارها في تطورها الأول (١)، وتتسع نظرة أبي السعود في هذا الجانب حين يشير الى تقصير المرأة العربية في الانتاج الأدبي، وإلى ضآلة أثرها في الأدب بوجه عام إذ قيس بأثر الرجل فيه واتساع أغراضه، ومنها ما أنشأه حول المرأة نفسها من أدب، وماذالك الا لحرمانها من عوامل مساعدة كانتشار العلم العام والدراسة الأدبية التي يمكن ان تعبر بها النسوة على تباين طبقاتهن وتعدد طبائعهن، فضلاً عن غياب في القصة (٢) الذي يمكن ان يتسع للأدب النسوي — كما أسلفنا — أكثر من اتساع الشعر.

ومما تقدم كله يتضح لنا اثر العوامل التي جعلت القصة العربية القديمة تقف عند حدود الارهاصات الأولى للقصص الاجتماعية والنفسية دون أن تعقب ذلك خطوة تالية تجعلها مادة لأدب فصيح يرتفع فيه الخيال ويتسع إلى ابعد من الخيال المعتمد على الخرافات والحكايات التي تتقاوضها العامة عن الأحوال الغابرة والدول المنقرضة، فتبدو وكأنها ابواق او معارض للسياسة التي تنفث في اغراضها وغاياتها، حتى سنحت الفرصة لتدوين قسم منها، وبقي القسم الآخر يتداول شفاها (٣) مثل الف ليلة وليلة، وعنترة، والمهلهل، وسيف إبن ذي يزن، ومنها ما احتوى على الحكم كما في شخصية جحا الخيالية وحكاية

---

(١) م/١٠ —الرسالة— ٩٨١/٢٠٦ ، م/٢د —الثقافة— ١٩/١٠٦ ، م/٥٨ —الثقافة— ٣٠/٣ .

(٢) م/١٠ —الرسالة— ٩٨١/٢٠٦ ، م/٥٥ —الرسالة— ٦٥٤/١٩٨ ، م/٥٨ —الثقافة— ٣٠/٣ .

(٣) م/٣١ —الرسالة— ١٧٤ : ١٧٩٢ ، م/٣٢ —الرسالة— ١٤١٥/١٦٥ ، م/٣٦ — الرسالة ٢٩٧/١٩٠ .

علي بابا واللصوص الأربعين (١) ، وهي قصص شعبية تعج – كما ذكر أبو السعود – بأقاصيص الأمم القديمة وأخبار الرحلات الجديدة ووقائع الأبطال والغازين ومخاطرات التجار والملاحين ونوادر الظرفاء والمعتوهين والأساطير والخرافات المحكية عن المردة والسحرة ومنها ما يحكى على السنة الحيوان . فلقد ضمنت العامة هذه القصص افكارها وآمالها وثقافتها على ما يكسوها من مسحة القصور والسذاجة والجهل ، وعلى ما يشوب بعض المواقف فيها من شهوات الحس والفحش ، وهي على عاميتها وركاكة اسلوبها غنية بالأوصاف الممتعة المسهبة ، وروائع المشاهدات والمرئيات والمناظر التي رآها الحاكي في أسفاره ، فضلاً عما عرضته من صور المجتمع وآثار الخيال الذي ذكر أبو السعود أنه يعوز أدبنا العربي الفصيح طُرّه (٢) .

ومن هذا نستنتج ان الأدب العامي اشتق من مكنونات أزلية قديمة تجتمع فيها أمشاج من الخرافات والأساطير للوقائع البطولية والمأثورات والحكايات الشعبية التي تكفيها العامة شكلاً ومضموناً بما يلائم بيئتها (٣)، وتبوح فيها بما لايبوح به الأدب الفصيح من الروعة والجمال والمتعة والعبقرية والخيال والصدق في المشاعر ، وهي تتسم في البيئة العربية روائح الشرق وبذخه وكنوزه وغرائبه المخلدة المقربة الى نفوس الشعب والى الأمم الأخرى التي أعجبت به ودرسته وحاكته وترجمته الى لغاتها ، فقد فطن اليه الأوربيون في

---

(١) م/٣١ –الرسالة– ١٧٤٢/١٧٤ ، م/٣٦ –الرسالة– ٢٩٦/١٩٠ ، م/٣٩ – الرسالة – ١٠١٣/٢٠٧ .

(٢) م/٣١ –الرسالة– ١٧٩٢/١٧٤ ، م/٣٣ –الرسالة– ٧٧٥/٢٠١ ، م/٣٦ – الرسالة – ٢٩٨/١٩٠ ، م/٥٣ –الثقافة– ١٠٩٢/٥٢ .

(٣) فروزيش ديرلاني ،الحكاية الخرافية نشأتها ومناهج دراستها وقيمتها/٤٠ . ١٣٨ ،وينظر : أحمد أبو سعد ، فن القصة ٣٩/١ ،فاروق خورشيد ومحمود ذهني،فن كتابة السيرة الشعبية /٣٨ .

عهد الحروب الصليبية وراحوا يحاكونه في آدابهم الشعبية، وعرفوا فضل إدخاله بوصفه عنصراً رومانسياً في آدابهم العالية. فتلك الأقاصيص الشعبية — كما ذكر أبو السعود — هي نواة الأدب الاسباني الحديث في عهد النهضة الأوربية المتمثل بقصص سرفانتس. فضلا عن تأثيرها في الاداب الفرنسية والأنكليزية وانتقالها فيما بعد الى جنوب فرنسا ثم الى ايطاليا ليستخدمها بوكاشيو وبترارك ودانتي (١)، بل لقد كان دخول تلك القصص بالترجمة إلى البيئة الأسبانية بدءاً التحول الشعر الغزلي الى قصص تتناول حالات الحب وأحوال العشاق استعار كتابها مواضيع وأساليب عربية مما آذن بعهد نهضة أدبية (٢)، ولقد صرح أبو السعود بما كان لقصص ألف ليلة وليلة من مكانة في الغرب، فقد أقتبسها وترجمها من لم يسمع بحكم المتنبي وأمثال أبي تمام الطائي وبديع الزمان وابن المعتز. ووجد فيها بغيته بعد أن صده عن دراسة الأدب العربي الفصيح والانتفاع بما حوته نصوصه من غرابة وتكلف في المعاني وزخرفة لفظية. مما عزاها الأوربيون الى اختلاف في العقلية، وأرجعه أبو السعود إلى ماخالط الأدب العربي الفصيح من تقاليد جامدة أشبه ماتكون بالرموز الدينية المغرية التي لاتعبر عن مشاعر النفس الأنسانية الشرقية والغربية على حد سواء (٣).

وهو بهذا يريد الوصول الى نفي الاثر الفكري المزعوم بين رسالة الغفران للمعري والكوميديا الالهية لدانتي، وبين قصة حي بن يقظان وقصة روبنسون كروزو، وعنده أن هذا التأثر لو كان حاصلا فعلا لما اقتصر على هذين المثالين حسب، وهو لم ير بين الكوميديا والغفران الا التشابه في

(١) م/٢١ —الرسالة— ١٨٦!/١٢٣ .
(٢) مجلة التراث الشعبي ،الحكاية الشعبية العربية وأثرها في الحكاية الأجنبية ، كاظم سعدالدين ع٩ ، السنة الحادية عشرة ، ١٩٨٠م ، ص٥٦ ، ٥٧ .
(٣) م/١٤ —الرسالة— ١٨٤/٨= م/٣١ —الرسالة— ١٧٤/١٧٩٤

اتخاذ عالم الاخرة والجنة والنار مشهداً للرحلة ووقائعها. أما ماعدا ذلك فالفكرة في العملين انسانية بدهية طرأت على الفكر في شتى عصوره وأصقاعه (١)، واشتركت بها البشرية منذان سمعت بأن هناك عالماً آخر راحت تتمثله وتتصوره وتقوم برحلات خيالية إليه قبل ان يولد أبو العلاء بأزمان مما عرضته الأديان بتفصيل لايدع السبيل الى إيثاره به، (٢) ويقال مثل هذا عن الفكرة الانسانية المشتركة بين قصتي حي بن يقظان وروبنسون كروزو وقد عدهما أبو السعود أثرين فلسفيين لأدبيين (٣)، كما عرج الى التصاقب والتماثل بين حكايات شذاذ العرب (ونظنه : قد عني بهم حكايات الصعاليك) وحكايات روبن هود وأصحابه، ولم يرأي صدى للأولى في الثانية على وجه المحاكاة أو الاقتباس لأن التباعد التاريخي بينهما يضعف أن يكون ثمة شيء من ذلك (٤).

ومما يتصل بهذا كله اشارة أبي السعود الى موقف أدباء العربية المستخف بالأدب الشعبي العربي خلافاً لمواقف الأدباء الأوربيين من آدابهم الشعبية. فالمسعودي وابن النديم اللذان اطلعا على قصص الف ليلة وليلة لم يخطر لهما أن فيها مادة لعبقرية الأديب أو لقاحاً للأدب، لأنها وأمثالها - كما ذكر بعض ابناء جيل أبي السعود - أدب رآه أدباء العربية شعبيا وضيعا، مما حملهم على عدم تقديره كما قدره الأوربيون (٥) الذين عجبوا به، وترجموه الى

(١) م/٢١ -الرسالة- ١٣٣/١٨٦ .
(٢) عائشة عبدالرحمن بنت الشاطىء ، الغفران لأبي العلاء المعري /٣٣١ ، وينظر : محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ١٥٣/ ، ١٥٨ .
(٣) م/٢١ -الرسالة- ١٣٣/١٨٦ .
(٤) م/٣١ -الرسالة- ١٧٩٢/١٧٤ .
(٥) أحمد أمين وزكي نجيب محمود ، قصة الأدب في العالم ٢٢٣/٣ .
وتنظر : مجلة الحديث ، خواطر حول الف ليلة وليلة ، الاستاذ صديق شيبوب ، ع ٤ ، السنة ٢٠ ، ١٩٤٦ ، ص٥٣ .

لغاتهم، وأفادوا منه الشيء الكثير ،ومرد الفرق بين الأدب الفصيح والأدب الشعبي عند أبي السعود الى الهوة التي بينهما، فالأدب الشعبي لايتسق مع الأدب الفصيح في لغته وموضوعاته، فضلا عن اتسامه بالسذاجة التي لايليق بالأديب الفصيح ان يحوك على نسجها، والسخرية التي وجهت الى الأقاصيص الشعبية في القرن الرابع الهجري ابان سيادة الصناعة اللفظية على الاساليب والروح التي حركت الأدباء على تقليدها والمحافظة عليها، وأن كان نتاج هذا التقليد عملا بالغ التكلف، على خلاف الأدب الشعبي الذي نها عن أساليب الأولين، فكان هذا مدعاة لاستهجانه والحط من قيمته الفنية، ناهيك عن تعلق الأدباء- كما ذكر أبو السعود - بأهداب الملكية المطلقة ابتغاء للنوال مما جعل أدبهم الفصيح يحفل بذكر علية القوم ويشمخ عن ذكر حياة العامة والسوقة والدهماء، لأنه لايرى فيها وحياً للقول أو موضوعاً للتفكير (١) ، وأراد من هذا الكشف عن حقيقة الخسارة التي ترتبت على الأدب العربي حين غلب فصيحه على شعبيه الممتع الملهم المقترب من الطبيعة والصدق والمتسع لمناحي التفكير، وتمنى لو أن ادباء العربية قد فطنوا إلى هذا الأمر ليأخذوا بيد القصة ، ويرفعوها من وهدتها العامية ، ليجعلوها لغة الفكر المثقف ، وليغنموا بها فناً يشهد به الأدب العربي حياة ونهضة جديدة (٢) .

---

(١) م/١٤ -الرسالة- ٥٦/١٨٤-٥٨ .
(٢) م/١٤ -الرسالة- ٥٧/١٧٤-٥٨ .

المصادر والمراجع

١ ــ ابو العلاء المعري متأمل في الظلمات، أدوارد أمين البستاني، بيت الحكمة، بيروت ١٩٧٠ .

٢ ــ الأدب القصصي عند العرب، موسى سليمان ، ط٤، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٩.

٣ ــ الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال ،ط٥، دار العودة ودار الثقافة بيروت بلا تاريخ .

٤ ــ الأساطير ــ دراسة حضارية مقارنة ــ ، د. أحمد كمال زكي، ط١ دار العودة، بيروت ١٩٧٩ .

٥ ــ أساطير العالم القديم، صموئيل نوح كريمر، ترجمة: أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٤٧ .

٦ ــ أساطير ملهمة، زكي المحاسني، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠ .

٧ ــ الاساطير والخرافات عند العرب، محمد عبد المعيد خان، ط١ . دار الحداثة للطباعة والنشر . بيروت ١٩٨١ .

٨ ــ الأسطورة، د. نبيلة ابراهيم، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد . ١٩٧٩ .

٩ ــ الأسطورة لـ ك. ك. راثفين، ترجمة :جعفر صادق الخليلي، ط١ . منشورات : عويدات ، بيروت ١٩٨١ .

١٠ ــ الأسطورة في الشعر العربي الحديث . د . أنس داود ، دار الجيل للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٥ .

١١ ـ بديعات الزمان، فكتور الكك، ط٢، مطبعة دار الهلال، القاهرة ١٩٤٨ .

١٢ ـ البطل في الأدب والأساطير ،د. شكري عياد ،ط٢ ،دار المعرفة ، القاهرة ١٩٧١ .

١٣ ـ تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي، السباعي بيومي، ط١ ،مكتبة الانجلو المصرية ، مصر ١٩٥٦ .

١٤ ـ تجديد ذكرى ابي العلاء ، د. طه حسين ، ط٨ ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧٦ .

١٥ ـ الجن في الأدب العربي، نهاد توفيق نعمة، المطبعة المخلصية، صيدا ١٩٦١ .

١٦ ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة الاسلامية آدم متز ، ترجمة: عبد الهادي ابو ريدة، ط٤ مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٦٧ .

١٧ ـ الحكاية الخرافية نشأتها ومناهج دراستها وقيمتها، فروريش فون ديرلاني، ترجمة: د. نبيلة ابراهيم و د. عز الدين اسماعيل، ط١ دار العلم، بيروت ١٩٧٣ .

١٨ ـ الحكاية والانسان، يوسف أمين، مطبعة الجمهورية، بغداد ١٩٧٠.

١٩ ـ خصائص الأدب العربي، انور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت بلا تاريخ .

٢٠ ـ الخيال الشعري عند العرب، ابو القاسم الشابي، ط٣، الدار التونسية للنشر ،تونس ١٩٥٨ .

٢١ — دراسة في الأدب العربي. د. مصطفى ناصف. ط٤. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت ١٩٨١ .

٢٢ — دراسات في الاساطير والمعتقدات الغيبية، صالح بن حمادي، ط ١ دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع : تونس ١٩٨٣ .

٢٣ — دراسة في نظرية الدراما الأغريقية، محمد حمدي ابراهيم، دار. الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧١ .

٢٤ — الدولة والأسطورة، ارنست كاسيرر. ترجمة: أحمد حمدي محمود الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٥ .

٢٥ — ديوان امرىء القيس، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم . الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥ .

٢٦ — ديوان فخري أبو السعود، جمع وتقديم وتحقيق، د. علي شلش. الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨٥ .

٢٧ — الرواية العربية، النشأة والتحول، د. محسن جاسم الموسوي ط١ : منشورات مكتبة التحرير : بغداد ١٩٨٦ .

٢٨ — الشعر العربي المعاصر وقضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. د. عزالدين اسماعيل، ط٢ ، دار العودة، بيروت ١٩٧٢ .

٢٩ — شعر دعبل الخزاعي، صنعه: د. عبد الكريم الاشتر، القاهرة ١٩٦٤

٣٠ — صور ودراسات في أدب القصة، حسني نصار . مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٧ .

٣١ — العرب وأدب اليونان، محمد خير الحلواني، نشر المكتبة العربية . حلب ١٩٦٩ .

٣٢ – الغفران لأبي العلاء المعري، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء ، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٤ .

٣٣ – فجر الإسلام، د. أحمد أمين. في الحياة العقلية، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٥ .

٣٤ – فن الشعر الملحمي، أحمد ابو حاقة، ط١ ،منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ١٩٦٠ .

٣٥ – فن القصة، أحمد ابو سعد، ط١، دار الشروق الجديد، بيروت ، ١٩٥٩ .

٣٦ – فن القصة، محمود تيمور، ط٢، مطبعة دار الهلال، القاهرة ١٩٤٨.

٣٧ – فن كتابة السيرة الشعبية ، فاروق خورشيد ومحمود ذهني ، ط٢ منشورات إقرأ، بيروت ١٩٨٠ .

٣٨ – في أصول الادب ، احمد حسن الزيات، ط٢ ،مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٤٦ .

٣٩ – في طريق الميثوبولوجيا عند العرب– بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العربية قبل الاسلام ، محمود سليم الحوت، ط٢، دار النهار للنشر ،بيروت ١٩٧٩ .

٤٠ – قصة الأدب في العالم، د. أحمد أمين وزكي نجيب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٣ .

٤١ – القصة العربية في العصر الجاهلي، عبد الحليم محمود، دار المعارف القاهرة ١٩٧٥ .

٤٢ ـ القصة العربية القديمة، محمد منيد الشوباشي، مطابع دار العلم القاهرة ١٩٦٤ .

٤٣ ـ القصة في الشعر العربي، ثروت أباظة ، مطابع دار المعارف،القاهرة ١٩٧٧ .

٤٤ ـ مضمون الأسطورة في الفكر العربي، خليل أحمد خليل، ط٢ ، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠ .

٤٥ ـ المفصل في تأريخ العرب قبل الأسلام ،د. جواد علي ،ط١، دارالعلم للملايين ،بيروت ١٩٧١ .

٤٦ ـ المقامة، لجنة من ادباء الأقطار العربية ، ط٣ ،دار المعارف، القاهرة ١٩٧٣ .

٤٧ ـ نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، لابن سعيد الاندلسي ، تحقيق د. نصرت عبدالرحمن ، مكتبة الاقصى ، عمان ١٩٨٤ .

٤٨ ـ نظرية الادب ، اوستن وارين ورينيه ويليك ، تحقيق : محيي الدين صبحي ، مطبعة خالد الطرابيشي ، دمشق ١٩٧٢ .

٤٩ ـ النقد الادبي الحديث ، ستانلي هايمن ، ترجمة : د. احسان عباس ويوسف نجم ، ط٣ ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٨ .

٥٠ ـ الوظيفة بين الاسطورة والمسرح ١٩٣٣ ـ ١٩٧٠ . احمد شمس الدين الحجاجي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٥ .

اولا : مقالات فخري ابي السعود مع رموزها (..) المستعملة في هوامش البحث :

١ — ابو العلاء بين شعراء العربية ، مجلة الهلال ، ع ٧ ، السنة ١٩٣٨ (الرقم الرمزي : (١)

٢ — اثر الدين في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٧٣ ، السنة ١٩٣٦ (٧)

٣ — اثر الفنون في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٧٥ ، السنة ١٩٣٦ (٨)

٤ — اثر المجتمع في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٩٩ لسنة ١٩٣٧ (٩)

٥ — اثر المرأة في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ٢٠٦ ، السنة ١٩٣٧ (١٠)

٦ — الادب العربي والادب الغربي على ذكر رواية خسرو وشيرين ، مجلة الرسالة ، ع ٤١ ، السنة ١٩٣٤ (١٥)

٧ — الادب العامي في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٨٤ ، السنة ١٩٣٧ (١٤)

٨ — اشكال الادب في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٨٣ ، السنة ١٩٣٧ (١٧)

٩ — التأثير في الاداب الاخرى في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٨٦ ، السنة ١٩٣٧ (٢١)

١٠ — الحكمة في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ٢٠٧ ، السنة ١٩٣٧ (٣٠)

١١ — الخرافة في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٧٤ ، السنة ١٩٣٦ (٣١)

١٢ — الخيال في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٦٥ ، السنة ١٩٣٦ (٣٢)

١٣ — الخيال في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ٢٠١ ، السنة ١٩٣٧ (٣٣)

١٤ — الرحلة في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٩٠ ، السنة ١٩٣٧ (٣٦)

١٥ — الرومانسية والكلاسيكية في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٩٢ ، السنة ١٩٣٧ (٣٧)

١٦ — شخصيات الادباء في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٧٦ ، السنة ١٩٣٦ (٣٩)

١٧ — الشعر والنثر في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٩٦ ، السنة ١٩٣٧ (٤١)

١٨ — الطبيعة في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٧٢ ، السنة ١٩٣٦ (٤٢)

١٩ — الطير والحيوان في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٩٤ ، السنة ١٩٣٧ (٤٥)

٢٠ — ظواهر متماثلة في تاريخي الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ٨٠ ، السنة ١٩٣٥ (٤٦)

٢١ — القصة (نظرات في الادب الغربي) ، مجلة الثقافة ، ع ١٠٦ ، السنة ١٩٤١ (٥٢)

٢٢ — القصة في الادب العربي ، مجلة الرسالة ، ع ٥٢ ، السنة ١٩٣٤ (٥٣)

٢٣ — القصص في الادبين العربي والانكليزي ، مجلة الرسالة ، ع ١٩٨ ، السنة ١٩٣٧ (٥٥)

٢٤ — المرأة والادب (نظرات في الأدب الغربي) ، مجلة الثقافة ، ع ٣ ، السنة ١٩٣٩ (٥٨)

ثانياً : المقالات

١ — اثر القصة في تربية الشعب ، محمود تيمور ، مجلة المشكوف ع ٣٦١ ، السنة العاشرة ، القاهرة ١٩٤٤

٢ — الحكاية الشعبية واثرها في الحكاية الاجنبية ، كاظم سعدالدين ع ٩ ، السنة الحادية عشرة ، بغداد ١٩٨٠ .

٣ — خواطر حول الف ليلة وليلة ، صديق شيبوب ، مجلة الحديث ع ١ ، السنة ٢٠ ، القاهرة ١٩٤٦ .

المراجع الاجنبية :—

1– Adventures in English Literature, New York Harcourt Brace Jononovich, Inc. 1969.

«هن عوادي يوسف» لابي تمام الطائي
– دراسة بلاغية في متنها الشعري –

احمد فتحي رمضان
كلية الاداب – جامعة الموصل

تقديم :

يحاول التقديم الإجابة عن هذه الأسئلة الثلاثة :

١ – ما المقصود بالدراسة البلاغية ؟
٢ – لماذا أبو تمام دون غيره من الشعراء ؟
٣ – تعريف بالقصيدة : « هن عوادي يوسف»

١ – ان الدراسة البلاغية لهذه القصيدة (هن عوادي يوسف) تستقى من القصيدة نفسها، من بنائها اللغوي الذي تشكلت فيه، وقد امتازت لغتها الشعرية لفظاً ومعنى ونظما وموضوعاً ببلاغتها المتميزة .

وحينما نقوم بدراسة بلاغية لنص أدبي ما، فإنما نهدف من ذلك تحقيق هدفين أحدهما عام: هو ملاحظة احتضان الفن البلاغي للأفكار على نحو متناغم، تتجلى الأفكار من خلال ذلك الفن ذات ايحاء وحيوية وقوة تأثير وثانيهما: إن الفن البلاغي ليس فناًتجريدياً يراد لذاته بل هو جزء من بناء ابداعي له أهدافه ودلالاته ولاسيما حين يكون في نص ابداعي لشاعر كبير مبدع .

والبلاغة التي نعنى بها هي كل الأدوات البلاغية التي تعمل على الوصول إلى درجة الابداع والابتكار والتميز « فالتشبيه بديع . والجناس بديع . والاستعارة بديع ، والبلاغة بديع ، والبديع هو الأسلوب المبتدع المميز البليغ . الأسلوب المتميز ، المبتكر ، الممتع المفيد ، والكلمة تكون بديعة اذا أحسن أختيارها ، وأجيد تحديد موضعها ، وأتقن ابراز طاقاتها . حتى تلتحم بمثيلاتها ومن الكلمة تتكون الجملة ، ومن الجملة تتكون الجمل ، ومن الجمل يتكون البيت في القصيدة ، ومنها يتكون كل عمل فني رفيع »(١) .

فالفنون البلاغية كلها بديعية اذا توافر لها الأبتكار والتميز والأبداع وبهذا المفهوم للبلاغة ، فإنها تتخذ معنى شاملا متكاملا ، فهي تعني الوفاء با لمعنى والامتاع بالجمال ، أي القدرة الفنية والجمالية في توصيل المعاني والأفكار الى المتلقي ، وقدرتها في التأثير وتحقيق الأستجابة النفسية فيه .

ان الفنون البلاغية في نسيج النص الأدبي تشير الى درجة خاصة من التميز لايقدر عليها الا الفنان المتميز ، اذ تتيح له هذه الفنون توصيل التجربة الشعورية توصيلا فنياً جمالياً مؤثراً ، اذ أن « البنية اللغوية لنص أدبي ما . ونظــامـه التركيبي ، وطريقة تشكل شرائحه الأساسية هي المنابع الحقيقية الأصيلـــة للدلالات الفنية التي تبلور الرؤية العميقة الكامنة في بنية التجربة الشعرية »(٢) .

وبذلك تكون المصطلحات البلاغية في التحليل البلاغي للنص الأدبي ليس أكثر من دلائل لاستكشاف الجمال الأدبي ، اذ تكون « للنص الأدبي الأهمية القصوى ، أما القاعدة ، أو المقياس ، أو صور التعبير ، أو ما اصطلح علـى تسميته بالمصطلحات البلاغية ، فما جاءت الا لتعين على تذوق الجمال فـي

(١) البديع تأصيل وتجديد ، د. منير سلطان ، ص١٢ .
(٢) جدلية الخفاء والتجلي ، كمال أبو ديب ، ص١٧٦ .

النصوص الأدبية. ان المصطلح البلاغي رائد لأستكشاف الجمال» (١) في النص الأدبي :

إنها (الصور البلاغية) موظفة أساساً لخدمة المعنى. بغيرها نفقد كثيراً من الحسن والجمال الثمني (٢) .

وهذا المفهوم للدراسة البلاغية هو الذي سيعنى به البحث، محاولة لإغناء المنهج التحليلي الذي يقف على مكنونات النص الأدبي من فن وجمال بما يثري الفكر والشعور ويقف بالمتلقي على روافد الجمال والذوق في تلقيه المعاني .

وما أحوج الدرس البلاغي لهذا المنهج الذي يقترب من اسرار النص ذوقاً وعلماً وفناً وجمالاً ...

٢ — وقد وقع الأختيار على الشاعر أبي تمام (ت: ٢٣٢ هـ) ، لأنه يمثل أبرز الشعراء الكبار الذين أفادوا من الفنون البلاغية بوعي حضاري استوعب معطيات التطور الثقافي في البيئة العربية، حيث يظهر في شعره تلك الفنون البلاغية الابداعية وقد وظفها — على الأغلب— توظيفاً فنياً جمالياً أغنت شعره معاني وصوراً فنية جميلة توصل تجاربه الشعورية الى المتلقي بطريق الحسن المترع بالحيوية والفن والجمال .

٣— ومن ضمن شعره هذا ، قصيدة : «هُنَّ عوادي يوسف» ، —موضوع البحث—، فهي قصيدة مديح قالها في مدح :(عبدالله بن طاهر)(٣)

(١) البلاغة العربية -تأصيل وتجديد- . د. مصطفى الصاوي الجويني ، ص٥ .
(٢) ينظر : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(٣) ديوان أبي تمام ٢١٦/١ وما بعدها . وعبدالله بن طاهر :من أشهر الولاة في العصر العباسي وقد ولاه المأمون خراسان ،وللمؤرخين اعجاب بأعماله وثناء عليه.وهو من أكثر الناس بذلا للمال ، مع علم ومعرفة وتجربة ، وكان عالي الهمة شهماً ،وكان المأمون كثير الأعتماد عليه . وقد أكثر الشعراء في مراثيه» ينظر :الكامل في التاريخ ،لابن الأثير : ١٣/٧ وما بعدها. وتاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي : ٤٨٣/٩ ومابعدها .

هُنَّ عوادي يوسفٍ وصواحبـه ... فعزْماً فقدماً أدرك السؤْلَ طالبه

إذا المرءُ لم يستخلص الحزم نفسه ... فذُروته للحادثـات وغاربه

أعاذلتي ماأخشن الليل مركبـاً ... وأخشنُ منه في الملمات راكبه

ذريني وأهوال الزمان أُفانهـا ... فأهوالُهُ العظمى تليها رغائبُهُ

ألم تعلمي أنَّ الزماع على السُّرى ... أخو النجح عند الحادثات وصاحبه

دعيني على أخلاقي الصيمِّ للتـي ... هي الوفرُ أو سربٌ ترنَّ نوادبه

فإنَّ الحسام الهندواني إنّمـا ... خشونتُهُ مالمْ تُفلَّلْ مضاربه

وقُلقل نأيٌ من خُراسان جأشها ... فقلتُ : اطمئني أنضرُ الروض عازبه

وركْبٍ كأطرافِ الأسنّةِ عرسوا ... على مثلها ، والليل تسطو غياهبه

لأمرٍ عليهم أنْ تتمَّ صدورُهُ ... وليس عليهم أن تتمَّ عواقبُه

على كلِّ رُوّادِ الملاطِ تهدَّمتْ ... عريكتُهُ العلياء وآنضمَّ حالبُه

رعتْهُ الفيافي بعدما كان حقبةً ... رعاها وماءُ الروض ينهلُّ ساكبه

فأضحى الفلا قد جد في بري نحضه ... وكان زماناً قبل ذاك يلاعبُه

فكم جذعٍ وادٍ جبَّ ذروة غارب ... وبالأمس كانت أتمكتْهُ مذانبه

إليك جزعنا مغرب الملكِ كُلما ... وسطنا ملاً صلتْ عليك سباسبه

فلوْ أنَّ سيراً رُمنَه فاستطعْنه ... لصاحبْننا شوقاً إليك مغاربُه

إلى ملكٍ لم يلقِ كلْكَلَ بأسه ... على ملكٍ إلاّ وللذُلِّ جانبُه

إلى سالب الجبّار بيضة ملكِه ... وآملُهُ غادٍ عليه فسالبُه

وأيُّ مرامٍ عنه يعدو نياطُه ... عدا أو تفلُّ الناعجاتِ أخاشبه

وقد قربَ المرمى البعيد رجاؤه ... وسهّلَتِ الأرض العزاز كتائبه

إذا أنت وجهت الركاب لقصده   تبيَنْت طعم الماء ذو أنت شاربه

جدير" بأنْ يستحيي الله باديـــاً   به ثمَّ يستحيي الندى ويراقبُهُ

سما للعلى من جانبَيْها كليْهما   سموَّ عبابِ الماء جاشتْ غواربُهُ

فنوّل حتى لم يجدْ منْ يُنيلُــهُ   وحارب حتى لمْ يجد من يحاربه

وذو يقظاتٍ مستَمرٍّ مَريرُهــا   إذا الخطبُ لاقاه اضمحلتْ نوائبه

وأين بوجه العزمِ عنه وإنّمــا   مرائي الأمورِ المشكلاتِ تجاربُهُ

أرى الناس منهاجَ الندى بعدماعفت   مهايعُهُ المثلى ومحّتْ لواحبُه

ففي كلِّ نجدٍ في البلادِ وغائرٍ   مواهبُ منه وهي ليست مواهبُه

لتحدِثْ له الأيامِ شكْر خَناعة   تطيبُ صبا نجدٍ به وجنائبُهُ

فوالله لو لم يلبس الدهرُ فعلَــهُ   لأفسدتِ المــاء القَراح معائبُـهُ

ويا أيُها الساري فسرْ غير حـاذرٍ   جنان ظلامٍ أو ردىً أنت هائبه

فقد بثَّ عبدُالله خوف انتقامه   على الليلِ حتى ماتَدبُّ عقاربُهُ

يقولون : إنَّ الليث ليثُ خَفَيَة   نواجذُهُ مُطـرَّرة" ومخالبُـهُ

وما الليثُ كلَّ الليثِ إلا ابن عثرة   يعيشُ فواقَ ناقَة وهو راهبُهُ

ويومٍ أمامَ الموتِ دحضٍ وقفْتــهُ   ولوْ خرَّ فيه الدينُ لانهال كاثبه

جلوت به وجه الخليقةِ والقنــا   قد اتسعتْ بين الضلوعِ مذاهبُهُ

شفيت صداه والصّفيحُ من الطُّلى   رُواء" نواحيهِ عذابٌ مشاربُـهُ

ليالي لم يقعُدْ بسيْفك أن يرى   هو الموتُ ، إلا أنَّ عفوك غالبه

فلوْ نطقَتْ حربٌ لقالتْ محقة ً   ألا هكـذا فليكسِبِ المجـد كاسبه

ليُعلم أنَّ الغُرَّ من آلِ مصْعبٍ   غداة الوغى أهل الوغى وأقاربه

كواكبُ مجدٍ يعلمُ الليلُ أنها   إذا نجمتْ باءَتْ بصُغْرٍ كواكبه

ويا أيُها الساعي ليُدرِك شأوه   تزحزحْ قصياً أسوأُ الظنِّ كاذبه

بحسْبِكَ من نيلِ المراتب أن ترى عليماً بأنْ ليستْ تنالُ مناقبـهْ
إذا ماامرؤٌ ألقى بربعكَ رحْلَهُ فقد طالبتْهُ بالنجاحِ مَطالبُهْ

يقول الصولي : «إن أبا تمام لمّا قدم إلى خراسان ، اجتمع الشعراءُ إليه، وسألوه أن ينشدهم ، فقال : قد وعدني الأمير أن أنشده غداً ، وستسمعونني فلما دخل على عبدالله أنشده :

هُنّ عوادي يوسفٍ وصواحبُه

فصاح الشعراء بالأمير ابي العباس : ما يستحق مثل هذا الشعر غير الأمير — أعزّه الله — . وقال شاعر منهم ، يعرف بالرياحي : لي عند الأمير جائزة وعدني بها ، وقد جعلتها لهذا الرجل ، جزاء عن قوله للأمير . فقال : بل نضعفها لك ، ونقوم له بما يجب علينا» (١) .

والقصيدة — على وجه الاجمال — تتكون من اربعة وأربعين بيتاً ، تشكل بجملتها ثلاث لوحات فنية متكاملة ، كل لوحة منها تكمل الأخرى لتشكل في النهاية الصورة الكلية للقصيدة .

اللوحة الأولى تتكون من ثمانية ابيات ، ينهض بناؤها في صورة حوار عميق بين ابي تمام وصاحبته ، والحوار في جوهره يكشف بجلاء عن فلسفة الشاعر في الحياة ، وتتمثل تلك الفلسفة بالعزم والإرادة والاقدام ، فهي الأداة النفسية التي يتسلح بها الانسان لمواجهة الأقدار والأمور ، وبها يتجاوز كل العوائق والمشاق بالأيمان والصبر على الهدف .

أما اللوحة الثانية فتتكون من ستة أبيات ، وهي وصف دقيق عميق للقافلة المتوجهة إلى هدفها (الممدوح) ، وما تلاقيه من أهوال وأخطار تتمثل بالليل

---

(١) أخبار أبي تمام ، للصولي ، ص١١٥–١١٧ .

بوصفه قوة طبيعية ، فضلاً عن أهوال ومخاوف نفسية نتيجة طبيعية لتلك الأخطار التي تلُمّ بالقافلة .

ثم تأتي اللوحة الثالثة – وهي أطول اللوحات – اذ تكونت من ثلاثين بيتاً ، تنصب على الممدوح مبرزة إياه ، ومضفية عليه كل الصفات والقيم التي تتمثل بها الشخصية العربية المسلمة الأصيلة من إيمان ومروءة وشجاعة وكرم وقوة ... ، وهي عماد القصيدة وموضوعها الرئيس الذي تنتهي به .

وثمة نلحظ الوحدة الموضوعية متحققة في هذه القصيدة وإنْ تعددت لوحاتها ، فاللوحة الأولى التي اتخذت الحوار اداة فنية لابراز الأفكار والمعاني تركزت في فكرة جوهرية : هي تحدي الشاعر للأقدار والأهوال والمخاوف ، سواء تمثلت تلك الأقدار في فراق أحبته التي تعد مصدر قلق وشد وجذب عن الانطلاق إلى هدفه ، او في تلك الأقدار التي يأتي بها الزمان من أهوال ومصائب تمنع الشاعر من تحقيق اهدافه الكبيرة المرسومة . وتكاد هذه الأقدار والأهوال هي نفسها في اللوحة الثانية تتكرر مع القافلة او الركب المتجه نحو الهدف المزمع وصوله وهو الممدوح ، فإذا كانت صاحبته في اللوحة الأولى هي التي تمنعه عن هدفه ، فإنه هنا في اللوحة الثانية (الليل) بكل سطوته وجبروته وما يخبيء من اهوال مغيّبة للمسافرين من خوف وقلق وجوع وضعف ...

وهذه الأهوال المختلفة هي التي تجعل من الهدف غاية عزيزة يطمح لها الشاعر . فما كان له أن يرضى بالأهداف اليسيرة القريبة المنال ، فلابد من خوضها – في فلسفة الشاعر – للوصول إلى الهدف الكبير (الممدوح) الذي كان بمستوى احداث القصيدة ، كما يبرزه في اللوحة الثالثة .

فالقصيدة في جوها وظلالها يشدها خيط فكري واحد ، على الرغم من تعدد لوحاتها ، فهي متماسكة مترابطة في معانيها ، والذي يسمى في الاصطلاح النقدي الحديث «الوحدة العضوية» بحيث لا يحس قارىء القصيدة بطفرة او تفكك ، والقصيدة قد توافرت على ثلاثة فنون بلاغية هي الاساس في وحدة النص الأدبي ، وهي (حسن الابتداء وحسن التخلص وحسن الانتهاء) بوصفها عناصر فنية تعالج في اطار الوحدة العضوية للنص الادبي والعمل النفسي المتكامل (١) .

والقصيدة حافلة بمؤثرات بلاغية شتى ، وذات ايقاع آسر لحس المتلقي ومشاعره على امتدادها من بدئها إلى ختامها ، إذ يشارك ايقاع القافية في القصيدة برنته الخاصة في تحقيق التأثير في المتلقي ، فمن المد إلى الباء إلى السكت في القافية على طول القصيدة ، فالرنة مدوية في حرف الباء والهاء الساكنة بعدها ، وهي (هاء) تنسق الايقاع على طول القصيدة بمشاهدها مما يزيدها جمالا ... وايقاع القصيدة ظاهرة قوية تتناسق مع موضوعها وصورها وظلالها تمام التناسق ، وتشارك في احياء مشاهدها وتقويتها في التأثير في الحس والوجدان . وايقاع القصيدة هو «التناغم الذي يقيمه الفنان بينه وبين المخاطب عن طريق الموضوع ، هي الموسيقى المنبعثة من داخل الصياغة ، وهي ليست نغمات مكررة فقط ، بل هي تصوير لجو المعنى طلباً للتواصل المستمر بين المتكلم والمخاطب والموضوع» (٢) ، وهذا ما توافر في هذه القصيدة التمامية ، إذ ان القصيدة ايقاعها ونغمتها الخاصة التي اوحت بالحالة النفسية للشاعر . واستقراء لأبيات القصيدة — على وجه الاجمال — نلحظ معنى الحسم

(١) ينظر : البلاغة والتطبيق ، د. أحمد مطلوب ، ص٤٦٨ . وينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د. مجيد عبدالحميد ناجي ، ص٩٠ .

(٢) البديع تأصيل وتجديد ، ص٢٣ .

والقطع في نغماتها . وهو معنى ينسجم تمام الانسجام مع موضوع القصيدة وما خرجت اليه من معانٍ وأفكار وحقائق وتصورات ، مما يظهر جلياً قيمة الايقاع النفسي للنسق الكلامي في قصيدة الشاعر ، ومن هنا ندرك القيمة البلاغية في موسيقاها بوصفها رافداً من روافد البلاغة الكلية للقصيدة .

ومن المؤثرات البلاغية في القصيدة انها جاءت مراعية لمقتضى الحال ، فالغموض الفني بغلالته التي تلف القصيدة وبخاصة في مطلعها ، جعل لها وقعاً خاصاً في نفوس المخاطبين وعقولهم . ومراعاة مقتضى الحال في العمل الأدبي شرط مهم من شروط البلاغة : بل هو من المكونات الجوهرية الرئيسة لبلاغة العمل الفني وأثره في النفوس .

إن مراعاة مقتضى الحال تحقق قدراً كبيراً من التأثير ، إذ بها تترتب أحداث الاستجابة النفسية في المتلقي فيحقق الكلام غايته وهدفه .

فهناك شدة مقصودة في إنتقاء الألفاظ وتنسيقها اتسمت بالغموض الفني مما تلقي بالحس والعقل وفرة الاحتمالات والايحاءات في المعاني التي تلقى ظلاً معيناً يتناسق مع شدة الموقف وهوله : حتى ان مطلع القصيدة — الذي يمثل غاية في حسن الابتداء — بغموضه الفني يمثل الهجوم على نفوس السامعين بلا مقدمة او تمهيد :

هُـنَّ عـوادي يـوسفٍ وصواحبُه ....

يرغمهم على التقاء القلب وهو شهيد للقصيدة وهي تنسرب انسراباً من ابي تمام حتى نهايتها موصولة بغايتها التي عزم عليها .

واسلوب التحدي والغموض الفني على هذه الشاكلة من شأنه ان يبعث الاهتمام والجد في النفوس لتتأمل في القصيدة والشاعر الذي ابدعها ، وهذه

طريقة من طرق الفن يجبه بها الشاعر الجمهور ليستهويه ويلقي في روعه دهشة وجمالاً تجعله ينفك من إسار البلادة والألفة ليمعن النظر في تملي جمال القصيدة وروعتها وإيحاءاتها التي لا تتوقف .

فالشاعر يأخذ سامعيه بالدهشة والذهول — وهو مايتطلبه الموقف أو الحال مع أبي تمام.. ليتجاوبوا تواصلا مع قصيدته الجديدة كل الجدة، ويتلقوا ايقاعاتها تلقيا حياً مؤثراً .

ومن المؤثرات البلاغية في القصيدة (اللغة المجازية) التي احتضنت الأفكار والمعاني فزادتها تكثيفاً وايحاءاً، فالمجاز يعد« وسيلة فنية لاثراء الدلالة وتحقيق القوة التعبيرية على مستوى التركيب والنص» (١)، وهذه هي صفة المجاز حيثما تشكل في العمل الأدبي تشكيلا فنياً، اذ يعمل على خلق الصور البلاغية المكتنزة بالمعاني الموحية مما يعمق الرؤية الفنية التي يهدف المبدع توصيلها الى المتلقين مقترنة بمتعتها الفنية ولذتها الجمالية .

فالمجاز هو حالة اثمار للمعاني والدلالات، ومعابر اشعاع لاتنطفيء ايحاءاته، فهو طاقة فنية مضافة في التعبير عن التجربة الشعورية .

وقصيدة أبي تمام مكتظة بالمجاز بموضوعاته المتعددة من استعارات. وكنايات ومجاز عقلي .. ، إذ لايكاد يخلو بيت أو بيتان من فن مجازي . يصل — أحياناً— الى درجة التشابك والتعقيد التي اشتهر به أبو تمام وطبع شعره، وما ذلك الا أن أبا تمام « يستمد أستعاراته وتشبيهاته من دنيا واسعة كثيرة الصور، مزدحمة بها، حتى أن كثرتها، وتحريه اياها، يسرسل اسلوبه تعقداً، ويخرجه مخرج التكلف» (٢). نحتاج والحالة هذه إلى قدر

(١) في البنية والدلالة ، د. سعد أبو الرضا ، ص١٨٣ .
(٢) أبو تمام الطائي — حياته وحياة شعره ، البهبيتي ، ص٤٣ . وينظر : أبو تمام ،د.عمر فروخ ، ص٥٧ .

من التأمل في فهم المرامي والأهداف التي ترمي اليها الصور المجازية ـعناه في توليد المعاني والأفكار، وهو مانهدف اليه بياناً وتفسيراً مبرزين المناحي الفنية والجمالية فيها قدر الأمكان .

ومن ثم فإن هذه المؤثرات البلاغية ،وغيرها تمثل روافد تتفاعل فيما بينها لتجلي الحركة الفكرية للقصيدة... وما نحن نحاول جاهدين بيان ذلــك مركزين الجهد على تحليل القصيدة من خلال الظواهر البلاغية التي شكلت تراكيبها لتجلي السمات الفنية والجمالية التي تزخر بها والتي أكسبت شعر أبي تمام فخامة وحياة .

تحليل القصيدة :

ـ اللوحة الأولى ـ

هُنَّ عوادي يوسف وصواحبه فعزماً فقدماً أدرك السؤل طالبه

إذا المرء لم يستخلص الحزم نفسه فذروته للحادثات وغاربُــهْ

أعاذلتي ماأخشن الليل مركباً وأخشنُ منــه في الملمات راكبُهْ

ذريني وأهوال الزمان، أفانها فأهوالهُ العظمى تليها رغائبهْ

ألمْ تعلمي أن الزماع على السرى أخو النُّجح عند الحادثات وصاحبه

دعيني على أخلاقي الصم للتي هي الوفر ،أوسَربٌ ترِنٌّ نوادبه

فإن الحُسام الهندواني إنَّما خشونتهُ مالم تفلَّل مضاربُهْ

وقلقل نأيٌّ من خراسان جأشها فقلتُ اطمئني ، أنضرُ الروضِعازبه

يبدأ الشاعر قصيدته بتوظيف معنى قرآني كريم (١)، ثم تعتمد بقيــة اللوحة على ظواهر بلاغية شكلت بناءها تشكيلا يكشف بجلاء عن الموقف

---

(١) ينظر ، سورة يوسف : آية : ٢٣-٣٦ .

الفكري والنفسي للشاعر من صاحبته من جهة، وممدوحه الذي يمثل الهدف الأسمى المرسوم من جهة أخرى .

وهذه الظواهر البلاغية تتمثل في : الطباق ، والتنكير ، والأستعارة– التي شغلت حيزاً كبيراً في بناء اللوحة– ،والتشبيه، والكناية ، والأستفهام التقريري والقصر .

ومن خلال علاقات هذه الظواهر البلاغية بمستوياتها الدلالية المتعددة يبرز الشاعر مثالا وانموذجاً في التحدي والإصرار على الوصول الى الهدف المرسوم مهما كانت المشقات والمتاعب والأهوال .

ولكي يجلي عن ماهية هذه المشقات والامها، يظلل الشاعر اللوحة الأولى بظلال مطلع القصيدة بالصورة القرآنية الكريمة :

هن عوادي يوسف وصواحبه

أذ أن ظلال الصورة القرآنية بايحاءاتها تمتد الى بنية القصيدة كلها تفيض بمعانيها وايحاءاتها ولتصبح محوراً جوهرياً مهماً ترتكز عليه القصيدة، وبوجه معناها الى الوجهة التي قصد اليها الشاعر .

وهو بذلك يفيد من القرآن الكريم إفادة فنية قصوى لأغناء الحدث الشعري وتنميته بالروافد الفنية والجمالية ، وتوظيف المعاني القرآنية عند أبي تمام تشكل (ظاهرة فنية) لها بلاغتها تزيد من عمله الأبداعي تميزاً وفناً وجمالاً ، بل ان تأثر أبي تمام بالقرآن وتوظيف معانيه وصوره– يكاد – ، لايضاهيه فيه شاعر آخر من شعراء العربية (1).

إن الابداع الشعوري في حقيقته يتشكل من تفاعل علاقات ظواهر بلاغية متعددة تنسج ملامح وسمات العمل الشعري، سواء كانت تلك الظواهر البلاغية تتمثل في كلمات مفردة أو جمل مركبة ... كلها تطبع العمل

(1) ينظر : ابو تمام الطائي ، حياته وحياة شعره ، البهبيتي ، ص٦٧ .

الشعري بخصائص تعبيرية وتصويرية وهذا مايتجلى في قصيدة أبي تمام ومن المطلع :

من عوادي يوسف وصواحبه　　فعزماً فقدماً أدرك السؤل طالبه

دلالة المطلع ومعانيه تجليه الظواهر البلاغية فيه، فالطباق (المقابلة) (*) بين (عوادي) و (صواحب) فضلا عن التنكير (فعزماً فقدماً) ، والمفاجأة التي حققها الضمير (هن) بدلا من (هي) ، تجليه مترعاً بالمعاني والأفكار بحيوية وإيحاء، فالمقابلة تتيح للمتلقي دلالات فكرية تصعد المعنى وتزيده ايحاء ، فضلا عن استخدام الشاعر للضمير (هن) بدلا من (هي)، اذ الحديث – فيما هو راجح – موجه الى صاحبته كما يدل السياق بعد ذلك. وهذا الأستخدام أتاح للمعنى التكثيف مبالغة في التصوير، تصوير ماأتت به(صاحبته) صرفاً له عن عظائم الأمور. فبرغم أن صاحبته تشارك النساء في هذا الصنيع، فأنها أتت من الفعل ماجعل كل ماتأتيه النساء، فأجاز لنفسه أن يقول عنها (هن) وهو يقصد (هي) (١). وبلاغة التصوير تتناغم مع المقابلة بين (عوادي وصواحب) وتتواشج، فبينما توحي (عوادي) الأبتداء بالعداوة والأسراع فيها، فإن (صواحب) توحي بمعناها وظلالها بالصاحبة المحبة المتحببة ، وهذه المعاني بهذا التقابل في هاتين الصورتين المتضادتين تلقي (التفخيم والتعظيم) على موقف الشاعر الفكري والنفسي تجاه صاحبته، فهو مشدود اليها، لأنها المحبة المتحببة. وهي تصرفه في الوقت نفسه، عن هدفه الذي يجذبه، فهي العدوة المقتدرة المسرعة الى العداوة. فالتقابل يظلل الصورة بالتوتر، فالشاعر يتوسط قوتين تجذبانه اليهما، فصاحبته تصرفه، وهدفه يشده اليه ويجذبه، فإلى أيهما يتجه، وإلى أي منهما يستجيب ؟ وتجلية لهذا الموقف الفكري ، والنفسي المحتدم المضطرب وإضاءته يعمد الى الإضافة، إضافة (عوادي) الى

(*) جوهر المصطلحين واحد نكتفي بأحدهما .

(١) ينظر : بلاغة الكلمة والجملة والجمل : د. منير سلطان ، ص٨٨ .

(يوسف) عليه السلام — و(صواحب) الى ضمير يوسف ليضيء بذلك الموقف كله الذي ضيقت فيه امرأة العزيز الخناق على يوسف أشد التضييق وأعظمه. فما موقف الشاعر هنا سوى موقف يوسف. وما موقف صاحبته سوى موقف امرأة العزيز. فهو يتوحد بيوسف، وهي بامرأة العزيز من خلال هذا التوظيف القرآني الغني الذي يشع بالمعاني. ومن ثم يغني الصورة الشعرية ويرقيها بالايحاءات والظلال ولأظهارها منذ المطلع. واذا كان يوسف الصديق قد نجا من امرأة العزيز لنبوته وعزمه، فإن الشاعر ينجو كذلك لأنه استجاب للعزم والاقدام اللذين وجهاه الى هدفه، ولكنهما (عزم واقدام) يصورهما التنكير (فعزماً فقدماً) على سبيل (التفخيم والتعظيم) مطلقان من أي قيد يمنع من الوصول الى الهدف المرسوم :

فعزماً فقدماً أدرك السؤل طالبه

فبلاغة التنكير ذو فاعلية تجلي المعنى بهذا الأطلاق، فرغائب النفوس، وأهواء القلوب لايوجهها الوجهة الصحيحة الا (العزم والاقدام) والثبات على ما تطلب، من أمور عظيمة، وللشاعر من تجارب الصابرين أسوة حسنة، وأوضح تجربة وأغناها تجربة النبي الكريم يوسف — عليه السلام — فله فيها مثل وعبرة فطالما أدرك الصابرون من أولي العزم مايطلبون ..

ومن ثم يأتي البيت الثاني توكيداً لهذا المعنى، ساهمت الأستعارة المكنية التشخيصية (*) والكناية في توكيده وتقويته، فضلاً عن حيويته بالتشخيص :

(*) التشخيص : هو اضفاء الصفات الانسانية على المعاني المعقولة لتمثيلها ، فيبث الحياة والحركة في مفاصل الصورة ، وقد عبر عبدالقاهر الجرجاني عن ذلك بقوله : «فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً ، والاعجم فصيحاً ، والاجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جلية» أسرار البلاغة ، ص٤١ . والتشخيص هو عملية نفسية صرف ، ووظيفته التأثير في نفس المتلقي وإثارة انفعاله المناسب عن طريق تشخيص المعاني المجردة في صور حسية ، وإنما يصار لذلك من أجل المبالغة في توكيد الصفات واثباتها للمعاني التي يراد عرضها من خلال الصورة» ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص١٧٧ .

إذا المرء لم يستخلص الحزم نفسه   فذروته للحادثات وغاربه

فيتحول (الحزم) وهو معنى نفسي بفعل الأستعارة المكنية التشخيصية الى أداة تستخلص النفوس وتطهرها من الأدران والشوائب والأهواء، وكلها عوائق نفسية تمنع من الوصول الى مايبتغيه من أهداف ، فالأستعارة أكدت فاعلية الحزم بهذه الصورة بوصفه أداة وقاية فاعلة من الهلاك والخيبة تأتي بها الأحداث التي تتربص بالمرء ومن مكامن قوته ، كما صورتها الكناية (ذروته وغاربه) اذ تجلي الصورة الكنائية فعل الحادثات بهذه القوة والشدة كما توحي الكناية بحيوية هذا النمط من الناس ، إذ الذروة و الغارب يقترنان بالناقة عادة. فالكناية أوحت بتصويرها المعنى شدة الحادثات وقوتها وهي تتربص بالشاعر. فالمسألة هي مسألة صراع وتحد، ولابد للشاعر من خوض هذا الصراع وهو وافر القوة والإرادة. لذلك نرى ان الأبيات في اللوحة الأولى بأستثناء البيت الأخير منها- والذي يمثل انتصاراً للشاعر في هذا الصراع- تعد صورة واضحة لماهية هذا الصراع، وقد شاركت الفنون البلاغية بعلاقاتها في نسيج الأبيات على جلاء هذه الفكرة من خلال (الحوار) مع صاحبته .وقد وظف فيه الشاعر الاستعارة والتشبيه بوجه خاص :

أعاذلتي ماأخشن الليل مركبا   وأخشن منه في الملمات راكبه

أسلوب التعجب (ماأخشن الليل مركبا) ضخم فعل الليل وعظمه، والليل كنى به الشاعر عن الزمن القاسي الشديد ، وزاد من شدته الفعل (أخشن) ، والليل بمعناه الكنائي يمثل (القوة) التي تنازله في ذلك الصراع ، كما أوحى أسلوب التعجب من جانب آخر بقوة الشاعر وإرادته التي لاتلين في المنازلة :

وأخشن منه في الملمات راكبه

فما تعظيم الليل بمعناه الكنائي بأسلوب التعجب إلا تعظيم الشاعر لحسن طرف خفي . وأنه أهل للمنازلة ، وهو في الوقت نفسه تدليل الود لصاحبته التي ألحت في لومه على خوض الشدائد .. وعمق الصورة البلاغية يجعلنا نتخيل المعنى بامتاع ، إذ تخرج المعنى مصوراً بفعل الاستعارة المكنية ، اذ شبه الزمن القاسي المكنى عنه (بالليل) بكائن حي هائج كاسر يصعب قياده ملمحاً له بخاصية (الركوب) ، وهي الصورة التي تشير الى المصاعب والمشاق التي تعترضه . وهي الصورة التي تبعث – أيضاً.. الضجر والقلق في صاحبته وهذه المصاعب الشديدة التي جلاها التصوير الأستعاري بقوتها وشدتها وبهذه الصورة الحركية الهائجة يقابلها التصوير الاخر :

وأخشن منه في الملمات راكبه

وهو تصوير يقابل التصوير الأول اذ يعمل على بث الطمأنينة والسكينة في قلب صاحبته اللائمة ، فراكب الليل– بمعناه الكنائي يستعليه بقسوة وسيطرة ، فهو قد تعود خوض الشدائد والملمات . وهكذا هي الحياة كما يصورها الشاعر بهذا التقابل الذي اعتمد التصوير الأستعاري : صراع لايلين ونزال لايعرف التوقف تتمخض نتائجه بعد ذلك الصراع المستمر :

ذريني وأهوال الزمان أفانها فأهواله العظمى تليها رغائبه

والألفاظ – بجرسها – التي صاغت تركيب البيت توحي بقوة الصراع ، اذ ظللته بظلال الشدة والقوة . فـ(ذريني) لفظة ذات معنى قوي شديد ، وهي لفظة قرآنية لاتأتي في القرآن إلا في سياق وعيد شديد (١) وصعد معنى الشدة وكثف ظلاله الأستعارة المكنية التشخيصية . ولكننا

(١) ينظر ، سورة القلم : آية : ٤٤ ، والمزمل ، آية : ١١ ، والمدثر ، آية : ١١ .

نلحظ تلويناً بالتشخيص، في اخراج صورة الزمان، وهي صور تبطش وتفتك بالشاعر :

ذريني وأهوال الزمان أفانها

فهي استعارة تتصل بالأستعارة في البيت رقم (٣) وتقوي معناها ، فهما قد تواردا على معنى واحد جلاءً لفكرة الصراع ... فأهوال الزمان قد شخصت بفعل الأستعارة بخصم ماتك باطش ينازل الشاعر تعزكه ويعركها (أفانها) وهي الخاصية التي لمح اليها الشاعر لخصمه على سبيل الأستعارة المكنية، الا أن عدة الشاعر (الحزم والعزم والصبر) في المنازلة ، لذلك يقرر الشطر الثاني من البيت حتمية نيل الرغائب بعد تلك الأهوال ، ويزيد هذه الفكرة ايضاحاً البيت الاتي بعده بهذا الأستفهام التقريري :

ألم تعلمي أن الزماع على السرى أخو النجح عند الحادثات وصاحبه

الذي يعمل على ايضاح المعنى وتقريره وتثبيته ، على الرغم مما تلمح لفظة(السُّرى) من مشقة السير في الليل ومايوحي من أهوال تعوق الشاعر عن المعنى قدماً (الزماع) الى هدفه المرسوم ونصيبه المقسوم ، لكن المضاء في الأمور والثبات عليها يفضيان الى النجاح والغنى ، وهو المعنى الذي كثفته الأستعارة التصريحية في قوله :

دعيني على أخلاقي الصم للتي هي الوفر أو سرب ترن نوادبه

فأستعارة (الصم) التي جسدت أخلاقه بالصمم تجلي معنى الثبات والعزيمة والمعنى في الأمر، فهو ذو أخلاق صمم لاتسمع مايزعزعه من قول العاذلة اللائمة التي تشده اليها في البقاء حيث الراحة والدعة والأمن، فأخلاقه لاتعرف غير الأقدام نحو الأهداف الكبيرة التي تأتي بالوفر والغنى، واستعارة (الصم)

صورت المعنى بالتجسيد وعمقته هي من الاستعارات التي يكثر ورودها في القرآن الكريم (٥) وغالباً مايستعير أبو تمام مفردات قرآنية في شعره تزيده طاقة تعبيرية وتصويرية تعمق المعاني وتظللها بظلال معنوية جميلة هادفة تتسم بالديمومة والخصوبة الشعرية .

وإذا كانت هذه الأخلاق الصم بالتصوير الاستعاري تمثل الجانب الأوفر الذي يكون مصدر غنى بشتى معانيه، فإن أقرب معانيه الى نفس أبي تمام هو الغنى المعنوي ، اذ الغنى المعنوي هو المعنى الأرقى والأسس الذي يطمح اليه، ويتمثل في النجاح وأثبات شخصيته الشعرية في ذلك الموقف الذي قال قصيدته فيه، فهو « يرفع نفسه الى مركز الممدوح أو نوقه أحياناً، ويرفع شعره فوق النوال الذي يأخذه» (١) كما أن حالة النقيض : المتمثلة في قوله: أو سرب ترن نوادبه .

هي الأخرى احتفاء بموته الذي سيأخذ بعده وصداه. اذ التشكيل اللغوي ببلاغة ألفاظه الدالة على المعنى (السرب وترن ونوادب) تصوير موح عن هذا الفعل، فإن السرب وإن كانت دلالته تنصرف الى جماعة النساء أو الطير فإن المعنى المستفاد منه يوحي بالصدى البعيد الذي يتركه الشاعر بين الناس لأن موته له وقع مؤثر فيهم ، كما أن لفظة (ترن) بجرسها المصور يعزز هذا المعنى ويقويه ، وهكذا تتضافر الألفاظ بأصواتها المستنادة من معانيها على جلاء الفكرة على نحو فني مؤثر .

إن الألفاظ في هذه القصيدة قد انتقيت انتقاء فنياً دقيقاً ، أضفى على القصيدة بلاغتها المؤثرة في المخاطب .

---

(٥) ينظر سورة الروم ، آية : ٥٢ ، والأنعام ، آية : ٣٦ ، والنمل ، آية : ٨٠ مثلا
(١) أبو تمام ، د. عمر فروخ ، ص١٩٩ .

ثم يأتي البيت الاخر تعزيزاً للمعنى الذي عرضه الشاعر في صدر البيت السابق على شكل صورة تشبيهية مثلثة بالمعنى والايحاءات وحاملة قدراً من المنطق في المحاورة لأقناع صاحبته بالغاية التي يسعى اليها بكل حزم وعزم وأقدام :

فإن الحسام الهندواني إنما خشونته مالم تفلّل مضاربه

هنا يشخص الشاعر — بفعل الموازنة التي عقدها التشبيه — في صورة المشبه به وما يوحي من معان (الحسام الهندواني) الذي لم تفلل مضاربه كناية موحية عن حده المصقول الحاد القاطع بدلا من المشبه الذي يتمثل بـ (الشاعر) في عنفوانه واندفاعه وقوته ، فكما أن السيف غير المفللة مضاربة ذو تأثير بالغ في ميدانه، ذو وقع خشن في أعدائه . كذلك الشاعر ذو اندفاع وقوة في نيل مايتغياه، وله في ذلك مايمكنه من فورة شباب، وقوة جسد، وذكاء عقل — كما أوحت الصورة التشبيهية — ويصعد هنا المعنى اسلوب القصر بـ(إنما) (إنما خشونته مالم تفلل مضاربه) إذ قصر صفة الخشونة على الموصوف (السيف) الذي لم تفلل مضاربه، وفي ذلك تخصيص المعنى على الشاعر على وجه من المبالغة والتوكيد .

إلى هنا وتكاد اللوحة الأولى تنتهي بهذه الجولة من الحوار العميق بمعطياته الفكرية التي كثفتها الظواهر البلاغية المتنوعة بوصفها وسائل فنية تضفي على مضامين القصيدة في خطها العام طاقات تعبيرية وتصويرية من شأنها جلاء المعاني والأفكار بالطريقة الفنية المؤثرة من خلال تركها على أطراف المعاني ظلالا نابضة بالحياة .

ثم يأتي البيت الأخير من اللوحة مؤكداً رجحان الأنتصار لكفة الشاعر في ذلك الحوار الذي استغرق جولة من جسم القصيدة . والبيت بتشكيله

اللغوي ومعطياته البلاغية تصويراً عميقاً لمعنى الأنتصار . وهو انتصار عقلي ونفسي يتجلى من خلاله هدف الشاعر وغايته في صورة حاسمة لاتعـــرف التردد أو التراجع :

وقلقل نأي من خراسان جـــأشهـــا فقلت اطمئني أنضر الروض عازبه

كما يمثل التشبيه الضمني(أنضر الروض عازبه)موازنة بديعة أخرج ألمعنى بهذا العمق، اذ يستشف ضمناً، فأنضر الروض : أجمله وأحسنه وأكثـره عشبا، وهو المعنى الظاهر الذي يشير ضمنا الى هدف الشاعر وهو : أكثـر وأوفر تكسبا على اطلاقه، وعازبه: البعيد عن المرعى، لايذهب إليــه رعاة كثيرون بقطعانهم ، وهو المعنى الظاهر يوحي ضمنا: لايذهب إليـــه شعراء كثيرون. فبلاغة التشبيه الضمني تعطي المتلقي قدراً من الموازنة الفنية بين الأشياء لاستشفاف المعاني التي تمتاز بهذا النوع من التشبيه بالعمـــق والأقناع ، فتكون المعاني أكثر تأثيراً في المتلقي (صاحبته) ، لأن الصورة بتأثيراتها تكون سببا في أدخال الطمأنينة والسكينة في قلبها ، في مقـابـــل القلق الذي أضجرها- كما دلت عليه لفظة قلقل بجرسها القوي - حيـــن سماعها عزمه على السفر كما أن بلاغة الصورة تنطوي على معنى آخر يلح من وراء سجف الصورة يتمثل في عزم الشاعر وإرادته اللذين يدفعانه بقوة الى الأهداف البعيدة السامية في الحياة .

اللوحة الثانية

تأتي اللوحة الثانية تصويراً للرحلة الى ذلك الهدف الذي يتحمل الشاعر وأصحابه الأهوال والالام من أجله ، واللوحة بالصور البلاغية التي خرجت بها لمحت الى أنها توازي الهدف المرسوم المرتجى تحقيقه ، فليس ثمة منال عزيز في الحياة يكون الا بما يقابله من مكابدة ومعاناة والام ، كما أنها تضفي على الهدف قيمة ، فهو هدف بعيد المنال لايناله الا الصابرون المثابرون المتحملون للالام والأهوال ، وهذه هي الفكرة التي يريد الشاعر توضيحها وتقريبها الى الأذهان من خلال تلك الصور البلاغية التي احتضنت المعاني والأفكار ، وهذه الصور البلاغية على الترتيب : التشبيه ، والأستعارة المكنية ، والمجاز العقلي ، والأستعارة المكنية والكناية ثم الأستعارة المكنية والكناية . كما يلحظ (الطباق) الخفي في معاني الأبيات الثلاثة الأخيرة والتكرار . وقد تضافرت الصور البلاغية في اللوحة في اخراج المعاني بالطريقة الفنية الشعرية التي تنأى عن طريق التعبير التقريري المباشر ، وهي صور جزئية تجلي الحركة الفكرية الكلية للوحة :

وركب كأطراف الأسنة عرسوا   على مثلها ، والليل تسطو غياهبه
لأمر عليهم أن تتم صدوره   وليس عليهم أن تتم عواقبه
على كل رواد الملاط تهدمت   عريكته العلياء وانضم حالبه
رعته الفيافي بعدما كان حقبة   رعاها وماء الروض ينهل ساكبه
فأضحى الفلا قد جد في بري نحضه   وكان زماناً قبل ذاك يلاعبه
فكم جذع واد جب ذروة غارب   وبالامس كانت أتمكته مذانبه

فالركب (المشبه) ، وأطراف الأسنة (المشبه به) وهي نصال الرماح ، صورة تشبيهية قد يبدو فيها وجه الشبه غير واضح بين طرفيها (المشبه والمشبه به) ،

إلا أنها صورة تشبيهية أوحت بمعنى جميل ، فكما أن الأسنة ترمز إلى القوة والسرعة والنفاذ ، كذلك المشبه (الركب) يكتسب هذه المعاني من المشبه به من خلال تفاعل الطرفين، فتوحي الصورة بأن الركب قد واصل المسير وجد في طلبه قوة وسرعة حتى أصبحوا نحولاً من طول السفر، بل إنهم يقضون الليل على ظهور الإبل المشبهة بأطراف الأسنة سواء بسواء (عرسوا على مثلها)، فالأبل نحيلة كذلك من هذا السفر، فالصورة ترمز الى متابعة المسير وعدم التوقف على الرغم من المتاعب والالام والخوف ، وهذه المعاني تتعمق بالصورة الأستعارية المكنية (والليل تسطو غياهبه) فالليل يشخص في صورة كائن حي جبار مارد يسطو عليهم بظلمته الكثيفة الدامسة فيلقي مخاوفه فتدب في نفوسهم ... إلا أن الصورة التشبيهية التي سبقت الصورة الأستعارية وتواشجت معها أوحت بأنهم يخترقون هذه الظلمة الداكنة الدامسة بانطلاقهم ومتابعتهم المسير دونما توقف أو تردد أو حتى نيل قسط من الراحة ، فالغاية الوصول الى الهدف مهما تكن الأحوال والمشاق :

لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

المجاز العقلي المتمثل بأسناد الفعل (تتم) مرة الى (الصدور) ومرة أخرى الى (العواقب) أوحى بفكرة الجد في السير منذ لحظة الأنطلاق الى الهدف وهم قد واجهوا مشقاته وآلامه بعزيمة وإرادة لاتلين، وما عليهم من لوم أو عتب اذا لم يحققوا الهدف (وليس عليهم أن تتم عواقبه). ولاشك في أن أبا تمام قد أفاد هذا المضمون الفكري من القرآن الكريم(٥): ما على الأنسان إلا أن يتوكل على الله سبحانه — بعد العزيمة في تحقيق أهدافه

(٥) ينظر ، سورة آل عمران ، آية : ١٥٩ مثلا .

المشروعة وبذل كل قواه التي وهبه إياها، أما العاقبة فهي مسألة غيبية معلقة سواء تحققت أم لم تتحقق فلا دخل للانسان فيها وما عليه إلا الجد والسعي وتفويض الأمر الى الله .

ثم تأتي الأبيات الأربعة المتبقية من اللوحة وصفاً للجمل الذي يرتاده ، موظفا اسلوب التشخيص في رسم صورته التي- فيما يبدو - يلمح فيها الشاعر من ورائها الى حاله والمشاق التي تحملها في تلك الرحلة الشاقة الى الممدوح :

على كل رواد الملاط تهدمت عريكته العلياء وانضم حالبه
رعته الفيافي بعدما كان حقبة رعاها وماء الروض ينهل ساكبه
فأضحى التلاقد جد في بري نحضه وكان زماناً قبل ذلك يلاعبه
فكم جذع واد جب ذروة غارب وبالأمس كانت أتمكته مذانبه

فالأستعارة المكنية (تهدمت عريكته العلياء) والكناية (وانضم حالبه) تشخصان الجمل في صورة غاية في النحول والهزال، فالأستعارة (تهدمت) ترسم جزءاً من الصورة وهي شاخصة دلالة على ضعف همته، وانخفاض سنامه وذوبانه من السير والتعب بعد التمرة والشموخ. اذ شبه الجمل ببناء قوي ثم حذفه، وترك خاصية من خواصه وهو فعل التهديم دلالة على الضعف بعد القوة، ثم تأتي الكناية (وانضم حالبه) لتعزز معنى الهزال وتقويه.والبيت بعده يشير الى هذا المعنى على نحو جلي :

رعته الفيافي بعدما كان حقبة رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

فالفيافي تشخص كائناً حياً شرها يرعى الجمل (رعته الفيافي) بعد ان كان هو الذي يرعاها فيما مضى من زمن ، فالاستعارة المكنية التشخيصية دلالة مكثفة تشير إلى الهزال والضعف ، والشدائد التي اصبح فيها بعد ان كان يرفل ويتقلب في النعم ، اي بعد ان رعى العشب في الأماكن الخصبة فسمن ، ها

هو ترعاه النيافي الخالية من العشب . ويلحظ الطباق الخفي في المعنى بين صورتين : الصورة الحاضرة للجمل في اثناء الرحلة ، والصورة الماضية له قبل العزم على الرحيل ، وهما صورتان متضادتان في معناهما ، يلمّحان — فيما يبدو — إلى حال الشاعر الذي نعم بالطمأنينة والعيش الرغد قبل المضي لتحقيق الهدف المرسوم الذي اجهده وكلفه من المشاق والآلام والمتاعب ، ويؤكد هذا المعنى ويجليه قوله بعد ذلك في المعنى نفسه :

فأضحى الفلا قد جد في بري نحضه   وكان زماناً قبل ذلك يلاعبه

فالصحاري لطول السفر ومشاقه عملت على تذويب لحم هذا الجمل (بري نحضه) .وفي لفظة (البري) دلالة بالغة على الضعف .وقوله : (أضحى الفلا قد جدّ) ، مجاز عقلي في اسناد الفعل (جد) إلى (الفلا) علاقته السببية . لأن الفلا كان سبباً للمتاعب والمشقات . وفي المجاز قوة دلالة تشير إلى وطأة تلك المتاعب التي عملت على تذويب لحمه برياً ، بعد ان كان زماناً يرتع العشب ويلاعبه .. وهي الصورة النقيض — في ذلك الروض . فهو شبعان مطمئن مرتاح لا يسافر عليه احد ، قوته في الأكل وملاعبة عشب الروض :

فكم جذع وادٍ جبَّ ذروة غاربٍ   وبالأمس كانت اتمته مذانبُـهُ

كنايتان تصوران المعنى الذي كرره ابو تمام . الكناية الاولى .(الشطر الأول) تشير إلى المنعطفات المرتفعة للوديان التي قد قطعها هذا الجمل ، وهو المعنى الظاهر الذي يغلف المعنى الكنائي بستار خفيف ليشير إلى السفر والشروع في الصعود دلالة على المشاق ، والمرتفعات (ذروة غارب) تلمح إلى الأهداف العالية . وبالأمس كانت قد اسمنته مذانب الوديان وهي مسيل الماء ، وهي الكناية الثانية تشير إلى منخفضات الوديان ومسيل الماء الذي يتجمع عنده العشب والخضرة والحياة ، اما معناها الكنائي فيلمح إلى الراحة والاطمئنان قبل الشروع في السفر لتحقيق الهدف المرسوم .

وبلاغة الأبيات في اللوحة تمثلت في استخدام اللغة المجازية التي عملت على توليد الصور والمعاني . فقد كشفت لنا المجاز الدلالات التي هدف اليها الشاعر ومن خلال تصوير حال الجمل الذي يرافقه في السفر ، ولاشك في أن تصوير حال الشاعر ومعاناته قد أفرغتا في تصويره للوسيلة التي تنقّل عليها في قطعه المراحل الشاقة المادية منها والمعنوية ، فحاله من حاله ، وكلاهما قد تحملّ وتجلد ، الا انّ لجوء الشاعر إلى تصوير حال الجمل يؤكد المعنى ويقويه ، لأن الجمل هو اقوى من الشاعر في تحمل المشاق في السفر ، فإذا كانت حال الجمل هي هذه التي قربها لنا تصويراً باللغة المجازية الموحية ، فليتخيل المتلقي كم هي المتاعب والآلام التي تحملها الشاعر وصمد امامها قبل الوصول إلى الهدف ؟ كما ان الحاح الشاعر على هذا المعنى تكراراً في أبيات أربعة من اللوحة يشير وعلى نحو جلي إلى الحالة النفسية المجهدة ، فيصبح اسلوب التكرار وسيلة حية من وسائل التوكيد والتصوير لما يعتمل في نفس الشاعر من معاناة وآلام ، ومن ثم ينفسح اسلوب التكرار من جانب آخر إلى عظمة الهدف وسموه وهو يسعى اليه .

اللوحة الثالثة

تنتقل بنا هذه اللوحة إلى الممدوح — موضوع القصيدة — وقد وظف الشاعر فيها ظواهر بلاغية متنوعة من تشبيهات ، واستعارات ، وكنايات ، ومن تقديم ، وقصر ، واستفهام ، وتمنٍ ، ونداء ، وقسم ، وتنكير ، وجناس ، وقد تكررت هذه الفنون البلاغية في اللوحة بنسب متباينة وحسب ما يتطلبه التعبير الشعري عن المعاني والافكار التي هدف اليها .

وقد ساهمت هذه الفنون البلاغية بصورة فاعلة في تصعيد المعاني وعرضها بالصورة الفنية غير المباشرة على مساحة اللوحة كلها ، يتجلى من خلالها (الممدوح) شخصية مثالية في كل صفاتها لا يرقى اليها احدٌ من البشر .

وسأعرض اللوحة تحليلاً جزءاً جزءاً حسب المعاني . يستهل الشاعر لوحة المديح بقوله :

اليك جَزعنا مغرب المُلكِ ، كلما   وسَطْنا مَلاً صلّت عليك سباسبُهْ

تقديم الجار والمجرور (اليك) فيه من المعنى ما يتناسب مع مكانة الممدوح وعلو شأنه ، فقد تحمل المشاق والمخاوف من أجله ، فالتقديم فيه من المدح ما فيه ، بل إن هذا الاستهلال باسلوب التقديم ظلّل اللوحة بظلال التعظيم للممدوح على نحو يزداد تكثيفاً بالتقديم الذي تكرر في البيتين(الثالث والرابع) من اللوحة .

فالممدوح بهذا التقديم المكرر — هو الهدف الكبير ، والغاية التي ترجى (اليك) لا غيرك من البشر ، وفيه تكمن اماني الشاعر في الحصول على مبتغاه. وكيف لا يكون كذلك ، وهذه الأرض الواسعة الواقعة ضمن ملكه تدل على ذلك، كما صورتها الاستعارة المكنية (صلّت عليك سباسبه) . والسباسب هي الأراضي القاحلة الواسعة التي اصبحت بفضل الممدوح عامرة بأسباب الحياة . فهي تلهج دعاءاً لمالكها بالبقاء ، لأن بقاءها عامرة بالحياة مرتبط ببقائه ووجوده . فالقيمة البلاغية للصورة الاستعارية تمثّلت في انها صورت المعنى على نحو مشخص ، وكشفت عن شخصية الممدوح في كرمه الواسع الذي يشمل حتى الأراضي القاحلة التي اصبحت عامرة بالحياة بفضله . وهي تشتاق له (الممدوح) وكأنها كائن حي يحب ويعزم في المضي للممدوح كالشاعر كما صور ذلك البيت بعده :

فلو أن سيراً رُمْنَه فاستطعنه   لصاحبنا شوقاً اليك مغاربُهْ

فالاستعارة المكنية بخاصيتها (رُمنه وشوقاً) تتواشج مع الاستعارة السابقة في تشخيص الأراضي في صورة انسانية ،ولتوحي الاستعارتان على نحو جلي

مكانة الممدوح وعظمته . والحب الذي يحظى به حتى من غير الانسان ، وهي دلالة شاملة ينطوي تحتها مبالغة في المدح : حباً وكرماً وعطاءً ، وهي –أيضاً– تصوير للجانب الانساني فيه ، يقابله الوصف الآخر ، وهو(البأس والقوة والشدة) في قوله :

إلى ملكٍ لم يُلقِ كلكلَ بأسه ... على مَلكٍ إلاّ وللذُلّ جانبُه
إلى سالب الجبار بيضة ملكه ... وآملُه ، غادٍ عليه فسالبُه

فالتقديم (إلى ملك) و (إلى سالب) تأكيد لفكرة المدح القائمة على التعظيم التي استهلت اللوحة بها . وتتضح الفكرة بجلاء وعلى نحو مكثف بالكناية (لم يُلق كلكل بأسه) إذ فيها من القوة والشدة بما يوحي تصويرها الحسي ، فالإلقاء لا يكون إلاّ للأشياء المادية ، لكن اقترانها بكلكل البأس (البطش) توحي بقوة البطش وعظمته الملقى على الملك الخصم (القوي) الذي تسول له نفسه محاربة او الاعتداء على مُلك الممدوح ، فهو (للذلّ جانبه) كناية موحية عن الخضوع الذليل لتلك القوة التي يتصف بها الممدوح .

وقوة الممدوح تتصاعد بالتصوير الكنائي في البيت الثاني (إلى سالب الجبار بيضة ملكه) ، وهي قوة يكشف عن ماهيتها (التضاد) ، فهي ليست قوة غاشمة طاغية ، وإنما هي قوة طاغية على المعتدين ، رحيمة كريمة بالسائلين . فالبيت في مجمله قائم بناؤه على كناية تشير إلى صفتين متضادتين يمتاز بهما الممدوح ، فهو القوي الجبار ينال من المعتدي الجبار نيلاً (بيضة ملكه) كناية عن عاصمة بلاد المعتدي ، وفيها ايحاء عن القوة الجبارة للممدوح التي تنال من عدوه نيلاً في قلب ملكه ، فهي تسلبهم أعز مايملكون إذا ما نازلتهم . ولكن الممدوح في الوقت نفسه رحيم كريم كما يدل الشطر الثاني(وآمله غاد عليه فسالبه) كناية عن رحمته وكرمه ، فلو جاءه في الصباح الباكر انسان ما يطلب منه

معونة يسيرة اعطاه كل ما يملك . فكأن السائل سلبه كل شيء ، والمعنى على ما فيه من مبالغة ، يُلَمح به الشاعر من طرف خفي للعطاء الوفير الذي ينتظره .

فالبيت فضلا عما فيه من تصوير كنائي فيه صورتان متضادتان تعمق معناهما بالتصوير الكنائي على نحو يتجلى الممدوح عقلياً يوازي مسعى الشاعر:

وأيُّ مرام عنه يعدو نياطُه   عليا أو تَنُلُ الناعجات أخاشبه
وقد قرب المرمى البعيد رجاؤه ،   وسهلت الأرض العزاز كتائبُه

فلا هدف (مرام) غير الهدف الذي رسمه الشاعر ، مهما كانت (النياط) : العلائق ، وبهذا الاستفهام (أي) الذي يوحي بالاستخفاف والاستهانه من تلك العلائق مهما كانت ، فليس لها ان تجعل (الناعجات) : النياق السريعة (١) أن (تفُل) : تذلل او تمنع من التوجه اليه ، سواء تمثلت بالأراضي الغليظة الموحشة (الأخاشب) (٢) او في ما يلمُّ به من مخاوف وأهوال ، وهو يستهين بكل ذلك — كما دلَّ الاستفهام — لأن هدفه (الممدوح) :

قد قرَّب المرمى البعيد رجاؤه

وبهذا الاسناد المجازي العقلي (قرب ... رجاؤه) الذي ينطوي تحته دلالة نفسية ، فالرجاء (الثقة بكرمه) يوازي تلك الأهوال والأخطار ، وما كان من الشاعر تحملها لولا هذا الباعث الذي يدفعه بحماس ، ويزيده حماساً واندفاعاً نحو الهدف قوة الممدوح التي بسطت نفسها على (الأرض العزاز) : الأرض الصلبة (٣) ، كناية عن الجدب وما يحيط بها من اهوال فحولتها قوة الممدوح (وسهلت ... كتائبه) إلى أرض خصبة يحيط بها الأمن والطمأنينة ،

---

(١) لسان العرب : ٢٠٣/٣ .
(٢) ينظر لسان العرب : ٢٣٩/١ .
(٣) ينظر ، المصدر نفسه : ٢٤١/٧ .

فهي اسباب تزيد الشاعر قوة في مواصلة الطريق إلى الممدوح الذي لا يخيب من يتوجه اليه :

إذا أنت وجهت الركاب لقصده   تبينت طعم الماء ذو أنت شاربه
جديرٌ بأن يستحيي الله بادياً   به ، ثم يستحيي الندى ويراقبه
سما للعلا من جانبيْها كليهما ،   سمو عُباب الماء جاشت غواربه
فنول حتى لم يجد من يُنيلـه ،   وحارب حتى لم يجد من يحاربه

وما (الماء) هنا إلا رمز على الخير الكثير ، كما تنطوي تحته دلالة نفسية بالغة تشير إلى ظمأ الشاعر ولهفته إلى عطاء الممدوح وحظوته عنده ، كما توحي من طرف خفي إلى ان عطاء الممدوح وكرمه مبذولٌ وفير — وهو ايحاء يجليّه البيت الأخير — ؛ لأنه نابع من احساس ديني واجتماعي :

جدير بأن يستحيي الله بادياً   به ثم يستحيي الندى ويراقبه

فهو يعطي الكثير بباعث الايمان بالله الذي يراقبه فيستحيي منه ، ثم هو يستحيي من الكرم ويخشى ان يغضبه ، كما تصوره الاستعارة المكنية التي شخصت الكرم — وهو انفعال نفسي — في صورة مشخصة يغضب ويعاتب (الممدوح) ، وهذه خاصية من خصائص الاستعارة المكنية تشخص المعنى النفسي او الذهني المجرد في صورة حية مؤثرة . ثم يعقد موازنة تشبيهية بين الممدوح صورة الماء الذي جاشت غواربة ، فالمشبه به (سمو عُباب الماء جاشت غواربه)ينطوي استعارة مكنية أيضاً ، صورت الماء وهويجيش جيشاناً كالانسان دلالة جلية على الارتفاع والعلو للأمواج (غواربه) ، وهي صورة حسية تشير إلى علو الممدوح وتساميه في قدره وعزه وقوته وكرمه :

فنول حتى لـم يجد من ينيلـه   وحارب حتى لم يجد من يحاربه

وهذا المعنى قد تكرر في أبيات سابقة ، فالممدوح هو الكريم القـوي . والكرم والقوة هما أظهر صفاته التي يكررها الشاعر لتجليتهـا وبـالصور المجازية التي تعمل على تصعيدها في صور مشخصه وحسية .

ثم يعرض له صفات جديدة تتمثل في الحذر . واليقظة . والحكمـة ، والشجاعة، والمعروف ... الخ، تكمل صفات الممدوح وتجليه في صـورة انسانية مثالية متكاملة :

وذو يقظـات مستمـر مـريرها ‏ ‏ إذا الخطب لاقاه أضمحلـت نوائبه
وأين بوجـه العـزم عنـه، وانمـا ‏ ‏ مـرائي الأمور المشكـلات تجاربـه
أرى الناس منهاج الندى بعدما عفت ‏ ‏ مهايعـه المثـلى ومحـت لواحبـه
ففـي كل نجد في البلاد ، وغائر ‏ ‏ مواهب منه ، وهي ليست مواهبه

فهو يَقِظ، دائم اليقظة، يصورها الشاعر في صورة حسية ، فالمـريرة الفتلة من الحبل إذا فتلت فتلا شديداً (١)، وفي هذا التصوير الحسي تكثيف لمعنى اليقظـات وايحـاء بأنها يقظات ذكية حازمة دائمة ، وهو بها يواجـه الأمور العظيمة فتتلاشى نوائبها (إذا الخطب لاقاه اضمحلت نوائبه) كمـا أخرجتها الأستعارة المكنية بهذه الصورة الحسية المشخصة التي تشير الـى عظمة الممدوح وحكمته التي يجليها الأستفهام الأنكاري واسلوب القصـر (إنما) في قوله :

واين بـوجه العزم عنه، وإنمـا ‏ ‏ مرائـي الأمـور المشكلات تجاربه

فالعزم يوجب ألا يعزم الشاعر إلا الى هذا الممدوح ، فالاستفهام الأنكاري بـ(أين) يشير الى عظمة الممدوح وحكمته، وفي الوقت نفسه هو انكـار لغيره ، وأكد هذا المعنى اسلوب القصر بـ(إنما) قصر فيه (مرائي الأمـور

(١) ينظر لسان العرب : ١٠/٧ .

المشكلات) على تجارب الممدوح ، وكأنها (التجارب) – كما يصورها التعبير – مرايا تظهر فيها الأمور على حقيقتها دلالة موحية على الحكمة والخبرة في الحياة، فالحياة قد علمته مالم تعلم أحداً كما أفاد اسلوب القصر الذي حصر الخبرة والحكمة في دائرة الممدوح دون غيره، فهو يختص بها وهو أيضاً :

أرى الناس منهاج الندى بعدما عفت مهايعه المثلى ومحت لواحبه

الأسوة الحسنة التي يتأسى بها ، فهو قد أرى الناس منهاج الندى : طريق الكرم في صورة واقعية وليس أقوالا دونما أفعال بعدما عفت مهايعه ، ومحت لواحبه: طرقه المثلى الواضحة الظاهرة، والمجاز العقلي (عفت مهايعه ، ومحت لواحبه) من شأنه أن يفخم المعنى ويكسبه زهواً ومبالغة في جلائه . ومن شأن السلوك الواقعي الفعلي الذي يجسده الممدوح أن ينتشر في كل الأرض ماارتفع منها وما انخفض، ويصبح عمل المقتدين به صورة من مواهبه وأفعاله وان لم يأتها على وجه الحقيقة :

ففي كل نجد في البلاد وغائر مواهب منه وهي ليست مواهبه

ويبدو أن معنى البيت متأثر بحديث نبوي شريف (١) لكنه مصاغ في صورة لغوية أخرى والمعنى واحد .

وكون الممدوح القدوة الحسنة في صفاته وأفعاله ، فهو يترك الدنيا وعمله خالد، فتحدث له الأيام شكراً، وهي مجبرة ذليلة على ذلك :

لتحدث له الأيام شكر خناعة تطيب صبا نجد به وجنائبه

فو الله لو لم يلبس الدهر فعله لأفسدت الماء القراح معايبه

(١) الحديث هو : «من سن في الاسلام سنة حسنة فله ......» ينظر: صحيح مسلم : ٢٠٥٩/٤.

والمجاز العقلي أخرج المعنى على وجه من المبالغة الثمنية (تحدث له الأيام) و(تطيب صبا نجد)و(يلبس الدهر فعله) يجليها اسناد الفعل عقليا إلى (الأيام، و صبا نجد، والدهر) فيكتسب المعنى مع هذا النوع من الأسناد دلالة شمولية يقصد إليها الشاعر لابراز مكانة الممدوح وعظمته ، فلولا الممدوح لما كان كرم ولا كان فضل،بل ان كرم الممدوح وفضله يتجاوزان الأنسان ليشملا الموجودات الأخرى ، فبه طابت حتى الرياح شرقية وجنوبية (تطيب صبا نجد به وجنائبه) ، ولاشك في أن اسلوب القسم (فو الله) اضاف توكيداً وتثبيتاً للمعنى .

ولولا الممدوح بصفاته تلك التي لبسها الدهر (لأفسدت الماء القراح معايبه) وهي كناية يكنى بها الشاعر عن نوعين متباينين من الحياة، فالماء العذب له طعمه الطيب، ولكن عندما تدب اليه عوامل إفساده، فإنه يصبح مغصة لشاربه، كذلك الحياة إذا لم يكن فيها فعل الخير من كرم واحسان ... ، تكون حياة فاسدة لاخير فيها. والكناية كثفت المعنى وأكدته في صورة حسية قريبة، ولعلها تلمح- أيضاً- من وراء سجفها الى شوق الشاعر وتوقه إلى نوع من الحياة الحميدة يطيب بها الأنسان ويهنأ بالخير والطمأنينة والأمن ، كما توحي الأبيات بعد ذلك بوصفها حياة من هذا النوع في ظل الممدوح :

ويأأيها الساري فسر غير حاذر جنان ظلام، أو ردى أنت هائبه
فقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ماتدب عقاربه
يقولون ان الليث ليث خفية نواجذه مطرورة ، ومخالبه
وما الليث كل الليث إلا ابن عثرة يعيش فواق ناقة ، وهو راهبه

فالأمن والسلام قد عما البلاد كل البلاد في ظل الممدوح ، لذلك فهو ينادي المسافرين في الليل نداء لطيفاً زاد من لطفه الجناس بين (ساري وسر)

بما فيه من ايقاع صوتي وتوكيد للمعنى وهو السير في الليل من غير خوف أو حذر، سواء ، كان باعثه (جنان ظلام) كناية عن شدة الظلام وقسوته أو غير ذلك. والليل في حد ذاته مبعث خوف بما يثيره في النفس من توقع للمجهول الخافي من كل شيء ،وكشف هذه المعاني التصوير الكنائي ، إلا. أن الممدوح قد(بث خوف انتقامه) بهذا التعبير الحسي اللطيف ، لأن الفعل (بث) يتناسب في دلالته مع الليل ويتناسق ، إذ يوحي بالأنتشار اللطيف ، والتغلغل في كل مكان يغطيه الليل بظلامه، فيكون خوف انتقام الممدوح المبثوث مصدراً للأمن، لأنه أخاف كل معتد يثير الخوف في النفوس ، كما يعبر عنه الشاعر بالكناية البديعة (حتى ماتدب عقاربه) التي تشير في ظاهرها الى العقارب التي تهاب سطوة الممدوح وانتقامه، فهي لاتخرج من أوكارها ليلا أو نهاراً، الا ان التعبير الكنائي يبقى موحيا بمعان، فهو دلالة عن كل حيوان وحشرة سامة تؤذي الإنسان وتفتك به، وهو دلالة عن كل عدو يمكنه ظلام الليل المخادعة والأقتحام والتمكن ... فهو ذو دلالة عامة يشمل كل مايؤذي الإنسان ينشط في الليل ويزحف .... بل يشمل حتى الأسود :

يقولون إن الليث ليث خفية   تواجذه مطررة، ومخالبه

وما الليث كل الليث إلا ابن عشرة   يعيش فواق ناقة وهو راهبه

وكلا البيتين يجلي قوة الممدوح وبطشه، فقوته تنال حتى الأسود الكواسر فهم يزعمون أن الأسد يسكن خفية في غابة كثيفة، وله أنياب ومخالب حادة تفتك بالفريسة، فالأسد يسطو ببطشه على الحيوانات الأخرى ... أما البيت الثاني ففيه استعارة ، فالبيت استعارة تصريحية بدلا من الرجل القوي الذي يبطش بالناس ، فالأستعارة تكشف بجلاء عن القوة والبطش للمستعار له الذي يتجسد في صورة الأسد الحيوان بكل مايشير اليه من معان أظهرها:

القوة والبطش والتخفي ... ولكن الأسد الأستعاري وهو في ملك الممدوح خائف مرهوب يعاقب على الذنب أو العثرة ، وفي ذلك دلالة بالغة تجلي قوة الممدوح وشجاعته وسيطرته المطلقة سواء على الموجودات التي مثل لها الشاعر بالأسد الحقيقي — وهو أشرسها وأقواها — أو على صعيد الإنسان القوي —الذي استعار له الأسد — وعمق هذه الدلالة الكناية(فواق ناقة) (*)،اذ توحي الكناية استسلام القوي المعتدي في مملكته، وانزال العقاب عليه بسرعة ... وبذلك تتجلى صفة الشجاعة للممدوح،بوصفها صفة تكمل الصفات الأخرى التي يتحلى بها ، وهي الصفة التي تتعمق في وصف القتال الذي خاضه الممدوح على أعدائه الذين يتربصون به الغدر والعداء للدين والناس والدولة ، وبهذا الوصف تنتهي لوحة المديح .

ويوم امام الموت دحض وقفته   ولو خر فيه الدين لانهال كاثبه
جلوت به وجه الخليقة ، والقنا   قد اتسعت ، بين الضلوع مذاهبه
شفيت صداه، والصفيح من الطلى   رواء نواحيه عذاب مشاربه
ليالي لم يقعد بسيفك أن يرى   هو الموت ، الا أن عفوك غالبه
فلو نطقت حرب لقالت: محقة   الا هكذا فليكسب المجد كاسبه

تنكير اليوم يفيد تعظيمه ،فهو يوم مشهود فيه منازلة بينه (الممدوح) وبين أعدائه، فالتنكير القى ظلال التعظيم على ذلك اليوم ، وترك للمتلقي تخيل ماحدث فيه من معارك شرسة تجلى فيها الممدوح شجاعة وبطولة ...، ثم يرسم الشاعر صورة مشخصة للموت وهو يتربص بالمقاتلين ، وكأن الموت بفعل التشخيص كائن حي كاسر يتربص في أرض المعركة، وزاد الصورة فنية قوله (دحض) أي زلق (١)، إذ تزلق فيه القدم، كناية موحية عن صعوبة

(*) فواق : من المفردات القرآنية . ينظر : سورة ص ، آية ١٥ .
(١) ينظر : لسان العرب : ٧/٩ .

الثبات في ذلك اليوم لشدة معاركه ... ولكنك (وقفته) بثبات وصمود ، وماثباتك وصمودك الا ثبات للدين :

ولو خر فيه الدين لانهال كاثبه

والدين لايخر ولكن الذي يخر هم المقاتلون المدافعون عنه ، ولكنه المجاز العقلي يضفي على التعبير المبالغة الفنية في تصوير المعنى من خلال اسناد الفعل اسناداً عقلياً (خر ... الدين)، فانتصارك انتصار للدين وتثبيت له في الأرض، فالمجاز يكشف عن مكانة الممدوح وجنده، فالدين يزول بزوالهم ويبقى ببقائهم . ولعل الشاعر يلمح الى فكرة عميقة مهمة، تبين مكانة الجهاد في الحياة، استيحاء من القرآن الكريم، وأقوال الرسول- صلى الله عليه وسلم-، فلولا الجهاد المستمر لزال الدين وانهار كله . وأبو تمام غالباً مايفيد من المعنى القرآني والحديث النبوي ويوظفهما توظيفاً فنياً يصعد تعبيره الشعري ويكثفه بدلالاته وايحاءاته .

ونصرك هذا قد بيضت به وجه المسلمين ووجه الخليفة، وهو نصر عظيم فتك بالأعداء وأثخن بهم أثخاناً :

جلوت به وجه الخليفة، والقنا قد اتسعت بين الضلوع مذاهبه

الكناية (والقنا قد اتسعت) تمثل مشهداً من مشاهد تلك المعركة ، كني بها عن كثرة القتل، وكثرة الجراح التي أوقعتها رماحهم بأعدائهم بين الضلوع دلالة بالغة على القوة والتمكن والنصر على العدو في ساحة القتال ، وهذا الفعل الذي أوجزه التصوير الكنائي قد شفى النفوس المؤمنة :

شفيت صداه ،والصفيح من الطلى رواء نواحيه عذاب مشاربه

الصورة التشبيهية (رواء نواحيه عذاب مشاربه) المشبه به، أما المشبه فهو: قوله: (الصفيح من الطلى)، والصورة تجسيد حسي لتأثير النصر في القلوب والنفوس، فالقلوب المؤمنة يفعل النصر فيها كما يفعل الماء المسكوب على أرواحها لتبتل به وتفرح وتطمئن وتسكن، (شفيت صداه) يجوز ان يكون المقصود: عطش الخليفة، وهو الأقرب، ويجوز أن يكون المعنى لكل أحد و (الصفيح من الطلى) الصفيح: جمع صحيفة، وهو السيف العريض، وهو قد طلي بدماء الأعداء من حافتيه- كما صوره التشبيه -، تشبيه دماء الأعداء وهي تسيل من السيوف، بالماء العذب الفرات الذي تشتاق اليه النفوس وهي ظمآى. فالتشبيه يجلي معنى حلاوة النصر وتأثيره في نفوس الجنود المقاتلين المتطلعة الى النصر الواثقة منه.

ولتصوير بطولة الممدوح وشجاعته في احراز هذا النصر، يأتي التعبير الأستعاري ليكشف فعل سيف الممدوح في أرض المعركة:

ليـالي لم يقعد بسيفك أن يسري   هو الموت، إلا أن عفوك غالبـه

فيتحول (سيف الممدوح) الى صورة الموت بفعل الأستعارة التصريحية (هو الموت)، يفتك بالأعداء فتكاً، ويزهق ارواحهم، إلا أن الممدوح يغلبه العفو وهو عفو عند المقدرة وهو أسمى أنواع العفو يسمو بالممدوح ويعلـو بـه مقتدراً على أعدائه.

وهذا الجهاد المكلل بالنصر هو طريق المجد والرفعة للأمة، فلا مجد ولا رفعة الا بالنصر الذي يحققه الجند المؤمنون بفعل ايمانهم وسيوفهم التـي توقع بأعدائهم شر هزيمة، ولو أن حرباً نطقت لحكت قصتها وما وقـع فيها من فعل المؤمنين:

فلو نطقت حرب لقالت: محقـة   ألا هكذا فليكسب المجد كاسبه

أداة التمني (لو) تنبئ بعد وقوع الفعل (نطقت)، لكن الحرب تنطق بما تسجله من وقائع خالدة لاتنسى. تنطق بما تتركه من أفعال وأقوال تدون في بطون التأريخ لتكون دروساً بليغة للأجيال الاتية ، وهذه الحرب التي خاض غمارها الممدوح والتي وصفها الشاعر بالتصوير المجازي (نطقت ... محتمة) تعلن أن الانتصار الذي حققه على أعدائه هو المجد بعينه ... وبالمجاهدين الصابرين الحامين للثغور يتحقق المجد ، وتعلو راية النصر، وبهم تحمى الأوطان والأعراض .وما الممدوح إلا واحداً من هؤلاء :

ليعلم أن الغر من آل مصعب غداة الوغى. أهل الوغى وأقاربه
كواكب مجد . يعلم الليل أنها إذا نجمت باءت بصغر كواكبه

فالممدوح وأسلافه (أهل الوغى وأقاربه) وكأن ديدنهم في الحياة منازلة الأعداء ،فهم أصحاب بلاء حسن في الحروب، وجهاد مستمر، دلالة موحية على استمرار انتصارهم وتمكنهم من أعدائهم المتربصين بهم، وكأن النصر الدائم قد كتب لهم والهزيمة قد كتبت لأعدائهم . ثم تتعمق صورة الممدوح وأسلافه بالصورة التشبيهية (كواكب مجد) التي أخرجت المعنى على وجه من المبالغة الفنية، زادتها عمقا الصورة الأستعارية المكنية (يعلم الليل)، فالصورتان قد تواشجتا في تصوير المعنى، وجمالية الصورة التشبيهية تتبدى في كون الممدوح واسلافه قد تحولوا الى (كواكب) ولكنها كواكب لاتقارن بكواكب السماء المتلألئة ، فهم (كواكب مجد) تضؤل كواكب السماء بجانبها . فهم امجد منارات تضيئ للسائرين وتهديهم لطريق ، وها هو الليل قد عام — كما صورته الاستعارة المكنية (قد يعلم الليل) — إذا نجمت (باءت بصغر كواكبه) ، فالتشبيه يقابل صورة ذهنية (كواكب مجد) بصورة حسية (كواكب السماء)، وكما ان كواكب السماء

واضحة ساطعة ببريقها تهدي المسافرين في ظلمات الليل ، فإن مجد الممدوح وآله أوضح وأشهر وأسطع ، تهدي السائرين في طريق المجد ، وفي هذا التقابل التصويري ايحاء إلى أن الوجود قد شارك في هذا الشعور ، وشهد على هذا المجد . وإذا ما حاول انسانٌ ما يسعى ليدرك شأو الممدوح . فتلك أمنية لا يمكن تحقيقها ، وحسب الساعي ان يعلم الناس أنه قد علم أنّ إدراك مجد الممدوح امر مستحيل :

ويا ايها الساعي ليُدرك شأوه   تزحزح قصياً ، أسوأ الظن كاذبُه
بحسبك من نيل المراتب أن تُرى   عليماً بأن ليست تُنال مناقبُهُ

معنى البيتين فيه مبالغة فنية تنطوي على ايحاء فيه تعظيم شأن الممدوح وتفرده في علو مرتبته التي لا يبلغها ساع . ومن ثمة نلحظ الألفاظ (تزحزح وقصياً) ذات الايقاع الجميل قد عمقت المعنى ، تعظيم الممدوح وتفرده ، وتصغير شأن الساعي لادراك مجد الروح ، والألفاظ (تزحزح وقصيا) من الألفاظ القرآنية التي أفاد منها الشاعر (١)

ثم يأتي البيت الأخير من اللوحة متصلاً بالمعنى الكبير الذي الحّ عليه الشاعر في ثنايا القصيدة ، وهو النجاح فيما يتغياه من أهداف ، وهو حسن انتهاء لمعنى القصيدة

إذا ما امرؤٌ القى بربعك رحْلَهُ   فقد طالبته بالنجاح مطالبُهُ

فالشاعر يهدف إلى النجاح ، وقد وظف القصيدة كلها لتحقيق ذلك من خلال الإلحاح على نفسية الممدوح ووجدانه باظهار القيم الحميدة التي يتحلى بها ،كما نلحظ ذلك بجلاء من خلال اسناد الفعل اسناداً مجازياً عقلياً لتوكيد معنى النجاح وتعظيمه (طالبته بالنجاح مطالب) وهو هدف الشاعر وغايته على مسار القصيدة .

---

(١) ينظر ، سورة آل عمران : آية : ١٨٥ ، وسورة مريم ، آية : ٢٢ .

ـ الخاتمة والنتائج ـ

حاولت هذه الدراسة البلاغية الوقوف على الوظيفة التعبيرية للظواهر البلاغية التي نسجت جسم القصيدة ، وفاعليتها في الكشف عن دلالاتها من خلال علاقاتها التي تنتظم النص ، وقد تبيّن ما يأتي :

١ ـ الظواهر البلاغية في القصيدة ذات طاقة فنية ، اذ لاحظت الدراسة احتضان الفن البلاغي للأفكار والمعاني على نحو متناغم ، اذ تتجلى الأفكار من خلال الظواهر البلاغية المتنوعة ذات ايحاء وحيوية وقوة تأثير،فهذه الظواهر ليست فنوناً تجريدية تُراد لذاتها ، بل هي جزء من بناء ابداعي لها اهدافها في التعبير .

٢ ـ فعلى صعيد اللوحة الاولى تنهض الظواهر البلاغية باحتضان فكرة الصراع بين الشاعر وصاحبته ، وتقديمها في صورة تؤدي إلى إثارة فكرية ونفسية في المتلقي . أما على صعيد اللوحة الثانية تعمق الظواهر البلاغية فكرة الرحلة وما فيها من مشاق ومعاناة وآلام ، وذلك بالتصوير الموحي المؤثر ، فتبعث في المتلقي سلسلة من التفكير الحيوي الهادف ، يشارك الشاعر في معاناته وآلامه قبل الوصول إلى الهدف .

٣ ـ أما على صعيد اللوحة الثالثة ، فقد نهضت الظواهر البلاغية باحتضان فكرة المديح فقدمتها في سياقات متعددة ، إلاّ أن فكرة المديح تكون في أعطافها ومبرِّزة الممدوح في صورة مثالية لا يرقى اليها أحدٌ من البشر .

٤ ـ لاحظت الدراسة أن الاستعارة المكنية ذات الوظيفة التشخيصية ترد في القصيدة اكثر من الظواهر البلاغية الأخرى ، ويبدو أن السبب في ذلك

هو قوة التأثير بالتشخيص ، إذ يعمل التشخيص على عقد صلة روحية بين المتلقي والصور المشخصة على نحو لا ينهض بذلك فن بلاغي آخر .

٥ ــ ولاحظت الدراسة ــ أيضاً ــ وعلى نحو جلي تأثر الشاعر أبي تمام بالألفاظ والمعاني القرآنية الكريمة ، وبالحديث النبوي الشريف بحيث تشكل ظاهرة فنية ملحوظة .



ـ المصادر والمراجع ـ

ـ القرآن الكريم

ـ أبو تمام الطائي ـ حياته وحياة شعره ، نجيب محمد البهبيتي ، مطبعة النجاح الجديدة ، المغرب ١٩٨٢ .

ـ أبو تمام ـ دراسة تحليلية ـ ، د. عمر فرّوخ ، بيروت ١٩٦٤ .

ـ أسرار البلاغة ، عبدالقاهر الجرجاني ، تح : هـ. ريتر ، مطبعة وزارة المعارف ـ استانبول ، ١٩٥٤ .

ـ الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د. مجيد عبدالحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط١ ، بيروت ١٩٨٤.

ـ اخبار أبي تمام ، للصولي : أبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، تح : محمد عبدة عزام وخليل محمود عسكر ونظير الاسلام هندي ، ط بيروت ١٩٨١ .

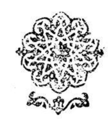
ـ البديع ـ تأصيل وتجديد ، د. منير سلطان ، منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٨٦ .

ـ البلاغة والتطبيق ، د. احمد مطلوب ـ د. كامل حسن البصير ، مطبعة دار الكتب ، ط١ ، جامعة الموصل ١٩٨٢ .

ـ البلاغة العربية ـ تأصيل وتجديد ـ ، د. مصطفى الصاوي الجويني ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٨٥ .

ـ بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، د. منير سلطان ، منشأة المعارف ، بالاسكندرية ١٩٨٨ .

- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت.
- جدلية الخفاء والتجلي - دراسات بنيوية في الشعر. كمال أبو ديب ، ط١ ، ١٩٧٩ .
- ديوان أبي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، تح : محمد عبدة عزام ، مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .
- صحيح مسلم ، للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تح : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار احياء التراث العربي . بيروت ، د.ت .
- في البنية والدلالة - رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية ، د. سعد أبو الرضا ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، د. ت .
- الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- لسان العرب ، لابن منظور ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، د. ت .



الصحيح والحسن من أحاديث فضائل السور في : (الكشاف ، وانوار التنزيل ، والإرشاد) .

عبدالستار فاضل النعيمي
كلية الآداب — جامعة الموصل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وآله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فلا يخفى على من له اشتغال بمطالعة التفاسير ومدارستها أن (الكشاف) للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ ، و (أنوار التنزيل) للبيضاوي المتوفى سنة ٧٩١هـ ، و(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لابي السعود العمادي المتوفى سنة ٩٨٢هـ ، تخرج من مشكاة واحدة هي بيان لغة وبلاغة القرآن الكريم ، ومحاولة الكشف عن أسرار إعجازه ، على الرغم مما بين التفاسير الثلاثة من خلاف في الأصول والفروع (١) .

ولقد تبوأ كل من هذه التفاسير مكانة طيبة لدى أهل العلم ، وتلقته الأمة بالقبول .

(١) أما خلاف الأصول فهو أن تفسير الكشاف أعتزالي ، والآخرين على عقيدة أهل السنة والجماعة وأما خلاف الفروع فالبيضاوي شافعي وصاحباه حنفيان .

فتفسير (الكشّاف) – بغض النظر عمّا فيه من الاعتزال – تفسيرٌ لم يُسبق مؤلفُه اليه ، فقد أظهر فيه من وجوه التأويل وبيان الاعجاز القرآني ما لفت اليه أنظار العلماء ، وأثار عناية الدارسين .

وكذلك (أنوار التنزيل) ، إذ هو من أمهات كتب التفسير التي لايستغني عنها من رام فهم كتاب الله تعالى ، والوقوف على أسراره ومعانيه (١) .

و (تفسير ابي السعود) أيضاً له مكانته عند العلماء ، فقد كان أبو السعود يُدرِّس تفسيري الكشاف وأنوار التنزيل ، ويشتغل بمطالعتهما ، فجمع بينهما في مؤلف واحد ، رادّاً فيه ما لم يرتضه من أقوالهما ، ومضيفاً اليه ما وجده في التفاسير الأخرى فكان تفسيره المعروف (٢) .

وعلى الرغم من هذه القيمة العلمية الرفيعة لهذه التفاسير أُخذت عليها مآخذ منها ما نحن بصدد البحث فيه ، وهو (أحاديث فضائل السُّوَر) إذ إنّ الزمخشري أورد في أواخر تفسير كل سورة حديثاً أو حديثين في فضائلها ، وما لقارئها من الثواب وأخذها عنه البيضاوي ، ثم تابعهما أبو السعود ، وإن كانوا جميعاً في الواقع مسبوقين إلى ذلك ، فقد سبقهم الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧هـ ، والواحدي المتوفى سنة ٤٦٨هـ الاّ أن من سبقهم ذكروها باسناد ، فاللوم عليهم يقل بخلاف الزمخشري ومن تابعه فانهم ذكروها بغير سند ، ولهذا قصرنا بحثنا على هذه التفاسير الثلاثة ، لخلوها من الإسناد .

قال ابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣هـ في شأن حديث أبي بن كعب في فضائل القرآن سورة سورة :«ولقد أخْطَأ الواحدي المفسر ومن ذكره من المفسرين في ايداعه تفاسيرهم » (٣) .

---

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ٤٣٣/١ و ٣٠٣ و ٣٠٤ .
(٢) تفسير أبي السعود ٢/١ و٣،وتنظر رسالتنا للماجستير(ابو السعود ومنهجه في التفسير) ٦٣
(٣) مقدمة ابن الصلاح/٤٨ وينظر البرهان : الزركشي ٥١٣/١ .

وقال الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ: «قلتُ: وكذلك الثعلبي، لكنهم ذكروه بإسناد فاللوم عليهم يقلّ، بخلاف من ذكره بلا إسناد وجزم به كالزمخشري فإن خطأه أشد» (١) .

ولقد طعن العلماء في صحة هذه الأحاديث ، فوصفوها بالوضع ، وحكوا اتفاق أهل الحديث على ذلك .

يقول ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ : «وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة ، مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدي والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة فإنه موضوع باتفاق أهل العلم» (٢) .

ويقول محمد حسين الذهبي : «وقد عرفنا قيمة هذه الأحاديث وقلنا : إنها موضوعة باتفاق أهل الحديث ، ولست أدري كيف اغترَّ بها البيضاوي ، فرواها وتابع الزمخشري في ذكرها عند آخر تفسيره لكل سورة مع ماله من مكانة علمية» (٣) .

ويقول أيضاً عند كلامه على أبي السعود وتفسيره: «ولكن نجده قد وقع فيما وقع فيه صاحب الكشاف، وصاحب أنوار التنزيل، من أنه ذكر في آخر كل سورة حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضلها ، ومالقارئها من الثواب والأجر عند الله مع أن هذه الأحاديث موضوعة باتفاق أهل العلم جميعاً». (٤)

يفهم من هذا أن أحاديث فضائل السور في التفاسير الثلاثة موضوعة كما ذكر ابن تيمية وأكده الذهبي وحكيا الاتفاق على ذلك .

---

(١) البرهان ٥١٣/١ .
(٢) مقدمة في أصول التفسير /٣٢ .
(٣) التفسير والمفسرون ٢٩٨/١ .
(٤) المصدر نفسه ٣٤٩/١ .

ولكن البحث في هذه الأحاديث يد لنا على أن هذا الذي ذكره أبن تيمية ومحمد حسين الذهبي رحمهما الله ليس دقيقاً ،فقد وجد أن قسماً من هذه الأحاديث صحيح، بل أن منها ما آتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم ،الذي هو أعلى درجات الصحيح، ومنها ماهو حسن، الأمر الذي يخرق هـذه الاتفاق الذي ذكراه .

ولعلهما أرادا بما ذكراه أن أكثرها موضوع لاكلها وإن كان ذلك غير ظاهر في كلامهما، مثل ماوجه السيد الشريف الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦هـ قول بعض المحدثين في ذلك إذ قال في حاشيته على الكشاف « وقول بعض المحدثين: إن من الموضوع الأحاديث المروية عن أبي بن كعب في فضائل السور، أراد به أكثرها» (١) وهذا معقول مبني على ظاهرة التغليب، ومن التبعيضيه تشعر بذلك .

ولكن كلام ابن تيمية ومحمد حسين الذهبي يوحي بأن هذه الأحاديث كلها موضوعة، مما حدا بي الى بيان ماصح وحسن منها في هذا البحث .

وقد وردت أحاديث صحيحة في فضائل القرآن جملة، وفي فضل عدد من السور والايات ليست موضوع بحثنا لأنه خاص بالتفاسير الثلاثة التي ذكرنا، والمتطلع الى معرفتها يجدها في كتب الحديث وطائفة من التفاسير كتفسير القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ ،وتفسير ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ وكلاهما ثبت ثقة :

وتجدر الإشارة إلى أن احاديث فضائل السور نوعان ضعيف ، أوموضوع وصحيح أو حسن، وأن المنهج الذي رأيناه في هذا البحث هو بيان الصحيح والحسن،لأن التهمة بالوضع أو الضعف قد عمت الجميع في كتابات وروايات المحدثين وغيرهم، كما ظهر في ماتقدم من كلام .

(١) حاشية السيد الشريف الجرجاني على الكشاف ٧٥/١ .

(١)

مصدر الوضع في هذه الأحاديث

ومصدر الوضع في ما هو موضوع من هذه الأحاديث جماعة وضعوها بدافع التقرب- بزعم الواضعين- الى الله تعالى، «كأن هذه الثروة التي لايدرك البيان وصفها من أقواله عليه السلام، ونوابغ حكمه، وجوامع كلمه لم تكفهم ولم تشف صدورهم» (١)

وينسب الوضع في أحاديث فضائل السور الى أبي عصمة نوح بن أبي مريم، فقد روى الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ بسنده الى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة الجامع: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورةً وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن. واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن اسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة (٢).

وروى ابن الصلاح أيضاً المتوفى سنة ٦٤٢ هـ بسنده عن أبي عصمة وهو نوح بن أبي مريم مارواه الحاكم، ثم قال: «وهكذا حال الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل القرآن سورة سورة، بحث باحث عن مخرجه حتى أنتهى الى من أعترف بأنه وجماعة وضعوه، وإن أثر الوضع بين فيه» (٣).

وذكر السيد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦هـ أن الصغاني قال: «وضعها رجل من عبادان، وأعتذر بأن الناس لما اشتغلوا بالأشعار وفقه أبي حنيفة وغير ذلك، ونبذوا القرآن وراء ظهورهم أردت أن أرغبهم فيه» (٤).

---

(١) علوم الحديث ومصطلحه : د.صبحي الصالح /٢٧٠ .
(٢) الاتقان : للسيوطي ١٥٥/٢ .
(٣) مقدمة ابن الصلاح /٢١٤
(٤) حاشية السيد الجرجاني ٧٥/١

وروى السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ عن المؤمل بن إسماعيل أنه قال : «حدثني شيخ بحديث أبي بن كعب في فضائل سور القرآن سورة سورة ، فقال: حدثني رجل بالمدائن وهو حي، فصرت إليه، فقلت له من حدثك؟ قال حدثني شيخ بواسط وهو حي، فصرت إليه، فقلت له : من حدثك ؟ قال حدثني شيخ بالبصرة، فصرت إليه ، فقلت له من حدثك ؟ فقال : حدثني شيخ بعبادان فصرت إليه، فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً ، فإذا فيه من المتصوفة،وبينهم شيخ، فقال: هذا الشيخ حدثني، فقلت ياشيخ، من حدثك؟ فقال: لم يحدثني أحد، ولكن رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن، فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن »(١) .

فبان مما سبق مصدر الوضع في أحاديث فضائل القرآن ، والدافع الذي كان وراء ذلك .

(٢)

مصنفات في فضائل القرآن :

ولقد صنف في فضائل القرآن علماء منهم أبو بكر محمد بن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥هـ، وأبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ، والنسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ ، وابن الضريس المتوفى سنة ٢٩٤هـ (٢) ، والسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ (٣) وغيرهم .

وقد جرت عادة المفسرين ممن ذكروا الفضائل أن يذكروها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب في قراءتها والحث على حفظها إلا الزمخشري

(١) الاتقان ١٥٥/٢ و ١٥٦
(٢) البرهان ٥١٣/١ والاتقان ١٥١/٢
(٣) الاتقان ١٥١/٢

فانه يذكرها في أواخرها وتابعة البيضاوي وأبو السعود ، ويعلل الزمخشري ذلك بقوله: « لأنها صفات والصفة تستدعي تقديم الموصوف» (١) . ولذلك أخرها وقدم السور عليها بخلاف من سبقه .

(٣)

بعد أن عرفنا موقف العلماء من أحاديث فضائل السُّور التي وردت في الكشاف ، وأنوار التنزيل ، والارشاد ، وحكايتهم اتفاق المحدّثين على أنها موضوعة ، وقلنا : إن هذا الادعاء لايصحّ ولا يُسلّم به لأن هناك من هذه الأحاديث ماهو صحيح وما هو حسن ، سنبين ماصح وحسن منها فيما يأتي:

ذكرت التفاسير الثلاثة في فضل سورة الفاتحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبيّ بن كعب : (ألا أُخبرُك بسورةٍ لم ينزلْ في التوراةِ والأنجيلِ والقرآن مثلُها ؟ قلتُ : بلى يارسول الله . قال : فاتحةُ الكتابِ ، إنها السبعُ المثاني والقرآنُ العظيمُ الذي أوتيتُه) (٢) .

هذا الحديث مرويٌّ عن أبي سعيد بن المعلّى ، وأُبيّ بن كعب رضي الله عنهما ، وهو من كلا الطريقين صحيح .

أمّا عن أبي سعيد بن المعلى فقد رواه البخاري في صحيحه ، قال : (حدثنا يحيى عن شعبة قال : حدثني خبيب بن عبدالرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلّى قال : كنتُ أصلّي في المسجد فدعاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلَمْ أُجبْهُ ، فقلتُ : يارسول الله ، إنّي كنتُ أصلّي فقال : ألمْ يَقُلِ اللهُ : أستجيبُوا لله وللرّسولِ إذا دعاكم ؟ ثم قال لأعلمنّك سورةً هي أعظمُ السُّورِ في القرآن قبل أن تخرُج من المسْجد.

---

(١) البرهان ١/٥١٣

(٢) الكشاف ١/٧٥ ، وأنوار التنزيل ١/١١ ، والارشاد ١/١٥ .

ثمَّ أخَذ بِيَدي فلما أراد أَن يخرُج قلت له : ألم تَقُلْ : لأعَلمنّك سورةً هي أعظمُ سورةٍ في القرآنِ قال : الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، هي السّبعُ المثاني والقرآنُ العظيمُ الّذي اوتيتُه) (١) .

ورواه أبو داود ، قال : (حدثنا عبيدالله بن معاذ : حدثنا خالد : حدثنا شعبة ..) (٢) بالسند نفسه ، بنحو الحديث :

ورواه الأمام أحمد في مسنده ، قال : : (حدثنا يحيى بن سعيد عــن شعبة...) (٣) بالسند والحديث نفسهما . ورواه النسائي وابن ماجه أيضاً من طرق عن شعبة به . (٤)

وأما عن أبي بن كعب فقد رواه الأمام أحمد في مسنده ، قال : (حدثنا عفّان ، قال : حدثنا عبدالرحمن بن ابراهيم قال : حدثنا العلاء عن عبدالرحمن عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بن كعب وهو يصلي ، فقال : ياأبيّ ، فالتفت ، فلم يجبْه ، ثم صلى أبيّ فخفّف ثم انصرف إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فقال : السلامُ عليك أيْ رسول اللهِ ، قال : وعليك . قال : مامَنعك أيْ أبيُّ إذ دعوتك أن تجيْبني قال : أي رسول الله كنتُ في الصلاةِ . قال : أفلست تجدُ فيْما أوحى اللهُ إليَّ أن استجيبوا للهِ وللرسولِ إذا دعاكم لما يحييكم ؟ قال : قال بلى أيْ رسول اللهِ لاأعودُ . قال : أتحبّ أن أعلمك سورةً لم تنزلْ في التوراةِ ولا في الزبورِ ، ولا في الإنجيلِ ، ولا في الفرقانِ مثلُها ؟ قال : قلتُ نعمْ أيْ رسول اللهِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأرجو أن

(١) صحيح البخاري ١٤٦/٥ .
(٢) سنن أبي داود ٧١/٢ .
(٣) الفتح الرباني ٦٧/١٨.
(٤) صحيح سنن ابن ماجه ٣١٥/٢ .وسنن النسائي ١٠٧/١ ، وينظر الفتح الرباني ٦٧/١٨

لا تخرج من هذا الباب حتى تعلمها . قال : فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم . يحدثني وأنا أتبطأ مخافة أن يبلغ قبل أن يتقضى الحديث ، فلما أن دنونا من الباب قلت : أي رسول الله ، ماالسورة التي وعدتني ؟ قال : فكيف تقرأ في الصلاة ؟ قال : فقرأت عليه أم القرآن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ،وانها للسبع من المثاني زاد في رواية» بلفظ:إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اعطيت) (١).

وروى بعضهم هذا الحديث عن أبي سعيد بن المعلى عن أبي بن كعب فقد ذكر ابن كثير بعد أن أورد الحديث أنه رواه الواقدي عن محمد بن معاذ الأنصاري عن خبيب بن عبدالرحمن عن حفص أبن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى عن أبي بن كعب ، فذكره نحوه (٢) .

ولقد طعن الحافظ أبن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ في الواقدي وروايته هذه ، فقال : ((روى الواقدي هذا الحديث عن محمد بن معاذ عن خبيب بن عبدالرحمن بهذا الاسناد ، فزاد في إسناده : عن أبي سعيد بن المعلى عن أبي بن كعب . والذي في الصحيح — يعني صحيح البخاري — أصح . والواقدي شديد الضعف إذا آنفرد ، فكيف إذا خالف ؟! وشيخه مجهول ، وأظن الواقدي دخل عليه حديث في حديث)) (٣) .

ومما ينبغي التنبيه عليه في أمر رواية هذا الحديث ماوقع في موطأ الأمام مالك «رحمه الله» ، فقد روى مالك الحديث المذكور فقال : (حدثني يحيى عن مالك بن العلاء بن عبدالرحمن بن يعقوب أن أبا سعيد مولى عامر بن كريز

(١) الفتح الرباني ١٨/٦٥ و ٦٦ .
(٢) تفسير ابن كثير ٩/١ .
(٣) فتح الباري ٢٢٣/٩ .

أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي ، فلما فرغ من صلاته لحقه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على يده وهو يريد أن يخرج من المسجد ... الحديث) (١) .

فأبو سعيد الذي في رواية مالك ليس أبا سعيد بن المعلّى كما اعتقده ابن الاثير الجزري المتوفى سنة ٦٠٦هـ في جامع الأصول ، ومن تابعه ، فإن ابن المعلّى صحابيّ أنصاري ، وهذا تابعي من موالي خزاعة وحديث ابن المعلى متصل صحيح ، في حين أن حديث الآخر ظاهره انه منقطع إن لم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبيّ بن كعب ، فإن كان قد سمعه فهو على شرط مسلم(٢). ولقد أورده الحاكمُ في مستدركه على الصحيحين،(٣) وذكره الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ في تلخيص المستدرك دون الكلام في شيء من لقاء أبي سعيد بن كريز لابي (٤) . والظاهر أنه قبله على هذا فهو على شرط مسلم.

وروى الحديث أيضاً عن أبي بن كعب الامام الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ من حديث أبي هريرة فقال : (حدثنا قتيبة : أخبرنا عبد العزيز بن محمّد عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبيّ بن كعب فقال : ...الحديث) (٥) . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن أنس بن مالك (٦) . وفيه عن أبي سعيد بن المعلّى (٧) .

---

(١) الموطأ بشرح الباجي ١٥٤/١ وينظر المستدرك ، للحاكم ٢٥٨/٢ .
(٢) تفسير ابن كثير ٩/١ و١٠ ، وفتح الباري ٢٢٣/٩ .
(٣) المستدرك ٢٥٨/٢ .
(٤) تلخيص المستدرك ٢٥٨/٢ .
(٥) الجامع الصحيح ١٤٣/٥ ، وينظر : فتح الباري ٢٢٣/٩ .
(٦) الجامع الصحيح ١٤٤/٥ .
(٧) نفسه المصدر

فتبيّن ممّا سبق أنّ الحديث من كلا الطريقين صحيح ، ويبدو أن القصة وقعت لأبيّ بن كعب ، ولأبي سعيد بن المعلّى كما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني وأوجب المصير الى ذلك ، إذ قال : «جمع البيهقي بأن القصة وقعت لابيّ بن كعب ، ولابي سعيد بن المعلّى ، قال : ويتعيّن المصير إلى ذلك لاختلاف مخرج الحديثين واختلاف سياقهما» (١) .

وقبل أن أنتقل إلى حديث آخر أشير إلى أن الحافظ ابن حجر ذكر أن البيضاوي وهم فنسب هذه القصة لأبي سعيد الخدري ، قال أبن حجر : «وهو وهم ، وإنّما هو أبو سعيد ابن المعلّى» (٢) .

وعند النظر في تفسير البيضاوي نجد أن البيضاوي يقول : (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي :ألا أخبرك. الحديث) (٣) . فالبيضاوي لم يذكر – كما هو واضح– أبا سعيد الخدري وإنما أورد كلمة (لأبي) من غير إضافة وهو يحتمل الخدريّ ، ويحتمل أبن كعب . لكن إذا علمنا أن البيضاوي أخذ هذه الأحاديث من الزمخشري (٤) كما ذكرنا سابقاً – وأن الزمخشري أورد أسم أبي بن كعب (٥) ، يترجح أنّ البيضاوي لم يتوهم وإنّما قصد بما ذكر أبي بن كعب ، إلاّ إذا كان ابن حجر قد وجد ذلك عند البيضاوي في غير تفسيره، وهو احتمال ضعيف.

(٤)

ورد فـــي التفاسير الثلاثة في فضل سورة البقرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم :« مَنْ قرأ الايتينِ من آخرِ سورةِ البقرةِ في ليلة كفتاه» (٦)

---

(١) فتح الباري ٢٢٣/٩
(٢) المصدر نفسه
(٣) أنوار التنزيل ١١/١
(٤) التفسير والمفسرون ٢٩٨/١
(٥) الكشاف ٧٥/١
(٦) الكشاف ٤٠٩/١ ، وأنوار التنزيل ١٤٧/١ ، والأرشاد ٢١٠/١

هذا الحديث صحيح، بل في أعلى درجات الصحة، فقد أتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما .

أما البخاري فقد رواه عن أبي مسعود رضي الله عنه من طريقي الأعمش ومنصور، فقال (حدّثنا محمدّ بن كثير: أخبرنا شعبة عن سليمان- وهو الاعمش- عن إبراهيم عن عبد الرحمن عن أبي مسعود رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: (من قرأ بالايتين)(١) . هكذا من غير ذكر تمام الحديث، ثم حوّل السند، فقال:(حدثنا أبو نعيم: حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبدالرحمن بن يزيد عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: من قرأ بالايتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) (٢) .

وهذا اللفظ هو لفظ منصور، ولعلّ السرّ في تحويل السند من طريق سليمان وهو الأعمش ، إلى طريق منصور سوقُ الحديث على لفظ منصور وهذا ماأورد الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث حيث قال : «قوله: من قرأ بالايتين، كذا أقتصر البخاري من المتن على هذا القدر ، ثم حوّل السند الى طريق منصور عن إبراهيم بالسند المذكور ، وأكمل المتن فقال : من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه، وقد أخر جه أحمد بن حجاج ابن محمد عن شعبة فقال فيه. من سورة البقرة ، ولم يقل آخر . فلعلّ هذا هو السرّ في تحويل السند ليسوقه على لفظ منصور، على أنه وقع في رواية غندر عن أحمد بلفظ : قرأ بالايتين الاخيرتين، فعلى هذا يكون اللفظ الذي ساقه البخاري لفظ منصور ، وليس بينه وبين لفظ الأعمش الذي حوله عنه مغايرة في المعنى، والله أعلم» (٣) .

(١) صحيح البخاري ٢٢٩/٣ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) فتح الباري ٤٣١/١٠ .

وأمّا مسلمٌ فقد رواه عن منصور وعن الأعمش أيضاً :

فعن منصور رواه بعدة طرق ، فقال (وحدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير: حدثنا منصور عن إبراهيم عن عبدالرحمن ابن يزيد قال: لقيت أبا مسعود عند البيت ، فقلت : حديث بلغني عنك في الآيتين في سورة البقرة فقال : نعم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. : « الآيتان من آخر سورة البقرةِ من قرأهُما في ليلة كفتاه») (١) . وقال و (حدثنا إسحق بن ابراهيم أخبرنا جرير) ثم حول السند. فقال : (وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار ، قالا : حدثنا محمّد بن جعفر ، حدثنا شعبة كلاهما — أي جرير وشعبة — عن منصور بهذا الاسناد) (٢) أي السابق .

وعن الأعمش أيضاً رواه بعدة طرق ، فقال : (وحدثنا سنجاب بن الحارث التميمي : أخبرنا ابن مُسْهر عن الاعمش، عن ابراهيم عن عبدالرحمن بن يزيد عن علقمة بن قيس ، عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سُورةِ البقرةِ في ليلة كفتاهُ » ، قال عبدالرحمن : فلقيت أبا مسعود وهو يطوف بالبيت فسألته فحدثني به عن النبيّ صلى الله عليه وسلم) (٣) .

قال مسلم : (وحدثني عليّ بن خشرم : أخبرنا عيسى «يعني ابن يونس») ثم حول السّند ، فقال : (وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة .حدثنا عبدالله بن نمير جميعاً عن الاعمش عن إبراهيم ،عن علقمة وعبدالرحمن بن يزيد عن أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله) (٤) أي الحديث : (وحدثنا

(١) صحيح مسلم ٥٥٤/١ و ٥٥٥ .
(٢) المصدر نفسه ٥٥٥/١
(٣) المصدر نفسه ٥٥٥/١ .
(٤) المصدر نفسه ٥٥٥/١

أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا حفص وأبو معاوية عن الاعمش عن إبراهيم عن عبدالرحمن بن يزيد، عن أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله)(١).

وقد روى الحديث أيضاً الإمام الترمذيّ من طريق منصور وقال عنه هذا حديث حسن صحيح (٢) . ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه بسند صحيح (٣) .

وفي كون الحديث متّفقاً عليه مايغني عن ذكر غيره .

والمراد بالآيتين في الحديث قوله تعالى : (آمن الرَّسُولُ بماَ أُنْزِلَ إليه منْ ربِّه والمؤمنون ... الى قوله تعالى : أنت موْلنا فانصرْنا على القومِ الكافرين) (٤) .

(٥)

ورد في الكشاف في فضل سورة البقرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم (أوتيتُ خواتيم سورةِ البقرةِ من كنزٍ تحت العرشِ لم يؤتهنّ نبيّ قبلي) (٥) .

هذا الحديث صحيح ذكر الحاكم أنه أخرجه مسلم من غير زيادة : (لم يؤتهنّ نبيّ قبلي) فقال : (وقد أخرج مسلمُ حديث ابي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أعطيتُ خواتيم سورةِ البقرةِ من كنزٍ تحت العرشِ) (٦) .

(١) المصدر نفسه ٥٥٥/١ .
(٢) الجامع الصحيح ١٤٧/٥
(٣) الجامع الصغير للسيوطي ١٧٧/٢ ، وينظر ؛ فيض القدير : للمناوي ١٩٧/٦ ١٩٨
(٤) البقرة/الآيتان ٢٨٥ و ٢٨٦ وينظر في المراد من الآيتين في الحديث: فيض القدير ١٧/٦
(٥) الكشاف ٤٠٩/١
(٦) المستدرك ٥٦٣/١

ورواه ايضاً الامام احمد من حديث ابي ذر فقال :(حدثنا حسين : حدثنا شيبان عن منصور عن ربعي عن خرشة بن الحر عن المعرور بن سويد عن أبي ذرّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبيّ قبلي) (١) ؛ (يعطهن) مكان (يؤتهن).

قال ابن حجر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ بعد أن أورد الحديث وذكر انه رواه الأمام أحمد : «ورجال أحمد رجال الصحيح» (٢) .

وذكر ابن كثير أنه (رواه ابن مردويه من حديث الأشجعي عن النوري عن منصور عن ربعي عن زيد بن ظميان عن أبي ذرّ قال : قال رسول صلى الله عليه وسلّم (أعطيتُ خواتيم سورة البقرةِ من كنزِ تحت العرش)(٣) من غير زيادة أيضاً .

(٦)

ورد في التفاسير الثلاثة في فضائل سورة البقرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم : (أنزل اللهُ آيتين من كنوزِ الجنة كتبهما الرحمنُ بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة ، من قرأهما بعد العشاءِ الآخرةِ أجزأتاهُ عن قيام الليل) (٤) ، وفي تفسير أبي السعود بألفي (عام) بدل سنة .

هذا الحديث صحيح ، وهو على شرط الشيخين ، رواه الحاكم في مستدركه وأقرّه الحافظ الذهبي ، مع قليل من الاختلاف في اللفظ .

قال الحاكم : (حدثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب : حدثنا محمّد بن اسحق الصغاني : حدثنا عفان بن مسلم : حدثنا حماد بن سلمة : أنبأنا

(١) مجمع الزوائد ٣١٢/٦

(٢) مجمع الزوائد ٣٢٤/٦ وتنظر طرق الحديث في ٣١٢/٦ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣٤١/١

(٤) الكشاف ٤٠٩/١ ، وأنوار التنزيل ١٤٧/١ ، والارشاد ٢١٠/١

الأشعث ابن عبدالرحمن عن أبي قلابة عن أبي الأشعث عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تبارك وتعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام وأنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا تقرآن في دار فيقربها شيطان ثلاث ليال(١)

قال الحاكم: ((هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)) (٢) أي: الشيخان.

وقال الحافظ الذهبي في تلخيصه ((صحيح)) (٣).

وقد روى هذا الحديث الامام الترمذي ايضاً وحسنه فقال: حدثنا محمد إبن بشار: حدثنا عبدالرحمن بن مهديّ: حدثنا حمّاد بن سلمة عن أشعث إبن عبدالرحمن الجَرْميّ عن أبي قلابة عن أبي الاشعث الجَرميّ عن النعمان إبن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان(٤) قال ابو عيسى — اي الترمذي هذا حديث حسن غريب (٥).

(٧)

ذكر المفسرون الثلاثة في فضل سورة البقرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم: (السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها، فإن تعلّمها بركة، وتركها حسرة، ولن تستطيعها البطلة. قيل: وما البطلةُ؟ قال: السحرةُ) (٦). واللفظ للزمخشري.

(١) المستدرك ٥٦٢/١، ينظر تفسير ابن كثير ٣٤١/١

(٢) المستدرك ٥٦٢/١

(٣) تلخيص المستدرك ١٢/١

(٤) الجامع الصحيح ١٤٧/٥

(٥) المصدر نفسه

(٦) الكشاف ٤٠٩/١، وأنوار التنزيل ١٤٧/١، والأرشاد ٢١٠/١

هذا الحديث قسم من لفظه صحيح رواه الإمام مسلم في باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة من حديث طويل ، فقال : (حدثني الحسن بن علي الحلواني : حدثنا أبو ثوبة «وهو الربيع بن نافع» : حدثنا معاوية« يعني ابن سلام : عن زيد أنه سمع با سلام يقول : حدثني أبو أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اقرؤا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صوافٍ تحاجّان عن أصحابهما ، اقرؤا سورة البقرة ، فإن أخذها بركةٌ ، وتركها حسرةٌ ولا يستطيعها البطلة» .قال معاوية : بلغني أن البطلة السّحرة) (١) .

وبنحو حديث مسلم رواه الإمام أحمد عن أبي أمامة أيضاً (٢) .

ولقد صحح ابن حجر الهيثمي حديث الإمام أحمد بعد أن أورد الحديث المذكور من حديث طويل عن بريدة قال : كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول : (تعلموا البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرةٌ ، ولا يستطيعها البطلةُ ... الحديث) (٣) .

قال ابن حجر الهيثمي ((رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)) (٤) .

(٨)

ورد في التفاسير الثلاثة ــ واللفظ للزمخشري ــ عن الرسول صلى الله عليه وسلم في فضل سورة الكهف: (مَنْ قرأ عند مضجعه «قل إنما أنا بشرٌ مثلكم» كان له من مضجعه نور يتلألأ الى مكة، حشوُ ذلك النور ملائكةٌ

(١) صحيح مسلم ٥٥٣/١ .
(٢) الفتح الرباني ٦٩/١٨ ، و ينظر تفسير ابن كثير ٣٣/١ .
(٣) مجمع الزوائد ١٥٩/٧ .
(٤) المصدر نفسه .

يصلون عليه حتى يقوم ، وإن كان مضجعُه بمكة كان له نوراً يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور ، حشوُ ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتى يستيقظ) (١).

قسم من هذا الحديث وهو(من قرأ عند مضجعه «قل إنما أنا بشر مثلكم» كان له من مضجعه نور يتلألأ الى مكة) ورد بما يقترب من معناه رواية صحيحة السند كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد إذ قال: (عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«منْ قرأ سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة الى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره) (٢) .

قال الهيثمي:« رواه الطبراني في الأوسط في حديث طويل ... ورجاله رجال الصحيح» (٣).

ويؤكد صحة الرواية التي ذكرها الهيثمي ماأورده الهيثمي أيضاً عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(من قرأ عشر آيات من آخر سورة الكهف عصم من فتنة الدجال . وفي رواية «العشر الأواخر») (٤) .

قال الهيثمي:« رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» (٥) .

(٩)

جاء في التفاسير الثلاثة في فضل سورة الزلزال عن الرسول صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة إذا زلزلتْ أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله(٦).

---

(١) الكشاف ٥٠١/٢ ، أنوار التنزيل ٢٨/٢ ؛ الارشاد ٢٧٢/٣ .
(٢) مجمع الزوائد ٥٣/٧ .
(٣) المصدر نفسه
(٤) المصدر نفسه
(٥) المصدر نفسه
(٦) الكاف ٢٧٧/٤ ، أنوار التنزيل ٥٧١/٢ ، الارشاد ٢٧٩/٥

هذه الرواية تعني أن سورة اذا زلزلت تعدل ربع القرآن الكريم، وقد ورد هذا في حديث طويل رواه الترمذي وحسّنه إذ قال: (حدّثنا عقبة بن مكرّم العميّ البصري: حدثني آبن أبي فُديكٍ: أخبرنا سلمة بن وردان، عن انس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجلٍ من أصحابه هل تزوّجتَ يافلانُ؟ قال: لا والله يارسول الله، ولاعندي ماأتزوج به قال: أليْس معك قلْ هو الله أحدٌ؟ قال: بلى، قال: ثلثُ القرآن. قال، أليْس معك اذا جاء نصر الله والفتح؟ قال: بلى، قال: رُبْعُ القرآن، قال أليْس معك قل ياأيها الكافرون؟ قال: بلى، قال: ربعُ القرآن، قال أليْس معك إذا زلزلَتِ الأرض؟ قال بلى، قال: ربع القرآن. قال: تزوّج تزوّج) (١).

قال أبو عيسى– أي الترمذي– بعد أن أورد هذا الحديث: هذا حديث حسن (٢).

(١٠)

ذكر البيضاوي وأبو السعود في آخر تفسير سورة «الأخلاص» أنه ورد في الحديث النبوي أنها تعدل ثلث القرآن (٣).

وهذا الحديث في أعلى درجات الصحة، فقد أتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما.

رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري، فقال: (حدثنا عبد الله بن يوسف: أخبرنا مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي

---

(١) الجامع الصحيح ١٥٣/٥
(٢) المصدر نفسه
(٣) أنوار التنزيل ٥٨٢/٢، والارشاد ٢٩٢/٥

صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سمع رجلا يقرأ قلْ هو الله أحدٌ يردّدُها، فلما أصبح جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالّها، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :«والذي نفسي بيده إنها لتعدلُ ثلث القرآن»)(١) .

ورواه أيضاً من طريق آخر عن أبي سعيد الخدري أيضاً فقال : (وزاد أبو معمر: حدثنا إسماعيل بن جعفر عن مالك بن أنس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبي سعيد الخدري : أخبرني أخي قتادة بن النعمان أن رجلا قام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ من السحر: قلْ هو الله أحدٌ، لايزيدُ عليها، فلما أصبحْنا أتى رجلٌ النبيَّ صلّى الله عليه وسلم نحوه)(٢) .

وورد الحديث عند البخاري أيضاً عن أبي سعيد الخدري من طريقي الضحاك المشرقي وإبراهيم، وذكر البخاري أن الحديث عن الضحاك المشرقي مسند، وعن إبراهيم مرسل، فقال: (حدثنا عمر بن حفص: حدثنا أبي: حدثنا الأعمش: حدثنا إبراهيم والضحاك المشرقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: « أيعجز أحدُكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلةٍ؟» . فشقّ ذلك عليهم ،وقالوا: أينا يطيق ذلك يارسول الله ؟ فقال: « الله الواحد الصمد ثلث القرآن » قال أبو عبد الله : عن إبراهيم مرسل، وعن الضحاك المشرقي مسند) (٣).

ورواه الإمام مسلم من حديث أبي الدرداء فقال : (حدثني زهير بنُ حربٍ ومحمد بن بشار : قال زهير : حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة

(١) صحيح البخاري ٣/٢٣٠
(٢) المصدر نفسه ٣/٢٣٠ .
(٣) صحيح البخاري ٣/٢٣٠ .

عن سالم عن أبي الجعد عن معدان بن ابي طلحة، عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم : «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟» قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال : قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن) (١) .

ورواه عن قتادة أيضاً من طريقي سعيد بن أبي عروبة ، وأبان العطار جميعاً عن قتادة بهذا الاسناد فقال : (وحدثنا اسحق بن ابراهيم : أخبرنا محمد بن بكر : حدثنا سعيد بن أبي عروبة) (٢) ، ثم حول السند فقال : (وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا عفّان : حدثنا أبانٌ العطار جميعاً - اي سعيد إبن أبي عروبة والعطار - عن قتادة بهذا الإسناد - أي السابق - وفي حديثهما من قول النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله جزّأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن((٣) .

ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة فقال : (وحدثني محمد بن حاتم ويعقوب إبن ابراهيم جميعاً عن يحيى) ثم ساق الحديث على لفظ محمد بن حاتم ، فقال: (قال أبن حاتم : حدثنا يحيى بن سعيد : حدثنا يزيد بن كيسان : حدثنا أبو حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد . ثم خرج نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فقـــرأ : قل هو الله أحد ، ثم دخل ، فقال بعضنا لبعض : إني أرى هذا خبرٌ جاءه من السماء فذاك الذي أدخله ، ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني قلت لكم : سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا إنها تعدل ثلث القرآن) (٤) .

---

(١) صحيح مسلم ٥٥٦/١
(٢) المصدر نفسه
(٣) المصدر نفسه
(٤) صحيح مسلم ٥٥٧/١

ورواه عن أبي هريرة أيضاً : من طريق آخر ، فقال : (وحدثنا واصل إبن عبدالأعلى : حدثنا ابن فُضَيل عن بشير أبي إسماعيل، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أقرأ عليكم ثلث القرآن » فقرأ قل هو الله احد ، الله الصمد حتى ختمها ((١).

وروى هذا الحديث أيضاً الإمام أحمد عن أبي بن كعب أو رجل من الأنصار ، فقال : (وحدثنا هشيم عن حصين عن هلال ابن يساف عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب أو عن رجل من الأنصار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ بقل هو الله أحد فكأنما قرأ بثلث القرآن»((٢) .

قال الهيثمي : «ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» (٣) .

والحديث ورد أيضاً في صحيح سنن أبن ماجة عن أبي هريرة وعن أنس بن مالك ، وأبي مسعود الأنصاري (٤) .

وهو أيضاً في سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري (٥) .

ورواه أيضاً الإمام الترمذي من حديث أبي هريرة ، وقال عنه : «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه» (٦) .

فتبيّن مما سبق أن الحديث صحيح ، وفي أعلى درجات الصحة رواه البخاري ومسلم وغيرهما من ائمة الحديث .

---

(١) المصدر نفسه
(٢) الفتح الرباني ومختصره بلوغ الاماني ١٨/٣٤٤ ، وتنظر روايات عديدة عن الأمام أحمد في تفسير ابن كثير ٤/٥٦٧ .
(٣) مجمع الزوائد ٧/١٤٧ ، وينظر الفتح الرباني ، ومختصره ١٨/٣٤٤
(٤) صحيح سنن ابن ماجه : للالباني ٢/٣١٦ .
(٥) سنن أبي داود ٢/٧٢
(٦) الجامعة الصحيح ٥/١٥٥ و ١٥٦

(١١)

أورد المفسرون الثلاثة في فضل سورة الإخلاص عن الرسول صلى الله عليه وسلم : (أنه سمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد ، فقال : وجبت . فقيل : وما وجبت يا رسول الله ؟ قال : وجبت له الجنّة) (١) .

هذا الحديث رواه الترمذي وحسّنه من حديث أبي هريرة فقال : (حدثنا أبو كريب : أخبرنا إسحق بن سليمان عن مالك بن أنس عن عبدالله بن عبدالرحمن عن أبي حنين مولى لآل زيد بن الخطاب أو مولى زيد بن الخطاب عن أبي هريرة قال : أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمع رجلاً يقرأ : قل هو الله أحد ،الله الصمد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت، قلت : وما وجبت ؟ قال : الجنة) (٢) .

قال أبو عيسى — أي الترمذي — هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من حديث مالك بن أنس ، وابن حنين هو عُبيد بن حنين (٣) .

وأبن حنين وثّقه ابن حجر العسقلاني في التقريب حيث قال : (عبيد بن حُنَين بنونين مصغراً ، المدني ، أبو عبدالله ثقة قليل الحديث من الثالثة) (٤) أي من الطبقة الثالثة :

ورواه أيضاً الإمام أحمد : (حدثنا عثمان بن عمر : حدثنا مالك ... بنفس السند) (٥) .

---

(١) الكشاف ٢٩٩/٤ ، وأنوار التنزيل ٥٨٢/٢ ، والأرشاد ٢٩٢/٥ .
(٢) الجامع الصحيح ١٥٤/٥
(٣) المصدر نفسه
(٤) بلوغ الاماني ٣٤٧/١٨
(٥) الفتح الرباني ومختصره ٣٤٧/١٨ .

ورواه الحاكم على شرط الشيخين من حديث مالك أيضاً ، لكنّه أورد في سنده (عبيدالله بن عبدالرحمن) بدل (عبدالله بن عبدالرحمن) وأورد (عبيد بن جبير) بدل (عبيد بن حنين) فقال : (أخبرنا أبو بكر بن أبي نصر المروزي : حدثنا أحمد بن عيسى القاضي : حدثنا عبدالله بن مسلمة عن مالك عن عبيدالله بن عبدالرحمن عن عبيد بن جُبير مولى زيد بن الخطاب أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد،الله الصمد، لم يلد ولم يولد ،ولم يكن له كفواً أحد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجبت . فسألته : ماذا يا رسول الله ؟ قال : الجنّة . قال أبو هريرة : فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشّره ، ثم فرقت أن يفوتني الغداء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فآثرت الغداء ، ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب) (١) .

قال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» (٢) أي الشيخان. وأقرّه الحافظ الذهبي وقال : «صحيح» (٣)

(١) المستدرك ٥٦٦/١ .
(٢) المصدر نفسه
(٣) تلخيص المستدرك ٥٦٦/١ .

الخاتمة :

بعد هذه الإلمامة بما في كتب الحديث مما صحّ وحسن من أحاديث فضائل السُّور في (الكشاف) و (أنوار التنزيل) و (الارشاد) والرجوع إلى المصادر الأصلية ، والأصول المعتَمدة توصل البحث إلى نتائج نجملها فيما يأتي :

١ — إن هذه التفاسير الثلاثة — على الرغم من كونها من أمهات كتب التفسير — أخذت عليها مآخذ منها أحاديث فضائل السّور التي أوردوها في أواخر تفسير كل سورة وادعى فريق من العلماء اتفاق أهل الحديث على كون هذه الاحاديث موضوعة .

٢ — كشف البحث عن عدم صحة هذه الدعوى في طائفة من تلك الأحاديث ، وإن الاتفاق الذي أدعوه مخروق بما صح وحسن من الأحاديث التي بينها البحث ، ولكن ما صح وحسن منها قليل جداً بالنسبة إلى غير الصحيح والحسن منها .

٣ — إنَّ قسماً من هذه الأحاديث كشف البحث عن صحتها ، بل إن منها ما هو في اعلى درجات الصحيح ، اي مما اتفق عليه البخاري ومسلم ، وإن قسماً منها حسن .

٤ — إن مصدر الوضع في ما هو موضوع من هذه الأحاديث أحد القصاص والوعاظ ، وضعها ليرغب الناس في القرآن الكريم ، ونسب ذلك إلى أبي عصمة نوح بن أبي مريم .

٥ — إن عدداً من المفسرين سبقوا الزمخشري ومن تبعه في ذكر هذه الأحاديث إلا أنهم أوردوها باسناد ، ولذلك يقل اللوم عليهم ، بخلاف

الزمخشري والبيضاوي وأبي السعود ، لأنهم اوردوها بغير إسناد ، ولهذا قُصر البحث عليهم .

٦ – جرت عادة المفسرين في ذكر هذه الأحاديث أن يذكروها في أول السّورة للترغيب في قراءتها ، بخلاف الزمخشري ومن وافقه، فانهم ذكروها في أواخر تفسير كل سورة ، وقد بيّن الزمخشري العلة في ذلك ، وهي كونها صفات للسُّور وهذا يستدعي تأخرها عن السُّور .

نسأل الله حسن الخاتمة ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



المصادر

١ — الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي . مطبعة حجازي بالقاهرة د.ت.

٢ — إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود العمادي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، بإشراف محمد عبداللطيف د.ت.

٣ — أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي ، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م مطبعة البابي الحلبي بمصر .

٤ — البرهان في علوم القرآن : للزركشي . خرَّج حديثه ، وقدّم له وعلّق عليه مصطفى عبدالقادر عطا . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان .

٥ — بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ، مطبوع مع الفتح الرباني ، أحمد عبدالرحمن البنا ، مطبعة الفتح الرباني ، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ

٦ — تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، مطبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٦هـ — ١٩٣٧م .

٧ — التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي . الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ — ١٩٧٦م مصر .

٨ — التلخيص : للحافظ الذهبي . ذيل المستدرك على الصحيحين للحاكم ، دار الكتاب العربي ، بيروت — لبنان . د.ت.

٩ — الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، للترمذي ، بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ — ١٩٨٧م .

١٠ — الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، للسيوطي ، طبع مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر ، د. ت.

١١ — حاشية السيد الشريف الجرجاني على الكشاف ، مطبوعة مع الكشاف للزمخشري ،طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . د.ت .

١٢ — سنن ابي داود ، لأبي داود ، تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا — بيروت . د.ت.

١٣ — سنن النسائي المجتبى ، للنسائي ، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ — ١٩٦٤م مكتبة ومطبعة البابي الحلبي بمصر .

١٤ — صحيح البخاري ، للبخاري ، الناشر دار الفكر بيروت — بغداد ١٩٨٦م .

١٥ — صحيح سنن أبن ماجة ، لمحمد ناصرالدين الألباني ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ — ١٩٨٦م ، المكتب الإسلامي — بيروت .

١٦ — صحيح مسلم ، الإمام مسلم . دار إحياء اليراث العربي ، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه، وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووي مع زيادات عن أئمة اللغة ، خادم الكتاب والسنة محمد فؤاد عبدالباقي . د.ت .

١٧ — فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م .

١٨ — فيض القدير شرح الجامع الصغير ،عبدالرؤوف المناوي، مطبعة مصطفى محمد بمصر . د.ت .

١٩ ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، للزمخشري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م بيروت .

٢٠ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لابن حجر الهيثمي ، بتحرير الحافظين . الجليلين العراقي وابن حجر ، طبع عن نسخة دار الكتب المصرية التي عليها خط المؤلف وقراءة الحافظ أبن حجر مقابلة بعضها بغيرها ، عني بنشره مكتبة القديس ــ القاهرة ١٣٥٣هـ .

٢١ ــ المستدرك على الصحيحين ــ للحاكم النيسابوري ــ دار الكتاب العربي ، بيروت ــ لبنان ــ د.ت .

٢٢ ــ مقدمة في أصول التفسير ، أبن تيمية ، عنيت بنشره المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٧٠هـ .

٢٣ ــ الموطأ للامام مالك هامش المنتقى شرح الموطأ للباجي، الطبعة الأولى ١٣٣١هـ مطبعة السعادة ــ مصر .

٢٤ ــ مقدمة أبن الصلاح ، توفيق وتحقيق د. عائشة عبدالرحمن بنت الشاطىء. مطبعة دار الكتب ١٩٧٤م .

٢٥ ــ علوم الحديث ومصطلحه ، د. صبحي الصالح بيروت ــ لبنان دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية عشرة ١٩٨١م .



نظام الحجابة في النظم العربية الاسلامية
دراسة مقارنة
٤١ – ٤٤٧هـ / ٦٦١ – ١٠٥٥م

د. توفيق سلطان اليوزبكي
كلية الاداب – جامعة الموصل

تقديم : –

تعد دراسة النظم العربية الإسلامية من اهم الدراسات التاريخية والحضارية واصعبها لأن بعض جوانبها لا تزال غامضة ولم تبحث كل نواحيها وزواياها، كما ان هذه النظم لم تنشأ مرة واحدة وانما نشأت خلال عصور تاريخية عديدة يصعب على الباحث تحديد اصول بعضها احياناً، فقد تناول بعض المؤرخين دراسة جوانب معينة منها في حقبة تأريخية في حين لا يزال البعض الاخر لم يدرس بعمق وتوسع .

ونظام الحجابة من النظم العربية الاسلامية التي لم تحضى باهتمام المؤرخين ولم تدرس بشكل مفصل للوصول إلى الصورة الواضحة عن دورها واهميتها بين النظم العربية الاسلامية . فلقد اختلف المؤرخون في بدايات ظهورها فمنهم من يرجعها إلى ماقبل الاسلام مستندين إلى أن ملوك العرب من المناذرة وملوك اليمن وغيرهم قد اتخذوا لهم حجاباً ، بينما يرجع البعض الآخر من

(*) بحث مستل من رسالة ماجستير / قسم التاريخ / كلية الآداب/ جامعة الموصل ١٩٨٩
الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي — السيد ادريس سليمان
الاستاذ المشارك بكلية الآداب-جامعة الموصل — ماجستير/تاريخ اسلامي

المؤرخين نشأتها ، إلى (نظام الاذن) الذي تعود بداياته إلى عصر الرسول محمد (ص) ويعدوه الاساس في نشوء نظام الحجابة الذي اصبحت له نظمه وتقاليده في العصر الاموي فقد استحدثه معاوية بن ابي سفيان للاحداث الخطيرة التي تعرض لها اغلب الخلفاء الراشدين وما تعرض له معاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص ، وان هذا النظام اخذ ينمو ويتطور مع ـ تطور النظم الادارية . والاوضاع السياسية التي احاطت بالدولة العربية الاسلامية .

كلمة الحجابة لغة واصطلاحاً : ـ

ترجع كلمة الحجابة إلى اصل حجب الشيء يحجبه حجباً وحجبه اي ستره(١)، واحتجب وتحجب اذا اكتن من وراء حجاب (٢) وكل ما حال بين شيئين فهو حجاب وجمعه حجب (٣)

قال تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) (٤) وقد وردت كلمة الحجاب في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى (واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب) (٥). وقوله تعالى (فاتخذن من دونهم حجاباً) (٦) وقوله تعالى ايضاً (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب) (٧) .

والحاجب اسم فاعل من الحجب يطلق على كل من وقف على باب السلطان يوصل اليه الاخبار من الرعية ويأخذ الاذن منه لهم) (٨) .

---

(١) ابن سيده المحكم والمحيط الاعظم في اللغة ج٣ ص٦٥، الفيروز آبادي : القاموس المحيط ج١ ص٥٤
(٢) ابن منظور لسان العرب ج١ ص٢٨٩ .
(٣) ابن سيده المحكم والمحيط ج٣ ص٦٥ .
(٤) سورة الاسراء : الآية ٤٥ .
(٥) سورة الاحزاب : الآية ٥٣
(٦) سورة مريم الآية ١٦
(٧) سورة الشورى : الآية ٥١
(٨) الصابئي : رسوم دار الخلافة ـ حاشية (٢) ص١١

واستخدمت لفظة الحجاب مصطلحاً تاريخياً قبل الاسلام على حجابة الكعبة (البيت الحرام) وكانت لقصي واولاده فلا يدخل احد الا باذن منهم(١).

بداية نشوء نظام الحجابة :

اختلف المؤرخون والفقهاء في بدايات نشوء نظام الحجابة فمنهم من يرجع اصولها إلى النظم العربية قبل الإسلام فقد كان ملوك العرب من المناذرة قد اتخذوا لهم حجاباً(٧) فكان حاجب الملك النعمان بن المنذر يضرب به المثل لمن نال الشرف بالاكتساب لا بالانتساب وهو عصام الباهلي والذي يقول (٣)

نفس عصام سودت عصاما   وعلمته الكر والاحتراما

ومنهم من يرجع بدايات نشوء الحجابه الى العصر الأسلامي، كما اختلفوا ايضاً في بدايات ظهورها فمنهم من يقضي ان يكون الرسول (ص) قد اتخذ حاجباً ينظم لقاءه بالمسلمين ويستندون في ذلك الى احاديث عن النبي (ص) وعن اصحابه(رض) فقد قال (ص) (من ولي من أمر أمتي شيئاً فليرفق بهم في حوائجهم رفق الله به يوم حاجته أو من احتجب عنهم دون حوائجهم احتجب الله عنه دون خلقه وحاجاته.(٤) وروي عن النبي (ص) انه قال :

(ايما وال اغلق بابه دون ذوي الخله والحاجة اغلق الله رحمته عند خلقه وحاجاته)(٥)وهناك من يرى ان اتخاذ الحجاب كان محظورا في الشريعة الأسلامية، ولهذا لم يتخذ الرسول (ص) وخلفاؤه من يمنع ذوي الحاجات في ابوابهم، وعد بداية نشوء نظام الحجابة عندما انتقلت الخلافة الى الملك(٦)

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية جـ١ ص١١٥
(٢) العلي : محاضرات في تاريخ العرب ص١١٥
(٣) الثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص١٣٦ .
(٤) ابو يوسف : الخراج ص١١ (،ابن عبدالبر :بهجة المجالس وانس المجالس جـ١ ص٢٦٥
(٥) وكيع : اخبار القضاة جـ١ ص٣٥
(٦) ابن خلدون العبر جـ١ ص١١٥

وقد أوجدها معاوية بن أبي سفيان في أول ايام خلافته .

اما القائلون بظهور نظام الحجابة منذ عصر الرسول(ص) فهم يستشهدون بآيات من القرآن الكريم تشير الى وجود الأستئذان من الرسول (ص) قبل الدخول عليه لانها من آداب الزيارة فقد جاء في قوله تعالى (ياأيها الذين أمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على اهلها ذلكم خيراً لكم لعلكم تتذكرون) (١). وقوله تعالى (ياايها الذين أمنوا لاتدخلو بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا اطعمتم فأنتشروا ولامستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لايستحي من الحق واذا سالتموهن متاعاً فسألوهن من وراء حجاب) (٢) .

ويبدو مما ورد في القرآن الكريم انه لاوجود لهذه الخطة (الوظيفة) في ايام الرسول(ص) وفي صدر الإسلام، وانما هي طريقة ادبية في التماس الأذن في ارتياد مجلس الرسول (ص) او مجالس الخلفاء — الراشدين بشكل كيفي لما قد يؤدي اليه ذلك من ارتباك اعمالهم وهم يؤدون امور الدولة، ومن هنا يكون التماس الاذن امراً تفرضه قواعد وآداب الزيارة وان قواعد الأستئذان التي وصفها القرآن الكريم وطبقها الرسول (ص) ، والخلفاء الراشدون (رض) لاتعني بداية لنشوء نظام الحجابة بمفهومها الوظيفي رغم ورود بعض اسماء الذين كانوا يقومون بهذه المهمة(الاذن بالدخول)من موالي رسول الله (ص) (٣) والخلفاء الراشدين من بعده ولم

(١) سورة التوبة : الآية ٢٧ —
(٢) سورة الاحزاب الآية ٥٣
(٣) انظر الملحق الاول والاذنون الذين تولوا الاذن للناس من الرسول (ص)

يتخذ الرسول (ص) الأذن في كل الأوقات، وانما عندما كان يريد ان يخلو فيها الى نفسه. أو الى بعض الأمور المهمة وذلك من القواعد المهمة في تنظيم امور الدولة (١).

ولقد كان المسجد- مقر الحكومة يجلس فيه النبي (ص) يستقبل المسلمين والوفود خلال وجوده في المسجد لم يحجب نفسه على الناس (٢).

ولم يكن الاذنون الذين أتخذهم الرسول (ص) يتلقون عطاء لقاء اشغالهم هذا المنصب لكنهم عرفوا به، لذا فقد تعدد تنوع الاذنون، ولم تكسن لهذه الوظيفة تقاليدها الخاصة في عهد الرسول (ص) (٣) ولقد سار الخلفاء الراشدون مسيرة نبيهم وقائدهم العظيم محمد (ص) وظهرت ملامح نظام الحجابة في عصرهم اثر قيام حركات التحرير العربي الأسلامي وتطور وتوسع مؤسسات الدولة العربية الأسلامية السياسية والإدارية والأجتماعية والأقتصادية، وكثر عدد الداخلين في الأسلام مسن شعوب وامم متعددة آدى ذلك الى تعدد وتعقد مصالح الناس وامور الدولة مما كان يتطلسب أن ينظر الخلفاء والولاة فاقتضت هذه الأوضاع الجديدة ان يتولى شخص الحجابة لتنظيم اوقات دخول الناس عليهم، لذا فقد اجاز الفقهاء اتخاذ الاذنيسن (الحجاب) لتنظيم وقت الخليفة أو الأمير لترتيب اصناف الناس الداخلين عليهم (٤) فقد كسان عمر بن الخطاب (رض) قد أوكل على بابه غلاماً من اجل هذا ولدفع الأذى واصحاب السوء (٥) وقد تطورت قسواعد الأذن في عهد الخلفاء الراشدين ووضعت اسس في ترتيب الناس ومقابلتهم

---

(١) أنظر الملحق الثاني الاذنون الذين تولوا الاذن في عهد الخلفاء الراشدين
(٢) طلس : تاريخ الأمة العربية -عصر الانطلاق ج٢ ص١٣٤- ص ١٣٥ .
(٣) طلس : تاريخ الامة العربية - عصر الأزدهار - ص٥٩
(٤) الماوردي : أدب القاضي ج١ ص٢٠٢
(٥) ابن الأزرق : بدائع السلك في طبائع الملك ج١ ص٢٧٠ .

فجاء في رسالة عمر بن الخطاب (رض) الى عامله على البصرة أبي موسى الأشعري أن يأذن لاهل القرآن والتقوى والدين واهل الشرف، فإذا اخذوا مجالسهم عليه ان يأذن للعامة واوصاه بأن لايأذن للناس على شكل جماعات(١) وكان تأخير الاذن يثير الغضب ويعده البعض تقليلا من الشأن ولهـذا نلاحظ ان ابا سفيان بن حرب عندما استأذن على الخليفة عثمان بن عفان، (رض) وكان مشغولا بمصالح المسلمين حجبه فقيل له : حجبك أمير المؤمنين ارادوا بذلك اغراءه قال لاعدمت من قومي من اذا شاء حجبني (٢) يبدو ان معالم وظيفة الحجابة قد ظهرت بداياتها في عهد الخلفاء الراشدين (رض) أكثر مما كان عليه نظام الأذن في عهد الرسول (ص) ورغم ذلك. فقد بقيت وظيفته لم تتجاوز الاذن للنـاس ، وتنظيم دخولهم على الخليفة في الأوقات المناسبة، وعرف لكل خليفة حاجب اختص بـه فقـد حجب لأبي بكر الصديق (رض) شديد مولاه (٣). وحجب لعمر بن الخطاب (رض) يرفا مولاه (٤) واسلم (أبو زيد) وحجب لعثمان بن عفـان (رض) حمران بن ابان،(٥) كما حجب لعلي بن أبي طالب (رض) قنبر مولاه (٦) (انظر الملحق الثاني) .

ومع بداية العصر الأموي يبرز نظام الحجابة كمؤسسة لها وظيفتها ومكانتها بين مؤسسات الدولة العربية الأسلامية ، واتخذت بعداً جديداً لتصبح وظيفة

(١) وكيع : اخبار القضاة جـ١ ص٢٨٦ ، صقر : الوصايا الخالدة ص٤٥
(٢) ابن قتيبة : عيون الاخبار جـ١ ص١٣ البيهقي : المحاسن والمساوىء جـ١ ص ٦١
(٣) ابن خياط : تاريخ جـ١ ص٩١ ، اليعقوبي جـ٢ ص١٣
(٤) ابن خياط : تاريخ جـ١ ص١٣٠ ، المسعودي : التنبيه والاشراف ص٢٥١ ، ابن سعد الطبقات جـ٣ ص٣٠
(٥) ابن خياط : تاريخ جـ١ ص١٥٧
(٦) ابن خياط : تاريخ جـ١ ص١٨٥ ، وابن عربي ، محاضرة الابرار ص٦٦ .

الحاجب لها خطورتها على حياة الخليفة عندما منع معاوية اقرب الناس من الوصول اليه الا بأذنه .

ويرجع بعض من المؤرخين بداياتها الى أيام معاوية بن أبي سفيان الذي اتخذ الحرس الذي كان يتولى فضلا عن حمايته للخليفة تنظيم دخول الناس عليه (١)، نتيجة للاحداث الخطيرة التي تعرض لها الخلفاء الراشدون (عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب «رض»)وماتعرض له معاوية بن ابي سفيان نفسه وعمرو بن العاص على يد الخوارج، وكذلك لأزدحام الناس على ابواب الخلفاء مما كان يشغلهم عن واجباتهم (٢) .

ولقد استحدث معاوية بن أبي سفيان باباً للخاصة وباباً للعامة للدخول عليه، ويبدو ذلك من قوله لأبنه يزيد لقد جعلت بيني وبينك باباً كما بيني وبين العامة فلم الدخول علي بدون أذن (٣). ولم يقتصر اتخاذ الحجاب في العصر الأموي على الخلفاء فقط بل اتخذ العمال والقضاة وصاحب الشرطة . حجاباً لهم أيضاً، فكان حاجب زياد بن ابيه مهران مولاه (٤).

صفات الحاجب واختصاصاته

أن أهمية منصب الحاجب وخطورة موقعه من الخليفة تحتم لمن يتولى الحجابة ان تتوافر فيه بعض الصفات التي تؤهله لهذا كالولاء والأمانة والصدق، واشترطوا فيه أيضاً (أن يكون عاقلا فطنا قد خدم الملوك قبل أن يتولى الحجابه) (٥) .

(١) اليعقوبي : تاريخ ج٢ ص٢٣٢ والطبري تاريخ ج٥ ص٣٣٠ .
(٢) ابن خلدون : العبر ج١ ص١٩٨ ، ابن الازرق بدائع السلك ج١ ص٢٧٠
(٣) الجاحظ : التاج في اخلاق الملوك ص ١٢٦
(٤) ابن خياط : تاريخ ج١ ص١٩٧ ، وقد ورد عند الجاحظ اسم عجلان (رسائل الجاحظ ج٢ ص١٣٦
(٥) اليعقوبي : تاريخ ج٢ ص٢٢٣ .

ولذا كان تعيين الحاجب تسبقه عملية اختبار من خلال الأعمال التي توكل اليه في دار الخلافة وكان اختيار الحاجب في العصر العباسي يخضع لبعض الشروط التي هي غالباً ماتكون صفات خلقية وجسدية كأن يكون طويلا جسمياً وسيماً ذا هيبة ومهابة (١) اضافة الى الولاء والأمانة والفطنة.

ومن قواعد الأذن في العصر الأموي ان يقدم الحاجب اشرفهم نسباً واذا تساووا في النسب قدم أكبرهم سناً واذا تساووا قدم أكثرهم آدبا (٢).

وإلى جانب ذلك فقد كان الخليفة يستثني بعض الشخصيات من هذه القاعدة فيدخلهم مباشرة دون استجوابهم لأن في تأخيرهم مضرة كبيرة لايمكن تلافيها او تداركها (٣) فقد أستثنى من هذه القواعد المنادي للصلاة الذي يأتي لتبليغ الخليفة بوقت الصلاة وطارق الليل لأنه لايأتي في هذا الوقت الا للضرورة وصاحب الثغر لأن اي تأخير في امره يفسد ماتم تدبيره وصاحب الطعام لأن الطعام اذا اعيد تسخينه يفسد (٤).

واذا حدث أن قدم واحداً على آخر لأمر لابد منه فعلى الحاجب أن يظهر العذر ويزيل الخبث والظنون من النفوس، وعلى الحاجب ان يكون طليق الوجه، لين القول ليخفف من انكسار المحجوب (٥) وتتحدد خطورة واهمية وظيفة الحاجب في ان سلامة الخليفة تتوقف على أمانته بما يسمح به للامراء والقادة والأشراف وعامة الناس من الدخول على الخليفة، كما ان اهميتها تتحدد من خلال سلوك ــ الحاجب وتصرفاته تجاه الداخلين

(١) ابن ابي الربيع سلوك المالك في تدبير الممالك ص١٩٨ .
(٢) النويري : نهاية الارب ج٩ ص٩٦ .
(٣) النويري نهاية الارب ج٦ ص٨٦
(٤) الماوردي نصيحة الملوك ص٣٨٩
(٥) الجاحظ : رسائل ج٢ ص٣٦ ابن عبدالبر : بهجة المجالس ج١ ص٢٩٦

على الخليفة من حيث السلوك والمعاملة، وبهذا يقرب ويبعد الحاجب الخليفة من الناس (١).

ومن واجبات الحاجب الأمتثال لأوامر الخليفة وتلقي تعليماته منه وعدم مخالفتها، وأن يخبر- الخليفة بكل صغيرة وكبيرة قبل ان يصله أحد، فبذلك يكون الخليفة قد أستخلص رأيا في ذلك، فإذا ماقابل الخليفة صاحب الحاجة يكون جوابه له عن بعد نظر ودرايه بعيداً- عن التسرع والحرج (٢).

ولم يقتصر الأمر على هذا بل كان على الحاجب ان يراقب ويحاسب جلساء الخليفة من أي تصرف لايليق بمقام الخليفةو الاداب العامة، فقد طلب معاوية بن أبي سفيان من حاجبه عندما اثقل عليه جلساؤه ونازعوه الكلام بأخراجهم (٣). وكان الحاجب في العصر الأموي موضع سر الخليفة وبه تناط احياناً بعض المهام الخطيرة كأن يقوم بالأشراف على شؤون دار الخلافة وتنظيم مراسيم الأحتفالات- في المناسبات (٤).

ومنصبه اليوم شبيه بمنصب واختصاصات رئيس التشريفات او رئيس الديوان (٥). اما في العصر العباسي فقد سار الخلفاء العباسيون على نهج الخلفاء الامويين في اتخاذ الحجاب واصبحت الحجابة من الوظائف الرفيعة، فارتفعت تبعاً لذلك مكانة الحاجب فصار (عظيم القدر عريض الجاه) (٦) وقد احاط العباسيون أنفسهم بـ (الحجاب) والحرس ليظفوا على انفسهم الهيبة والرهبة،

---

(١) الجاحظ : رسائل جـ٢ ص٣٤
(٢) ابن قتيبة : عيون الاخبار جـ١ ص٥٣ .
(٣) القلقشندي : صبح الاعشى جـ١ ص٢٠٤ .
(٤) البلاذري : انساب الاشراف جـ١ ق٤ ص٥٤
(٥) ابن الجوزي : اخبار الاذكياء ص٩٩ .(٢) الاصبهاني محاضرات الادباء جـ١ ص٢٠٥
(٦) النويري : نهاية الارب جـ٦ ص٩١

لذلك وجدنا الخليفة العباسي الاول ابا العباس يحجب مباشرة عن الناس (١) ورتب الخليفة المنصور المراتب واتخذ في قصره بيوتاً للاذن (٢) .

لقد حدث تطور في نظام الحجابة في العصر العباسي بأن جعل الخليفة لكل حاجب خليفة (نائباً)ينوب عنه عند غيابه او عزله وفي نفس الوقت يتلقى التدريب على يد الحاجب الاقدم ليستلم منصب الحجابة بعده ، وهو قد استوعب كل واجباتها والقواعد الخاصة بها .

فقد كان حاجب المنصور عيسى بن روضة وكان خليفته (نائبه) مرزوقاً (ابا الخصيب) فلما مات ابن روضة خلفه في مكانه (٣) وكان مع ابي الخصيب الحاجب الربيع بن يونس ولما مات حجب مكانه الربيع(٤).. كما كان الفضل إبن الربيع يخلف اباه في حجابة المنصور (٥)، وكان حاجب الخليفة الرشيد بشر بن ميمون ونائبه محمد بن خالد بن برمك ،وحاجب الخليفة الواثق وصيف ومعه محمد بن حماد بن دهش فلما مات ابن حماد صار مع وصيف محمد بن عاصم(٦) مايدل على عدم ترك منصب الحاجب ووظيفته شاغرين ومما تجدر ملاحظته ان هذا الأمر لم يقف عند هذا الحد بل اتخذ الخلفاء العباسيون حاجباً ثالثاً اشد من الاولين يحجب عن الخليفة خاصته (٧) وبهذا ازداد نفوذ الحاجب وسلطانه عما كان عليه ، وعلت منزلته فاصبح مستشار الخليفة في جميع شؤون الدولة مما فسح المجال له للتدخل في امور الدولة والاستبداد بالنفوذ دون الوزير (٨) احياناً ....

---

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص٨٧ .
(٢) الثعالبي : لطائف المعارف ص١٩ .
(٣) ابن حبيب : المحبر ص٢٦٠ ، البلاذري : انساب الاشراف ج٣ ق٣ ص٢١٢ .
(٤) نفس المصدر السابق والصحيفة
(٥) التنوخي : نشوار المحاضرة ج٦ ص١٩٢ .
(٦) ابن حبيب : المحبر ص٢٦٠
(٧) ابن خلدون : العبر ج١ ص ٢٤٣ ابن الازرق بدائع السلك ج٢ ص٢٠٩
(٨) اليوزبكي : الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ص٥٦ .

ولعل تعدد الحجاب في دار الخلافة ادى إلى ظهور لقب (حاجب الحجاب) وهو حاجب الخليفة تميزاً له عن باقي حجاب دار الخلافة (١) فكان بدر الخرشني اول من تولى هذا المنصب في خلافة المتقي بالله (٣٢٩ – ٣٣٣هـ) = (٩٤٠ – ٩٤٤م)(٢) . ولاهمية وظيفة الحاجب ومكانته لدى الخليفة منح العديد من الامتيازات ، فقد كان للحاجب مكان خاص لاقامته في دار الخلافة ليكون قريباً من الخليفة (٣) . يطلق عليه دار الحجبة (٤) وبمرور الزمن اصبحت دار الحاجب تضاهي دار الخلافة ونجد ذلك عندما مر رسول ملك الروم على دار نصر القشوري – من حجاب المقتدر – فرأى فيها الهيبة فظنه الخليفة حتى قيل انه الحاجب (٥).

ومن الامتيازات التي منحت للحاجب الزي فقد كان للحجاب زيهم الخاص الذي يميزهم عن بقية كبار موظفي الدولة وقد اشار الصابئي إلى ذلك بقوله (واذا اتفق يوم الموكب حضر الحجاب بأكمل لباسه من القباء الاسود المولد والعمامة السوداء والسيف والمنطقة وقدامه الحجاب وخلفاؤهم ...)(٦).

ومما لاشك فيه ان مرتبة الحاجب قد علت بارتقاء مؤسسات الدولة العباسية في العصر العباسي الاول ، وفي العصور العباسية التالية كان ضعف الخليفة سبباً لاستئثار الحاجب في امور الدولة المختلفة ، واستبداده بالخليفة .

وقد كان الحاجب في العصر العباسي الاول موضع ثقة الخليفة يستشيره في امور الدولة ويسند اليه بعض المهام الخطيرة الاخرى التي ليست من

(١) تقي الدوري : عصر امرة الامراء في العراق ص٢٠٣
(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٣ ص٢٧٢
(٣) التنوخي : نشوار المحاضرة ج٦ ص١٢٦
(٣) مسكويه : تجارب الأمم ج١ ص٩٦
(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٧ ص٢١٥ ، ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص١٤٣٩
(٥) الصابئي : رسوم دار الخلافة ص٧٨
(٦) الطبري : تاريخ ج٨ ص٦٠ : ابن الاثير : الكامل ج٦ ص٢١

اختصاصاته ، فقد نهض الحاجب ـ الربيع بن يونس عند وفاة الخليفة المنصور بعيداً عن حاضرة الخلافة العباسية بأمر البيعة فكتم خبر وفاة الخليفة ومهد الامور حتى اخذ البيعة للمهدي (١) ، كما كان له دوره المميز في امر البيعة للهادي، فعند وفاة المهدي شغب الجند في بغداد بعد علمهم بوفاة المهدي مستغلين وجود الخليفة الجديد بجرجان ، فاستطاع الربيع بن يونس انقاذ الموقف وتهدئة الجند بمنحهم عطاء لسنتين ولما ايقن الهادي حسن موقفه ولاه الوزارة(٢). كما قام الربيع بن يونس بدور كبير في استيزار يعقوب بن داود وحسن للخليفة المهدي استيزاره لتقريب العلويين من العباسيين(٣). كما لعب الحاجب الفضل بن الربيع دوراً كبيراً في اظهار خطر البرامكة على الرشيد (٤).

فلما عزم الرشيد على التخلص من البرامكة لخيانتهم له وتآمرهم على سلامة الدولة استوزر الفضل بن الربيع (٥) ، وكان قد حجب للمهدي والهادي والرشيد للثقة الكبيرة التي كان يتمتع بها ولعلمه وادبه واستمر ـ على الوزارة طوال عهد الرشيد وابنه الأمين (٦) .

وللدلالة على مكانة الحاجب ودوره في الاحداث السياسية نشير إلى ان الواثق (٢٣٢هـ ـ ٨٤٧م) حين مات دون عهد لاحد اجتمع كبار رجال الدولة لاختيار الخليفة الجديد فكان على رأس المجتمعين وصيف التركي

---

(١) الطبري : تاريخ جـ٨ ص٦٠ ، ابن الاثير الكامل جـ٦ ص٢١
(٢) نفس المصدر السابق جـ٨ ص١٨٠ ، نفس المصدر السابق جـ٦ ص٨ .
(٣) اليعقوبي : تاريخ جـ١ ص٤٠٦ ، اليوزبكي الوزارة ص٩١
(٤) اليوزبكي : الوزارة العباسية ص١٠٧ .
(٥) الطبري : تاريخ جـ٨ ص٢٣٨
(٦) اليوزبكي : الوزارة ص٦١

وايستاخ حجاب الخليفة الواثق (١) وكان لحاجب الخليفة المقتدر نصر القشوري تأثير في القرارات التي كان يتخذها الخليفة فقد استجاب الخليفة المقتدر لمشورة حاجبه نصر القشوري لمعالجة الوضع باعادة ضريبة الارث إلى سابق عهدها (٢) .

أما في العصور العباسية التالية فقد كان حاجب الخليفة صاحب النفوذ والتأثير الكبير في احداث الدولة العباسية حتى وصل الأمر به إلى التآمر على سلامة الخليفة والدولة فقد كان لصالح بن وصيف حاجب الخليفة المعتز يد في التآمر على خلعه من الخلافة وقتله (٣) .

وقام محمد بن ياقوت حاجب الخليفة الراضي بالتفاوض باسم الدولة مع اعدائها القرامطة (٤) ولكن منزلة الحاجب لم تلبث ان زالت بظهور منصب (امير الامراء)في فترة النفوذ التركي البويهي ولم يبق للحاجب سوى الاسم وسيطر أمير الامراء على مقاليد الامور في الدولة العباسية وجرد الخليفة من جميع اختصاصاته وامتيازاته .

أما نظام الحجابة في الاندلس فقد نشأ في العصر الأموي ولم يكن نشوؤه مصادفة بل كانت له جذورٌ تاريخية عميقة ترجع في اصولها إلى النظم العربية الاسلامية في المشرق فلما قامت الدولة الأموية في الاندلس على يد عبدالرحمن الداخل سنة (١٣٨هـ= ٧٥٥م) عمل على نقل النظم والرسوم العربية الاسلامية التي كانت متبعة في المشرق ومنها نظام الحجابة (٥) .

---

(١) ابن عبدربه : العقد الفريد ج٩ ص١٩٢
(٢) عريب : اصله تاريخ الطبري ص١٠
(٣) الطبري : تاريخ ج٩ ص٣٨٩ ، الاربلي : خلاصة الذهب المسبوك ص٢٣٠
(٤) ابن الاثير : الكامل ج٨ ص٢٩٤
(٥) عنان : دولة الاسلام في الاندلس ق١ ص١٩٤

واتخذت الحجابة مساراً اكثر اهمية واعظم منزلة ومكانة عما كانت عليه في المشرق فكان الحاجب بالاندلس يحجب السلطان عنه الخاصة والعامة ويكون واسطة بين الخليفة والوزراء ومن دونه في حين كان الحاجب في المشرق (١) يحجب الخليفة عن العامة يغلق بابه دونهم ويفتحه لهم على قدر في مواكبته (٢) وبذلك اصبح الحاجب في الاندلس يفوق في مركزه الوزير في المشرق من حيث المكانة والنفوذ ولا يسمح بمقابلة الخليفة الا بواسطة الحاجب .

وكان الامير او الخليفة يختار الحاجب في الاندلس من بين وزرائه ويميزه عليهم ويكون واسطة بينه وبينهم وبذلك كانت مرتبة الوزير في الاندلس تأتي دون مرتبة الحاجب وتابعه (٣) ، لذا كان الحاجب في الاندلس يتولى رئاسة مجلس الوزراء ويشرف على شؤون الدولة (٤) فهو يتقدم سائر الوزراء عند الدخول على الخليفة ويوجه اليه السؤال لكونه المسؤول الأول والناطق باسم الوزراء (٥) وكان على الوزراء العمل وفق توجيهاته (٦) لذا اصبحت منزلته تشبه منزلة الوزير في الدولة العباسية في حين كان الحاجب في المشرق شبيهاً برئيس التشريفات اليوم .

وقد اسندت إلى — الحاجب في الاندلس فضلاً عن ذلك قيادة الجيوش في الحملات العسكرية وهو شبيه بالقائد الاعلى للجيش ، وعد الحاجب من

---

(١) تقي الدوري : عبدالرحمن الداخل ص٢٢٩
(٢) ابن خلدون : العبر جـ١ ص٢٠٠ ، ابن الازرق : بدائع السلك جـ١ ص٢٧٠
(٣) ابن خلدون : العبر جـ١ ص١٩٩ ، دائرة المعارف الاسلامية ص٤٥
(٤) العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ص١٤٥
(٥) ابن حيان : المقتبس ص٢٧
(٦) كان نظام الوزارة في الاندلس يقوم على تعدد الوزراء فكان للعدل وزير وللشؤون الحربية وزير وللشؤون الخارجية وزير وهكذا (ابن خلدون : العبر جـ١ ص١٩٩)

اكبر المجاهدين لان اهميته تكمن في انه مقاتل كبير دفاعاً عن الإسلام (١) فقد ولى الامير عبدالرحمن الداخل تمام بن علقمة الحجابة وقيادة الجيش(٢) وارسله بقيادة جيش إلى طليطلة سنة ١٤٧هـ = ٧٩٤م (٣) وارسل الامير هشام بن عبدالرحمن سنة (١٧٧هـ = ٧٩٣م) حاجبه عبدالملك بن مغيث إلى بلاد الافرنج قائداً للجيش (٤) .

ووجه الحكم بن هشام حاجبه عبدالكريم بن مغيث قائداً في جيش عظيم إلى بلاد الافرنج وانصرف منها غانماً ظافراً (٥) . وفتح الحاجب بدر بن احمد اشبيلية سنة ٣٠١هـ = ٩١٣م في عهد الخليفة الناصر (٦) وتولى ابن ابي عامر حجابة الخليفة هشام بن الحكم سنة ٣٦٦هـ = ٩٧٦م وكان ذا همة عالية في الجهاد فقد قاد اكثر من خمسين حملة عسكرية ولم يهزم قط في واحدة منها (٧) .

وتقلد الحجابة بعده ابنه المظفر عبدالملك بن ابي عامر فجرى مجرى ابيه في قيادة الجيوش (٨) .

وللمكانة الرفيعة والنفوذ الكبير الذي كان يتمتع به الحاجب كان يأخذ البيعة للخليفة الجديد وان لم تكن هذه الامور من اختصاصاته وصلاحياته ، فقد أخذ ــ الحــاجب عيسى بــن شهيد البيعة الامير محمد بــن عبد الرحمن

(١) S.F.Mahmad, The Story of Islam.p 78 .
(٢) ابن الابار : الحلة السيراء جـ١ ص ١٤٣ .
(٣) ابن عذاري : البيان بالمغرب جـ٢ ص٥٣ .
(٤) النويري : نهاية الا رب جـ٢٢ ص٣٦
(٥) ابن الا ثير : الكامل جـ٦ ص١٥٠ ، أبن سعيد : المغرب في حلي المغرب جـ١ ص ٤٠
(٦) الحميري : الروض المعطار ص٥٧ .
(٧) ابن الا ثير : الكامل جـ٩ ص٣٣، ابن حزم : فضائل الا ندلس وأهله ص٤٩ .
(٨) S.F.Mahmad, The Story of Islam. P185 .

(٢٣٨هـ = ٨٥٢م) وتولى بدر بن احمد حاجب الخليفة عبدالرحمن الناصر . أخذ البيعة من الخاصة والعامة (١) .

وعند وفاة الحكم المستنصر بالله سنة ٣٦٦هـ = ٩٧٦م كان ابن هشام صغير السن فوقف الحاجب جعفر المصحفي بجانب ولي العهد، واقنع الجند بالوقوف مع هشام ضد المغيرة بن عبدالله الذي كان ينازع ابن اخيه الخلافة فقتل المغيرة بمشورة الحاجب جعفر على يد ابن ابي عامر (٢) .

وقد قام بعض الحجاب في المشرق بنفس الدور الذي قام به نظيره في الاندلس فقد نهض الحاجب الربيع بن يونس عند وفاة الخليفة المنصور بعيداً عن بغداد بأن كتم الحاجب كما اسلفنا — موت الخليفة واخذ البيعة للخليفة المهدي(٣) وكان له دور في اخذ البيعة للخليفة الهادي بعد وفاة المهدي (٤)، ولما مات الخليفة الواثق دون ان يعهد بالخلافة لاحد اجتمع وصيف التركي وايتاخ حجاب الخليفة مع كبار رجال الدولة واختاروا المتوكل للخلافة(٥).

ولعظم المكانة والنفوذ والاعمال الجليلة التي قام بها بعض الحجاب والوزراء في الدولة العربية في الاندلس فقد كادت وظيفتا الحجابة والوزارة تصبحان وراثيتين في بعض الاسر منها اسرة المغيث الرومي وابنه شهيد وبنو ابي عبده، وبنو حدير ، وبنو عامر ، وتشبه هذه الظاهرة ما حدث في المشرق العربي فقد كادت الحجابة والوزارة تصبحان وراثيتين في بعض الاسر كآل الربيع ، والبرامكة ، وآل سهيل ، وال الفرات ، وال الجراح (٦). وفضلا عن هذا

(١) ابن الابار : الحله السيراء ج١ ص١٣٨ ، ابن عذاري : البيان المغرب ج١ ص١٥٨ .
(٢) ابن بسام: الذخيرة ج١ ص٥٨ ، ابن عذاري: البيان المغرب ج٢ ص ٢٦٠ .
(٣) الطبري: تاريخ ج٢ ص٦٠ ، ابن الأثير : الكامل ج٦ ص٢١ .
(٤) المصدر السابق ج٨ ص١٨٨ ، المصدر السابق ج٦ ص٨٨ .
(٥) اليوزبكي : الوزارة في الدولة العباسية ص ٥٨ .
(٦) نفس المصدر السابق والصحيفة ص ٥٨ .

فقد اتخذ الوزراء في الاندلس حجاباً لهم (١). كما كانت عليه الحال في المشرق ولكن مرتبتهم لم ترق إلى مرتبة حاجب الخليفة (٢) . وتعد المدة الواقعة بين ٣٦٦هـ - ٣٩٩هـ = ٩٧٦ - ١٠٠٨م قد اتسمت باستبداد الحاجب بالنفوذ اثر ضعف السلطة بسبب مجيىء خلفاء ضعفاء وصغار فافسح المجال فيها لكبار الدولة بالتدخل والاستبداد في شؤون الخلافة الداخلية والخارجية ، وهي تشبه في ذلك ما حدث في المشرق في المدة الواقعة بين ٢٣٢ - ٤٤٧هـ/ ٨٤٧ - ١٠٥٥م المتمثلة بظهور النفوذ التركي والبويهي في الخلافة العباسية فتجرأ بعض الحجاب في المشرق على التآمر على سلامة الخليفة وأمن الدولة ، فقد اسهم حاجب الخليفة المعتز بالله صالح بن وصيف في التآمر على سلامة الخليفة وكانت نتيجة ذلك مقتل الخليفة سنة ٢٥٥هـ = ٨٦٩م (٣) .

فلما اسند الخليفة هشام منصب الحجابة سنة ٣٦٧هـ = ٩٧٨م إلى ابن ابي عامر سيطر الحاجب على الخليفة لصغر سنه ، واستبد بالامور وتسمى بالحاجب المنصور وعطل قصر الخلافة — فلم يكن يدخل على الخليفة احد الا بعلمه ، واتخذت الكتب تصدر باسمه وامر بالدعاء له على المنابر بعد الدعاء للخليفة ، وكتب اسمه بالسكة والطراز ، ولم يبق للخليفة هشام من رسوم الخلافة غير الدعاء له على المنابر (٤) .

وبعد وفاة الحاجب المنصور سنة ٣٩٢هـ = ١٠٠٢م تولى بعده ابنه عبدالملك، وجرى مجرى ابيه واصبحت الحجابة بينهم وراثية (٥) .

---

(١) ابن الكردبوس : تأريخ الاندلس ص ١٢ .
(٢) الطبري : تأريخ ج٢ ص ٣٦٦ ، وكيع : اخبار القضاة ج٢ ص٨١ .
(٣) الأربيلي : خلاصة الذهب المسبوك ص٢٣٠ .
(٤) ابن بسام الذخيرة ج١ ص٥٨ ،ابن عذاري ج٢ ص٢٦٠، ص٢٧٩ ، المقري ، نفح الطيب ج١ ص ٣٩٦ - ص٣٩٧ .
(٥) ابن بسام ج١ ص٧٣، ابن الخطيب اعمال الاعلام ج٢ ص٨٠ .

وقد بلغ الحاجب عبدالملك من النفوذ بحيث كان يستدعي الخليفة إلى قصره في الزاهرة (١) . ولم يكتف عبدالملك بذلك بل سأل الخليفة ان يصدر مرسوماً بتسميته بالمظفر ،وان يكنى بأبي مروان في مجلسه (٢) كما سأل الخليفة ان يرفع مرتبة ابنه محمد على سائر الوزراء فاجابه إلى طلبه بأن لقبه (بذي الوزارتين) وكناه بكنية جده ابي عامر (٣) .

وعلى الرغم من كل ذلك فقد كان الحاجب عبدالملك عند حسن ظن الرعية التي احبته لما بلغته الاندلس في عهده من الرفاه والنعيم فقد اسقط في اول ولايته سدس الجباية عن الرعية فرخصت الاسعار في عهده (٤) . وفي السياسة الخارجية واصل حملاته العسكرية وفتوحاته التي كان يقودها بنفسه (٥) . وبعد وفاته تقلد اخوه عبدالرحمن الحجابة ولقبه الخليفة بـ (الناصر)وخلع عليه خلعة الحجابة (٦) . وقد خالف عبدالرحمن سيرة ابيه واخيه في سياسته تجاه الخليفة وافرط في استبداده بالخليفة فقد طالبه بأن يصدر مرسوماً بتسميته بـ (المأمون)فانكر الناس عليه هذه التسمية لكونها من القاب الخلفاء وعدوا ذلك استهانة بالخليفة (٧) .

وقد تمادى عبدالرحمن بالتجاوز على صلاحيات الخليفة بأن طلب منه ان يوليه العهد بعد تهديده اياه بالقتل ، واصدر مرسوماً بذلك واعلن عبدالرحمن ذلك على الناس فاذهل عقولهم (٨) .

---

(١) ابن الخطيب : اعمال الأعلام ج٢ ص٨٨ .
(٢) ابن عذاري: البيان المغرب ج٣ ص١٥ .
(٣) نفس المصدر السابق ج٣ ص١٦ .
(٤) ابن بسام: الذخيرة ق٤ ص ٧ .
(٥) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس ص ٦٦.
(٦) ابن الخطيب: اعمال الأعلام ق٢ ص٩٠ .
(٧) ابن عذاري: البيان المغرب ج٣ ص ٤٠- ٤١
(٨) ابن بسام الذخيرة ص١٠٤ .

فكانت تصرفات الحاجب الهوجاء وطموحاته غير المشروعة قد عجلت بنهايته فثار بنو أمية على هشام وخلعوه ، وبايعوا محمد بن هشام بالخلافة ولقبوه — بالمهدي (١) .

وكان الحاجب عبدالرحمن انذاك في طليطلة فلما اراد العودة إلى قرطبة قبضوا عليه وقطعوا رأسه (٢) . وبذلك انتهت الدولة العامرية ، وبمقتله سنة ٣٩٩هـ = ١٠٠٨م انتهت فترة نفوذ الحاجب في الاندلس ..



(١) ابن الابار : جـ٢ ص٥ ، ابن عذاري جـ٣ ص٣٤ .
(٢) ابن عذاري : جـ٣ ص٤٩ .

(الحجاب في الدولة العربية الاسلامية في المشرق والاندلس)

الآذنون في عهد الرسول (ص) (— الملحق الاول —)

— أنسه مولاه ويكني أبا مسروح (١)

— رباح الاسود (٢)

— ابو موسى الاشعري (٣)

— اسامة بن زيد (٤)

— انس بن مالك (٥)

الاذنون في عهد الخلفاء الراشدون (الملحق الثاني)

اسم الخليفة	اسم الآذن
— ابو بكر الصديق (رض)	شديد مولاه (٦)
— عمر بن الخطاب (رض)	يرفا مولاه (٧)
	اسلم (ابو زيد) (٨)
— عثمان بن عفان (رض)	حمران بن ابان (ابو زيد) (٩)
— علي بن ابي طالب (رض)	قنبر مولاه (ابو زيد) (١٠)

(١) أبن سعد: الطبقات الكبرى ج٢ ص٤٩ .
(٢) الطبري: تأريخ ج٣ ص١١٧١
(٣) ابن القيم الجوزية: زاد المعاد ج١ ص٣٢
(٤) الخطيب البغدادي: تأريخ بغداد ج٩ ص٦٢.
(٥) نفس المصدر السابق ص٣٤٠ .
(٦) ابن خياط: تأريخ ج١ ص٩١ .
(٧) نفس المصدر السابق ج١ ص١٣٠ .
(٨) ابن سعد الطبقات ج٣ ص٣٠٩ .
(٩) ابن خياط تأريخ ج١ ص١٥٧ .
(١٠) نفس المصدر السابق ج١ ص١٠٥ .

حجاب الخلفاء الامويين

(الملحق الثالث)

اسم الخليفة	اسم الحاجب
– معاوية بن ابي سفيان ٤١ ﻫ = ٦٦١م	زريق مولاه (ابو ايوب) (١)
	رباح مولاه (٢)
	صفوان وقيل يزيد مولاه (٣)
	سعد مولاه (ابو دره) (٤)
	زياد مولاه (٥)

اسم الخليفة	اسم الحاجب
– يزيد بن معاوية ٦٠ﻫ = ٦٨٠م	صفوان مولاه (٦)
	فتح مولاه (٧)
– معاوية بن يزيد ٦٤ﻫ = ٦٨١م	ابا سهل الاسود (٨)
	صفوان مولاه (٩)
	مسلم بن اعتاب (١٠)
	مسلم بن غياث مولاه (١١)

(١) ابن حبيب: المحبر ص ٢٥٩ .
(٢) اليعقوبي : تأريخ ج٢ ص ٢٣ .
(٣) المسعودي: التنبيه والأشراف ٢٦٢ .
(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد – ج٤ ص١٦٢ .
(٥) ابن العربي : محاضرة الأبرار ج ١ ص٦٦ .
(٦) ابن حبيب : المحبر ص٢٥٩ .
(٧) ابن الكازوروني : مختصر التاريخ ص٤ .
(٨) اليعقوبي : تاريخ ج٢ ص٢٥ .
(٩) المسعودي: التنبيه والأشراف ص٢٦٥ .
(١٠) ابن العربي : محاضرة الأبرار ج١ ص٩٧ .
(١١) مجهول: تاريخ الخلفاء ص٣٠٧ .

اسم الخليفة	اسم الحاجب
ـ مروان بن الحكم	ابا سهل الاسود (١)
٦٤هـ = ٦٨٥م	أبو المنهال الاسود (٢)
	با اسماعيل مولاه (٣)
ـ عبدالملك بن مروان	ابا يوسف (يعقوب) مولاه (٤)
٦٥هـ = ٦٨٥م	ابو الزهيري مولاه (٥)
	سعد أبو دره (٦)
	يوسف مولاه (٧)
	خلد مولاه (٨)
ـ الوليد بن عبدالملك	سعيد مولاه (٩)
٨٦هـ = ٧٠٥م	محمد ابي سهل (١٠)
	خالد مولاه (١١)
	يزيد مولاه (١٢)
ـ سليمان بن عبدالملك	ابو عبيدالله مولاه (١٣)
٩٦هـ = ٧١٥م	ابو عسكر مولاه

(١) ابن خياط: تأريخ جـ١ ص٢٥٩ .
(٢) ابن حبيب: المحبر ص٥٩ .
(٣) الديار بكري: تأريخ الخميس جـ٢ ص٨ .
(٤) ابن خياط: تأريخ جـ١ ص٣٠٢ .
(٥) المسعودي: التنبيه والأشراف ص٢٧٣.
(٦) ابن عساكر: تهذيب تأريخ دمشق جـ٦ ص١١٦.
(٧) ابن الكازوروني : مختصر التأريخ ص ٩٠ .
(٨) مجهول: تأريخ الخلفاء ص ٢٢٣ .
(٩) ابن خياط : تأريخ جـ١ ص ٣١٧ .
(١٠) ابن حبيب: المحبر ص ٢٥٩ .
(١١) المسعودي: التنبيه: ص ٢٧٤ .
(١٢) ابن خياط: تأريخ جـ١ ص ٣٢٥ .
(١٣) الأربلي : خلاصة الذهب ص ١٧ .

اسم الخليفة	اسم الحاجب
عمر بن عبدالعزيز	حبيش مولاه (١)
٩٩هـ = ٧١٥م	مزاحم مولاه (٢)
	ابو عبيدة الاسود مولاه (٣)
	قيس مولاه (٤)
– يزيد بن عبدالملك	خالد مولاه (٥)
١٠١هـ = ٧٢٠م	سعيد مولاه (٦)
– هشام بن عبدالملك	غالب بن مسعود مولاه (٧)
١٠٥هـ – ٧٢٤م	الحريش مولاه (٨)
	ابو الزبير (٩)
	الربيع (١٠)
– الوليد بن يزيد	عيسى بن مقسم (١١)
١٧٥هـ – ٧٤٣م	قطرى مولاه (١٢)
– يزيد بن الوليد بن عبدالملك	قطن مولاه (١٣)

(١) ابن خياط : تأريخ جـ٢ ص ٣٣٢ .
(٢) المسعودي: التنبيه والأشراف ص ٢٧٦ .
(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ٤ ص ٤٣٢ .
(٤) ابن العربي : محاضرة الأبرار جـ١ ص٧١ .
(٥) ابن خياط : تأريخ جـ١ ص ١٤٤ .
(٦) ابن حبيب : المحبر ص ٢٥٩ .
(٧) نفس المصدر والصحيفة .
(٨) اليعقوبي تأريخ جـ٢ ص ٣٢ .
(٩) الطبري: تأريخ جـ٧ ص٢٥٩ .
(١٠) – ابن الأثير : الكامل جـ٥ ص٢٠٦ .
(١١) – ابن خياط : تأريخ – جـ٢ ص ٣١٦.
(١٢) ابن حبيب: المحبر ص٢٥٩ .
(١٣) –اليعقوبي : تأريخ جـ٢ ص ٣٣٤ .

اسم الخليفة	اسم الحاجب
١٢٦هـ = ٧٤٤م	جبير مولاه (١)
	قطرى مولاه (٢)
– ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك ١٢٦هـ = ٧٤٤م	قطن ثم وردان مولاه (٣)
– مروان بن محمد ١٢٧ – ١٣٢هـ = ٧٤٤ – ٧٥٠م	شعلان وبتال : مقلاص مولاه (٤)

حجاب خلفاء الدولة العباسية (الملحق الرابع)

اسم الخليفة	اسم الحاجب
ابو العباس عبدالله بن محمد ابي علي ١٣٢هـ = ٧٤٩م	أبا غسان صالح بن الهيثم مولاه (٥)
	يزيد بن زيدة مولاه (٦)
– أبو جعفر المنصور ١٣٦هـ = ٧٥٤م	عيسى بن نجيح (٧)
	ابو الخصيب مرزوق (٨)
	الربيع بن يونس (٩)
	الفضل بن الربيع (١٠)

(١) –المصدر السابق: جـ٢ ص٢٣٥ .
(٢) – ابن الكازوروني : – مختصر التأريخ ص ١٠٣ .
(٣) النويري: نهاية الارب – جـ٢١ ص٥٠٧ .
(٤) – ابن حبيب: المحبر ص٢٥٩ .
(٥) ابن خياط : تأريخ جـ٢ ص٤٣٣.
(٦) ابن حبيب : المحبر ص٢٥٩.
(٧) ابن خياط: تأريخ جـ٢ ص ٤٦٧ .
(٨) البلاذري: انساب الاشراف ق ٣ ص ٢١٢ .
(٩) ابن خياط : تأريخ جـ٢ ص ٤٦٧ .
(١٠) ابن الكازروني : مختصر التأريخ ص ١١٧ .

اسم الخليفة	اسم الحاجب
	يعقوب بن الربيع اخو الفضل بن الربيع (١)
ـ محمد المهدي	الربيع بن يونس ثم الفضل بن الربيع (٢)
١٥٨هـ = ٧٧٥م	وقيل: الخضر بن سليمان ثم الفضل بن الربيع (٣)
ـ موسى الهادي	الربيع بن يونس (٤)
١٦٩هـ = ٧٨٥م	الفضل بن الربيع(٥)
ـ هارون الرشيد	محمد بن خالد بن برمك (٦)
١٧٠هـ = ٧٨٦م	الفضل بن الربيع (٧)
ـ محمد الأمين	الفضل بن الربيع (٨)
١٩٣هـ = ٨٠٩م	العباس بن الفضل بن الربيع (٩)
	علي بن صالح
	السندي بن شاهنك (١٠)

(١) الخطيب البغدادي : تأريخ بغداد جـ٤ ص ٢٦٧ .
(٢) نفس المصدر السابق والصحيفة .
(٣) ـ المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٩٧ .
(٤) ـ ابن حبيب: المحبر ص ٢٦٠، الطبري : تأريخ جـ ص٢٢٠٩ .
(٥) ـ ابن خياط : تأريخ جـ٢ ص ٤٨٠ .
(٦) ـ ابن حبيب : المحبر ص ٢٦٠ .
(٧) ـ الجهشياري: الوزارة والكتاب ص ١٠٧ .
(٨) الطبري: تأريخ جـ١ ص ٢٦١ .
(٩) اليعقوبي : تأريخ جـ٢ ص ٤٤٢ .
(١٠) ابن قتيبة : المعارف ص ١٨٤ .

اسم الخليفة	اسم الحاجب
— عبدالله المأمون ١٩٨هـ = ٨١٣م	عبدالحميد بن شبيب بن قحطبة (١) علي بن صالح (٢) اسماعيل بن محمد بن صالح محمد بن عباد (٣)
— المعتصم بالله ٢١٨هـ = ٨٣٣م	حجبه من الاتراك (وصيف إبن حماد) سيما الشرابي وايتاخ (٤)
— الواثق بالله ٢٢٧هـ = ٨٤٢م	وصيف التركي محمد بن عاصم (٥) ايتاخ (٦)
— المتوكل على الله ٢٣٢هـ = ٨٤٧م	ايتاخ ثم وصيف (٧) سعد بن صالح بغا التركي (٨) خالد بن عمران (٩)
— المستنصر بالله	وصيف التركي ثم بغا (١٠)

(١) ابن حبيب : المحبر ص ٢٦٠ .
(٢) اليعقوبي : تأريخ ج٢ ص ٤٧٠.
(٣) ابن الكازوروني : مختصر التأريخ ص ١٣٧ .
(٤) اليعقوبي : تأريخ ج٢ ص ٤٧٨ .
(٥) ابن حبيب: المحبر ص ٢٦٠ .
(٦) البيهقي : المحاسن والمساوىء ج١ ص ٢٦٢ .
(٧) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٥ ص ١٢٢.
(٨) ابن بطريق: التأريخ المجموع ج٢ ص ٦٥ .
(٩) الأزدي: تأريخ الموصل ص ٦٣ .
(١٠) المسعودي: التنبيه والأشراف ص ٣١٤ .

اسم الخليفة	اسم الحاجب
٢٤٧هـ = ٨٦١م	ابن المرزبان ثم اوتامش (١)
ـ المستعين بالله	وصيف ثم بغا (٢)
٢٤٨هـ = ٨٦١م	وقيل اوتامش ثم بغا ثم موسى بن بغا ثم وصيف (٣)
ـ المعتز بالله	سعيد بن صالح (٤)
٢٥٢هـ = ٨٦٦م	صالح بن وصيف (٥)
	موسى بن بغا (٦)
ـ المهتدي بالله	صالح بن وصيف ثم تكمن التركي (٧)
٢٥٥هـ = ٨٦٩م	موسى بن بغا
	بايكباك (٨)
ـ المعتمد على الله	يارجوخ ثم خطارمش ثم يكيتمر (٩)
٢٥٦هـ = ٨٧٠م	موسى بن بغا ثم جعفر بن بغا (١٠)
ـ المعتضد بالله	خفيف السمرقندي (١١)
٢٧٩هـ = ٨٩٢م	بدر مولاه (١٢)

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ٥ ص ١٢٣ .
(٢) ابن البطريق: التأريخ المجوع جـ٢ ص ٦٦ .
(٣) ابن الكازوروني: مختصر التأريخ ص ١٥٣ .
(٤) ابن البطريق: التأريخ المجوع جـ٢ ص ٦٨ .
(٥) المسعودي: التنبيه والأشراف ص ٣١٦ .
(٦) الكازوروني: مختصر التأريخ ص ١٥٦ .
(٧) ابن البطريق: التأريخ المجوع جـ٢ص٦٨
(٨) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ٥ ص١٢٥ .
(٩) المسعودي: التنبيه والأشراف ص ٣٢٠ .
(١٠) المجهول: العيون والحدائق جـ٤ ص ٧٤ .
(١١) الطبري: تأريخ جـ١٠ ص ٣٠ .
(١٢) ابن البطريق: التأريخ جـ٢ ص ٧٤ .

اسم الخليفة	اسم الحاجب
— المكتفي بالله	خفيف السمرقندي
٢٨٩هـ = ٩٠٢م	سوسن مولاه (١)
— المقتدر بالله	سوسن مولاه (٢)
٢٩٥هـ = ٩٠٨م	
	نصر الحاجب المعروف بالقشوري(٣)
	احمد بن نصر (٤)
	ياقوت (٥)
	أبن رائف (٦)
القاهر بالله	علي بن يلبق
٣٢٠هـ = ٩٢٢م	بدر الخرشني (٧)
	محمد بن ياقوت (٨)
	سلامة الطولوني (٩)
— الراضي بالله	محمد بن ياقوت (١٠)
٣٢٢هـ = ٩٣٤م	سلامة الطولوني (١٢)

(١) المسعودي: التنبيه والأشراف ص ٣٢٢ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ١٣٠ .
(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ٥ ص ٢٢٨ .
(٤) ابن الأثير: الكامل جـ١ ص١٩١ .
(٥) عريب: صلة تاريخ الطبري ص ١٢٥ .
(٦) نفس المصدر السابق ص١٣٨ .
(٧) المسعودي: التنبيه ص ٣٣٦.
(٨) نفس المصدر السابق ص ٣٣٧ .
(٩) نفس المصدر السابق للصحيفة .
(١٠) نفس المصدر السابق ص ٣٣٧.
(١١) ابن الكازوروني : مختصر التأريخ ص ١٨٥

اسم الخليفة	اسم الحاجب
— المتقي بالله	ابو القاسم بن جرير (١)
٣٢٩هـ = ٩٤٠م	بدر الخرشني (٢)
— المستكفي بالله	احمد بن خاقان (٣)
٣٣٣هـ = ٩٤٤م	
— المطيع لله	احمد بن خاقان (٤)
٣٣٤هـ = ٩٤٦م	عبدالواحد بن عمرو الشرابي (٥)
— الطائع لله	مؤنس الفضيلي
٣٦٣هـ = ٩٧٤م	وصيف التركي
	احمد بن نصر العباسي (٦)
— القادر بالله	ابو القاسم بن مفلح
٣٨١هـ = ٩٩١م	منصور بن ظافر
	ابو القاسم بن بكران وابنه ابومنصور(٧)
— القاسم بأمر الله	ابو منصور بن بكران
٤٢٢هـ = ١٠٣١م	حسين بن علي المردوشي (٨)

(١) مجهول: العيون والحدائق ج٤ ص ٤١٠ .
(٢) المسعودي: التنبيه والأشراف ص ٣٤٤ .
(٣) نفس المصدر السابق ص ٤٥ .
(٤) مجهول :العيون ح٤ ص ٤٤٦ .
(٥) ابن الكازوروني : مختصر التأريخ ص ١٩٠ .
(٦) الصابي: رسوم دار الخلافة ص ٨١ .
(٧) الاربيلي : خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٦٣ .
(٨) ابن الكازوروني : مختصر التأريخ ص ٣٠٩ .

اشهر حجاب خلفاء الدولة الأموية في الأندلس (الملحق الخامس)

اسم الخليفة	اسم الحاجب
عبدالرحمن بن معاوية	تمام بن عامر بن احمد بن علقمة (١)
١٣٨هـ = ٧٥٥م	يوسف بن بضت (مولى عبدالملك إبن مروان)
	عبدالكريم مهران الغساني
	عبدالرحمن بن مغيث (٢)
— هشام بن عبدالرحمن	عبدالواحد بن مغيث (٣)
١٧٢هـ = ٧٨٨م	عبدالملك بن عبدالواحد بن مغيث (٤)
— الحكم بن هشام بن عبدالرحمن	عبدالكريم بن عبدالواحدبن مغيث (٥)
١٨٠هـ = ٧٩٦م	عبدالعزيز بن ابي عبده (٦)
— عبدالرحمن بن الحكم	عبدالكريم بن مغيث
٢٠٦هـ = ٨٢٢م	سفيان بن عبد ربه
	عبدالرحمن بن غانم
	عيسى بن شهيد (٧)
— محمد بن عبدالرحمن بن الحكم	عيسى بن شهيد
٢٣٨هـ = ٨٥٢م	عيسى بن الحسن بن ابي عبده (٨)
	هاشم بن عبدالعزيز (٩)

(١) ابن الابار: الحلة السيراء ج١ ص ١٤٣ ؛
(٢) ابن عذاري: البيان المغرب ج٢ ص ٤٨ .
(٣) — ابن الا بار: الحلة السيراء ج١ ص ١٣٦ .
(٤) النويري: نهاية الارب ج٢٢ ص ٣٦ .
(٥) — ابن الابار: الحلة السيراء ج١ ص ١٣٦ .
(٦) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ج٢ ص ٤٤ .
(٧) ابن حيان: المقتبس ص ١٠٢ .
(٨) ابن عذاري: البيان المغرب ج٢ ص ٩٦ .
(٩) ابن الا بار: الحلة السيراء ج١ ص ١٣٨ .

اسم الخليفة	اسم الحاجب
– المنذر بن محمد بن عبدالرحمن	هاشم بن عبدالعزيز
٢٧٣هـ = ٨٨٦م	عبدالرحمن بن امية بن شهيد (١)
– عبدالله محمد بن عبدالرحمن	عبدالرحمن بن امية بن شهيد
٢٧٥هـ = ٨٨٨م	سعيد بن محمد بن السليم (٢)
– عبدالرحمن الناصر لدين الله بن محمد	بدر بن احمد مولاه (٣)
٣٠٠هـ = ٩١٢م	موسى بن محمد بن حدار (٤)
– الحكم المستنصر بالله	جعفر بن عبدالرحمن الصقلبي مولاه (٥)
٣٥٠هـ = ٩٦١م	جعفر بن عثمان المصحفي (٦)
– هشام بن الحكم بن عبدالرحمن	جعفر بن عثمان المصحفي (٧)
(خلافته الاولى)	غالب بن عبدالرحمن الناصر (٨)
٣٦٦هـ = ٩٧٦م	
	المنصور بن ابي عامر (٩)
	عبدالملك بن ابي عامر (المظفر)(١٠)

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ج٢ ص ١١٣.
(٢) ابن القوطيه : تأريخ افتتاح الأندلس ص ١٢١.
(٣) ابن حيان : المقتبس ج٥ ص ١٧٣ .
(٤) ابن الا بار : الحلة السيراء ص ٢٣٢ .
(٥) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ج١ ص ١٨٧ .
(٦) المقري : نفح الطيب ج١ ص ٣٩٢ .
(٧) –ابن بسام : الذخيرة ق٤ ص ٥٩ .
(٨) نفس المصدر السابق ص ٦٥ .
(٩) النويري : نهاية الأرب ج٢٢ ص ٦٥ .
(١٠) ابن الا بار : الحلة السيراء . ج١ ص ٢٦٩ .

اسم الخليفة	اسم الحاجب
	عبدالرحمن بن المنصور بن ابي، عامر (اخوه) (١)
– محمد بن هشام بن عبدالجبار الملقب بالمهدي ٣٩٩هـ = ١٠٠٨م	واضح المغني (٢)
– هشام بن الحكم بن عبدالرحمن (خلافته الثانية) ٤٠٠هـ = ١٠١٠م	واضح المغني (٣)

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ص ٣٨ .
(٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ١١٦ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ج٣ ص ١٠٠ .

مصادر ومراجع البحث

ابن الآبار : ابو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي (ت٦٥٨ ﻫ)

١ — (الحلة السيراء) طبع الشركة العربية — القاهرة ١٩٦٣

ابن ابي الربيع : احمد بن محمد (عاصر الخليفة المعتصم)

٢ — (سلوك الممالك في تدبير المالك) مطبعة الهدف. بيروت ١٩٧٨.

ابن الاثير : ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠ﻫ)

٣ — (الكامل في التاريخ) مطبعة دار صادر . بيروت ١٩٦٥

ابن الازرق : ابو عبدالله (ت ٨٩٦ﻫ)

٤ — (بدائع السلك في طبائع الملك) مطبعة دار الحرية.بغداد (١٩٧٧)

ابن بسام : ابو الحسن علي (ت ٥٤٢ﻫ)

٥ — الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة) دار الثقافة، بيروت ١٩٧٩.

ابن بطريق : اقتيشيون المكنى سعيد بن الطريق (ت ٣٢٨ﻫ)

٦ — (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) مطبعة الابـاء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٥ .

ابن الجوزي : ابو الفتوح عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧ﻫ)

٧ — (المنتظم في تاريخ الملوك والامم) مطبعة دائرة المعارف العثمانية الدكن ١٣٥٧ ﻫ

٨ — (اخبار الاذكياء) المكتب الشرقي للنشر والتوزيع ١٩٧٠

ابن حزم : ابو محمد بن احمد الاندلسي (ت ٤٥٦ﻫ)

٩ — (فضائل الاندلس واهلها) نشر دار الجديد ، بيروت ١٩٦٨

ابن حبيب . ابو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ﻫ)

١٠ — (المحبر) مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الدكن ١٩٤٢

ابن حيان القرطبي : ابو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩ﻫ)

١١ – (المقتبس في اخبار بلد الاندلس) مطبعة سيما. بيروت ١٩٦٥

ابن الخطيب : لسان‌الدين محمد (ت ٧٧٦هـ)

١٢ – (اعمال الاعلام) طبع بيروت ١٩٥٦م

ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)

١٣ – (العبر وديوان المبتدأ والخبر) طبع بيروت ١٩٧٩

ابن خياط : ابو عمر خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)

١٤ – (كتاب التاريخ) مطبعة النجف – العراق ١٩٦٧

ابن سعد : محمد (ت ٢٣٠هـ)

١٥ – (الطبقات الكبرى) طبع بيروت ١٩٥٧

ابن سعيد : علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ)

١٦ – (المغرب في حلى المغرب) طبع دار المعارف . مصر ١٩٦٤

ابن سيدة : علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨هـ)

١٧ – (المحكم والمحيط الاعظم في اللغة) مطبعة البابي الحلبي . مصر ١٩٥٨

ابن عبد ربه : ابو عمر احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٧هـ)

١٨ – (العقد الفريد) طبع مكتبة المثنى. بغداد ١٩٦٧

ابن عذاري : ابو العباس احمد بن محمد (ت ٦٩٥هـ)

١٩ – (البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب) دار الثقافة. بيروت

ابن عربي : محي‌الدين (ت ٦٣٨هـ)

٢٠ – (محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار) مطبعة النحوي. بيروت ١٩٦٨

ابن عساكر : ابو القاسم بن الحسن الشافعي (ت ٥٧١هـ)

٢١ — (تهذيب تاريخ دمشق الكبير) طبع دار المسيرة، بيروت ١٩٧٩

ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله الدينوري (ت ٢٧٦هـ)

٢٢ — (عيون الاخبار) مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٢٥

٢٣ — (المعارف) مطبعة دار المعارف . مصر ١٩٦٩

ابن القوطية : محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ)

٢٤ — (تاريخ افتتاح الاندلس) طبع بيروت ١٩٥٨

ابن قيم الجوزية : شمس الدين عبدالله الدمشقي (ت ٧٥١هـ)

٢٥ — (زاد المعاد في هدى خير العباد) المطبعة المصرية — القاهرة

ابن الكازروني : ظهيرالدين ابو الحسن علي بن محمد البغدادي (ت ٦٩٧هـ)

٢٦ — (مختصر التاريخ) مطبعة الحكومة. بغداد ١٩٧٠

ابن الكردبوس : ابو مروان عبدالملك (ت ٥٧٣هـ)

٢٧ — (تاريخ الاندلس) مطبعة معهد الدراسات الاسلامية — مدريد ١٩٧١

ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري (ت ٧١١هـ)

٢٨ — (لسان العرب) طبعة بولاق — مصر

ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم (ت ١٩٢هـ)

٢٩ — (كتاب الخراج) مطبعة دار بوسلامة ، تونس ١٩٨٤

ابن هشام : ابو محمد عبدالملك بن هشام (ت ٢١٣هـ)

٣٠ — (السيرة النبوية) مطبعة دار الجليل ، بيروت ١٩٧٥

الاربلي : ابو محمد عبدالرحمن بن ابراهيم (ت ٧١٧هـ)

٣١ — (خلاصة الذهب المسبوك) طبع مكتبة المثنى، بغداد ١٩٦٤

البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)

٣٢ — (انساب الاشراف) المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٧٨ . ١٩٧٩

البيهقي : ابراهيم بن محمد (ت ٣٢٠هـ)

٣٣ — (المحاسن والمساوىء) مطبعة نهضة مصر — القاهرة ١٩٦١

التنوخي : ابو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ)

٣٤ — (نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة) مطبعة دار صادر — بيروت

الثعالبي : ابو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ)

٣٥ — (لطائف المعارف) مطبعة البابي الحلبي — القاهرة ١٩٦٠

الجاحظ : ابو عثمان بن بحر (ت ٢٥٥هـ)

٣٦ — (التاج في أخلاق الملوك) المطبعة الاميرية — القاهرة ١٩١٤

٣٧ — (رسائل الجاحظ) مطبعة السنة المحمدية — القاهرة ١٩٦٥

الجهشياري : ابو عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٢٣١هـ)

٣٨ — (الوزراء والكتاب) مطبعة البابي الحلبي — مصر ١٩٣١

الحميري : (محمد بن عبدالله ت — ٧٢٧هـ)

٣٩ — (الروض المعطار في خبر الاقطار) مطبعة هيدلبرغ ،بيروت ١٩٨٤

الخطيب البغدادي : ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)

٤٠ — (تاريخ بغداد) نشر دار الكتاب العربي . بيروت

— الديار بكري : حسين بن محمد (ت ٩٩٠هـ)

٤١ — (تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس) المطبعة الذهبية مصر ١٢٨٣هـ

— الذهبي : شمس‌الدين محمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)

٤٢ — (دول الاسلام) مطبعة دائرة المعارف النظامية — الهند ١٣٣٧هـ

— الراغب الاصفهاني : ابو القاسم حسين (ت ٥٠٢هـ)

٤٣ — (محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلقاء) مطبعة المويلجي مصر ١٢٠٧هـ

الزبيدي : محب‌الدين ابو الفيض محمد (ت ١٢٠٥هـ)

٤٤ — (تاج العروس) المطبعة الخيرية . مصر ١٣٠٦هـ

الصابئي : ابو الحسن هلال‌الدين المحسن (ت ٤٤٨هـ)

٤٥ — (رسوم دار الخلافة) مطبعة جرير (ت ٣١٠هـ)

الطبري : ابو جعفر محمد ابن جرير (ت ٣١٠هـ)

٤٦ — (تاريخ الرسل والملوك) مطبعة دار المعارف . مصر ١٩٧٩ .

عريب : ابن سعد القرطبي (ت ٣٦٦هـ)

٤٧ — (صلة تاريخ الطبري) — دار المعارف . مصر ١٩٨٢

— الفيروزابادي : مجدالدين محمد ابن يعقوب (ت ٨١٧هـ) .

٤٨ — (القاموس المحيط) مطبعة البابي الحلبي . مصر

— القلقشندي : ابو العباس احمد ابن علي (ت ٨٢١هـ)

٤٩ — (صبح الاعشى في صناعة الانشا) مطبعة كوستاتوماس.مصر ١٩٦٣

— الماوردي : ابو الحسن علي بن محمد البصري (ت ٤٥٠هـ)

٥٠ — (أدب القاضي) مطبعة الارشاد بغداد. ١٩٧١
٥١ — (نصيحة الملوك) مطبعة دار الحرية . بغداد ١٩٨٦
— مجهول : مؤلف
٥٢ — (تاريخ الخلفاء) دار النشر والعلم — موسكو ١٩٦٧
— مجهول : مؤلف
٥٣ — (العيون والحدائق) مطبعة ليدن ١٩٦٩ ، المطبعة الكاثوليكية بيروت
— المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)
٥٤ — (التنبيه والاشراف) دار الصاوي — القاهرة ١٩٣٨
— مسكويه : ابو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)
٥٥ — (تجارب الأمم) — مطبعة شركة التمدن — مصر
— المقري : احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ)
٥٦ — (نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب) دار صادر . بيروت ١٩٦٨
— النويري : شهاب‌الدين احمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ)
٥٧ — (نهاية الارب في فنون الادب) مطبعة كوستا توماس .القاهرة
— وكيع : محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ)
٥٨ — (اخبار القضاة) مطبعة عالم الكتب . بيروت
— اليعقوبي : احمد بن أبي يعقوب بن واضح الاخباري (ت ٢٩٢هـ)
٥٩ — (كتاب التاريخ) دار صادر .بيروت

المراجع الحديثة :

الدوري : تقي الدين عارف

٦٠ – (عصر امرة الامراء في العراق) – مطبعة اسود .بغداد ١٩٧٥

صقر : عبدالبديع

٦١ – (الوصايا الخالدة) دار الفكر ، بيروت (جمع وتحقيق)

طلس : محمد اسعد

٦٢ – (عصر الانطلاق) مطبعة مكتبة الاندلس – بيروت ١٩٥٧

٦٣ – (عصر الازدهار) مطبعة مكتبة الاندلس ، بيروت ١٩٦٠

العبادي : عبدالحميد

٦٤ – (دراسات في تاريخ المغرب والاندلس) مؤسسة شباب الجامعة للنشر ، الاسكندرية

عنان : محمد عبدالله

٦٥ – (دولة الإسلام في الأندلس) – مطبعة لجنة التأليف والنشر – مصر .

اليوزبكي : توفيق سلطان

٦٦ – (الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية) مطبعة جامعة الموصل ١٩٧٦

67- S. F Mahamad.
The story of Islam press, Lahore, Karachi, Dacca, London.

«مركز الرسول (ص) في مدينة يثرب ودوره في تأسيس الدولة العربية الاسلامية الاولى»

السيد رياض هاشم هادي
جامعة الموصل /مركز الدراسات التركية

يمكن اعتبار يوم ٢٤– ايلول– ٦٢٢م هو تأريخ نشأة الدولة العربية الأسلامية الأولى، حيث أكتملت فيه الأسس الضرورية لقيام الدولة من سلطة سياسية متمثلة بقيادة الرسول (ص)وشعب مؤلف من الأوس والخزرج مسلمين وغير مسلمين والمهاجرين واليهود وأقليم محدد بحدود مدينة يثرب (٢) .

وقد كان من نتائج الهجرة الى مدينة يثرب، ان حدثت متغيرات جديدة في الظرفين الزماني والمكاني، على العكس من مكة، اذ اصبح المسلمون، هم القوة الأساسية الفاعلة واصبحت المدينة قاعدتهم وبيدهم قيادتها، يتمتعون بقدر كبير من الحرية ويمسكون بزمام الأمور، وكان على القوى الأخرى ان تكيف وضعها وفقاً للاطار الجديد. وهذه المتغيرات فرضت على عملية بناء الأداة التي مورست في مكة ان تنحو منحى آخر يرتبط مع الخط العام الذي أرسي في مكة ،غير انه يمتاز عليه في آفاقه الجديدة ، فالأداة التي

(١) الملامح : هاشم يحيى : نشأة دولة المدينة فى يثرب (مجلة الجامعة ، العدد ١١ السنة الثانية، ١٩٧٢ ، موصل) ص ٥٩ .

Gardet; Louis: Mohammed anism. Newyork, 1961, P22

(2) Hell; J. The Arab Civilization, Cambridge, 1925, P 20

ركز الرسول (ص) على بنائها في مكة والتي قوامها «الأنسان النموذج» أصبحت في يثرب «المجتمع النموذج» واصبح على النماذج التي تم تكوينها في مكة ان تكيف نفسها مع شروط بناء الجماعة وان تقود عملية البناء الجديد في آن واحد (١) .

وفي ضوء ماتقدم يمكن ان نتساءل هنا: ماهو مركز الرسول (ص) واتباعه عندما هاجر من مكة الى المدينة واتخذها مقراً لدعوته ؟

هل كان موقعه في مدينة يثرب عندما هاجر اليها واستقر بها كلاجيء ؟ أم كحليف نزل في حماية أحد زعمائها طالبا منه الحماية له ولاتباعه الضعفاء بعد أن صمم رجال الملأ في مكة على الفتك به وبأتباعه ؟

آم انه دخلها نبياً رسولا يقود المؤمنين به وبدعوته ، ومصراً على تحقيق اهدافه العقيدية والسياسية بعد ان اصبح ذلك عسيراً عليه في مكة ؟

فلو افترضنا انه خرج من مكة فاراً خائفاً من نقمة قريش عليه، ودخل مدينة يثرب لاجئاً أو حليفاً في حماية احد زعمائها، أو حتى في حماية المؤمنين به وبدعوته من «الأوس والخزرج» لكان موقعه فيها لايتجاوز الحليف، والحليف أقل مرتبة: من ابن القبيلة المنحدر من الجد الأعلى للقبيلة حيث ان العربي يعتقد بتحدره من جد واحد وبوحدة النسب بين أفراد قبيلته(٢). وسيترتب على ذلك عدم ممارسة الرسول (ص) لأي نشاط «سياسي أو ديني» داخل المدينة وخارجها، ثم أن اتباعه سيكونون تبعا لذلك أقل مكانة منه، وبالتالي سيعاملون معاملة الحلفاء، واذا ماوجد خلفاؤهم منهم ضررا عمدوا الى انهاء حلفهم واخراجهم من المدينة متى شاءوا .

---

(١) الحديثي : نزار عبد اللطيف : محاضرات في التأريخ العربي ، د/ط، ص٩٦ .
(٢) العسلي : خالد صالح : نظام المؤاخاة في جهد الرسول(مجلة دراسات للاجيال جامعة بغداد، العددان ٤-٥ ،ت١ ، ١٩٨٣) ص ٢٧ .

ولكن من الملاحظ على طبيعة تحركات الرسول (ص) في المدينة بعد هجرته اليها، انه لم يكن مركزه فيها كلاجيء ولا كحليف، ولم يكن اتباعه من المهاجرين بالخلفاء .

من المعلوم ان الرسول (ص) هاجر الى مدينة يثرب بناء على دعوة من اهلها المؤمنين به وبدعوة التوحيد من زعماء الأوس والخزرج والذين كانوا يشكلون مركز قوة سياسية فيها امثال: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعبادة إبن الصامت (رض) (١) وغيرهم من زعماء يثرب البارزين. ثم انهم تعهدوا بأن ينصروه ويدافعوا عنه مادام في المدينة وقد ذكر ابن هشام حواره مع وفد المبايعين من الأوس والخزرج يوم العقبة الثانية «ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم» (٢) اجابه البراء بن معرور (رض) « نعم والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يارسول الله ، (*) فنحن والله أبناء الحروب، اهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر» (٣).

ويشير هذا النص على ان المبايعين تعهدوا بالدفاع عن الرسول (ص) والقتال في سبيل دعوته وحمايته من أي اعتداء خارجي يقع عليه طالما هو داخل حدود المدينة .

وكان في المحيط الجديد عدد كبير من المؤمنين به من الأوس والخزرج وهو الأمر الذي مهد له سبيل الزعامة السياسية في مدينة يثرب مستقبلا . وان دعوته هذه لم تقابل في مدينة يثرب من قبل المشركين بالأستغراب والمعارضة

---

(١) ابن هشام: ابو عبد الله محمد: سيرة النبي : تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، د/ط دار الفكر، بيروت ، د/ت، أربع أجزاء ، ج٢، ص ٤٣ -٤٤

(٢) ابن هشام: ج٢، ص ٥٠-٥١ .

(*) أزرنا: يعني نساءنا ، والمرأة يكنى عنها بالأزار (انظر: ابن منظور: محمد بن مكرم: لسان العرب ، د/ط ، دار صادر ، بيروت، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م) ج٤ ، ص١٦-١٨.

(٣) ابن هشام: نفس المكان .

والأنكار بصورة مباشرة وعلنية كالذي قوبلت به في مكة من قبل رجال الملأ فيها (١) .

واما اليهود الذين كانوا حلفاء للاوس والخزرج فقد رأوا ان المصلحة تقتضي محالفة من يحالف حلفاءهم الى جانب انهم وجدوا ان دعوة الرسول (ص) الى التوحيد اقرب الى عقيدتهم من عقيدة المشركين الوثنية ، ولربما أدى نجاح الرسول (ص)في توحيد اهل المدينة حوله الى توفير الأمن والرخاء لمدينة يثرب التي مزقتها الخلافات وتدهور فيها الأمن وتردت فيها احوال الزراعة والتجارة . وبالتالي فأن مصالحهم الأقتصادية اقتضت انذاك الترحيب بالنبي الجديد .

....ومن المعلوم ان مدينة يثرب كانت قد افتقدت الزعامة السياسية البارزة على المستوى الذي يؤهلها لمنافسة مكة التي احسنت الأستفادة من العقيدة الوثنية لنمو اقتصادها والتي نجح رجال الملأ في فرض النظام والأستقرار فيها كما ان غياب التنظيم الحكومي في ابسط صوره في مدينة يثرب فسح المجال للخلافات والمنازعات القبلية الشديدة فأخذ عقلاؤهم يتطلعون الى الوسائل التي تنقل مدينة يثرب الى حالة الهدوء والأستقرار (٢)

وعليه نجد ان هناك رغبة لدى جميع سكان مدينة يثرب من المؤمنين بالرسول (ص) والمشركين واليهود في ايجاد زعامة سياسية قوية تعمل على توحيد المدينة ورأب الصدع فيها وقد ذكر ابن هشام ذلك اذ قال: «وقالوا له: انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ،وعسى ان

---

(١) العلي : صالح احمد: تنظيمات الرسول الا دارية في المدينة (مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد السابع عشر، بغداد، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩) ص ٥٠ .

(٢) الملاح : هاشم يحيى : المنافقون في مدينة الرسول(مجلة كلية الدراسات الأسلامية بغداد، العدد الخامس، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م) ص ٤٧٢ .

يجمعهم الله بك، فستقدم عليهم فتدعوهم الى امرك ونعرض عليهم الذي اجبناك اليه من هذا الدين ، فأن يجمعهم الله عليه فلا رجل اعزمنك» (١).ولما كان الرسول (ص) نبياً وقد ذاع صيته في الحجاز وعند اهل يثرب خاصة ولم يكن واحداً من سكان الحيين المتخاصمين (الأوس والخزرج) كان بين العوامل التي دفعتهم الى تسليم القيادة السياسية اليه .

ان ماتقدم لايعني ان وجود الرسول (ص) في مدينة يثرب كان مرغوباً به لدى جميع الأطراف ،فهذا عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين ـلاحقاًـ ـلم يكن راغباً بوجود النبي (ص) في مدينة يثرب وقد ذكر ابن هشام : فلما زاره الرسول (ص) يوماً قال له« ياهذا ،انه لا أحسن من حديثك هذا : ان كان حقاً فأجلس في بيتك فمن جاءك له فحدثه اياه، ومن لم يأتك فلا تغته به ولاتأته في مجلسه بما يكره منه» (٢). وكان يحس ان وجود الرسول (ص) في مدينة يثرب قد سلبه حقه في الملك (٣) .

وكانت الشاعرة اليثربية عصماء بنت مروان تحرض اهل يثرب على الرسول (ص) وتعيب عليهم رئاسته لهم فكانت تقول :

فبئست بني مالك والنبيت وعوف وبئست بني الخزرج
اطعتم اتاوي من غيركم فلا من مرد ولامذحج (٤)

وهذا أبو قيس بن الأسلف احد زعماء الأوس الذي حال بين قومه وبين الأسلام عن بني امية وخطمه ووائل وواقف (أوس الله) كان شاعرهم وقائدهم

---

(١) ابن هشام: ج٢، ص٣٨ هكذا وردت يبدو ان الأصح «عليك»
(٢) ابن هشام: ج٢، ص٢١٩ .
(٣) انظر المصدر نفسه، ج٢ ،ص٢١٦ .
(٤) الواقدي: محمد بن عمر: المغازي: تحقيق: مارسدن جونس، د/ط ، عالم الكتب ، بيروت، ١٩٦٦م، ج١، ص١٧٢ .

يسمعون منه ويطيعون فلم يزل بهم على ذلك حتى انقضت غزوة الأحزاب (١)
نستنتج مما سبق عرضه بأن الرسول (ص) دخل مدينة يثرب كرسول قد آمن به جماعة من سكان مدينة يثرب من ذوي المكانة والنفوذ، وكرجل دولة ولم يدخلها هارباً من مكة طالباً من المؤمنين به الحماية له ولاتباعه. وبناءً على طلبهم ، فكانت منزلته(ص) منزلة قائد مجموعة سياسية لها أهدافها العقيدية وكانت ترغب في تحقيقها ونشرها، وكان اتباعه تبعا لذلك يتمتعون بنفس المنزلة التي كان عليها المؤمنون به من الأوس والخزرج لهم نفس المكانة والحقوق، وعليهم نفس الواجبات والألتزامات .

وبناء على المكانة التي كان يتمتع بها الرسول (ص) في مدينة يثرب وقوة مركزه فأنه استطاع ان يرسي فيها القواعد الأولى للدولة العربية الأسلامية فتنظيماته الإدارية كانت عظيمة الأهمية فقد قام ببناء المسجد ليكون مقراً للامة الناشئة تقيم فيه شعائرها وتتداول فيه مختلف امورها، فكان بمثابة دار ندوة لهم. ففيه كان يتشاور الرسول (ص) مع اصحابه في شؤون الجماعة الأسلامية وعلاقاتهم بقريش وغيرها وما يتصل بذلك من سلم أو حرب (٢). وفيه كانت تعقد ألوية المسلمين عند خروجهم اما للاستطلاع أو لتحقيق بعض المهام العسكرية وفيه كان الرسول (ص)يستقبل وفود العرب القادمة الى المدينة لعقد حلف معه أو لأعلان اسلامها، والى جانب كل ذلك كان المسجد مركزاً علمياً وثقافياً .

واما المؤاخاة فقد هدف الرسول (ص) من خلالها الى وضع صيغة لتنظيم العلاقات بين المهاجرين والأنصار . وذلك لأن مجتمع يثرب لايختلف عن

(١) راجع المصدر السابق ، ج٢، ص٤٦ .
(٢) سالم: عبد العزيز: تأريخ الدولة العربية، ط ١ ،مؤسسة الثقافة الجامعية د/م، د/ت ،ص ٨٠ .

المجتمعات القبلية الاخرى فأن نظمهم الأجتماعية كانت نفس النظم السائدة فعلاً بين القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، ونحن نعلم ان القبيلة تعد وحدة اجتماعية يقوم عليها النظام البدوي ؛ وينظر افراد القبيلة الواحدة الى انفسهم على انهم متحدرون من اصل واحد مشترك ونسب واحد وهو الجد الأعلى للقبيلة. لذا كانوا يعدون انفسهم متساوين نظرياً على الأقل في الحقوق والواجبات القبلية العامة (١). واما الأفراد الغرباء عن القبيلة والذين يعيشون في ظلها فهم في نظرهم في عداد الحلفاء،وهم بالتالي لاينحدرون من الجد الاعلى للقبيلة ، وهؤلاء قد وضعوا انفسهم في حمايتها أو في حماية احد افرادها لفترة زمنية محدودة او بصورة دائمية .

ويظهر ان الرسول (ص) قد لمس منذ الأيام الأولى ، أو حتى قبل هجرته الى مدينة يثرب ماسيعانيه هو واتباعه من المهاجرين من جراء سكناهم بين اخوانهم الجدد في الدين- الأنصار- في المدينة، اذ كان على معرفة عميقة بالظروف الأجتماعية والتقاليد القبلية المترسخة في نفوس العرب، والتي يصعب ازالتها في فترة زمنية قصيرة، فأصعب مايواجه الرسول (ص) واتباعه النظرة الأجتماعية لأهل المدينة الى اخوانهم في الدين من «المهاجرين» وعليه فلقد اراد الرسول (ص) أن يقيم عن طريق المؤاخاة حلفاً بين المهاجرين والأنصار على اساس الحق والمواساة حتى بلغت الى حد الوراثة وقد ذكر ابن سعد ذلك بقوله «فكانسوا يتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام» (٢) وقال عليه الصلاة والسلام «تأخوا في الله أخوين أخوين» (٣). وبذلك يكون الرسول (ص) قد عمل على

(١) العلي : صالح احمد: محاضرات في تأريخ العرب ط١، دار الكتب، الموصل ١٩٨١ م، ط١، ص١٥٣ .
(٢) ابن سعد: محمد: الطبقات الكبرى، د/ط ، دار صادر ،بيروت، ٨٠- ١٣٨٨—٦٠ – ١٩٦٨م، ج١، ص٢٣٨- ٢٣٩ .
(٣) ابن هشام : ج٢ ، ص١٢٤

تقديم رابطة العقيدة على رابطة النسب، وقد كان ذلك طبيعياً لأنه بهجرته الى مدينة يثرب كان قد قدم بحكم الأسلام رابطة العقيدة على رابطة النسب، وكذلك فعل اصحابه المهاجرون من قريش (رض) (١) .

وللمؤاخاة بعد حربي الى جانب بعد يها الأقتصادي والأجتماعي. فلقد شرع الرسول (ص) بعد استقراره في المدينة في تهيئة اصحابه للدخول في حرب مع قومهم من« قريش» فكيف يمكن ان يتم له ذلك لو استند الى رابطة النسب دون رابطة العقيدة. وكان لاضافة الأخوة الدينية الى الأخوة القبلية بين المهاجرين والأنصار أن حققت نجاحاً ساحقاً وفر للرسول (ص) قوة ضاربة اعتمد عليها في تحقيق اهدافه وعليها توقفت وحدة المسلمين حيث اصبحت هذه القوة يحسب لها مشركو مكة وغيرهم حساباً كبيراً (٢) .

وأما الصحيفة التي تعد بحق من ابرز تنظيمات الرسول (ص) في وضع الاسس الاولى لنشأة الدولة العربية الاسلامية في الحجاز، والتي نظم على اساسها العلاقات بين سكان المدينة ، ووضع فيها التزامات جميع الاطراف داخل المدينة وحدد بموجبها الحقوق والواجبات المناطة بالافراد والجماعات والتي اورد نصها ابن هشام في كتاب «سيرة النبي » (٣) بدون سند ، وأوردها ابن سلام في كتابه «الاموال» بذكر السند الكامل لها (٤) وقد تفرد بذلك عن غيره من المؤرخين .

---

(١) انظر رأي : فلهوزن : تأريخ الدولة العربية : ترجمة: محمد عبدالهادي ابو ريده ط٢، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٦–٨ وانظر كذلك Gardet; Louis: op. cit, p. 22.23

(٢) العلوي : هادي : في السياسة الاسلامية ، ط١،دار الطليعة ، بيروت،١٩٧٤ مص١٥ Gardet; Louis: Loc. cit.

(٣) انظر ابن هشام : ج٢ ، ص١١٩–١٢٠

(٤) ابن سلام : ابو عبيد القاسم : الاموال : تحقيق : محمد حامد الفقي ، المكتبة التجارية القاهرة ، ١٣٥٣هـ– ص٢٠٢

ان فهم الصحيفة مهم جداً لفهم ابعاد الدور الذي كان يضطلع به الرسول (ص) في مدينة يثرب ولا سيما انه قد اعلن عنها في السنة الاولى للهجرة (١) ويقول البروفسور سارجنت (Serjeant) بأن البنود الثلاثين الاولى في الوثيقة (أ ــ ب) قد حددت العلاقة بين المهاجرين وسكان مدينة يثرب جميعاً (٢) . وأن الوثائق الاخرى في مجموعها قد نظمت العلاقة بين المسلمين واليهود الا ان اليهود (٣) على مايبدو قد ادخلوا في الصحيفة بنفس الفترة الاولى (٤) من حيث ان العلاقة بين اليهود وبين الرسول (ص) في السنة الاولى للهجرة كانت جيدة ، وان الصحيفة قد ذكرت اليهود كقبيلة متحالفة وليس بأسمائها كما هو الحال مع القبائل الاخرى (٥) .

ومن الملاحظ على بنود الصحيفة انها حددت مركز الرسول (ص) باعتباره رئيساً أعلى للامة ، يمارس واجباته بحرية تامة وهذا مطلع الصحيفة «هذا كتاب من محمد النبي» (٦) مما يؤكد على انه يعلن بذلك عن دستور لتنظيم امور الامة ، وهي ليست باتفاقية تم عقدها بين اطراف عدة ، وكما هو معلوم لنا ان الدستور لا يضعه الا من كانت له سلطات قضائية وتنفيذية واسعة عند اتباعه او في المحيط الذي يعيش فيه ثم انه قرر بعد ذلك بأنه المرجع الاعلى في حل جميع المنازعات التي تقع داخل حدود مدينة يثرب «وانه ماكان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز

---

(١) ابن سلام : ص ٢٠٧

(٢) Serje ant; R . B . : The Constitution of Madina Islamic . J .Quarterty Vol (8).P.3.

(٣) serjeant; R.B. oP'. cit.

(٤) انظر : المقريزي : تقي الدين احمد : امتاع الاسماع بالرسول من الابناء والاموال والحفدة والمتاع : تصحيح : محمود محمد شاكر ، د/ط ، القاهرة ، ١٩٤١م جـ١ ، ص ٤٩ ، ١٠٤ .

(٥) انظر : ابن هشام : جـ٢ ، ص ١١٩-١٢٠

(٦) ابن هشام : جـ٢ ، ص١١٩

وجل وإلى محمد رسول الله (ص) » (١) . فهو بذلك يعلن عن نفسه حاكماً وقاضياً وقائداً لهم في الحرب والسلم .

نستخلص مما سبق عرضه ان ادارة الرسول (ص) في المدينة كانت تهدف إلى تكوين امة مترابطة فيما بينها فللأفراد فيها حرية العمل والتنظيم وللسلطة المركزية حق الاهتمام بالعدالة والامن العام وامور الحرب والسلم ، على ان تكون العقيدة الاسلامية اساس اعمالهم وتصرفاتهم . فيكون الرسول (ص) قد وضع الاسس الاولى لبناء الدولة العربية الاسلامية في الحجاز التي كانت المدينة المنورة عاصمتها وقاعدتها والتي انطلق منها الصحابة الاوائل لتحرير البلاد ونشر الاسلام .



(١) ابن هشام : ج٢ ، ص١٢٢-١٢٣

قائمة المصادر والمراجع

بن سعد : محمد : الطبقات الكبرى ، د / ط ، دار صادر ، بيروت ٨٠ ـ ١٣٨٨هـ ٦٠ ـ ١٩٦٨م .

ابن سلام : ابو عبيد القاسم : الاموال : تحقيق : محمد حامد الفقي ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ .

بن منظور : محمد بن مكرم : لسان العرب ، د / ط ، دار صادر ، بيروت ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م .

ابن هشام : ابوعبدالله محمد ، سيرة النبي : تحقيق ، محمد محيالدين عبد الحميد د / ط ، دار الفكر ، بيروت ، د / ت .

الواقدي : محمد بن عمر ، المغازي : تحقيق : مارسدن جو / ط ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٦٦ .

المقريزي : تقيالدين احمد : امتاع الاسماع بما للرسول من الابناء والاموال والحفدة ، والمتاع : تصحيح : محمود شاكر ، د / ط ، القاهرة ، ١٩٤١م .

الحديثي : الدكتور عبداللطيف : محاضرات في التاريخ العربي ، د / ط ، د / ت .

فلهوزن : يوليوس : تاريخ الدولة العربية : ترجمة : محمد عبد الهادي : ابو ريده ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

سالم : عبدالعزيز : تاريخ الدولة العربية ، ط ، مؤسسة الثقافة الجامعية د / م ، د / ت

العسلي : الدكتور خالد صالح : نظم المؤاخاة في عهد الرسول (مجلة دراسات للاجيال ، جامعة بغداد ، العددان ٤ ـ ٥ ، ت ١ ـ ١٩٨٣) .

العلي : الدكتور صالح احمد : تنظيمات الرسول الادارية في المدينة (مجلة المجمع العلمي العراقي) المجلد السابع عشر ، بغداد ١٣٨٨هـ — ١٩١٩م
محاضرات في تاريخ العرب ، ط١ ، دار الكتب ، الموصل ١٩٨١م ، ط ١ .

العلوي : هادي : في السياسة الاسلامية ، ط ١ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٤م .

الملاح : أ — د. هاشم يحيى : نشأة دولة المدينة في يثرب (مجلة الجامعة) العدد (١١) السنة الثانية ، ١٩٧٢ . موصل .
المنافقون في مدينة الرسول (مجلة كلية الدراسات الاسلامية) بغداد ، العدد الخامس في ١٣٨٤هـ — ١٩٦٥م .

Serjeant ; R.B. The constitution of Madina Islamic. S. Quarterty. 17 Vol (.8).

G edet; Louis: Mohammed anism, Ner York, 1961.

Hell; J: The Arab Civili ation, Cambridgo, 1925.



العلاقة بين خدمات المعلومات التي تقدمها
المكتبة المركزية لجامعة الموصل
وحركة البحث العلمي في الجامعة

السيد سعد احمد اسماعيل
المكتبة المركزية
جامعة الموصل

السيد محمود جرجيس محمد
كلية الهندسة / المكتبة المركزية
جامعة الموصل

المقدمة :

تعد المكتبة الأكاديمية محوراً اساسياً في العملية التعليمية وخطط البحث العلمي وقد تطورت المكتبات الأكاديمية في السنوات الاخيرة وتنوعت انشطتها لتضيف إلى خدماتها التقليدية المعروفة خدمات اخرى من ابرزها خدمات المعلومات وما تستخدمه من وسائل متطورة مثل البحث الآلي المباشر والبث الانتقائي للمعلومات والاحاطة الجارية والاعارة الداخلية بين المكتبات فضلا عن خطط ارشاد القراء . وقد ادى هذا التطور في الخدمات إلى رفع درجة العلاقة بين المكتبة الاكاديمية من جهة والنشاط الاكاديمي ونشاطات التدريسيين في مجالات البحث العلمي في مؤسسات التعليم العالي من جهة اخرى إلى مستوى اكبر من التعقيد والتفاعل بحيث اصبح لزاماً على المكتبة ان تتبع مختلف الوسائل وتطور مختلف الخطط لتعريف المستفيدين بخدماتها الجديدة وما يمكن ان تسهم فيه هذه الخدمات من دعم وتنشيط لحركة البحث العلمي وبقية

النشاطات الاكاديمية للمستفيدين ، كما اصبح لزاماً على المستفيدين رفع درجة علاقتهم مع المكتبة إلى مستوى اكبر من التفاعل ومتابعة ما يستجد من تطور في خدماتها الموجهة لخدمة بحوثهم .

وقد اولت قيادة الحزب والثورة اهتماماً كبيراً لمسيرة البحث العلمي في الجامعات ، فقد جاء على لسان السيد الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله) ما نصه : (الجامعات ليست مركزاً للتعامل مع الموجود وانما هي مركز للبحوث والتصور الذي ينقل الموجود إلى حالة افضل) .

مشكلة البحث والهدف منه :

في ضوء التطورات الجديدة التي تشهدها المكتبة المركزية لجامعة الموصل لا سيما في مجال خدمات المعلومات وحاجة الباحثين الملحة للتعرف على هذه الخدمات والتفاعل معها يشعر الباحثان بوجود علاقة سلبية بين خدمات المعلومات التي تقدمها المكتبة ومسيرة البحث العلمي في الجامعة .. وعلى هذا فإن هذه الدراسة تهدف بالدرجة الاساس إلى تشخيص مواطن الضعف والخلل في هذه العلاقة، فالباحثان يشعران بان الغالبية العظمى من التدريسيين وطلبة للدراسات العليا في جامعة الموصل لا يعلمون الكثير مما يمكن ان تقدمه المكتبة المركزية بجامعة الموصل من خدمات معلومات لمساس مباشر بما يقدمون من بحوث ودراسات .

الفرضيات :

يرجع الباحثان سبب الخلل في العلاقة بين خدمات المعلومات التي تقدمها المكتبة المركزية بجامعة الموصل ومسيرة البحث العلمي في الجامعة إلى واحد او اكثر من الافتراضات الاتية :—

١ – غياب الرغبة لدى اغلبية الباحثين او احجامهم عن استخدام المكتبة. بسبب عدم معرفتهم بما تقدمه من خدمات معلومات مستحدثة ومدى تأثير هذه الخدمات على تنفيذ بحوثهم .

٢ – خلل في خطة خدمات المعلومات التي تقدمها المكتبة المركزية سواء اكان هذا الخلل في طبيعة هذه الخطة وما تتضمنه من فاعليات ام في فشل هذه الخطة في ارشاد الباحثين واجتذابهم للاستفادة من خدمات المكتبة.

٣ – ان الخلل في العلاقة يرجع إلى السببين المذكورين معاً .

اهمية الدراسة :

يأمل الباحثان من هذه الدراسة الخروج بجملة توصيات ومقترحات من شأنها

١ – خلق الرغبة لدى الباحثين للاستفادة من خدمات المعلومات التي تقدمها المكتبة المركزية عن طريق اشعارهم بوجود هذه الخدمات والفاعلية الكبيرة التي يمكن ان تسهم فيها هذه الخدمات في تنفيذ البحوث دون تعثر او احباط .

٢ – معالجة اي خلل يمكن تشخيصه بعد اتمام الدراسة في نظام خدمات المعلومات الذي تقدمـه المكتبة المركزية وامكان توسيع هذه الخدمات وتطويرها.

منهج الدراسة :

اعتمد البحث في منهجه على المقابلة الشخصية مع مسؤولي المعلومات في المكتبة المركزية وعلى الخبرة الشخصية للباحثين من خلال العمل في المكتبة المركزية والمكتبات الفرعية كما اعتمد ايضاً على استخدام الاستبيان للكشف عن مدى معرفة الباحثين بخدمات المعلومات التي تقدمها المكتبة المركزيـة

ومدى استفادتهم من هذه الخدمات في تنفيذ بحوثهم وتأثير كل ذلك على مسيرة بحوثهم .

خدمات المعلومات والبحث العلمي

تعد المكتبة الجامعية في المفهوم العلمي الحديث احدى المؤسسات الثقافية التي تؤدي دوراً علمياً في مجال التعليم والبحث العلمي والنشاط الاكاديمي وتستهدف اسناد هذا النشاط بتأثير وفاعلية . ولا يقل هذا الدور عن اي دور اخر تقوم به اي مؤسسة علمية اخرى داخل الجامعة لما يتوافر لها من امكانات هائلة من الكتب والمراجع العلمية والدوريات وغيرها من مصادر المعلومات التي تساعد على كسب المعرفة العملية وتقديم المعلومات لكافة الباحثين والدارسين على السواء . ان الجامعة طالب واستاذ ومكتبة . فالمكتبة اذا تحتل ثلث الرسالة العلمية للجامعة وان لهذا الثلث من الاهمية ما يربط نجاح الرسالة العلمية للجامعة أو فشلها بمدى نجاح هذا الثلث او فشله . فالجامعة التي تقتني مكتبة متطورة هي جامعة متقدمة وان افتقار اي جامعة إلى المكتبة المتطورة يضفي على رسالتها العلمية نوعاً من التخلف الخطير. ولاشك ان تقدم البحوث والاكتشافات العلمية في الجامعة مرهون بما يتوافر في المكتبة من مصادر علمية متنوعة وبما توفره من معلومات وما تقدمه من خدمات تؤدي إلى سهولة وتيسير الانتفاع بهذه المصادر (١) .

ولقد تطورت الرسالة العلمية للمكتبة الجامعية ، فبعد ان كانت مستودعاً للكتب وغيرها من المصادر العلمية اصبح هدفها الرئيس تقديم المعلومات إلى كافة المترددين عليها دون تفرقة . ولقد اخذت مؤشرات المكتبات السابقة من حجم المجموعة وعدد موجوداتها بالانسحاب لصالح مؤشرات جديدة هي خدمات المكتبة حتى غدت المكتبات اليوم (خدمات) واخذت تعمل على

التنظيم الدقيق لاحتياجات المستفيدين وخطط الجامعة ، فهي لا تُعنى باعارة موادها فحسب بل بالمحصلة القرائية للمستفيدين والتأثير فيها وتنميتها (٢) .
ونتيجة للتطور الكبير في معالجة المعلومات واستخدام تقنيات المعلومات الحديثة اصبح بامكان المكتبات الجامعية تقديم خدمات مشابهة للخدمات التي تقدمها المكتبات المتخصصة مثل البث الانتقائي للمعلومات SDI بعد ان كان ذلك مقصوراً أساساً على المكتبات المتخصصة وقد كانت مثل هذه الخدمات تقدم يدوياً واعتماداً على مسح المكتبي للمواد الثقافية واصبح دور مسؤول المعلومات Information officer من الادوار المألوفة في المكتبات الجامعية(٣).
ولتقويم خطة خدمات المعلومات هذه يمكننا ان نعد مؤشرات مثل (عدد المستفيدين من المكتبة وعدد الخدمات المقدمة واتساعها وعدد الاعارات وحجم موجودات المكتبة ونسبة الاستخدام الكلي للمكتبة وسرعة الاستجابة لحاجات المستفيد وقناعة المستفيد بخدمات المكتبة) هي المعيار لتقويم مثل هذا البرنامج . الا ان هذه المؤشرات يمكن ان تكون مدخلات للوصول إلى معيار وليس معايير بحد ذاتها ويمكن القول ان مقارنة انجاز المكتبة المستمر بالاهداف المرسومة لها ومقدار استجابة تلك الاهداف مع تحديد طريقة عملها واعادة صياغتها بعد المراجعة هي المعيار الافضل .

ولتحقيق المشاركة العلمية من جانب المكتبة في مجالات البحوث الجامعية تقوم اجهزتها الفنية بالمتابعة الدقيقة والفهم العميق للخطط التي تضعها الجامعة لمحاولة فهم مسيرة البحث فيها ومحاولة ترجمة اتجاهات البحث وخططه إلى تطبيقات عملية في تنمية مجموعات المكتبة التي تخدم خطة البحث الجامعي ، اي ان المكتبة لابد ان تحاول اجراء عملية تخطيط البحث . كما تقوم المكتبات بالاهتمام الدائب لتحقيق عنصر السيطرة على مصادر المعرفة بحيث يتوافر

للمكتبة اكبر عدد ممكن من المصادر التي تخدم اهداف البحوث . ومن المحاولات التي تبذل في هذا الاتجاه .

١ - التعاون التام بين المكتبات الجامعية على مستوى القطر الواحد او المستوى الدولي والذي يتخذ عدة مظاهر منها الشراء التعاوني والفهرسة التعاونية ،وعمل الفهارس الموحدة للكتب والدوريات العلمية وتبادل الاعارة بين المكتبات وتحقيق السيطرة الببلوغرافية التي تحقق تفوقاً علمياً في خدمة البحث .

٢ - الاهتمام بقسم الدوريات وتطوير خدماته لتلبية احتياجات الباحثين وجعلهم مواكبين للانتاج الفكري الحديث وعلى اتصال دائم بما ينشر وما يحدث من تطورات في المجال العلمي الذي يحظى باهتمامهم .

ان ما تشير اليه الدراسات المعاصرة من ان استخدام المكتبة الجامعية اصبح علما يدرس لطلبة الجامعات يؤكد الدور العلمي للمكتبة الجامعية . ونتيجة لما اظهرته بعض الحقائق العلمية الخطيرة من ان كثيراً من طلبة الجامعات يحصلون على درجاتهم العلمية دون ان تطأ اقدامهم مكتبة الجامعة فقد ظهرت الحاجة ملحة إلى تعليم الطلبة والباحثين كيفية استخدام المكتبة والاستفادة من مصادرها وخدماتها . كما اكدت البحوث والدراسات ان سبب تعثر كثير من الباحثين او تأخرهم في انجاز بحوثهم في مواعيدها المقررة لها هو نتيجة جهلهم بالمعلومات المنشورة التي يمكنهم الحصول عليها وان سبب هذا الجهل هو عدم درايتهم بالاستخدام الصحيح للمكتبة .

وتبين الدراسات المقارنة التي اجريت في هذا الميدان الحقائق الاتية : -

أ - تبين للمجلس الاستشاري للسياسة العلمية في بريطانيا ان ٢٨٪ من

الباحثين في بريطانيا قد تأخروا في بحوثهم نتيجة جهلهم بالاستخدام العلمي للمكتبة والحصول على المعلومات المنشورة المتصلة بابحاثهم .

ب — اما عن الطلبة في المرحلة الجامعية فقد اوضحت الدراسات التي اجريت في بريطانيا ان اكثر من ٢٥٪ من هؤلاء الطلبة لا يعرفون انواع الفهارس الموجودة في مكتبات جامعاتهم (٤) .

ومن التوصيات واوجه النشاط التعليمي التي قامت بها الجامعات البريطانية في مجال تعليم الطلبة والباحثين كيفية استخدام المكتبة والاستفادة من مصادر المعلومات ان قامت جمعية المكتبات البريطانية بوضع بعض التوصيات بشأن خطة تعليم الطلبة الجامعيين اسلوب استخدام المكتبة ومصادر المعلومات وعلى مستويات مختلفة ، كما قامت جامعة ريدنك بتعيين عضو متفرغ من هيئة المكتبة لتدريس طرق استخدام المكتبة للباحثين العلميين .

خدمات المعلومات في المكتبة المركزية لجامعة الموصل ، عقد السبعينات :

لو رجعنا إلى عام ١٩٧٤ واطلعنا على التقارير السنوية الخاصة بالمكتبة المركزية لهذا العام والاعوام التي سبقته لا نجد ان هذه المكتبة كانت تقدم شكلا واضحاً من اشكال خدمات المعلومات ، فقد كان عدد العاملين فيها لا يتجاوز ثمانية اشخاص من بينهم ثلاثة مؤهلون للعمل المكتبي وينحصر تأهيلهم في مجال الخدمات الفنية وليس في مجال خدمات المعلومات . من اجل ذلك فقد ضمنت المكتبة المركزية في خططها القادمة للسنوات التي اعقبت عام ١٩٧٤ مسألة توفير العدد اللازم من المتخصصين في علم المكتبات وادارة المعلومات بدرجة ماجستير ، فضلاً عن عدد من حملة الشهادات المكتبية الاولية لكي تتمكن من مباشرة خطة شاملة ومنظمة من خدمات المعلومات في ضوء

التطورات التي اخذت تشهدها حركة البحث العلمي في الجامعة . كما تضمنت الخطط ايضاً جانب المشاركة بنظام المعلومات عن طريق ربط المكتبة باحد مراكز المعلومات في العالم (٥) .

ويبدو ان ما عرضته المكتبة في خططها المستقبلية في مجال خدمات المعلومات كان صورة مثالية صعبة التحقيق ضمن ما حدد له من مراحل وسقف زمني وفي ظل ما تمتلكه وما ستمتلكه هذه المكتبة من امكانات ، وعلى هذا فان عقد السبعينات لم يشهد حضوراً حقيقياً او اطاراً محدداً لما يمكن ان نطلق عليه خدمات معلومات حقيقية تتناسب مع الصورة التي اشرنا اليها . ومع ذلك فقد كان هناك بعض المحاولات الطيبة التي انصبت على جانب التفاعل بين خدمات المكتبة واحتياجات الباحثين . ففي عام ١٩٧٦ قامت المكتبة بنشر مجاميعها من المواد الثقافية المختلفة على شكل بيليوغرافيات متخصصة وزعتها على التدريسيين في الاقسام العلمية . وقد اشتملت استمارة التغذية الراجعة على حقول تترك للمستفيدين حرية ابداء الرأي في المجموعة التي بين ايديهم وتقديم المقترحات المناسبة بشأن المكتبة والخدمات التي تقدمها ، وقد استلمت المكتبة العديد من هذه الاستمارات وقامت بالرد على ماورد فيها من آراء ومقترحات موضحة بعض الامور ومعلقة على الاخرى (٦) . وعلى الرغم من ان تلك المحاولة كانت بداية طيبة لتنفيذ الخطط المرسومة للمكتبة فانها افتقرت إلى المنهج وفريق العمل اللازم والاستجابة الفعالة خصوصاً انها اعتمدت على بعض الخبرات الاجنبية التي ليس لها تصور واضح عن الظروف التي تحيط بالمكتبة والمجتمع الاكاديمي الذي تخدمه . ثم قام احد خبراء المكتبات في منظمة اليونسكو في العام نفسه بزيارة ميدانية لمكتبات الجامعة اعد بعدها تقريراً مفصلا عن هذه

المكتبات ومجاميعها وخدماتها والهيكل الاداري المقترح ، الا انه لم يقدم اطاراً محدداً لما يجب ان تكون عليه خدمات المكتبة .

ولابد من الاشارة إلى ان ما تضمنته خطط المكتبة المركزية خلال السبعينات واوائل الثمانينيات فيما يتعلق بجانب المشاركة في انظمة المعلومات وربط المكتبة المركزية بمراكز المعلومات العالمية وادخال المكننة الحديثة في الخدمات المكتبية المختلفة كان تفكيراً سابقاً لاوانه يكمل الصورة المثالية التي اشرنا اليها والتي كانت ولا تزال تحلم بها المكتبة في ظل الامكانات والمراحل المحددة بدليل ان مشاريع من هذا القبيل لم تحقق حتى الان ونحن نشرف على عقد التسعينات . ان مجرد التفكير في مشاريع كهذه يقتضي خطة عملية تنفذ حسب اولوياتها في اطار مرحلي معقول ومتابعة مستمرة ويتطلب تنسيقاً مع المكتبات الجامعية الاخرى في القطر وخطوات موحدة ومتكاملة باتجاه الهدف المنشود . ولابد ان تكون البداية المنطقية توحيداً للتعليمات والانظمة والتقنيات في مكتبات الجامعة الواحدة والمكتبات الجامعية كلاً .

ويبدو واضحاً ان المكتبة المركزية قد فكرت في التخلي عن مبد الخطوات العريضة في وضع الخطط المتعلقة بأنشاء خدمات معلومات نموذجية متكاملة وتنفيذها، وتبنت بدلا من ذلك مبدأ الخطوات التدريجية وتنفيذ الخطط حسب اولوياتها ومراحلها المعقولة، وعليه فأننا نجد ان خطة المكتبة لعام ١٩٧٨ قد علقت مسألة المشاركة في انظمة المعلومات والأرتباط بمراكز المعلومات العالمية على ضرورة التنسيق مع المكتبات الجامعية في القطر من اجل اتخاذ خطوات موحدة ومتكاملة. كما تدل ورقة العمل التي قدمتها المكتبة الى الحلقة الدراسية التي عقدت في جامعة الموصل في ايار من عام ١٩٧٩ على تمسك المكتبة بمبدأ الخطوات التدريجية الذي اشرنا اليه فدعت في هذه الورقة

الى ضرورة اعادة النظر في جميع الأساليب المعمول بها في مكتبات الجامعة وتحديد معالم سياسة تقليدية واضحة فضلا عن تأكيدها على تكامل خطوات التنسيق مع المكتبات الجامعية في القطر ومركز التوثيق العلمي (٧).

والخلاصة ان مرحلة السبعينات واوائل الثمانينات في مجال خدمـــات المعلومات كانت مرحلة خطط ومجرد مبادرات اعتمدت على محاولـــة تنشيط التفاعل بين خدمات المكتبة واحتياجات الباحثين كما حاولت الألتفات الى جانب المعاصرة والاحاطة عن طريق توفير المعلومات بشتـــى اشكـالها وايصالها بأسرع وقت ممكن الى الباحثين. وفي بداية الثمانينات اجريت بعض الدراسات التي قام بها متخصصون في حقل المعلومات لتقديم هذه الخدمات فخرجت هذه الدراسات بنتائج يفهم منها وجود ضعف عام في هذه الخدمات وخاصة فيما يتعلق بدور مسؤولي المعلومات — الذي استحدث في بداية الثمانينات — عن هذه الخدمات وانخفاض نسبة المستفيدين من هذا الدور فضلا عـــن ضعف في خدمات الأرشاد والمراجع والاعلام المكتبي واستخدام الكشافات والمستخلصات وخدمات الاعارة الداخلية بين المكتبات (٨) .

عقد الثمانينات والبداية الحقيقية : —

في عام ١٩٨٢ كان عدد المؤهلين في المكتبة المركزية من حملة شهـادات الماجستير في علم المكتبات والمعلومات قد بلغ اربعة اشخاص فضلا عن بعض المساعدين من حملة الشهادات الأولية في علم المكتبات، كما قامت المكتبـة ايضاً بتدريب عدد من افراد كادرها الوسطي على الأعمال المتعلقة بخدمات المعلومات والخدمات الفنية الأخرى، ويبدو ان المكتبة لذلك السبب شعرت بأمكاناتها وقدراتها على ان تخطو خطوة حقيقية موفقة فـي مجـــال

تقديم خدمات المعلومات للباحثين . وعليه فقد قامت بتحديد اهدافها في اسناد حركة البحث العلمي المتنامية في الجامعة ودعم عملية التعليم والتعلم القائمة فيها، ثم وجهت اهتمامها لأعداد دراسة مستفيضة لأحتياجات المستفيدين من المعلومات وقارنت هذه الأحتياجات مع الخدمات المقدمة فعلا، فحصلت على مؤشرات تبين مدى استجابة المكتبة لتلك الأحتياجات وتبين موقعها الحالي من الأهداف المرسومة لها في تقديم خدماتها والأعلام عنها. وفي ضوء الأهداف المرسومة والواقع الفعلي للخدمات المقدمة واحتياجات المستفيدين وضعت المكتبة برنامجاً اطلقت عليه برنامج خدمات المعلومات .

لقد كان هذا البرنامج الذي بدأ عام ١٩٨٢ وليد التوجه الجديد الذي تبنته المكتبة المركزية والأستجابة الطبيعية للظروف المحيطة. فكان بحق بداية فعلية لخدمات معلومات منسقة وفعالة تؤمن للمستفيدين مستلزمات المعاصرة والإحاطة وتلبي احتياجاتهم من المعلومات وتطلعهم على مصادرها المتاحة. وقد اصبحت المكتبة من خلال هذا البرنامج ومن خلال جهود مسؤولي المعلومات المشرفين عليه قادرة على القيام بمهام معلوماتية واضحة المعالم تمثلت في عرض برامج سمعية بصرية والقاء محاضرات دورية منتظمة وارشاد مباشر من مسؤولي المعلومات لأطلاع المستفيدين على كيفية استخدام المكتبة المركزية، وعلى المعلومات التي توفرها والخدمات التي تقدمها للطلبة والباحثين وتشرح لهم كيفية استخدام ادوات التكشيف والأستخلاص في مختلف التخصصات العلمية، للكشف عن المعلومات الحديثة المنشورة في مختلف اوعية المعلومات والصادرة في مختلف أنحاء العالم، فضلاً عن استخدام الحاسبات الطرفية لبحث ملفات مراكز المعلومات العالمية .

كما اشتمل البرنامج على خدمات اعلامية مكثفة تمثلت في اصدار كراسات متخصصة لارشاد الباحثين الى مصادر المعلومات في مختلف التخصصات وكانت هذه الكراسات تصدر تحت سلسلة منتظمة سميت .. Sources in فضلا عن اصدار نشرات ببليوغرافية متخصصة. بما يصل الى المكتبة حديثاً من كتب ودوريات واطروحات واوعية معلومات اخرى. كما دأبت المكتبة على تصوير محتويات الأعداد الجديدة من دورياتها وتقسيمها بشكل ملفات بأختصاصات مختلفة. ثم توزيعها على الباحثين في الأقسام العلمية حسب تخصصاتهم .

وقد خطت المكتبة ايضاً خطوات متقدمة في مجال الحصول على خدمات المعلومات الخارجية من معدي المعلومات، كما وفرت امكانات الأتصال مع بعض المكتبات ومراكز المعلومات والتوثيق المحلية والعربية. وقد بدأت التجربة فعلا على نظام BLAISE الذي تقدمه المكتبة البريطانية بسبب الخبرة الجيدة للعاملين على النظام وسرعة الأستجابة للاتصالات التي تجريها المكتبة ونظام الأسناد الممتاز الذي تقدمه المكتبة البريطانية في توفير الوثيقة الأصلية مع امكان استخدام التلكس للحالات المستعجلة. وقد تم في البداية تحديد قاعدة المعلومات الطبية MEDLINE بسبب الحاجة الملحة في هذا المجال ، كما تمت مفاتحة الجمعية الكيميائية الملكية في بريطانيا والمكتبة الزراعية لشراء عدد من قوائم الرغبات الموسعة. وقد رشحت الكليات المعنية عدداً من تدريسييها الباحثين للإستفادة من هذه الخدمات ضمن البحث الراجع والبث الأنتقائي للمعلومات والبحث الراجع والمستمر كبحث انتقائي. واخذت تصل الى المكتبة وبشكل منظم جميع هذه البحوث بحيث كانت معدلات توفير الوثيقة تتراوح بين ٨–١٥ يوماً. وقد عززت المكتبة المركزية من

استخدامها لخدمات مكتبة الإعارة البريطانية BLLD ومؤسسة ISI بزيادة عدد الكوبونات للحصول على مصورات البحوث والمقالات غير المتوافرة لديها (٩).

وقد أدى تراكم الوثائق المطلوبة الى خلق قاعدة معلومات متواضعة لدى المكتبة المركزية حيث خزنت هذه الوثائق في حاسبة صغيرة تؤمن استعادة المعلومات عن المقالات والبحوث التي سبق ان طلبت.

دور مسؤولي المعلومات : ـ

من اجل تنفيذ الخدمات التي اشرنا اليها وتسهيل مهمة الباحثين للاستفادة القصوى منها عمدت المكتبة الى استحداث وظيفة مسؤول المعلومات، فخصصت اثنين من افضل المكتبيين المؤهلين تأهيلا عاليا لهذه المهمة، فأصبح احدهما مسؤول معلومات في حقل العلوم الصرفة والتطبيقية والثاني مسؤول المعلومات في حقل العلوم الأنسانية والأجتماعية. وقد وجد المسؤولان انفسهما امام مسؤو ليات جسيمة وتحد كبير لقدراتهما وتأهيلهما فباشرا اعمالهما بحماس منقطع النظير. وقد تركزت اعمالهما في الأشراف على برنامج ارشاد القراء والبرامج السمعية والبصرية الأخرى المتعلقة بأرشاد المستفيدين الى كيفية استخدام الكشافات والمستخلصات فضلا عن التوسط والأرشاد في الحصول على المعلومات المختلفة من مراكز المعلومات المحلية والعربية والعالمية ومركز التوثيق العلمي في القطر. وقد اصبح لكل من المسؤولين حقوله العلمية التي يخدم فيها ويشرف على الأعمال الفنية المتعلقة بها، فكان كل واحد منهما يحتفظ بأستمارات تفصيلية عن كل باحث في الجامعة يدرج فيها المعلومات التفصيلية المطلوبة عنه ومدى الخدمات المقدمة له، فتشكل بذلك نظام اتصال

فعال بين المكتبة والباحثين اصبحت المكتبة من خلاله قادرة على ايصال المعلومات المطلوبة الى الباحثين في الوقت المناسب .

لقد استطاعت المكتبة ضمن البرنامج ومن خلال جهود مسؤولي المعلومات التي اشرنا اليها اصدار مئات المطبوعات الأعلامية والأرشادية واعداد أكثر من عشرين وحدة تعليمية ضمن برنامج ارشاد القراء لطلبة الدراسات العليا. وقامت بتخصيص بطاقات لتحديد مدى الخدمات المقدمة لطلبة الدراسات العليا. كما القي عدد كبير من المحاضرات ضمن البرنامج. ثم استحدثت في المكتبة وحدة جديدة ، اطلق عليها وحدة البحوث وحددت لها مسؤولية توفير المقالات والأطروحات وفصول الكتب من المصادر التي لاتتوافر في مجموعات المكتبة المركزية .

الوضع الحالي لخدمات المعلومات :ـ

لقد تعرضت هذه الخدمات القيمة بجملتها في السنوات الأخيرة الى الضعف والتلاشي كما انتهى بعضها نهاية تدعو للشعور بالأسف. فتقلص على سبيل المثال ، عدد النشرات الأعلامية المتخصصة ولم يعد يصل الكثير منها الى الباحثين. ثم الغى دور مسؤولي المعلومات لتصبح وحدة البحوث هي المسؤولة عن هذا الدور وهي وحدة صغيرة لاتتناسب في امكاناتها وملاكها مع جسامة المهام اللازمة للاستمرار في تقديم الخدمات التي اشرنا اليها بنفس المستوى. وقد ادى كل ذلك الى تقليص قنوات الأتصال الخارجي بين المكتبة المركزية والمكتبات ومراكز المعلومات والتوثيق الأخرى داخل القطر وخارجه فضلا عن تقليص خدمات الأرشاد والتوسط. وكانت عدة عوامل قد تضافر بعضها مع بعض لتجز تلك الخدمات القيمة إلى هذا المستوى من الضعف والتلاشي ومن اهم هذه العوامل :ـ

١)ان التوسع الأفقي والعمودي في الدراسات العليا وتنامي حركة البحث العلمي في الجامعة لم يجابه من قبل المكتبة المركزية بالتصدي المطلوب الذي كان يستوجب التقويم المستمر لخدمات المعلومات وزيادة عدد المؤهلين لتقديم هذه الخدمات وتوفير المستلزمات الفنية والمادية الأخرى .

٢)وبدلا من تعزيز دور مسؤولي المعلومات في تقديم هذه الخدمات والتوسع فيها كلفوا بأعمال اخرى لاعلاقة لها بخدمات المعلومات مثل التدريس والخدمات التقليدية الأخرى للمكتبة .

ولابد ان يكون للوضع الحالي الذي آلت اليه خدمات المعلومات في المكتبة المركزية تأثير مباشر على حركة البحث العلمي في الجامعة ، وتهدف هذه الدراسة الى قياس هذا التأثير ومعالجته من خلال بعض المقترحات والتوصيات :

نتائج الدراسة :ـ

لقد تم توزيع ٢٠٠ نسخة من الأستبيان على عينة عشوائية من التدريسيين وطلبة الدراسات العليا في مختلف اقسام الكليات داخل المركز الجامعـي وقد تم تسلم ١٥٢ اجابة وبذلك تكونت العينة من ١٥٢ شخصاً. وقد تضمن الأستبيان اسئلة تتعلق بطبيعة ومستوى خدمات المعلومات المقدمة مـن قبـل المكتبة المركزية ومدى استفادة العينة من هذه الخدمات كما تركزت بعض الأسئلة على مستوى العلاقة والتفاعل بين افراد العينة وهذه الخدمات ومدى تأثير كل ذلك على ماتنجزه العينة من بحوث ودراسات. وقد جاءت نتائج الدراسة مطابقة للفرضيات التي اشرنا اليها في المقدمة. ويمكن تقسيم هـذه النتائج الى المحاور والمواقف الاتية :

١ – وحدة البحوث وخدمات المعلومات : –

سبق ان اشرنا الى ان المكتبة المركزية استحدثت وحدة جديدة لتوفير المقالات والأطروحات وفصول الكتب غير المتوفرة في المكتبة المركزية اطلق عليها (وحدة البحوث). وبعد ان الغي دور مسؤولي المعلومات للاسباب المشار اليها في البحث انيط بهذه الوحدة واجبات مسؤولي المعلومات في تقديم خدمات المعلومات للباحثين. وتشير نتائج الدراسة الى ان نسبة ٣١,٩ ٪ فقط من مجموع افراد العينة يلجأون الى الأستفادة من خدمات هذه الوحدة بصورة كبيرة، اما النسبة المتبقية من العينة والبالغة ٦٩,١ ٪ فقد تراوحت استفادتها من خدمات المعلومات التي تقدمها هذه الوحدة بين احياناً ونادر وعدم الأستخدام، وهذا ما يشير الى ان نسبة كبيرة من الباحثين لايدركون اهمية الخدمات التي تقدمها هذه الوحدة في مجال توفير المعلومات التي يحتاجونها في اجراء بحوثهم. ومن الطبيعي ان يعزى ذلك الى وجود خلل في نظام الأتصال بين المكتبة والباحثين في الأقسام العلمية ومراكز البحوث. وقد حاولنا التعرف على جوانب هذا الخلل من خلال قيام المديات الاتية :

٢ – مدى ادراك الباحثين لاهمية الكشافات والمستخلصات للوصول الى المعلومات : –

من المعروف ان ادوات التكشيف والأستخلاص هي من الوسائل الأساسية المستخدمة في احاطة المستفيدين علماً باحدث ماينشر من البحوث والمقالات في الدوريات واوعية المعلومات الأخرى كل في مجال تخصصه وبأختصارها لوقت وجهد الباحث للوصول الى المعلومات، ومع ذلك فقد كشفت الدراسة ان نسبة ٤٨,٤٪ فقط من افراد العينة يدركون أهمية استخدام هذه الأدوات

وان نسبة ٥١،٦٪ لايدركون اهميتها ودورها الحيوي في تسهيل مهمة الباحث للوصول الى المعلومات .

وقد حاولنا معرفة السبب في ارتفاع نسبة الأخيرين من العينة فتبين أن ٦،٨٪ منهم لايعلمون اصلا بوجود هذه الأدوات في المكتبة وان ١٣،٨٪ لايعرفون طرق استخدامها المختلفة وان ٣١٪ يفضلون الوصول الى المعلومات بأستخدام طرق اخرى غير الكشافات والمستخلصات وفي محاولة ترتيب الوسائل المختلفة التي يستخدمها الباحثون للوصول الى المعلومات حسب اهميتها بالنسبة لهم وجه الى العينة سؤال طلب منهم ترتيب الوسائل التي يستخدمونها في الوصول الى المعلومات حيث تبين مايأتي :ـ

٢٩،٤٪ منهم يعدون تصفح اعداد الدوريات وسيلتهم الأولى للوصول الى المعلومات .

٢٨،١٪ منهم يفضلون استخدام قوائم المصادر المذكورة في نهاية المقالات والأطروحات وغيرها وهو وسيلتهم الأولى .

٢٤،١٪ منهم يعتمدون على الكشافات والمستخلصات بالدرجة الأولى .

١٠٪ منهم يعتمدون على الكادر المكتبي بالدرجة الأولى. في حين لم يجب على هذا السؤال ٨،٤٪ من العينة .

ويلاحظ من الترتيب الأنف ذكره انخفاض نسبة من يعدون الكشافات والمستخلصات وسيلة اساسية للوصول الى المعلومات. ان وجود نسبة كبيرة من الباحثين ممن لايدركون اهمية الكشافات والمستخلصات في عملية البحث العلمي بسبب عدم معرفتهم بطرق استخدامها يمكن ان يكون مؤشراً على ضعف برنامج ارشاد القراء وعدم الأستمرار به وتطويره ، وهذا مايؤكد

صحة ماذهبنا اليه في افتراضنا ان سبب الخلل في العلاقة بين خدمات المعلومات التي تقدمها المكتبة والبحوث المنجزة في الجامعة يعود الى وجود خلل في برنامج خدمات المعلومات سواء في طبيعة البرنامج ومايتضمنه من فقرات او فشل هذا البرنامج في ارشاد الباحثين واجتذابهم الى الأستفادة من خدمات المكتبة .

ويبدو ان لأنخفاض نسبة المستفيدين الذين يلجأون الى استخدام الكشافات والمستخلصات للوصول الى المعلومات علاقة بعدم كفاءة هذه الأدوات من حيث نوعيتها وكميتها، حيث يشير التحليل الى ان ٦٠،٣ من مجموع افراد العينة بصورة عامة يرون ان هذه الأدوات ضعيفة في كميتها ونوعيتها في حين يرى ١٠،٢ ٪ انها مقبولة الى حد ما وترى النسبة المتبقيه والبالغة ٢٩،٥٪ انها جيدة .

٣ ــ وحدة البحوث وخدمات المعلومات الخارجيه :ــ

لقد حاولنا من خلال الأستبيان قياس موقف الباحثين من الخدمات التي تقدمها وحدة البحوث في الحصول على البحوث والمقالات وفصول الكتب غير المتوفرة في المكتبة المركزية من مكتبة الاعارة البريطانية ومؤسسة ISI في امريكا فتبين ان نسبة ٦٣،٧٪ من مجموع افراد العينة يرون ان هذه الخدمات كفوءة وان ٢١،٨٪ منهم يرون انها خدمات ممتازة في حين انفرد ١٤،٥٪ منهم بالقول ان هذه الخدمات ضعيفة مما يشير الى ان هذه الخدمة قد اعطت ثمارها، فنالت رضا المستفيدين الى الحد الذي اشرنا اليه. وينبغي ان نؤكد هنا ان هذه النتائج تشير فقط الى رضا المستفيدين من هذه الخدمات الا ان ذلك لاينبغي ان يؤخذ مقياساً لكفاءة الوحدة في توفير العدد الكافي من

البحوث والمقالات ، وعلى المستفيدين ان يدركوا ان هذه الخدمات ماهي الا جزء من خدمات اشمل وأعم يجب تحقيقها بقيام المكتبة بتوثيق روابطها والتنسيق مع المكتبات الجامعية الأخرى ومراكز المعلومات والتوثيق وبشكل يجعل مجاميع هذه المكتبات من الدوريات والكشافات والمستخلصات ... الخ متكاملا فضلا عن ضرورة الأشتراك في برامج جديدة للتعاون في هذا المجال مع مكتبات ومراكز معلومات متطورة على المستويين القومي والعالمي ان وجود هذه الثغرة في خدمات وحدة البحوث قد دفع المستفيدين الى اتباع وسائل خاصة بهم للحصول على المعلومات دون الأستعانة بالمكتبة حيث تبين ان نسبة ٤١,٧٪ فقط من مجموع افراد العينة يستفيدون مما تقدمه وحدة البحوث في مجال الحصول على مصورات من مكتبة الأعارة البريطانية ومؤسسة ISI في حين يلجأ نسبة ٥٨,٣٪ منهم الى وسائلهم الخاصة مثل الأتصال بمكتبات اخرى داخل القطر والمراسلات الشخصية واستشارة ، المشرفين والأساتذة المتخصصين والأصدقاء. ان على المكتبة ان تسعى جاهدة من اجل احتواء هذه النسبة واجتذابها للاستفادة من خدماتها في مجال توفير البحوث من الجهات الخارجية عن طريق التعريف بهذه الخدمات وتوسيعها خصوصاً وقد تبين لنا من تحليل الأستبيان ان نسبة كبيرة ممن يلجأون الى تلك الطرق هم من الذين لايعلمون بالخدمات التي تقدمها وحدة البحوث وهذا مايشير الى ضعف العلاقة بين خدمات المعلومات التي تقدمها المكتبة المركزية واحتياجات الباحثين .

٤ ـ خدمات الأعلام المكتبي :ـ

عندما بدأت المكتبة المركزية بتقديم خدمات المعلومات للباحثين اخذت على عاتقها مهمة اعلام الباحثين بما يصل المكتبة وبصورة دورية من مصادر

معلومات جديدة من بحوث ومقالات ودوريات ومصادر معلومات اخرى وذلك بأصدار نشرات اعلامية متخصصة بهذه المواد وتوزيعها على المعنيين وقد اثبتت بعض الدراسات السابقة (١٠) التي اجريت بهذا الخصوص كفاءة هذه الخدمة الأعلامية في بدايتها. الا ان دراستنا الحالية اظهرت ان المكتبة المركزية لم تعد تعير هذه الخدمة الأهمية الكافية في الوقت الحاضر حيث تشير نتائج الأستبيان ا٫م ان نسبة ٢٤.٣ ٪ فقط من افراد العينة تصل اليهم مثل هذه النشرات في حين اشار ٧٥,٣ ٪ منهم انهم لايتسلمون مثل هـذه النشرات. ومع ان نسبة ٢٤.٣ ٪ تصلهم مثل هذه النشرات الا انها لاتصل اليهم بشكل دوري منتظم حيث اشار ٦٥,٤ ٪ من هؤلاء انهم يتسلمون هذه النشرات احياناً، اما النسبة المتبقية والبالغة ٤٣,٦ ٪ فنادراً مايتسلمون مثل هذه النشرات .

ان هذه الأرقام تشير بوضوح الى انخفاض كفاءة الخدمات الأعلامية التي تقدمها المكتبة عن طريق هذه النشرات بسبب ارتفاع كلفة اعدادها ، وعليه فأننا نرى ان على المكتبة اما ان تلجأ الى زيادة عدد النسخ المطبوعة من هذه النشرات او ان تلجأ الى وسائل بديلة للاعلام عما يصل اليها من مطبوعات حديثة كمحاولة اجتذاب المستفيدين الى المكتبة للأطلاع على آخر مايصل الى المكتبة من معلومات كالمعارض وعرض اغلفة الكتب الواصلة حديثاً وغيرها. كما يتوجب عليها العمل على اقرار نظام شامل ومتكامل داخل الجامعة بما يوفر الأتصال السريع والفعال بالباحثين من اجل ايصال المعلومات اليهم في الوقت المناسب .

٥ – مدى كفاءة خدمات المعلومات في اسناد بحوث التدريسيين :

لقد حاولنا قياس مدى تأثير المستوى المقدم من خدمات المعلومات على انجاز البحوث في الجامعة فتبين ان المستوى المقدم من هذه الخدمات يؤثر تأثيراً سلبياً على انجاز بحوث ٧٣,٤ ٪ من مجموع افراد العينة. ان ارتفاع هذه النسبة يؤكد صحة فرضيتنا المتعلقة بوجود خلل في المستوى الذي تقدمه المكتبة المركزية من هذه الخدمات بصورة عامة . وقد عزا افراد العينة هذا التأثير السلبي للمعوقات المذكورة ادناه علماً ان معظم افراد العينة قد ذكر أكثر من معوق واحد :

١) يرى ٧١,٣ ٪ من مجموع افراد العينة ان مجموعة المكتبة المركزية من الدوريات وادوات التكشيف والأستخلاص ضعيفة في نوعيتها وكميتها الى الحد الذي يؤثر سلبياً على انجاز بحوثهم.

٢) يرى ٣٠,٤ ٪ منهم ان وجود ثغرات في مجموعة المكتبة من الدوريات والكشافات والمستخلصات سواء في الأعداد السابقة او الحالية يشكل عائقاً امام اكمال بحوثهم بالمستوى المطلوب وضمن الوقت المحدد لها .

٣) يرى ٤٥,١ ٪ منهم ان غياب دور مسؤولي المعلومات أو عدم وجود ملاك كاف لتقديم خدمات المعلومات يؤثر سلبياً على انجاز بحوثهم

٤) يرى ٧٢ ٪ منهم ان عدم تسلمهم لنشرات اعلامية بما يصل المكتبة حديثاً من الكتب والدوريات ... الخ يعد عائقاً امام اكمال بحوثهم بالمستوى المطلوب وضمن الوقت المقرر لها .

٥) يرى ٢٥,٧ ٪ منهم ان عدم وجود نظام اعارة داخلية بين المكتبة المركزية والمكتبات الأكاديمية الأخرى داخل القطر للحصول على مصادر...

المعلومات غير المتوافرة في مكتبات جامعة الموصل له تأثيره السلبي على انجاز بحوثهم .

٦) يرى ٣٧,٩ ٪ منهم ان قلة الحصة السنوية المقررة لكل باحث من كوبونات مكتبة الإعارة البريطانية لها تأثيرها السلبي على انجاز بحوثهم .

٧) يرى ٦٠,٢ ٪ منهم ان غياب البحث الالي المباشر الذي كانت المكتبة المركزية تقدمه في فترة من الفترات السابقة عن طريق مركز التوثيق العلمي له تأثيره السلبي على انجاز بحوثهم .

٨) يرى ١٥,٥ ٪ منهم ان عدم السماح لهم بأستعارة الدوريات والأطروحات والمراجع خارج المكتبة له تأثيره السلبي على انجاز بحوثهم .

وقد قمنا خلال البحث بالتعليق على المعوقات المتعلقة بالفقرات ١ – ٢ – ٣ – ٤ – ٧ اما بشأن الفقرة الخامسة فنرى ان الضرورة تقتضي قيام المكتبات الأكاديمية داخل القطر بوضع سياسة مكتوبة في مجال الإعارة الداخلية بينها بما يؤمن انتقال وتوفير مصادر المعلومات المتوافرة في هذه المكتبات لجميع الباحثين، اذ ان وضع سياسة مكتوبة من هذا النوع سيلزم هذه المكتبات التعاون في هذا الجانب .

اما بشأن الفقرة السادسة فنرى ان الحصة المخصصة من هذه الكوبونات لكل باحث معقولة وان الأمر يتطلب توخي الدقة في اختيار الباحثين للبحوث المطلوبة تلك التي تخص موضوع بحثهم مباشرة. فليس المهم طلب أكبر عدد من البحوث بل المهم هو انتقاء البحوث والمقالات ذات القيمة العالية والمساس المباشر بموضوع البحث خصوصاً . وقد ثبت بالواقع الملموس ان قسماً من الطلبات التي ترد من الباحثين يتوفر فعلا ضمن المصادر

المتوفرة في مكتبات الجامعة ويعد ذلك مؤشراً على عدم اطلاع قسم من الباحثين على مايتوفر في مكتبات الجامعة من مصادر معلومات ذات العلاقة ببحوثهم .

اما بخصوص الفقرة الثامنة فنحيط المستفيدين علماً ان تعليمات الإعارة في جميع المكتبات لاتسمح بإعارة هذه الفئة من المصادر. فالدوريات لايسمح بأعارتها خارج المكتبة لأن اغلب المكتبات تشترك بنسخة واحدة من كل دورية ثم تلجأ الى تجليد اعداد كل سنة ضمن مجلد واحد. والباحث عادة يحتاج الى مقالة معينة في عدد معين من الدورية. لذلك فليس من المعقول اعارة المجلد بكامله خارج المكتبة في الوقت الذي يحوي هذا المجلد على اعداد اخرى من الدورية التي يحتاجها باحثون اخرون، كما ان فقدان اي عدد من اعداد الدورية يصعب تعويضه ويخل بالمجموعة ، علماً ان المكتبة توفر خدمات استنساخ كفوءة وسريعة. كما ان الأمانة العلمية تقتضي عدم اعارة الاطروحات لقيمتها العلمية وندرتها .

اما بالنسبة للمراجع فان طبيعة المعلومات التي تحويها لاتستوجب قراءتها بصورة كاملة وانما لاستشارتها والحصول على معلومات معينة فقط كما ان احتواءها على عدد كبير من المعلومات يجعلها عرضة للاستخدام المستمر من عدد كبير من المستفيدين في وقت واحد لذلك لايمكن اعــارتها خارجياً.

وقبل ان نعرض اقتراحنا بشأن تطوير خدمات المعلومات التي تقدمهـــا المكتبة المركزية ورفع مستوى التفاعل بينها وبين المستفيدين لابد لنا من اشراك المستفيدين من هذه الخدمات في تقديم هذه المقترحات والتوصيات بأعتبارها الجهة المستفيدة التي وجدت هذه الخدمات من اجلها فكانت مقترحاتها كما هو مذكور في ادناه علما ان الكثير منهم قدموا أكثر من مقترح واحد .

أ - اقترح ٦٩,٩٪ من مجموع أفراد العينة زيادة عدد الدوريات التي تشترك بها المكتبة المركزية واعادة المشاركة بالدوريات المتوقفة. ان ارتفاع نسبة من قدموا هذا الأقتراح يمكن ان يكون مؤشراً على ضعف مجموعة قسم الدوريات في الوقت الحاضر بعد التقليص الذي حصل بعد عام ١٩٨٣ حيث تعرضت الأشتراكات الى انخفاض حاد حيث بلغ عدد المشاركات ٢٥٠ دورية وكشافاً ومستخلصاً فقط بعد ان كان هذا العدد قد بلغ ذروته عام ١٩٨١ وهو ٢٣٠٠ دورية وكشاف ومستخلص. الا ان ماتجدر الأشارة اليه ان السيد رئيس الجامعة وفي اثناء اجتماعه مع السادة عمداء الكليات ورؤساء الأقسام العلمية والباحثين بتأريخ ١٩٨٩/١/٨ ابدى توجيهاته بمضاعفة عدد هذه المشاركات دعماً منه لمسيرة البحث العلمي في الجامعة وقد باشرت المكتبة المركزية فعلا بتنفيذ هذا التوجيه.

ب - اقترح ٢٢,٠٨٪ من مجموع افراد العينة قيام المكتبة بأكمال الأعداد الناقصة والأعداد السابقة من الدوريات والكشافات والمستخلصات بما يدل على ان هذه المشكلة تشكل عقبة امام الباحثين وتؤثر بشكل او بأخر على مسيرة بحوثهم العلمية والأكاديمية. وقد حاولت احدى الدراسات السابقة(١١) قياس مدى خطورة هذه المشكلة ومدى اعتراضها سبيل الباحثين فتوصلت الى ان نسبة ٧١٪ من الباحثين يعدونها مشكلة خطيرة غالباً ماتؤثر على انجاز بحوثهم. ومع ان المكتبة المركزية قد لجأت الى استخدام بعض البدائل لمعالجة هذه المشكلة واحتواء خطورتها عن طريق الأعتماد على مكتبة الإعارة البريطانية والمؤسسات المماثلة للحصول على مصورات للمقالات والبحوث الا ان استخدام هذه البدائل لوحده لايعد حلا جذرياً للمشكلة لذلك فقد قامت

المكتبة المركزية بالأتصال بالمجهزين في محاولة منها لأستكمال الأعداد الناقصة والسابقة من الدوريات الأساسية . وحصلت فعلا على حوالي نصف هذه النواقص على شكل مصغرات فلمية وهي في سبيلها للاتصال بمجهزين اخرين لأستكمال بقية الأعداد .

جـ ـ اقترح ٤٢،٣ ٪ من مجموع افراد العينة احياء الفقرات المتوقفة من برنامج خدمات المعلومات وخاصة برنامج ارشاد القراء ودور مسؤولي المعلومات في توجيه المستفيدين وارشادهم في استخدام الكشافات والمستخلصات ومصادر المعلومات الأخرى للوصول الى المعلومات . ونحن بدورنا نؤكد اهمية هذا المقترح الحيوي وبخاصة اننا على اطلاع ببعض الدراسات التقويمية التي اجريت في السنوات الأخيرة لتقويم خدمات المعلومات في المكتبة المركزية، حيث اشارت اغلب هذه الدراسات الى وجود ضعف عام في عموم هذه الخدمات عند الشروع بتقديمها، مما يشير الى ان هذه الخدمات قد بدأت بداية جيدة حيث حققت الكثير من الأهداف التي رسمت لها ثم اخذت كفاءتها تقل عن ذي قبل. ولقد نهض عاملان اساسيان بدورهما في هذه الظاهرة اولهما نمو حركة البحث العلمي في الجامعة المتمثلة بالأزدياد الأفقي والعمودي في الدراسات العليا. حيث أستحدثت دراسات عليا في اقسام علمية جديدة، وثانيهما إزدياد عدد الطلبة المقبولين للدراسات العليا واستحداث بعض الأقسام العلمية لدراسة الدكتوراه اما العامل الثاني فيتمثل في أن خدمات المعلومات في المكتبة المركزية لم تستعد لمجابهة وإحتواء إزدياد الطلب على المعلومات الذي ظهر نتيجة للعامل السابق بمحاولة توسيع هذه الخدمات وخاصة فيما يتعلق بزيادة الكادر

المشرف على هذه الخدمات وبدلا من ذلك فقد كلف مسؤولو المعلومات في المكتبة المركزية بمهام اخرى لاعلاقة لها بهذه الخدمات .

د- اقترح نسبة ٥٤،٢٪ من مجموع افراد العينة تقديم خدمات البحث الالي المباشر بالأتصال بمراكز المعلومات وقواعدها للحصول على احداث مإينشر في مجال تخصصهم .ويدل إرتفاع هذه النسبة على مدى الحاجة الى هذه الخدمة اولا ومدى علاقتها بالبحث العلمي . ونود ان ننوه بأن المكتبة المركزية عند بداية تقديمها خدمات المعلومات حاولت الأستفادة : من خدمات البحث الالي المباشر التي قامها مركز التوثيق العلمي فعملت على الأتصال بالباحثين مبينة لهم طبيعة هذه الخدمة واهميتها ثم طلبست منهم تزويدها بطلباتهم من قوائم الرغبات لتنفيذها عن طريق المركز المذكور . وقد اتضح للمكتبة بعد فترة قصيرة ان الطلبات التي ترد اليها من الباحثين تفوق، بكثير قدرات مركز التوثيق العلمي وامكاناته بأعتباره المركز الوحيد في القطر الذي يقدم هذه الخدمة وتصل اليه طلبات من كافة المؤسسات الأكاديمية والبحثية في القطر .

التوصيات والمقترحات :

١) ان رفع مستوى خدمات المعلومات في المكتبة المركزية يقتضي اعادة دور مسؤولي المعلومات عن هذه الخدمات ثم توسيع قاعدة هذا الدور بزيادة عدد المسؤولين عن تقديم هذه الخدمات .

٢) على المكتبة المركزية ان تسعى لأقامة علاقات تنسيق وتعاون مع المكتبات الأكاديمية الأخرى ومراكز التوثيق والمعلومات داخل القطر وخاصة في مجال الإعارة الداخلية للمطبوعات وتبادل البحوث المصورة بشكل يجعل مجاميع هذه المكتبات متكاملة ، على ان تأخذ هذه العلاقة صيغة رسمية تلزم الأطراف المشاركة الأيفاء بالتزاماتها في هذا المجال .

٣) لما كشفت عنه الدراسة من ان نسبة كبيرة من المستفيدين يعرضون عن استخدام الكشافات والمستخلصات بسبب عدم معرفتهم كيفية استخدامها تقترح اعادة تقديم برنامج ارشاد القراء واستكمال الوحدات التعليمية التي تهدف الى تعليم الباحثين كيفية استخدام هذه الأدوات في الحصول على المعلومات من داخل وخارج المكتبة .

٤) لما كشفت عنه الدراسة من ضعف خدمات الأعلام المكتبي في اعلام الباحثين عن مصادر المعلومات الواصلة حديثاً نقترح زيادة كفاءة خدمات الأعلام المكتبي بزيادة عدد النسخ المطبوعة من نشرات الأعلام المعدة لهذا الغرض .

٥) اعادة النظر في نظام الأتصال بين المكتبة المركزية والباحثين في الأقسام العلمية ومراكز البحوث بما يؤمن الأتصال السريع والفعال بالباحثين من اجل ايصال المعلومات اليهم في الوقت المناسب .

هذا وقد تضمن البحث بعض المقترحات والتوصيات المذكورة في مضمون البحث .

المصادر :

(١) حمدي ، ابراهيم. الدور العلمي للمكتبة الجامعية. وقائع وبحوث المؤتمر المكتبي الثالث لجمعية اتحاد المكتبيين العراقيين .

2) Lancaster, F.W. The Measurement and Evaluation of Library Services–Virginia: Information Resources Press, 1977, P. Vii–19.

٣) Galvin J. Thomas and Others. The New role of Librarians as Professionals: A Literature review, The Information Society Issues and Answer. ALA's Professional Commission for the year 1977. Delroit annual conference–London, ORYX Press, 1978, P. 80–82.

4) Cary, R.J.P. Library Instruction in Colleges & Universities of Britain–Library Association Record Vol 70 No. 3. 1968.

(٥) الخطة الخمسية للامانة العامة لمكتبات جامعة الموصل في ١٩٧٨/٧/٢٩ ، ص٢ .

(٦) اسماعيل، سعد أحمد. تقويم برنامج خدمات المعلومات في المكتبة المركزية لجامعة الموصل مجلة اداب الرافدين العدد ١٧ ، ١٩٨٧. ص١٦٢ .

(٧) الحسو، احمد عبد الله (واخرون)« مكتبات جامعة الموصل ودورها في الجامعة والمجتمع الندوة العلمية والتربوية الرابعة لجامعة الموصل ٨-١٠ ايار ، ١٩٨٥، الموصل : جامعة الموصل ،ص٩٨٤ .

(٨) العدد السابق نفسه

(٩) اسماعيل، سعد أحمد نفس المصدر السابق ص ١٤٨ .

(١٠) اسماعيل ، سعد أحمد نفس المصدر السابق .

(١١) محمد، محمود جرجيس: تقويم مجموعة وخدمات قسم الدوريات في المكتبة المركزية لجامعة الموصل .
مجلة اداب الرافدين، العدد ٢٠ ، ١٩٨٩ ،ص ٢٢٧ .

أثر حضور أو مشاركة الاخرين في اداء الفرد
« دراسة تحليلية »

السيد فاضل محسن الازيرجاوي
قسم العلوم التربوية والنفسية
كلية التربية

مقدمة

تناول هذا البحث مراجعة شاملة لتجارب ودراسات حول ظاهرة نفسية اجتماعية وجدت أصلا بعد الالعاب الاولمبية الاولى سنة ١٨٩٦ ، وقد تصدى لها بالبحث والتجريب العالم النفسي الاجتماعي تربلت ١٨٩٧ الذي درس أثر حضور المشاهدين في الأداء الفردي وفي السنوات ١٩٢٠ ، ١٩٢٤ درس البورت العالم النفسي الاجتماعي أثر المشاركين في العمل في الآداء الفردي . وقد تمخضت بحوث تربلت والبورت عن بحوث تجريبية كثيرة وحتى الستينات من هذا القرن وفي سنة ١٩٦٥ كانت بحوث زايونك العالم النفسي الاجتماعي المعاصر ، قد اعادت لهذه الظاهرة شهرتها واصبحت بفضل بحوثه وبحوث زملائه من الظواهر العلمية المعروفة في مجال علم النفس الاجتماعي .

يساهم البحث في بسط حقائق علمية حول هذه الظاهرة القديمة الحديثة ، كما يستهدف تعريف الباحثين العرب بظاهرة تعد اللبنة الاولى في دراسات علم

النفس الاجتماعي التجريبي ، ويقدمها باعتبارها مجالاً بكراً . وقد يسهم البحث في تقديم مخطط شامل لتفسير الظاهرة موضوعة البحث من خلال توليف كل الدراسات السابقة، وتعريف الظاهرة موضوعة البحث بأنها ظاهرة التيسير والكف الاجتماعي "Social Facilitation" & Social Inhibition" . وليست كما هي شائعة في ادبيات علم النفس الاجتماعي بظاهرة «Social Facilitation » (١) بالتيسير الاجتماعي» .

١ — نظرة تاريخية

أ — دراسات تربلت "Triplett 1897"

اذا كان معروفاً انه تم في عام ١٨٧٩ انشاء أول مختبر لعلم النفس التجريبي في لايبزك في المانيا على يد فولت W. Wundt ففي عام ١٨٩٧ اجريت أول دراسة تجريبية في علم النفس الاجتماعي في جامعة انديانا في الولايات المتحدة على يد تربلت الذي تصدى لدراسة التغيير في الأداء الفردي عندما يضاف اشخاص آخرون إلى بيئة الفرد الاجتماعية (٢) . وتعد هذه الدراسة من اوائل الدراسات التجريبية التي أدخلت في المختبر (٣) .

وجد تربلت ان الاداء الفردي يتحسن في ظروف المنافسة والمباراة (٤) وبدأ تربلت بحقيقة أن متسابقي الدراجات يقومون باداء افضل عندما يكون هناك تنافس في السباق (٥) ، وعلى الرغم من ان تربلت لم يطلق اي تسمية على هذه الظاهرة ، فان دراساته تعد مهمة من وجهة النظر التاريخية اذ تشكل قاعدة للنظريات المعاصرة واساليبها وطرقها (٦) .

بدأ تربلت عمله بجمع المعلومات من السجلات الرسمية الخاصة بسباق الدراجات وقد وجد ان ثمة انواعاً ثلاثة من المنافسات في السباقات اولها

يدعى بالسباق غير الموزع « Unpaced » ويقوم فيه متسابق واحد بمحاولة كسر رقم لوقت معين في ميدان سباق معين» ، والثاني يدعى بالسباق الموزع "Paced" ويقوم فيه متسابق واحد ايضاً بمحاولة كسر رقم لوقت معين ولكن بدورات متعددة وسريعة «اما النوع الأخير من السباق فيدعى بالتنافس (Competition) يقوم فيه عدة متسابقين بالتنافس في سباق اعتيادي (٧) .

استنتج تربلت ان المتسابق في حالة السباق الموزع اسرع من المتسابق في حالة السباق غير الموزع ، وان المتسابق في حالة السباق بالمنافسة اسرع من المتسابق في حالة السباق الموزع (٨) .

استعرض تربلت عدة نظريات (٩) حاولت ان تفسر هذا التغير واقر بأن كل نظرية من هذه النظريات تستطيع ان تقدم تفسيراً للفروق بين الأداء الفردي عندما يكون الفرد وحده ، وبين الأداء الفردي بحضور الاخرين . وقد اعتقد تربلت بأن هناك عوامل مسببة او محدثة « Dynamogenic Factors » تقوم بدور أساسي ومبدئي في الأداء الفردي ، وبتعبير أخر فإن حضور الاخرين يطلق طاقة كامنة لا تتوافر عادة لدى الفرد في حالته الطبيعية عندما يعمل وحده (١٠) .

ب — دراسات البورت : F. Allport (١١)

في الفترة من ١٩٢٠ إلى ١٩٢٤ ظهر البورت اول باحث استخدم مصطلح التيسير الاجتماعي « "Social Facilitation" » لغرض شرح ووصف دراسات تربلت

نشر البورت نتائج سلسلة من تجاربه التي تصدت لهذه الظاهرة بصيغة جديدة تعرف بتأثير المشاركة « "Co-action Influence" » اي وجود

عدة اشخاص يقومون بنفس العمل وفي ظروف ووضعية واحدة على الرغم من ان كلا منهم يعمل منفرداً لوحده(١٢)وقد وجد البورت ان الافراد الذين يعملون جنباً إلى جنب يتسلمون تنبيهاتهم الاجتماعية كلياً من المنبهات الاجتماعية المساهمة «"Contributory"» ولهذا فانهم يعملون بصورة واضحة تحت تأثير التيسير الاجتماعي (١٣) .

قام البورت (١٩٢٤) (١٤) بمقارنة العمل بصورة منفردة مع العمل والاخرين في واجبات واعمال مختلفة ، ووجد انه عندما يكون التكليف او الواجب سهلا يكون الاداء الفردي افضل بحضور الاخرين . اما عندما يكون العمل متسماً بطابع المناقشة والجدل الفلسفي فإن الأداء الفردي يكون اسوأ بحضور الاخرين (١٥)

تابع البورت بحوثه التجريبية في هذه الظاهرة من خلال تهيئة مجموعة من الافراد يعملون على انفراد على شكل مثلث او حول طاولة في مهمات مختلفة بحيث لاحظ ان العمل في مجاميع يسهل اداء بعض منهم ولكنه في الوقت نفسه يمنع او يكف اداء البعض الاخر(١٦) . وقد اطلق البورت على التأثير الايجابي في الاداء من خلال المشاركة في العمل بمصطلح التيسير الاجتماعي (١٧) .

لقد استنتج البورت في سلسلة من تجاربه ان الافراد الذين يؤدون مهمات سهلة مثل الجمع الحسابي فإنما يؤدونها اداءً افضل عندما يكونون في مجاميع ، ولكن هذا التأثير الايجابي لا يبدو موجوداً عندما يؤدون مهمات تتطلب عمليات عقلية معقدة (١٨) ، وبعبارة اخرى فإن التيسير الاجتماعي لا يظهر في حالات تتطلب حكماً او حلاً لمشكلة معقدة (١٩) .

قدم البورت هذه الظاهرة بصيغة نظرية بقوله « إن مشاهدة او سماع اصوات الاخرين الذين يعملون الشيء نفسه يزيد من الاستجابة الحركية

الظاهرية ومفترضاً من ناحية اخرى ان الاستجابة الذهنية او الضمنية المعقدة تكف او تعرقل ولا تسهل بحضور الاخرين (٢٠) .

منذ العقد الثالث من هذا القرن وحتى الستينات منه ، أجرى عدد كبير من الباحثين تجارب على شطري هذه الظاهرة التي قدمها البورت في دراساته فمن تجاربهم ما يشير إلى ان الأداء للمهمات يتحسن بحضور الآخرين عندما يعمل الفرد لوحده في عمل شاعراً بأن الآخرين يتابعونه ويراقبونه في اثناء عمله .

ومن تجاربهم ما يشير إلى ان الاداء للمهمات يتحسن بسبب الأداء المشترك للعمل نفسه بشكل انفرادي او بصورة جماعية او يشعر الفرد بحالة وكأنه يعمل والآخرون يتابعونه ويراقبونه اثناء عمله وان كان الآخرون منهمكين كلاً في عمله (٢١) .

جـ ــ **ابحاث تجريبية**

تضم ابحاثاً تجريبية اجريت على نمطي الظاهرة وهما :

اولا : ابحاث تجريبية ذات علاقة بتأثير سماع الفرد للآخرين ومشاهدتهم له وهو منهمك في اداء عمله منها على سبيل المثال :

	الدراسة	مصدر الدراسة
١	J. Dashiell, 1930	CRM, 1974
٢	R. Husband, 1931	CRM, 1974; Baron, 1974
٣	J. Pessin. 1933	Baron, 1974
٤	J. Pessin & R.Husband, 1933	Shaw, 1979
٥	Klopfer, 1958, 1959.	Kelley & Thaibaut, 1968
٦	B.Bergum & D. Lehr, 1963	Shaw, 1979
٧	Broom & Selznich, 1963	Coleman, 1971
٨	Mc David & Harari, 1968	Coleman, 1971

٩ -	Marfens, 1969	Fisher, 1976
١٠-	Kozar, 1973	Fisher, 1976
١١-	M. Beatty, 1980	

ثانياً : — ابحاث تجريبية ذات علاقة بتأثير المشاركين مع الفرد وهو منهمك في أداء عمله منها :

اسم الدراسة		مصدر الدراسة
١ -	H.T. Moore, 1921; Bechterew & Delange, 1924	Allport, 1968
٢ -	L. Travis, 1925, 1928	Shaw, 1979
٣ -	E. Bayer, 1929	Cofer, 1964
٤ -	M. Shaw 1932	Shaw, 1979
٥ -	H. Harlow, 1932; M. Gates & W. Allee, 1933	Cofer, 1964
٦ -	Yerkes, 1943, & Dashiell, 1935	Allport, 1968
٧ -	C. Chen, 1937	Baron, 1974
٨ -	K. Lewin, 1948, 1951	Allport, 1968
٩ -	Seidman, et al., 1957	Zajonc, 1966
١٠ -	Shapiro, Leiderman & Morningstar, 1964	Shapiro & Crider, 1968
١١ -	Burwitz & Newell, 1972	Fisher, 1976

د — دراسة شن التجريبية : — C. Chen 1937 (٢٢)

قدم شن سنة ١٩٣٧ تجربة عن اهم التأثيرات الدراماتيكية في مجال التيسير الاجتماعي حيث قام بملاحظة ست وثلاثين نملة وهي تقوم بحفر لوكار لها تعمل منفردة مرة وفي مجاميع من اثنتين مرة اخرى وفي مجاميع ثلاث مرة ثالثة .

ففي اليوم الاول وضعت كل نملة في قنينة بحجم قنينة الحليب وقد مُلئت إلى نصفها بتربة رملية جافة ذات حبيبات ناعمة وترك النمل هناك لمدة ست ساعات ، وتم تسجيل الوقت الذي بدأ عنده النمل ببناء اوكاره .

وبعد هذا الاختبار تم وزن التربة المحفورة او المستخرجة من قبل كل نملة بدقة لحساب مقدار العمل المنجز . وبعد أيام قلائل وضعت مجموعة النمل نفسها في قنان ملئت بالتراب من جديد . ولكن في مجاميع من اثنين ، بقيت مجاميع النمل ايضاً لمدة ست ساعات في القناني ، ثم اخذت القياسات الأنفة الذكر نفسها ، وبعد ثلاثة ايام تمت ملاحظتها بالطريقة نفسها ولكن في مجاميع من ثلاث نملات وبعد عمل هذه الاوكار ، اعيدت الحشرات مرة ثانية إلى قنان ملئت بالتراب من جديد للعمل ، لتعمل بصورة منفردة .

الجدول رقم (١)

يبين نتائج تجربة شن في بناء النمل لاوكاره بالعمل الانفرادي او العمل الجماعي المشترك .

القياس	الاختبار الاول العمل الانفرادي	مجاميع من اثنين	مجاميع من ثلاث	الاختبار الثاني العمل الانفرادي
التأخير في بناء وكر (بالدقائق)	١٩٢	٢٨	٣٣	١٦٠
الوزن لكل نملة (بالغرام) للتربة المحفورة خلال فترة (٦ ساعات)	٢٣٢	٧٦٥	٧٢٨	١٨٢

إن أداء هذه الحشرات قد تحسن تحت ظروف المشاركة، حيث ازداد زمن البناء بسرعة وتضاعف حوالي (٦) مرات وقد تضاعفت كمية العمل

المنجز أكثر من ثلاث مرات. وبهذا يتضح تأثير الخبرة والتجربة في العمل المشترك، وتتبين النتائج من خلال الموازنة بين الأختبارين الأول والثانـي .
وثمة استنتاج اخر الا وهو ان زيادة حجم المجموعة في ذاتها ليس له تأثير أضافي، حيث ان وجود حشرتين اخريين ليس له ميزة افضل من وجـود حشرة واحدة اخرى فقط، وهنا يبرز السؤال الاتي: هل تتطابق وتتجانس استنتاجات تجربة شن مع تعميمنا السابق ؟

هنا ينبغي التعرف على أمرين هما :

أولا : معرفة الظروف التجريبية لدراسة شن .

هل بناء الأوكار لدى النمل إستجابة موجودة بصورة جيدة ومتغلبه

وثانياً: هل حضور مشارك أخر يعمل على زيادة المستوى العام للحافز لـدى النملة؟ إن الأجابة عن السؤال الأول : تبدو واضحة تماماً ببناء الأوكار وهو عمل فطري، لايتطلب اي تعلم، فعند وضع أي نملة بالقرب من تربة تقوم وبعد وقت قصير ببناء وكر لها حتى اذا لم يكن بالقرب منها أحد من ابناء جنسها .

أما الأجابة عن السؤال الثاني فهي لم تعد تخميناً بعد دراسة شن اذ ثمـة دليل وبينة قوية ترينا أن وجود الأخرين يؤدي الى زيادة المستوى العـام لأداء الكائن (٢٣) .

٢ ــ نظرة معاصرة

أ ــ أثر دراسات زايونك R.B. Zajonc

قدم زايونك في ١٩٦٥ــ١٩٦٦ شرحاً جديداً لوجود الاخرين وعـده مصدراً للتحريك أوالأستثارة أو الحث (٢٤) (٢٥) .

قام زايونك بأختبار الفرضية ألتي تشير الى أن حضور الأخرين يؤدي الى زيادة الأستثارة او النشاط العام للفرد. وهذا النشاط أو الأستثارة تؤدي الى زيادة الميل الفردي لتقديم أستجابة جيدة (٢٦). أي أن الأستجابة السائدة أو المتغلبة هي الإستجابة التي يحتمل أكثر أن تنطلق من الفرد في موقف أو حالة معينة (٢٧).

وقد تحقق بفضل اختبار فرضية زايونك احياء نظرية تربلت الديناموجينية "Triplelt' Dynamogenic Theory" التي طرحها في عام ١٨٩٧ (٢٨).

وكذلك يربط زايونك بين نماذج التيسير الأجتماعي وماتؤكده نظرية الحافز عند (هل- سبنس) من أن الحضور المجرد للمشاهدين يعمل كأستثارة (٢٩).

ب - دراسات فسيولوجية

اقترح زايونك (٣٠) أن النشاطات الفسيولوجية تعمل عمل آليات الأستثارة أذ تزداد بحضور الأخرين، وأن نتائج هذه الأستثارة المتزايدة تظهر متطابقة والنتائج التي تقدمها أدبيات التيسير الأجتماعي (٣١)، أذ وجد زايونك أن هناك العديد من الدراسات الفسيولوجية تستخدم علم النفس الفسيولوجي في تفسيرها للسلوك الأجتماعي وقد أثبتت نتائجها تفسيرات "Zajonc's Arousal Theory', نظرية الأستثارة لزايونك (٣٢).

خلال عام ١٩٦٥ - ١٩٦٦ راجع زايونك عدداً من الدراسات عن التيسير ا جتماعي (٣٣). ورأى أن هناك فروقاً بين تأثيرات الحضور وتأثيرات المشتركين في العمل على الاداء والتعلم (٣٤) قام زايونك بمتابعة دراسات متنوعة عن الانسان والحيوان في محاولة لتفسير النتائج المتناقضة والبحث عن

الاسباب التي تجعل حضور الاخرين عاملا ميسراً للاداء في بعض الاحيان ومعوقاً للاداء في احيان اخرى .

لقد لاحظ زايونك ظاهرة تستدعي الاهتمام ذات صلة بمجال التيسير الاجتماعي فهناك ثمة مهمات تتطلب تعلم استجابات جديدة بينما تتطلب مواقف اخرى ، تقديم استجابات سبق ان تعلمها الفرد تعلماً جيداً ، وقد وسع زايونك مجال تحليله للتيسير الاجتماعي ليشمل التخمين "Speculation" مع اخذه بنظر الاعتبار تأثيرات التفاعل الاجتماعي على الأليات الفسيولوجية ومستوى الاستثارة عند الكائن (٣٥) فكانت محصلة كل هذا أن قدم زايونك نظريته عن التيسير الاجتماعي كالاتي :ـ

أ ـ إن تأثير حضور الاخرين يزيد من مستوى الاستثارة .

ب ـ كلما كانت الاستثارة كبيرة زاد احتمال تحديد الاستجابة المتغلبة وإذا كانت الاستجابة المتغلبة متقنة(كما في المهمات المتعلمة جيداً) فإن حضور الاخرين ييسرحدوثها ، اما اذا كانت الاستجابة المتغلبة غير متقنة (غير متعلمة جيداً) فان حضور الاخرين يعرقل حدوثها (حل المسائل الرياضية الصعبة أو تذكر مقاطع عديمة المعنى) (٣٦) .

جـ ـ دراسة زايونك وسيلس التجريبية :(٣٧)

قام زايونك وسيلس ١٩٦٦ (Zajonc & Sales) تحت عنوان أثر المشاركين للعمل في الأداء الفردي، بدراسة تجريبية تتألف من جزئيــن الأول يتم فيه اختبار مجموعة من الطلبة حول الأسلوب الذي يتعلمون فيـه كيفية تلفظ كلمات اجنبية ثم يتم تقديمها لهم مع صور فوتوغرافية لعشر كلمات مختلفة قيل للطلبة أنها أخذت من اللغة التركية ولكنها ليست سوى

مقاطع صماء ذات سبعة حروف، شكلت بصورة معينة لأغراض تجريبية مثلا (Zabulon, Lokunta, Civndra) وفي كل مرة تعرض الكلمة ويتم لفظها من قبل القائم بالتجربة أولا وبعدئذ من قبل الطلبة . إن التكرار الذي بموجبه يعاد عرض كل كلمة يتغير حسب إسلوب مرتب ومنظم ، اذ تعرض بعض الكلمات مرة واحدة فقط ، وبعضها تعرض مرتين وثالثة تعرض أربع مرات ، وهناك كلمات تعرض ثماني مرات وغيرها تعرض ست عشرة مرة .

اما الجزء الثاني من التجربة فيتعلق بالأدراك الناقص(*)(Subliminal Perception) ويوصف بأنه القابلية على الأدراك في مستوى شبه الوعي (Subconscious)

لقد أرتأى الباحثان تفسير هذا بأنه تحت هذه الظروف يظهر تخمين الطلبة للكلمات المعروضة عليهم تبعاً لمدى أعتيادهم أو تآلفهم عليها من خلال الجزء الأول من التجربة ، اذ أن حضور الأخرين يرفع من ميل الطلبة لأبداء الأستجابة اللفظية المتغلبة ولذلك فأن مدى ادراكهم للكلمات المتكررة سابقاً يرتفع حقاً بحضور الأخرين كما هو مبين في الجدول التالي :

(*) الا دراك الناقص : تأثير ضعيف بمثير ضعيف لم يتم ادراكه كما يجب .

الجدول رقم (٢)

يبين أثر حضور الأخرين في الأداء الفردي في تجربة زايونك وسيلس ١٩٦٦ .

	ظروف التجربة	
نوع الكلمة	في حالة حضور الأخرين	في حالة انفرادية
كلمات متغلبه	١١,٠٨	٩,٠
كلمات ثانوية	٢,٥	٣.٧
(غير متغلبه) (٣٨)		

إن النتائج التي تمخضت عن الدراسة آنفاً تؤكد إن متوسط عـدد الأستجابات المتغلبة والثانوية التي يطلقها الطلبة في حالة حضور الأخرين وحالة الأنفراد كانت كما هو متوقع في افتراض زايونك ، فأن الطلبة في حالة حضور الأخرين يبدون الأستجابات المتغلبة أكثر من الأستجابات الثانوية بخلاف مما هو في حالة اداء الطلبة بصورة انفرادية (٣٩) .

ان نظرية زايونك (٤٠) تعد تفسيراً مقبولا لظاهرة التيسير الأجتماعي اذ تتفـق وتعليق ساندر (٤١) Sander 1981

الذي أكد ان نظرية زايونك افلحت في تفسير بواعث التيسير الأجتماعي من خلال وجود المشاهدين او وجود المشاركين وتوافر هذا التيسير الأجتماعي عند الحيوانات كما هو عند البشر .

في الوقت الذي انتشرت فيه نظرية الأستثارة لزايونك Zajonic's Arousal theory كان عدد من التفسيرات البديلة قد طرح منها على سبيـل

المثال تفسير كوترل Cottrell, 1972 (٤٢)الأختلاف الرئيسي بين نظرة زايونك ونظرة كوتريل يتبين في تفسيرهما لمصدر الحافز، فهو في رأي زايونك فطري بينما هو عند كوتريل متعلم .

ان كوتريل في ١٩٦٨(٤٣) Cottrel I انتقد رأي زايونك اذ ان حضور الأخرين لمجرد الحضور فقط لم يعد كافياً لبيان أو تفسير تأثيرهم في اداء الفرد وبخاصة في السلوك المتنافس. ان كوتيل يفضل تفسير تأثير الحضور بالحافز المتعلم او الحافز الأجتماعي (الثانوي) .

اعتقد كوترل بأنه يجب ان يكون هناك تباين واختلاف فيما اذا كان حضور الأخرين ذا علاقة أو مرجعاً للاداء الفردي ام لا فاذا كانت نشاطات الفرد ذات علاقة مباشرة بكيفية تقويم الحضور لها فأن نشاطات الفرد وسلوكه سيكون ذا دلالة بتأثير الحضور .

يتضح تأثير الحضور في الفرد من خلال خبرة الفرد السابقة في المواقف التي يوجد فيها الأخرون وموقف الفرد العام تجاه المهمة التي يؤديها ،وكذلك استجابات الحضور تجاه نشاطات الفرد وادائه . ان هذه العوامل المتعلقة بحضور الأخرين كلها تساهم في ارتفاع مستوى الحافز او الأستعارة لدى الفرد وهذه بالتالي تفسر سلوكه (٤٤) .

لقد توصلت دراسات كوترل وسكراك وداك ورتيل ١٩٦٨ (٤٥) . الى ان هناك نوعاً من حضور الأخرين يعزز من نسبة ظهور الأستجابات المتغلبة ، أما الحضور المجرد او المحض فلا يؤدي الى رفع مستوى الأستثارة فبدلا من القول بأن الحضور المجرد يؤدي الى رفع مستوى الأستثارة يقترح كوترل (٤٦) ان الأدراك الضمني أو الكامن عند الفرد للاخرين يعني

تقويمهم لأدائه سيؤدي بالفرد الى توقع النتائج الإيجابية أو السلبية. وهذا التوقع للنتائج سيمثل مصدراً لحافز متعلم يكون ظاهره التيسير الأجتماعي (٤٧).

لقد أضفى كلنجر ١٩٦٩ Klinger على اقتراح كورتل تأكيداً ان امكانية التقويم التي يحملها الحضور لأداء الفرد تعد حالة ضرورية لتكوين ظاهرة التيسير الأجتماعي. وقد اقر تأكيد كورتل ان حضور الأخرين المجرد لم يكن مهماً بقدر امكانية الحضور في تمديم التغذية المرتدة الإيجابية أو السلبية (٤٨).

وقدم ساندوز ١٩٧٨(٤٩) Sanders تفسيراً أخر اذ استنتج من دراساته ان حضور الاخرين يصرف أو يحول الفرد عن أدائه بصورة جيدة ، وهذا مما يؤثر في عرقلة أدائه.

وطرحت شروحات وتفسيرات أخرى كثيرة خلال السبعينات والثمانينات، ففي عام ١٩٧٩ اقترح شو Shaw مصطلحاً جديداً يشرح التأثير السلبي لحضور الأخرين على الأداء الفردي ، أسماه بالكف الأجتماعي (Social Inhibition) (٥٠)

بهذا المصطلح يتضح ان ملامح تأثير حضور الأخرين ايجابياً أو سلبياً لها أهمية على السلوك الفردي (٥١).

الاستنتاج

إن المسلمات التي قدمتها وجهات النظر المتعددة قد تتفق على ان الحضور المجرد او المحض للاخرين او المشاركين في العمل يؤثر في السلوك، حيث ان دالة التقويم والتقدير عند الأخرين تؤثر في القائم بالأداء ويكون لهما وزن عنده. وبعبارة اخرى اذا كان القائم بالعمل يعتقد ان الأخرين قادرون على تقويمه وتقدير ادائه فأن حضورهم او مشاركتهم قد تؤدي ربما الى التيسير او الكف الأجتماعي (٥٢) كما هو مبين ادناه :

الجدول رقم (٣)

صيغة المهارة تتحدد فيها اذا كانت التأثيرات (موجبة أم سالبة) لنتائج عرضها على الحضور

التأثيرات الأيجابية			
عندما يكون الأداء امام الحضور		عندما تكون الأداء امام الحضور	
مهارت معقدة	مهارت بسيطة	مهارات معقدة	مهارات بسيطة
مع ممارسة وتعلم جيد لها	مع ممارسة جيدة لها	مع ممارسة وتعلم قليلة لها	مع اطلاع غير جيد عنها

(Cratty, 1973)

إن هذه الدراسة تحاول أن تجمع عدة دراسات سابقة تتضمن اطارا عملياً لهذه الظاهرة . وتحاول تقديم نماذج سابقة وتوحيدها ووضعها في مخطط شامل وجديد

أن الاخرين قد يعززون الأستجابة المتغلبة اذا كانت دقيقة ومضبوطة وهذا يسمى بالتيسير الأجتماعي، اما اذا كانت الأستجابة المتغلبة غير دقيقة أو غير مضبوطة فأن الأستجابة المتغلبة تعرقل التعلم اوالأداء، وهذا يسمى بالكف الاجتماعي وبعبارة أخرى. فأن تأثيرات الأخرين سواء أكانوا مشاهدين أو لمشاركين أما ان يحسن الأداء (التيسير الأجتماعي) أو ان يعرقل (الكف الأجتماعي) للسلوك الفردي (تعلم اواداء) .

لقد استنتجت هذه الدراسة ان هذه الظاهرة هي ليست تهيؤاً اجتماعياً فقط لكنها هي تيسير اجتماعي وكذلك كف اجتماعي .

المصادر والهوامش

1. A. C. Fisher, Psychology. of Sport. Calf: Meyfield Publishing Company. 1976 pp. 3–40.
2. S. Worchel & H. Cooper. Understanding Social Psychology. Ilinois: The Dorsey Press 1976 2nd ednM pp. 443–458.
3. M.E. Shaw, Group Dynamics, New Delhi: Tata McGraw–Hill Publishing Company Ltd, 1979 2nd edn. pp. 52–55.
4. E.P. Hollander Principles and Methods of social Psychology,N.Y. Oxford University Press, 1981. 4th edn. pp. 58–60.
5. D.J. Schneider, Social Psychology, Boston: Addisson- Wesley, 1976. pp. 316–319.
6. Shaw, op. cit.
7. Ibid.
8. Schneider, Op. Cit.
9. Such as suction theory,Sheltes theory,encouragement theory, brain worry theory, & autonomic. theory. (Shaw, op. cit. pp. 52–53)
10. Shaw, op. cit.
11. Allport (1920, 1924) see G.W. Allport 'The historical background of modern social Psychology". in G. Liedzey & E. Aronson (eds) Handbook of Social Psychology, Mass:Addisson–Wesley. Vol. I. P. 75, & C.N. Cofer&M.H Appley, Motivation, Theory&Research N.Y.: Wiley, P. 776.
12. Shaw, Op. Cit.
13. Allport (1968), op. cit, pp. 1–65.
14. See Cofer & Hppley, Op. Cit.
15. R. Fazio. Lectures in Social Psychology. Bloominyton, Indiana. Indiana University 1979.
16. Hollander, Op. Cit.
17. CRM. Social Psychology. Explorations in Understanding California: CRM Books, Ziff–David Publishing Company, 1974.
18. Schneider, Op. Cit.
19. CRM, op. cit.
20. R.B. Zajonc, "Social facilitation " in L.P. Mc. Govera et al. (ed)., Readings in Social Psychology, Guilford, Conn: The Dushkin Publishing Group Inc, 1965, pp. 173–176.

21. R.B. Zajonc, Social Psychology: An Experimental Approach Calafornia: Belamont: wads-worth Publishing Company Inc., 1966. pp. 1-20; CRM, op. cit.; R.A. Baron etal., Social Psychalogy: Understanding Human Interaction, Bostin, Mans: Allyn & Bacon Inc., 1979 pp. 415-418.
22. See Schneider, Op. Cit., P. 317; Zajonc., 1966, op. Cit; PP. 16-18.
23. Zajonc, 1966, Op. Cit.
24. Psychologist in reunt years have tended to drop the concept of drive & other concepts which indicate motivation. Those who Larous biological explanations of behavior are now inclined to talk inst ead about general aroused or activation (Schneider, Op. Cit).
25. H.H. Kelly & J.W. Thaibout, "Group Problem Solving". in G. Lindzey & E. Aronson (eds), op. cit, Vol. IV. PP. 3-4.
26. Zajonc, 1965, Op. Cit; CRM. Op. Cit.
27. Worchel & Cooper, Op. Cit.
28. Shaw, Op. Cit.
29. Fisher, Op. Cit.
30. Zajonc, 1965, Op. Cit.
31. D. Shupiro of &. Grider; "Psychothy siological approaches in social Psychology" in G. Lindzay & E. Aronson (eds) Op. Cit., Vol. III. PP. 1-49.
32. All cited in Zajonc, 1966, Op. Cit.
33. Shaw, Op. Cit.
34. Hollander, Op. Cit.
35. B.L. Kints & J.L Bruning (eds) Research in Psychology, Illinois: Scott, Foresmam and Company, 1970, p. 478
36. Fazio, Op Cit
37. Zajonc. & Sales (1966): see Baron etal., Op. Cit., P. 408. Worchel & Cooper, Op. Cit. P. 444; Kelley & Thaibaut Op. Cit., P.5.
38. Ibid
39. Baron et al., Op. Cit.
40. Zajonc., 1965, Op. Cit.
41. G.S. Sanders "Driven by distraction: an integrative review of Social Facilitation theory & research" Journal of Experimental Social Psychology, 17, 1981, PP. 227-251.

42. See Baron et al., Op. Cit., PP. 419-20.

43. Cottrell (1968): see Schneider, Op. Cit., P. 319; Baron et al., Op. Cit., PP. 419-420.

44. R. B. Alderman, Psychology Behavior in Sport, phil: W. B. Saunders, 1974, PP. 81-82.

45. Cottrell, Sekcrak, Wackance., Rittle, (1968): See Fisher, Op. Cit.

46. Cottrell (1968): see Schneider, Op. Cit., P. 319; Baron et al., Op. Cit., PP. 419-420.

47. Klinger (1969) see Fisher, Op. Cit., PP. 24-26.

48. See Fisher, Op. Cit.

49. Sanders (1970) see Saunders, 1964 Op. Cit



دور الخدمة الاجتماعية فى معالجة مشكلة التسول

(دراسة ميدانية لظاهرة التسول في مدينة الموصل)

د : حميد كردي الفلاحي
رئيس قسم الخدمة الاجتماعية
كلية الآداب / جامعة الموصل

المبحث الاول / الاطار المنهجي للبحث

اولا : مشكلة البحث :ـ

تعد ظاهرة التسول واحدة من الظواهر الاجتماعية المرتبطة التي عرفتها المجتمعات البشرية منذ عصورها الاولى وإلى وقتنا الحاضر .

ومن المعلوم ان الخبرة البشرية التي تتضمن تقديم انواع من المساعدات والاعانات للمحتاجين من فقراء وأيتام وغيرهم هي خبرة تمد في اعماق التاريخ الانساني وتعكس قيماً دينية واخلاقية توثقها الصلات القرابية لجماعات الصغيرة المتجانسة ذات العلاقات الاولية .

وفي المجتمع العربي الاسلامي تشكل مبادىء الدين الاسلامي قاعدة للتكامل الاجتماعي بين الافراد والجماعات (١)

فقد حث الدين الاسلامي الحنيف على رعاية اليتامى والسائلين والمرضى ولعبت اموال الزكاة دوراً ايجابياً في تعميق تلك القيم. فضلا عن ان التضامن

الاجتماعي للوحدات القرابية المستندة إلى نسب مشترك (الاسرة الكبيرة ، الفخذ ، القبيلة ، العشيرة) لعبت دوراً مهماً في مواجهة الكثير من المشكلات التي اصبحت اليوم واسعة الانتشار ، اذ ان حالات اليتم والفقر والشيخوخة كانت تواجه عن طريق الالتزامات التي تفرضها تلك العلاقات (١) .

ولم تكن ظاهرة التسول بعيدة عن انظار المعنيين في العراق . فقد أولت الدولة اهتمامها لمعالجة ظاهرة التسول باعتبارها من الظواهر السلبية التي لاتنسجم مع التطور الحضاري الذي يشهده العراق وذلك بتوفير العمل لكل من هو قادر عليه والقضاء على البطالة وفتح دور لايواء المتشردين من الاحداث والشيوخ .

ويعد قانون الرعاية الاجتماعية رقم (١٢٦) لسنة ١٩٨٠ واحداً من المنجزات التي تحققت في هذا المجال .

حيث جاء في المادة (٣) من القانون المذكور (العمل حق تكفل الدولة توفيره لكل مواطن) .وهو واجب على كل قادر عليه تستلزمه ضرورة المشاركة في بناء المجتمع وحمايته وتطويره وازدهاره ، وتهدف الدولة إلى تأمين الضمانات الاجتماعية للمواطنين كافة في حالة العجز والشيخوخة (٢). كذلك اكدت المادة الرابعة على دعم الدولة للاسر ذات الدخل الواطيء ومعدومة الدخل من خلال راتب رعاية الاسرة (٣) .

وفي ضوء ما تقدم يفترض زوال هذه الظاهرة او تقلصها حيث تم توفير فرص العمل ، اضافة إلى توفير الاطر المناسبة للضمان الاجتماعي لكل الفئات

---

(١) كريم محمد حمزة ، أوضاع مؤسسات الرعاية الاجتماعية ودورها في خدمة المجتمع العربي الخليجي . سلسلة الدراسات الاجتماعية العمالية (١) المنامة ، البحرين / ١٩٨٣ص

(٢) وزارة العدل ، قانون الرعاية الاجتماعية ، مطبعة وزارة العدل / بغداد ١٩٨٠ ص٤

(٣) المصدر نفسه ص ٤

غير القادرة على العمل ،الا ان النتائج المحتملة للحرب من حيث ظهور نسبة من المعوقين غير القادرين على العمل وكذلك الايتام فضلا عن اسر الشهداء والاسرى سيكون عاملا اضافياً لازدياد ظاهرة التسول واحتمال ديمومتها بما يفرض علينا البحث عن ابعادها وتحديد اسبابها ومحاولة ايجاد البدائل العلاجية لها لتتضافر الجهود في تجاوز السلبيات الناجمة عن الحرب استكمالا لجوانب النصر العراقي .

حيث لا يليق بشعب عظيم في صموده البطولي ان يقع بعض ابنائه فريسة للجوع والحاجة او الكسل والتطفل وهذا ما نشاهده يومياً حيث عشرات الاشخاص من النساء والشيوخ والاطفال يستوقفون الناس في الشوارع وقرب المراكز الدينية وكراجات السيارات متذرعين باعذار تثير عطف الناس وشفقتهم .

ان البعض من هؤلاء قادر على العمل والبعض الاخر مشمول براتب رعاية الاسرة ولكن على مايبدو اصبح التسول مهنة مربحة لبعض الافراد يكسبون من خلالها دخلا بدون جهد او عمل يقدمونه . ان معرفة العوامل التي تقف وراء هذه الظاهرة ووضع الحلول لها يستلزم منا تحديد خصائصها والتعرف على الاسباب والعوامل المحلية المؤدية لها تمهيداً لمعالجتها وتقليصها إلى الحد الادنى الممكن .

ثانياً : اهمية البحث واهدافه :—

مما لا شك فيه ان لهذا البحث اهمية كبيرة لكونه يعالج مشكلة اجتماعية لم تتناولها الدراسات الاجتماعية من قبل بالفحص والتحليل على مستوى مدينة الموصل اما اهداف البحث فيمكن تلخيصها بالنقاط الاتية : —

١ – تشخيص الاسباب والعوامل الدافعة إلى ممارسة مهنة التسول

٢ – التعرف على الخصائص الديمغرافية والاجتماعية والصحية والمهنية للاشخاص المكونين لهذه الظاهرة

٣ – التعرف على مدى استعداد المتسولين للاستفادة من خدمات الرعاية الاجتماعية واستعداد القادرين منهم على العمل وفق قدراتهم البدنية .

٤ – التوصل إلى بعض المقترحات للحد من هذه الظاهرة .

ثالثاً : – منهج البحث وادواته :

من المعلوم ان طبيعة الاهداف المحددة لاية دراسة هي التى تتحكم في تحديد نوع المنهج الذى يتوجب استخدامه لاجرائها وباعتقادنا ان منهج المسح الاجتماعي (المنهج الوصفي) هو انسب المناهج لتحقيق الاهداف المنشودة (٤) وبغية الحصول على المعلومات الميدانية المطلوبة تم تقسيم استمارة استبيانية في ضوء الاهداف المرسومة وتضمنت استمارة الاستبيان (٢٣) سؤالا تهدف إلى معرفة الخصائص الديمغرافية والاجتماعية للمتسولين فضلا عن معرفة اسباب ودوافع التسول والاجراءات المتخذة من قبل الجهات المعنية بشأن المتسولين .

وقد استعان البحث بالمقابلة والملاحظة المباشرة وغير المباشرة للحصول على المعلومات المطلوبة .

---

(٤) ليهتم هذا المنهج الذي وصف الظواهر الاجتماعية بدلالة الصفات الحية للمجتمع ولمعرفة الأماكن والمواقع ببعض الصفات السكانية والأجتماعية والأقتصادية
انظر د. معن خليل . الموضوعية والتحليل في البحث الأجتماعي
— بيروت ١٩٨٣ ص ٢٨٠–١٥٥

رابعاً : عينة البحث :

من المعروف لدى الجميع وجود صعوبات عديدة امام الباحثين عند دراستهم لمثل هذه المواضيع وتأتي في مقدمة ذلك صعوبة حصر حجم مجتمع البحث بسبب عدم توفر الاحصاءات من المتسولين

وبغية اعطاء فرصة متكافئة لكل مفردة للظهور في العينة قمنا باختيار عينة بالطريقة العرضية غير الاحتمالية وقد تم توزيع (١١٠) استمارة اعيدت منها (٨٠) استمارة فقط

ومع قناعتنا بصغر حجم العينة الا انها تعد صالحة لتحقيق اهداف دراستنا الاستطلاعية عن ظاهرة التسول بغية معرفة اسبابها وتقديم بعض المقترحات لمعالجتها . ولابد من الاشارة إلى اننا قد استعنا بقسم البحث الاجتماعي بدائرة الرعاية الاجتماعية بمدينة الموصل حيث يتم استلام المتسولين الذين يلقى القبض عليهم من قبل الشرطة لدراسة حالتهم واتخاذ ما يلزم بخصوص منح راتب رعاية الاسرة او الايداع في دور الدولة لرعاية العجزة والاحداث المتشردين وغيرهم . وقد اطلعنا على الاضبارة الخاصة بكل متسول ومعرفة مهنته ودخله وعدد افراد اسرته والاسباب الدافعة للتسول .

كما تم تكليف بعض طلبة المرحلة الثالثة في قسم الخدمة الاجتماعية بمقابلة المتسولين في المناطق المراقد الدينيه والاسواق وكراجات السيارات . فضلا عن المتسولين في المناطق السكنيه

خامساً : مجالات البحث :

١ - المجال البشري / يتحدد المجال البشرى للبحث بمجموعة المتسولين الذين اتخذوا من التسول مهنة لهم .

٢ – المجال الجغرافي تم تحديده بمدينة الموصل فقط .

٣ – المجال الزمني : تحدد بالفترة من ١٩٨٩/٣/١ إلى ١٩٨٩/٧/١ .

سادساً : تحديد مفهوم التسول : –

التسول هو طلب الاحسان من الغير والحصول على المال بدون بذل جهد او عمل (٥) اما مفهوم المتسول لاغراض هذا البحث فهو : –

«كل شخص ذكر ام انثى حاول الحصول على منفعة مادية من الناس دون مقابل سواء كان في الطريق العام او في المجال والاماكن العمومية او يقوم بعمل من الاعمال التي تتخذ ستاراً للتسول» (٦) .

المبحث الثاني ٪ الخصائص الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية للمبحوثين :

اولا : جنس المبحوثين

من خلال رصدنا لظاهرة التسول في منطقة الدراسة لم نجدها تقتصر على جنس واحد فقط وانما شملت الذكور والاناث معاً ، ولهذا كانت عينة البحث ممثلة لكلا الجنسين ، وقد بلغت نسبة الذكور في العينة (٦٤ ٪) مقابل (٣٦ ٪) للاناث .

ثانياً : اعمار المبحوثين

لقد عمدنا على ان تكون عينة البحث ممثلة لاعمار المتسولين ولم نحددها ضمن فئة عمرية معينة ، وذلك لان المتسولين ينتمون إلى فئات عمرية مختلفة ومن بيانات الجدول (١) يتضح ما يأتي : –

(٥) – محمد كامل بطريق، محمد نجيب توفيق . مجالات الرعاية الاجتماعية وتنظيماتها . مكتبة القاهرة الحديثة ط١ القاهرة ١٩٧٠ ص١٩٧

(٦) المصدر نفسه ص١٩٧ – ٢٠٠ .

الجدول (١) العلاقة بين جنس المبحوثين وعمرهم

الجنس / العمر	اقل من ١٨ سنة	١٨ ـــ ٥٩ سنة	٦٠ فما فوق	المجموع
ذكـــور	١٤	٢٢	١٥	٥١
انـــاث	٥	١٩	٥	٢٩
المجمـــوع	١٩	٤١	٢٠	٨٠

١ ـــ نصف المتسولين (ـــ ٥١٪) يقعون في سن العمل (١٨ ـــ ٥٩ سنة)

٢ ـــ يتوزع بقية المتسولين بين فئتي الصغار (اقل من ١٨ سنة) (٢٤٪) والشيوخ (٦٠ فما فوق) (٢٥٪) وهذا يعني ان هناك متسولين من كل الفئات العمرية ، اي ان العمر قد لايكون عاملا مؤشراً في التوجه إلى التسول خاصة بوصفه عاملا غير مباشر في علاقته بسن العمل حيث يمكن التوقع بأن التسول يكون اكثر انتشاراً بين الصبيان والشيوخ الذين لا تتوفر لهم فرص عمل .

٣ ـــ هناك نسبة عالية من الاناث في العينة (٣٦٪) حيث يفترض على اساس القيم والعادات الاجتماعية ان تكون النساء إقل توجهاً للتسول .

٤ ـــ اما توزيع المتسولين حسب الفئات العمرية من حيث الجنس فنجد ان نسبة الاناث اقل ما تكون في الفئتين العمريتين (١٨ سنة) والشيوخ (٦٠ فما فوق) فيما ترتفع نسبة الاناث إلى ما يقارب النصف (٤٦٪) في الفئة العميرية (١٨ ـــ ٥٩ سنة) وهي الفئة النشطة اقتصادياً وهذا يتفق مع حقيقة كون النساء خارج سن العمل (الكبار والصغار) هم الاكثر توجهاً للتسول .

من كل ذلك يتضح بأن متغيري العمر والجنس قد يكونان عاملين متداخلين في التأثير على التوجه إلى التسول .

ثالثاً / المستوى التعليمي للمبحوثين :

يعد الجهل بمعانيه الاجتماعية عاملا من عوامل ضعف الوعي بالأدوار التي ينبغي للفرد ان يؤديها في اطار عملية التفاعل التي ينظمها المجتمع وفقاً لقيمه ومعاييره.. كما انه من جهة اخرى يمثل فرصاً ضئيلة لكسب العيش اذا اخذنا بالمضمون الاقتصادي للتعلم (٧) وانطلاقاً من ذلك فانه يتوقع ان تتسم النسبة العالية من ممارسي مهنة التسول بانخفاض المستوى التعليمي ومن خلال بيانات الجدول (٢) يتضح

جدول (٢) المستوى التعليمي للمبحوثين.

الحالة التعليمية	العدد	النسبة
امي لا ايقرأ ولا يكتب)	٦٣٠	٧٨/٧٥
يقرأ ويكتب	١١	١٣/٧٥
ابتدائية	٦	٧/٦٠
المجمـــوع	٨٠	٪ ١٠٠

ان الغالبية العظمى من المبحوثين (٧٨,٧٥) هم من الاميين ويوجد بين المتسولين (١٣,٧٥) يعرف القراءة والكتابة وهناك نسبه ضئيلة (٧,٦٠) لديهم قسط اولي من التعليم

من خلال ما تقدم نستنتج بأن الامية - هي متغير مهم يرسخ ظاهرة - التسول وقد اثبتت احدى الدراسات انتشار - الاميه بين الجانحين في المشردين والمجرمين بنسبة اعلى من انتشارها بين الاسوياء (٨)

(٧) د. حامد عمار. في اقتصاديات التعليم. مرس البحث - القاهرة.

(٨) د. مصباح الخيرو. كريم محمد حمزة. بحث ظاهرة التسول في مدينة بغداد ؛ المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية. وزارة العمل والشؤون الاجتماعية / بغداد ١٩٧٧ ص١٤ .

رابعاً : الحالة الصحية للمبحوثين :

يعد معرفة الحالة الصحية للمبحوثين مؤشراً مهماً يساعدنا في ~~هذا~~ البحث على فهم ظاهرة التسول ومن خلال النظر إلى بيانات الجدول (٣) يتضح الآتي : —

جدول (٣) الحالة الصحية للمبحوثين حسب العمر

العمر ٪ / الحالة الصحية	اقل من ١٨ سنة	١٨ – ٤٤ سنة	٤٥ فأكثر	المجموع
معوق	٣	١١	٦	٢٣
عاجز	—	—	١١	١٢
مصاب بمرض	٣	٨	٥	٢٦
سليم	٢٠	١٠	١٠	٣٠
المجموع	١٩	٢٩	٣٢	٨٠

٢ — كثر من ثلث افراد العينة (٣٧٪) يتمتعون بصحه جيده وتتوزع هذه النسبة بين الفئات العمرية المختلفة بنسب متساوية .

٢ — (٢٩٪) من المبحوثين يقعون ضمن فئة المعوقين وقد توزع نوع العوق بين : التخلف العقلي والشلل والبتر في احد الاطراف / وفاقدي البصر ويقع حوالي نصفهم في الفئة العمرية (١٨ — ٤٤ سنة) وهذا يتفق مع الافتراض بامكانية استغلال العوق (خاصة الجسدي) كعامل لاستدرار عطف الناس ويسهل التسول (يعطي مبرراً للمتسول) .

٣ — (١٤٪) يعانون من حالات العجز والشيخوخة وجميعهم ينتمون الى الفئة العمرية أكثر من (٦٠ سنة)

٤ – (٢٠٪) من المبحوثين صرحوا بانهم يعانون من امراض معينة تحول دون اشتغالهم .

مما تقدم نستنتج ان اغلب افراد العينة (٦٣٪) من المتسولين يعانون من وضع صحي غير طبيعي يقف وراء ممارستهم لمهنة التسول .

خامساً : المنطقة السكنية : –

تعد معرفة المنطقة السكنية والموطن الاصلي للمبحوثين مؤشراً لا يقل اهمية عن المتغيرات الاخرى . والمطلوب معرفته هنا هو هل ان المتسولين يسكنون مدينة الموصل ؟ ام أنهم من خارج المدينة ؟ واذا كانوا لا يسكنون في مدينة الموصل ، فما هو موطنهم الاصلي ؟

لقد اكدت كثير من الدراسات على ان السلوك المنحرف يرتبط بدرجة ما بانتقال الافراد والجماعات من مناطقهم الاصلية ذات الدرجات الواطئة التحضر إلى المناطق الاكثر حضرية مما يؤدي هذا إلى تعرضهم إلى مشكلات سوء التكيف للبيئات الجديدة التي هاجروا اليها نظراً لحركة التبدل السريع في بنية المجتمع (٩) .

الجدول (٤) المنطقة السكنية لعينة البحث واسباب المجيء إلى مدينة الموصل

المنطقة السكنية	العدد	النسبة	اسباب المجيء إلى مدينة الموصل	العدد	النسبة
داخل مدينة الموصل	٢١	٢٦	البحث عن عمل	١٩	٣٢
خارج مدينة الموصل	٥٩	٧٤	التسول	٤٠	٦٨
المجموع	٨٠	١٠٠٪	المجموع	٥٩	١٠٠٪

(٩) د. محمد الجواهري. د. علياء شكري. علم الاجتماع الريفي والحضري. دار المعارف ط ١ القاهرة ١٩٨٠– ص ٤٣٨ –٤٤٤.

تشير بيانات الجدول (٤) إلى ان غالبية افراد العينة من المتسولين (٧٤٪) هم من خارج مدينة الموصل . وقد حاولنا معرفة اسباب المجيء إلى مدينة الموصل .

فظهر ان (٦٨٪) من المبحوثين كان سبب مجيئهم إلى مدينة الموصل هو التسول بينما اكدت النسبة الباقية (٣٢٪) على ان سبب مجيئهم هو البحث عن عمل .

ومن خلال مقابلتنا لعدد من المتسولين والاطلاع على محاضر الشرطة وملفات الرعاية الاجتماعية اتضح لنا ان النسبة العالية من المتسولين الذين تم القاء القبض عليهم من قبل اجهزة الشرطة هم فعلا من خارج مدينة الموصل (عقرة ، سنجار ، تلعفر وغيرها) وهناك حالة اخرى تم الاطلاع عليها حيث القت شرطة كركوك القبض على ثلاث متسولات في مدينة كركوك وبعد التحقيق اتضح انهن من سكنة مدينة الموصل ويذهبن بشكل مستمر إلى كركوك لغرض التسول .

ولغرض تعميق البحث سنتطرق إلى الحالات الآتية كما عثرنا عليها في الملفات الخاصة (*) .

١ — الحالة الاولى :—

الجنس / ذكر

العمر / ٦٣ سنة

الحالة الاجتماعية / متزوج وله (٥) اولاد

الحالة الصحية : جيدة

العنوان / بغداد الجديدة

(*) تعمدنا عدم ذكر الاسم لاسباب خاصة .

الجنسية / عراقي
الدين / مسلم
الحالة العلمية / يقرأ ويكتب

فكرة عن المتسول متزوج وله اولاد يستطيعون اعالته الا انه اعتاد التسول مما يحدو به إلى السفر من مدينة بغداد إلى الموصل لكي يمارس هذه المهنة وقد تم القاء القبض عليه من قبل مركز شرطة باب الشط وبعد التحقيق اتضح ان دينه الاساس هو المسيحية الا انه طلب ان يدين بالدين الاسلامي لغرض الطلاق من زوجته وقد حصل ذلك فعلا ان المسن يملك قوة عقلية وجسدية تساعده على الحياة بصورة كريمة وقد حضرت زوجته بعد سماع نبأ القاء القبض عليه من قبل الشرطة واصطحبته معها بعد اعطاء تعهد بعدم ممارسته التسول مرة ثانية

الحالة (٢)

الجنس / انثى
العمر لها ٣٣ سنة
المنطقة السكنية / الاصلاح الزراعي / موصل
الحالة الاجتماعية / متزوجة ، زوجها على قيد الحياة ويعمل في القطاع الخاص
الحالة التعليمية / تقرأ وتكتب
الحالة الصحية / جيدة

الحالة (٣)

الجنس / انثى
العمر / ١٦ سنة

المنطقة السكنية / حي الكرامة / موصل

الحالة الاجتماعية / متزوجة ، زوجها على قيد الحياة

الحالة التعليمية / امية

الحالة الصحية / جيدة

الحالة (٤)

الجنس / انثى

العمر / ٣٢ سنة

المنطقة السكنية / الاصلاح الزراعي / موصل

الحالة الاجتماعية / متزوجة ، زوجها على قيد الحياة

الحالة التعليمية / امية

الحالة الصحية / جيدة

ملاحظة / بالنسبة إلى المتسولات في الحالات ٢ ، ٣ ، ٤ فقد تم القاء القبض عليهن من قبل شرطة قضاء الحويجة / محافظة التأميم وقد اتضح بعد التحقيق انهن من سكنة مدينة الموصل وسبب مجيئهن إلى المدينة هو لممارسة التسول (•) ويمكن القول بأن المتسول يفضل عادة التسول خارج منطقته السكنية وذلك لضمان عدم التعرف عليه حيث تنهى القيم الاجتماعية عن التسول عادة .

سادساً / الحالة الاجتماعية :

من خلال بيانات الجدول (٥) يتضح أن اكثر المتسولين هم من العزاب (٤٣٪) تليهم نسبة عالية من المتزوجين (٣١٪) فيما تقارب نسبة المطلقين والارامل (٢٦٪) من العينة .

(••) من الجدير بالذكر وجود بعض المتسولات من الاناث يتخذن من التسول كغطاء لممارسة تصرفات اخرى كالبغاء مثلا .

الجدول (٥) الحالة الاجتماعية للمبحوثين وعدد الافراد المكلفين باعالتهم

الحالة الاجتماعية / عدد افراد الاسرة	اعزب	متزوج	مطلق وارمل	المجموع
لايوجد	٢٢	١	٤	٢٧
١ ـ ٣ فرد	٩	٨	٣	٢٠
٤ ـ ٦	٣	٧	٨	١٨
٦ فأكثر	ـ	٩	٦	١٥
المجموع	٣٤	٢٥	٢١	٨٠

وبخصوص عدد الافراد المكلف باعالتهم من قبل افراد العينة فقد تؤشر لنا بيانات الجدول اعلاه ما يأتي :

ـ اكثر من نصف افراد العينة (٦٦٪) صرحوا بانهم مكلفون باعالة عدد من الافراد . حيث ان ربع افراد العينة تعيل ما بين (١ ـ ٣) فرد . (٢٢٪) مكلف باعالة ما بين (٤ ـ ٦) فرد . وتوجد نسبة (١٩٪) مكلفين باعالة اكثر من (٦) افراد وهي نسبة لا يمكن الاستهانة بها . اما الذين لم يكن لديهم من يعيلونه فقد بلغت نسبتهم (٣٤٪) من العينة .

سابعاً : الحالة الاقتصادية :

نهدف من خلال هذه الفقرة إلى معرفة الوضع الاقتصادي لافراد عينة البحث من حيث تحديد المهنة والدخل الشهري ومدى كفايته في سد تكاليف المعيشة .

آ ـ المهن السابقة : ـ

حاول البحث معرفة المهن السابقة للمتسولين لمعرفة علاقتها بظاهرة التسول في الوقت الحاضر .

جدول (٦) التوزيع المهني للمتسولين

المهن السابقة	العدد	٪
حمال	٥	٧٪
عاطل	١١	١٤٪
ربة بيت	١١	١٤٪
صباغ احذية	١	١ ٪
عامل	٤	٥ ٪
بائع متجول	٢	٢٪
فلاح	١	١ ٪
غير مبين	٤٥	٥٦٪
المجموع	٨٠	١٠٠٪

ولعل النظر إلى الجدول (٦) الذي يوضح التوزيع المهني للمتسولين يبين ان اكثر من نصف افراد العينة(٥٦٪)لم يصرحوا بمهنهم السابقة لاعتبارات اجتماعية واقتصادية . وبخصوص النسبة الباقية من افراد العينة فقد استطعنا من خلال مساعدة دائرة الرعاية الاجتماعية في منطقة الدراسة ان نتعرف على مهنهم السابقة بشكل دقيق ونظرة متفحصة لهذه المهنة الموضحة في الجدول المذكور تقودنا إلى أن نستنتج الاتي .

١ - اكثر من ربع افراد العينة (٢٨٪) ليس لديهم مهن تضمن لهم مورداً ثابتاً (عاطل - ربة بيت) .

٢ - تتميز مهن بقية افراد العينة بانها مهن بسيطة لا تؤمن دخلا ثابتاً وهي لا تتطلب خبرة مهنية او فنية .

٣ - انها في طبيعة ادائها اقرب إلى التسول منها إلى المهنة بالمعنى الدقيق مثال على ذلك مهنة صبغ الاحذية ، حمال ، او بيع سكاير . . . . الخ

ب - الدخل الشهري : -

من المعروف لدى الجميع ان الهدف الاساس من ممارسة التسول هو هدف اقتصادي بالدرجة الاولى . ان معرفة الدخل الشهري للمتسولين ليس يسيراً لان المتسول يهرب من اعطاء صورة حقيقية عن دخله . ومن المعروف ايضاً ان الدخل الذي يحصل عليه المتسول من جراء ممارسته لهذه المهنة يختلف باختلاف المكان الذي يختاره للممارسة والوقت الذي تتم فيه الممارسة ، ومدى الشعور بالعطف الذي يمكن ان يثيره المتسول لدى الناس سواء من خلال العجز والشيخوخة والاصابة بعاهة معينة . ولو رجعنا إلى البيانات التي حصلنا عليها كما هي موضحة في الجدول رقم(٧) نجد ان اكثر من نصف افراد العينة (٥٢٪ لم يصرحوا بمقدار الدخل الشهري الذي يحصلون عليه .

اما فيما يخص النسبة الباقية التي صرحت بمقدار دخلها فهي تشير إلى ان (٣٩٪) من العينة ينحصر دخلها ما بين (٥٠ - ٩٩) ديناراً وان (٧٪) يحصلون على دخل (١٠٠) دينار فاكثر . وهناك نسبة (٢٪) يقل دخلها عن ٥٠ ديناراً شهرياً . وحول مدى كفاية الدخل في سد نفقات المعيشة فقد تبين كما هو مؤشر اعلاه ان غالبية المبحوثين (٩١٪) يؤكدون على عدم كفايته . وهناك

الجدول (٧) الدخل الشهري ومدى كفايته

كفاية الدخل الدخل (دينار)	كاف يوفر منه	يسد حاجته	لا يكفيه	المجموع
غير محدد (غير ثابت)	—	—	٤١	٤١
— ٥٠	—	—	٢	٢
٥٠ — ٩٩	١	—	٣٠	٣١
١٠٠ فاكثر	٣	٣	—	٦
المجمـوع	٤	٣	٧٣	٨٠

نسبة (٣٪) اكدت على انه تكفيه بشكل تام . وهناك (٥٪) في العينة اكدت كفاية الدخل .

ان الارقام المؤشرة في الجدول (٧) تؤشر لنا حالة هي قلة الدخل الشهري لعينة البحث بالاضافة إلى عدم كفايته وربما يكون هذا دافعاً قوياً لممارسة التسول . من جانب آخر فقد ذكرنا سابقاً ان السؤال عن الدخل لا يؤدي دائماً إلى اجابات دقيقة للاسباب الاتية (١٠) .

١ — ميل بعض المتسولين إلى عدم اعطاء بيانات حقيقية عن دخولهم وذلك من خلال تبريرهم لسلوكهم ذاته . بمعنى ان ميلهم إلى تخفيف كمية دخلهم يبرر ممارستهم للتسول .

٢ — عدم استطاعة المتسول تقديم ارقام مضبوطة عن دخله لان ما يحصل عليه يكون متذبذباً بين يوم واخر . غير ان ملاحظتنا الميدانية لواقع حال بعض المتسولين الذين تم القاء القبض عليهم من قبل الاجهزة الخاصة والذين

(١٠) د. مصباح الخيرو. كريم محمد حمزة . مصدر سابق ص ٢٣ .

تمت احالتهم إلى دوائر الرعاية الاجتماعية تؤكد ان بعض المتسولين لديهم راتب تقاعدي او مشمول براتب رعاية الاسرة ومنهم من لديه املاك يستطيع العيش بأمان من ريعها .

المبحث الثالث / ابعاد ظاهرة التسول في مدينة الموصل :

سنحاول في هذا المبحث القاء الضوء على ظاهرة التسول من حيث طبيعة الممارسة وخصائصها الجغرافية . ومن ثم سنتطرق إلى الاجراءات المتخذة من قبل الجهات الرسمية لمعالجة هذه الظاهرة .

اولا : انماط التسول : —

يوضح لنا الجدول (٨) انماط التسول من الوجهة الجغرافية حيث يتبين وجود ثلاثة انماط للتسول هي : التسول في مناطق ثابتة وهذا النمط مفضل من قبل نسبة قليلة لا تتجاوز (٥ ٪) .

الجدول (٨) انماط التسول جغرافياً والاماكن المفضلة للمتسول

انماط التسول	العدد	٪	الاماكن المفضلة للتسول	العدد	٪
ثابتة	٤	٥ ٪	المراقد الدينية	٢٩	٣٧ ٪
متعددة	٢٨	٣٥ ٪	كراج السيارات	٣	٤ ٪
التجوال	٤٨	٤٨ ٪	الاسواق	١٠	١٢ ٪
المجموع	٧٠	١٠٠ ٪	ليس لديه مكان مفضل	٣٨	٤٧ ٪
			المجموع	٨٠	١٠٠ ٪

من افراد العينة وتشمل المتسولين من كبار السن والمقعدين الذين لا يستطيعون التجوال . اما النمط الثاني من التسول في مناطق متعددة حيث ينتقل المتسولون من منطقة إلى اخرى . وقد بلغت نسبة هؤلاء في العينة (٣٥٪) من المبحوثين اما النمط الاخر فهو الذي يفضل ممارسوه عدم تخصيص منطقة او حي معين وانما يلجأون إلى التجول في المدينة (الاسواق . كراجات ، الاحياء السكنية) ونسبة ممارسي هذا النمط عالية جداً حيث يصل إلى اكثر من نصف افراد العينة (٦٠٪) وبهدف تحديد المكان المفضل للتسول وجهنا السؤال الاتي : —

ما هي الاماكن المفضلة للتسول ؟ وكانت اجابات المبحوثين كما هي موضحة في الجدول (٨) تشير إلى ان ما يقارب نصف افراد العينة (٤٧٪) ليس لديهم مكان محدد لممارسة التسول وانما يلجأون إلى التجوال بين المناطق والاحياء المختلفة . وقد تكون ممارسة التسول في منطقة واحدة ودائمية غير مرغوبة من قبل بعض المتسولين لان ذلك يعرضهم إلى الكشف من قبل جهاز الشرطة المسؤول الوحيد عن مكافحة هذه الظاهرة .

اما الفئة الاخرى من المتسولين (٣٧٪) فهي تفضل ارتياد الاماكن الدينية النبي يونس ، النبي شيت ، وغيرها) . وفي رأينا يعود هذا إلى الاسباب الاتية (١١) .

١ — الازدحام الشديد الذي تشهده هذه المراقد وخصوصاً في بعض الايام والمواسم .

٢ — امكانية استثمار العاطفة الدينية لدى هؤلاء الناس من قبل المتسولين وتفيد الملاحظة الميدانية ان وجودهم قرب المراقد الدينية يأخذ من جانب المتسولين صيغة الوجود الجماعي ، حيث يجلسون متجاورين قرب الابواب

(١١) د. مصباح الخيرو. كريم حمزة. مصدر سابق ص ٣٢ — ٣٣ .

الرئيسية . بينما يظهرون بصورة متفرقة في الشوارع والاماكن الاخرى

٣ — بعض جوانب الطقوس الدينية في المراقد المقدسة تتضمن تقديم مساعدات مادية للفقراء من الناس . الامر الذي يشجع المتسولون على التجمع في هذه المراقد وبالقرب منها .

وبخصوص الفئة الثالثة من المتسولين (١٣٪) فقد حددت كراجات السيارات والاسواق كأماكن مفضلة لها . وتفيد الملاحظة الميدانية ان بعض المتسولين في كراجات السيارات (كراج بغداد، كراج الشمال) يقومون ببيع بعض الكارتات الصغيرة وهي تحمل آيات قرآنية حيث لاحظنا بعض الاحداث يصعدون إلى الحافلة قبل انطلاقها ويوزعون تلك الكارتات على جميع الركاب بدون استثناء وبعد ذلك يستحصلون ثمنها بما لا يقل عن ربع او نصف دينار وبهذا الطريق يمارسون التسول باسلوب اخر . ومن الطبيعي ان ثمن هذه البطاقة لايتجاوز الدرهم او مئة فلس

ثانياً / الاجراءات المتبعة لمكافحة ظاهرة التسول :

تعد ظاهرة التسول من الظواهر المدانة في المجتمع والتي لا تنسجم مع التطور الحضاري للقطر . ولم تعد تلك الظاهرة مخفية عن انظار المعنيين ، فالثورة في العراق وفرت العمل لكل من هو قادر عليه ورعت الاسر ذوات الدخل الواطىء ومعدومة الدخل فضلا عن توفير الضمانات الاجتماعية للمواطنين في حالة العجز والشيخوخة . كل هذا جاء من خلال تشريع قانون الرعاية الاجتماعية رقم (١٢٦) لسنة (١٩٨٠) .

ان الاجراءات المتبعة حالياً لمكافحة هذه الظاهرة تتمثل بالتعاون الموجود بين مراكز الشرطة في كل محافظة ودوائر الرعاية الاجتماعية للقيام بالاتي : —

١ ـ احالة العاجزين من المتسولين إلى دور رعاية المسنين شرط توفر الشروط القانونية .

٢ ـ احالة من يستحق راتب رعاية الاسرة إلى لجان رعاية الاسرة المختصة في المحافظة لغرض اكمال الاجراءات القانونية لتخصيص راتب الرعاية .

٣ ـ احالة المتسولين الذين لا تتوفر فيهم الشروط القانونية للقبول في دور رعاية المسنين واستحقاق راتب رعاية الاسرة إلى القضاء لمحاكمتهم وفق احكام المادة (٣٩٠) من قانون العقوبات المرقم (١١١) لسنة (١٩٦٩) .

٤ ـ احالة الاحداث المتشردين إلى محاكم الاحداث لمعالجة حالتهم طبقاً لاحكام قانون رعاية الاحداث المرقم (٧٦) لسنة (١٩٨٣) .

وقد حاولنا من خلال البحث ان نتعرف على طبيعة تلك الاجراءات المتخذة ازاء المتسولين ووجهنا السؤال الآتي إلى عينة البحث : ـ

هل تم القبض عليكم من قبل الجهات الرسمية ؟ وكانت الاجابات كما هي موضحة في الجدول (٩) واتضح الآتي : ـ

جدول (٩) حالات القبض على المتسولين والاجراءات المتخذة ازاءهم

القاء القبض	العدد	٪	الاجراءات المتخذة	العدد	٪
نعم	٣٧	٤٦ ٪	الايداع في دوائر الرعاية	١٦	٤٣ ٪
لا	٤٣	٥٤ ٪	منح راتب رعاية الاسرة	٣	٨ ٪
المجموع	٨٠	١٠٠ ٪	اعطاء التعهد بعدم التسول	١٨	٤٩ ٪
			المجموع	٣٧	١٠٠ ٪

– اكثر من نصف افراد العينة (٥٤٪) اجابوا بعدم حصول حالة القبض من قبل اجهزة الشرطة . وهذا يعني عدم كفاية الاجراءات الرسمية المتخذة لمكافحة ظاهرة التسول في منطقة الدراسة .

– (٤٦٪) اكدوا حصول حالة القبض عليهم من قبل الاجهزة المعنية وعن طبيعة الاجراءات التي اتخذت ازاءهم من قبل تلك الاجهزة فقد تمثلت بما يأتي : –

١ – ما يقارب النصف من هؤلاء (٤٩٪) اكدوا بانهم اعطوا تعهداً للاجهزة القضائية بعدم ممارسة التسول . وعلى الرغم من ذلك نجدهم يمارسون التسول وهذا يعني ان التسول اصبح مهنة ثابتة للبعض لانها مربحة ويحصل المتسول من خلالها على دخل كبير وبدون عمل مستغلا بذلك شفقة الناس وعطفهم .

٢ – (٤٣٪) من افراد العينة اشاروا إلى انهم اودعوا في دوائر الرعاية الاجتماعية وخصوصاً دار رعاية المسنين وهنا لابد من التساؤل عن سبب خروجهم من تلك الدور وقد ارجع البعض منهم ذلك إلى الاسباب الاتية : –

١ – عدم كفاية الخدمات المقدمة وخصوصاً ممن يعانون من بعض الامراض وخاصة الشلل .

٢ – البقاء في الدار لا يسمح لهم بالتسول .

٣ – اجواؤها غير مشجعة للبقاء .

وفي رأينا ان رفض هؤلاء البقاء في دور رعاية المسنين يعود إلى الاسباب الاتية (١٢) .

---

(١٢) د. حميد كردي الفلاحي . الاطار الاجتماعي للرعاية الاسرية في العراق/ مجلة التربية والعلم/ جامعة الموصل / العدد الثامن ، ايلول ١٩٨٩ ص ٢٤٣-٢٤٤ .

آ — عدم وجود فهم دقيق وواضح لدور المسنين في المجتمع من حيث اهدافها الايوائية والاجتماعية والصحية وقد يرجع سبب ذلك إلى قصور اجهزة الاعلام في التعريف بتلك الدور واهميتها والوسائل المتاحة فيها لرعاية كبار السن .

ب — نقص واضح في تقديم الخدمات الصحية من حيث عدم وجود خدمات طبية متكاملة في الدار تؤمن العلاج الطبي للنزلاء وتحدد الاحتياجات الغذائية لكل حالة من الحالات الموجودة .

جـ — ان من اهم اسباب نجاح تلك الدور هي فهم المشرفين والعاملين بها لفلسفة الشيخوخة والحاجات العاطفية لكبار السن وتحقيق ذلك يتطلب توفير القناعة بالعمل الذي يؤدونه فضلا عن ذلك يتطلب توفير الحوافز المادية والمعنوية للعاملين مع المسنين .

٣ — وبخصوص النسبة الباقية من المبحوثين (٨٪) ممن القي القبض عليهم ممن اكدوا بانهم احيلوا إلى لجان رعاية الاسرة ومنحوا راتب الرعاية . وهنا نجد هذه الفئة من المتسولين قد خرقت الشروط التي تم بموجبها منحهم راتب رعاية الاسرة حيث نصت المادة (٢٣) (ثانياً) من قانون الرعاية الاجتماعية على حرمان الشخص من راتب رعاية الاسرة اذا مارس التسول بقرار من المحكمة المختصة (١٣) .

(١٣) قانون الرعاية الاجتماعية. مصدر سابق ص ١٣—١٤ .

النتائج والمقترحات :ـ

اولا : نتائج البحث :

لقد عرضنا في المبحثين الثاني والثالث ابرز الخصائص الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية للمبحوثين فضلا عن تحديد ابعاد ظاهرة التسول في مدينة الموصل من حيث انماطها والاجراءات المتبعة لمكافحتها وفي محاولة لتحديد بعض الاسباب الدافعة للتسول تم تضميم جدول يوضح العلاقة بين بعض المتغيرات التي اختيرت في البحث وعلاقتها مع ظاهرة التسول .

المتغيرات	طبيعة العلاقة مع ظاهرة التسول
الجنس	الذكور اعلى تسولا من الاناث
العمر	لا توجد علاقة بين العمر والتسول
التعليم	الامية عامل مؤشر للتوجه إلى التسول
الصحة	تؤشر بعض الحالات المرضية والعجز والعوق في زيادة التوجه نحو التسول
منطقة السكن	تؤشر منطقة السكن يدفع التسول إلى خارجها
الحالة الاجتماعية	وجود علاقة بين الحالة الاجتماعية للمبحوثين وبين ظاهرة التسول (المتزوجون اكثر تسولا من العزاب)
حجم الاسرة	وجود علاقة موجبة بين التسول وحجم الاسرة (كلما زاد عدد افراد الاسرة زادت احتمالات التسول)
الحالة الاقتصادية	الحالة الاقتصادية عامل مهم في التوجه نحو التسول حيث ان قلة الدخل وعدم كفايته يشكلان دافعاً قوياً للتسول

المهنة	يمارس المتسولون مهناً بسيطة لا تؤمن لهم مورداً ثابتاً وكافياً
نمط التسول	يفضل المتسولون التجوال (الانتقال من مكان إلى اخر)
الاماكن المفضلة للتسول	لا يفضل المتسولون اختيار مكان محدد للتسول
الاجراءات المتبعة لمكافحة التسول	لم تحد الاجراءات الرسمية من ظاهرة التسول في منطقة الدراسة

وبذلك يمكن القول ان كل هذه العوامل يمكن ان تلعب دوراً مؤشراً في زيادة ظاهرة التسول .

ثانياً : المقترحات : —

أ — المقترحات الخاصة بالجانب العلاجي : —

١ — اعادة النظر في موضوع الرواتب والاجور لذوي الدخل المحدود وزيادتها وبما يتناسب ومستوى المعيشة في القطر .

٢ — مراقبة الاسعار وتحديدها وبما يناسب الدخل الفردي وعدم ترك القطاع الخاص يتصرف بها محققاً الارباح الكبيرة على حساب المواطنين .

٣ — الاهتمام بدور رعاية المسنين والعجزة وتلبية احتياجاتها بهدف تقديم افضل الخدمات إلى فئة المسنين الذين ليس لديهم من يعيلهم .

٤ — تأمين الرعاية اللاحقة لكافة المتسولين الذين يتم القاء القبض عليهم من قبل الاجهزة الرسمية بعد تشخيص اسباب التسول ودوافعه .

٥ — اعادة النظر في موضوع راتب رعاية الاسرة من حيث كفايته لسد نفقات المعيشة للاسر المشمولة بالرعاية وبما يتناسب وعدد الافراد المكلف باعالتهم .

٦ ـ الرعاية الكاملة للمعوقين من حيث العمل على تأهيلهم كلا حسب عوقه وايجاد فرص عمل مناسبة لهم .

ب ـ المقترحات الخاصة بالجانب الوقائي : ـ

١ ـ العمل على تحسين ظروف المجتمع الريفي وتنمية وتوفير فرص العمل لسكان الريف في المجالات غير الزراعية .

٢ ـ تنظيم حملات اعلامية من خلال وسائل الاعلام المختلفة لتبصير المواطنين بخطورة التسول والنتائج المترتبة عليه ودعوة الجميع للتعاون في مكافحة هذه الظاهرة .

٣ ـ العمل على انشاء صندوق اعانات الرعاية الاجتماعية على مستوى كل مدينة تتحدد اهدافه بما يأتي : ـ

أ ـ تقديم المساعدات للاسره والافراد الذين تكون مدخولاتهم دون الحد الادنى للمستوى المعاشي .

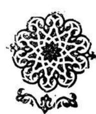
ب ـ تقديم اعانات مالية لدور الدولة لرعاية الايتام والعجزة والمشردين .

ويتم تمويل الصندوق من المصادر الاتية : ـ

١ ـ جزء من اموال الزكاة

٢ ـ التبرعات الفردية

٣ ـ حصة اسهام الدولة في الصندوق



بعض الاثار الاجتماعية لسد القادسية على مجتمع عنه
— دراسة ميدانية —

احمد حسن حسين
كلية الاداب
جامعة الموصل

صباح احمد النجار
كلية الاداب
جامعة الموصل

مقدمة البحث

التنمية والتخلف مفهومان متعارضان، تختلف النظريات والاراء في علة وجود كل منهما وكيفية التحول من مرحلة الى اخرى على الصعيد الوطني والأقليمي، وان التنمية تتجاوز كثيراً الأنجاز الأقتصادي الذي هو دفع دائم للمدخل القومي الى تغير اجتماعي يشمل مختلف النواحي الديمقراطية والأيديولوجية والسياسية والثقافية والتقنية والأنتاجية والأجتماعية (١).

بهذا المعنى، فالتقنية هي سيرورة معقدة لها علاقة بالجوانب السوسيولوجية والسيكولوجية والأقتصادية والسياسية والثقافية في مجتمع ما، وهي لذلك تخرج من كونها فعلا سياسياً محضاً الى فعل متعدد يمر بمراحل عديدة مترابطة من النمو الأقتصادي والأجتماعي للمجتمع .

ولما كان علم الأجتماع يدرس كيفية تكون التخلف انطلاقاً من المجتمع التقليدي وذلك بالتركيز على تزعزع القيم التقليدية والحاجات والنماذج المعيشية الجديدة فيه، فأنه يهدف الى دراسة تجارب ومحاولات الخروج

من التخلف الى مجتمع متماسك ومتركز ذاتياً بحيث ينمو الدخل ومستوى المعيشة بمكوناته «التغذية ، الصحة، التربية، السكن» نمواً مطرداً ومرتكزاً على الموارد والأمكانات المتوافرة .

ان نجاح عمليات التغير الأجتماعي تعتمد اساساً على درجة تقبل المجتمع للخروج عن المتوارث، وعلى طبيعة عملية التغير والعوامل المساهمة فيه وطبيعة اتجاهه ، وعلى منشأ عملية التغير من حيث كونه نابعاً من داخل المجتمع أو ناتجاً عن خارجه بفعل التكنولوجيا والضرورة الأقتصادية للمجتمع .

الا ان تغير قطاع معين أو مجتمع محلي ضمن المجتمع فأن المجتمعات الأنسانية هي من التنوع والخصوصية بحيث ان الخطة الواحدة لايمكن تقييمها الانسبياً مع الأخذ بنظر الأعتبار المستويات المجتمعية المختلفة ومدى التأثيرات الداخلية والخارجية على هذا المجتمع .

ويرتبط التغير الهادف بالتخطيط حيث يعد التخطيط الأقليمي ، من الأساليب الحديثة التي يمكن بوساطتها احداث توازن في تطور المناطق المتخلفة اقتصادياً واجتماعياً وعمرانياً إذا ما اتبعت اسس علمية ثابتة في ذلك .

ومن المواضيع التي تتطلب مساهمة المختص الأجتماعي مع الأختصاصات الاخرى في حقل التخطيط الاقليمي هي فيما يتعلق بالمشكلات التي تنجم عن انشاء مشاريع الري وما يترتب على ذلك من قرارات تخطيطية وخاصة اذا ما وجدت حالة اعادة اسكان اهالي المناطق المتضررة بهذه المشاريع أو حالة توطين سكان جدد في مشاريع زراعية جديدة .

ان مشكلة اعادة اسكان اهالي مناطق ذات نشاطات اقتصادية مختلفة تنشأ لبناء مشروع ضخم مثل بناء سد أو خزان وما يصحبه من إغمار أراضي

واسعة وهو ماحدث في العديد من بلدان العالم مثل مصر وسوريا ، حيث ان مثل هذه المشاريع تعد من المشاريع المهمة لأستخداماتها في مجالات الري ودرء اخطار الفيضانات وامكانية تحسين الملاحة في الأنهار وامكانية الأستفادة منه في توليد الطاقة الكهربائية أو في النواحي الأقتصادية كتربية الأسماك بما يوفر فرص عمل جديدة في المناطق التي تقوم فيها. على الرغم من هذه المزايا لمثل هذه المشاريع ، نجد انها لاتخلو من المشكلات التي تظهر لأنشائها ومنها اعادة اسكان اهالي مناطق الخزن نتيجة لتعرض القرى الزراعية والمدن والأراضي والنشاطات الأقتصادية الى الغرق .

وتلجأ الدولة الى مبدأ تعويض(*) السكان الذين ستجرى عملية اعادة الأسكان لهم حرصاً منها على ازالة الآثار السلبية للنواحي الأجتماعية ، والنفسية والأقتصادية لهم والملازمة لعملية الأنتقال من مكان الى آخر. ورغم ذلك تظهر بعد اعادة الأسكان مشكلات اجتماعية ونفسية واقتصادية حتى بعد ان قامت عملية اعادة الأسكان على اساس تفهم رغبات السكان أو أدت القاعدة الجديدة لهم نحو الأحسن، ذلك : أن رغبات السكان هي وليدة التعايش بين المجتمع والبيئة التي عاش فيها لفترة طويلة من الزمن ومارس عليها نشاطه الأقتصادي والأجتماعي، أي ان التوقع بحدوث عملية توافق اجتماعي ونفسي ضمن البيئة الجديدة يكون امراً مستبعداً مالم يتم وضع برنامج متكامل بمجمل الحياة الأجتماعية والأقتصادية للمنطقة بحيث يحقق الرفاهية للسكان (٢) .

(*) يتم التعويض عادة في العراق للسكان المتأثرين بمشاريع الري حسب قانون تنفيذ مشاريع الري رقم ١٣٨ لسنة ١٩٧١ المعدل بقانون رقم ١٨٤ لسنة ١٩٧٥ والذي يضع اسس التعويض النقدي للاراضي والمغروسات والممتلكات ويعطي ايضاً الخيار للتعويض العيني وذلك عن طريق استبدال الأراضي المتضررة بأراضي زراعية أخرى في المناطق المجاورة .

وسنتناول في بحثنا هذا إعادة اسكان اهالي قضاء عنه والقرى التابعة له، حيث تسبب بناء سد القادسية (سد حديثة) في غمر مساحات واسعة في المناطق الريفية وكذلك في المراكز الحضرية الواقعة ضمن مناطـــق الخزن (٣) .

يقع مشروع سد القادسية (سد حديثة)في محافظة الأنبار على بعد ٧ كم الى الغرب من مدينة «حديثة» وتمتد المنطقة التي ستغمر بمياه السد إلى مساحة (١٥٥) كم غرب السد. وسيكون اعلى منسوب للخزن في البحيرة (١٤٧) متراً، فوق مستوى سطح البحر، وتبلغ مساحة البحيرة (٣٧٠) كم٢ . ويهدف بناء سد القادسية الى تكوين خزان مائي للتنظيم والسيطرة على مياه نهر الفرات في الأراضي العراقية فضلا عن اهميته في توليد الطاقة الكهربائية وامكانية استثمار البحيرة للأغراض السياحية وصيد الأسماك .

وقد أدى المشروع الى اغراق مدينة (عنه) وجزء من مدينة (راوة) و(٥٧) قرية يبلغ معدل حجم القرية (١٧) أسرة حسب احصاء (١٩٧٧) وتقع هذه القرى على ضفتي النهر، وبلغ عدد سكان منطقة الخزن (١٩٧٥١) نسمة والذين تم اسكانهم في مناطق جديدة موزعون كالاتي (٤)

مركز قضاء عنه	٦٧٣٤	١٦١٧	٨٣٥١
ناحية راوة	٥١٣٣	٢٣١٩	٧٤٥٢
ناحية الحقلانية		١٥٠٠	١٥٠٠
ناحية بروانة		٢٤٤٨	٢٤٤٨
المجموع	١١٨٦٧	٧٨٦٤	١٩٧٥١

بلغ عدد الأسر في منطقة الخزان (٢٦١١) أسرة ، وفيما يتعلق بحالة السكن فقد تبين بأن ٩٩٪ من المساكن في المناطق الحضرية مبنية بالحجر والطابوق والبلوك اما في المناطق الريفية فتبين بأن ٤٥٪ من المساكن مبنية بالطين و ٤٠٪ بمواد دائمية و ١٥٪ هي بيوت شعر .

ومن دراسة التركيب الأجتماعي في منطقة الدراسة تبين بأن العلاقات العشائرية هي السائدة فضلاً عن وجود ظاهرة العائلة الممتدة .

وبلغ عدد الأسر في مركز قضاء عنه (٩٤٥) اسرة بمعدل حجم الأسرة (٧,١) فرداً، وفي المناطق الريفية التابعة لها (١٩٥) اسرة بمعدل حجم الأسرة (٨,٣) فرداً ، وبلغ مجموع الأسر (١١٤٠) اسرة بمعدل حجم الأسرة . (٧,٣) فرداً . (*)

ويهدف بحثنا هذا الى الوقوف على اهم المشكلات الأجتماعية التي برزت بعد إعادة إسكان أهالي عنه في وادي الريحانة لرغبات الأكثرية من السكان التي كانت المعيار النهائي في اختيار هذا البديل ضمن البدائل الأخرى ، ويبتعد وادي الريحانة عن موقع عنه الجديدة مسافة (٧) كم غرباً .

الفصل الاول

المبحث الاول : الاطار المنهجي للبحث

١ ـ مشكلة البحث ـ ان عملية اعادة الأسكان لمجتمع معين تبرز مشكلات كثيرة اجتماعية واقتصادية ونفسية تنتج نتيجة عدم التوافق للبيئة الجديدة .

ولكون هذه العملية متعددة الجوانب لذلك فأن بحثنا بصيغة شمولية يتطلب اختصاصات مختلفة كالأجتماع والأقتصاد والجغرافية وعلم النفس ، الا

(*) وزارة التخطيط ، احصاء السكان لعام ١٩٧٧ .

ان هذا لايعني عدم امكانية دراسة هذا الموضوع وفقاً للاختصاصات بصيغ منفردة وما بحثنا هذا الا محاولة رائدة في هذا المجال من زاوية علم الأجتماع لدراسة الأثار الأجتماعية لاعادة اسكان مجتمع عنه ، وقد وقفنا في بحثنا على طبيعة النظام العائلي قبل وبعد الأسكان ومن ثم طبيعة العلاقات الأجتماعية بين افراد الأسرة والأقرباء والجيرة قبل وبعد عملية أعادة الأسكان وأخيراً تطرقنا الى وقت الفراغ وكيفية قضائه .

٢ – الهدف من البحث : –

يهدف البحث الى الوقوف على اهم الأثار الأجتماعية لاعادة اسكان مجتمع عنه، بغية تشخيصها ومن ثم وضع المقترحات والتوصيات لمتخذي القرار لمعالجتها أو التقليل من اثارها السلبية .

٣ – اهمية البحث : –

يمثل موضوع البحث اضافة جادة للبحوث التي تناولت الموضوع وفقاً لأختصاصات اخرى حيث يعد من البحوث الأجتماعية الحديثة التي لم يتناولها الباحثون الأجتماعيون سابقاً فيما يخص بإعادة الأسكان في مجتمعنا فضلا عن انه بتشخيصه لتلك الاثار ووضع مقترحات لمعالجتها يكون قد ساهم في الحيلولة دون الوقوع فيها أو وضع تكرارها في عمليات أخرى تستوجبها عمليات التنمية في القطر العراقي .

٤ – عينة البحث : –

اعتمد الباحثان في تحديد حجم العينه الأحصائية على المعادلة الاتية . وعينة البحث المختارة عينة عشوائية بسيطة .

$$ن = \frac{د\ ع\ و^{2}}{س^{-2}\ د} \quad ....(٥)$$

نفترض ان الأنحراف المعياري لمجتمع البحث (١٣) ودرجة الدلالة ±٢ ومستوى الثقة = ١,٩٦

٢

لذا فحجم العينة يكون = ع س$^{-2}$ = ——— = (١)^{2}

د ١,٩٦

ن = $\frac{(١٣)^{2}}{(١)^{2}}$ = ١٦٩ حجم العينة المختارة

ولاغراض التحليل الأحصائي اضفنا ٦ وحدات الى حجم العينة فأصبح ١٧٥ وحدة .

٥ ـ مجالات البحث

ا ـ المجال المكاني: يقتصر هذا البحث في موضوعه على مجتمع قضاء عنه الجديد .

ب ـ المجال البشري:ـ يحدد بالأسر التي تقطن قضاء عنه الجديد سواء أكانت ريفية ام حضرية .

جـ ـ المجال الزمني:ـ امتد من ١٩٨٨/٧/١٥ ولغاية ١٩٨٩/٧/٤ لأجراء الدراسة الميدانية .

٦ ـ ادوات البحث :ـ

بعد الأطلاع على بعض الأدبيات المكتوبة عن الموضوع في اختصاصات علم النفس والجغرافية ، وبعض التقارير والدراسات الأولية لاعادة اسكان

اهالي اقليم اعالي الفرات . وبعد اجراء زيارة ميدانية للمنطقة (عنه الجديدة) ووقوفنا على بعض الآثار الاجتماعية التي تركتها عملية اعادة الأسكان . وبعد تسجيل الملاحظات وجمعها قمنا بتصميم استمارة استبيانية تضم مجموعة اسئلة تتناول الموضوع قبل اعادة الأسكان وبعده.

وبعد تصميم الأستمارة بصيغتها الأولية تم عرضها على مجموعة من الخبراء[٥] بغية معرفة مدى صلاحيتها لدراسة موضوع البحث وبعد اجراء بعض التعديلات وفقاً لأراء الخبراء تم تصميم الأستمارة بصيغتها النهائية لجمع البيانات .

٧ ــ الوسائل الاحصائية :ــ

تم استخدام الوسائل الاتية بغية الوقوف على الهدف من البحث .

١ ــ النسبة المئوية ٢ ــ الوسط الحسابي ٣ ــ اختبار مربع كاي

$$كا^{٢} = \frac{ن (أد - ب ح - \frac{١}{٢} ن)^{٢}}{م١ \times م٢ \times م٣ \times م٤} \quad .... (٦)$$

٨ ــ فرضيات البحث :ــ

تم وضع الفرضية الرئيسية للبحث والتي مفادها (ان اعادة اسكان مجتمع عنه تركت اثاراً اجتماعية سلبية على ساكنيها) معتمدين في ذلك على المعايير الاتية . الانشطار العائلي ، تغير العلاقات العائلية ، وعلاقات القرابة ،

---

٥ ١ ــ الدكتور صباح محمود الراوي مدرس كلية التربية ــ جامعة الموصل
٢ ــ السيد محمد ياسين وهيب مدرس كلية التربية ــ جامعة الموصل
٣ ــ السيد عبد الله مرقص مدرس كلية الأداب ــ جامعة الموصل
٤ ــ السيد زيد عبد الكريم مدرس كلية الأداب ــ جامعة الموصل

والعلاقات مع الجيرة .وبغية الوصول إلى اختبار هذه الفرضية وضعنا عدة فرضيات فرعية تناول كل منها احد المعايير التي اعتمدت في صياغة الفرضية الرئيسية للبحث وهي : —

١ — تؤدي اعادة الاسكان إلى الانشطار العائلي .
٢ — تتأثر العلاقات العائلية سلباً باعادة الاسكان .
٣ — تتأثر العلاقات القرابية سلباً باعادة الاسكان .
٤ — تتأثر العلاقات مع الجيرة سلباً باعادة الاسكان .

المبحث الثاني

بيانات اساسية عن مفردات العينة

١ — حجم الأسرة : —

تتأثر الظروف الاسرية بما في ذلك الوظائف الاسرية بنوعية حجم الاسرة التي تعد مؤشراً جوهرياً في تحديد ظروفها الاجتماعية والمادية التي ينبغي ان تتلاءم مع متطلبات حياتها اليومية .

وتشير نتائج البحث إلى ان الاسر تتميز بكثرة افرادها حيث بلغ الوسط الحسابي لحجم الاسر ٨،٦ فرداً حيث ان الاسر التي تتكون من (٢ — ٤) أفراد بلغت نسبتها ١١،٤٪ و(٥ — ٧) ٣٠،٨٪(و٨ — ١٠) ٢٥،٣ ٪ و(١١ — ١٣) ٢٠ ٪ و(١٤ — ١٦) ١٢،٥ ٪ .

٢ — الدخل الشهري : —

ان دراسة الحالة الاقتصادية من الامور المهمة التي تلقي الضوء على طبيعة الظروف الاقتصادية والمعاشية للعوائل ، اذ يعد التطور الاقتصادي من العوامل

الاساسية التي تؤثر في ارتفاع المستوى المعاشي. ويمكن استخدام معدل الدخل والانفاق مؤشراً رئيسياً وموضوعياً للمستوى المعاشي للعوائل التي بحثت .

وسنحاول التطرق إلى متوسط دخل العوائل الذي يلعب دوراً اساسياً في ديمومة الحياة الاقتصادية للعائلة وقد دلت الدراسة الميدانية على ان ٦,٢٪ تتراوح دخولهم بين ٥٠ ــ ٩٩ ديناراً شهرياً وان ٢٥,٣ ٪ تتراوح دخولهم بين ١٥٠ ــ ١٩٩ ديناراً شهرياً وهي نسبة عالية من عينة البحث التي يقع دخلها النقدي ضمن هذه النسبة و٦٤,٨ ٪ منها يزيد دخلها عن ٣٠٠ دينار فأكثر وقد دلت الاحصاءات على ان الوسط الحسابي للدخول قد بلغ ٢٠١,٣٠ ديناراً ، مما يولد شعوراً عند الباحثان مفاده ان بعض المبحوثين قد اتجهوا إلى تخفيض تقديراتهم لمبالغ دخولهم لاسرهم .

٣ ــ الخلفية الاجتماعية : ــ

تعني الخلفية الاجتماعية الانحدار المهني الذي يحدد منزلة الفرد الاجتماعية وسلوكه وانماط علاقاته ، وهذا يتجسد في مجموعة من المتغيرات الاقتصادية والاسرية والدينية ، وان الخلفية الاجتماعية ليست ثابتة وانما متغيرة لتأثرها بخبرات وتجارب الفرد المكتسبة من البيئة الاجتماعية فضلاً عن المركز الاجتماعي للعائلة التي ينسب اليها الفرد .

وتشير بيانات الجدول رقم (٣) إلى ان ٢٥,١٪ من مفردات العينة ينتسبون إلى خلفية اجتماعية فلاحية و ٢٩,٧٪ منهم من خلفية اجتماعية عمالية و٤٥,٢ ٪ منهم من خلفية اجتماعية وظيفية .

المبحث الثالث

بعض الاثار الاجتماعية لاعادة الاسكان

الانشطار العائلي : —

الانشطار العائلي عملية انفصال سكني لعائلة الابن المتزوج عن العائلة الام (التقليدية او الممتدة) اما بعد الزواج مباشرة او بعد السكن مع الاهل لفترة معينة ، الا ان العلاقات او الارتباطات تبقى مستمرة في الغالب بعد الاستقلال السكني ... (٧) .

ان تكوين العائلة المنشطرة (Split Family) التي تتكون من الزوجين واولادهم فقط اصبح ظاهرة حضارية . وقد كان للتقدم التكنولوجي تأثيرات متعددة على العائلة من حيث بنائها ووظائفها ولذلك نجد ان حجم الاسرة في المجتمعات التي تأخذ باسباب التكنولوجيا الحديثة يميل إلى النقصان باستمرار مع ما يصحبه من انتشار شكل (الاسرة النواة) او العائلة المنشطرة (*). ولكن هذا لا يعني ان التكنلوجيا هي السبب في نشأة هذا النوع من الاسر ، فقد عارض كل من (كود) Good و (لاسلت) Laslett العالم الاجتماعي (بارسنز) Parsans عندما اكد ان العائلة النواة تتمتع بالعزلة النسبية في المجتمعات الصناعية وذلك لطبيعة هذه المجتمعات التي تتطلب تنقل الرجل من مكان إلى اخر ، وذلك من خلال تأكيد هم ان العائلة الانكليزية تغير حجمها قبل الحركة الصناعية .... (٨) .

(*) تسمى هذه العائلة بأسماء عديدة .
النووية ، البسيطة ، النواة ، الزواجية ، الحضرية ، الصناعية ، الصغيرة ، المنفصلة

وعليه ان التصنيع لم يكن وحده العامل الحاسم في عملية التغير العائلي من الممتدة — المنشطرة (النووية) وانما كان عاملاً مساعداً لان العائلة المنشطرة هي اكثر الانواع ملاءمة للنظام التكنلوجي .

والجدول رقم (٤) يوضح الانشطار العائلي في مجتمع عنه قبل اعادة الاسكان وبعده .

يتضح من الجدول (٤) ان ٤٤٪ من الابناء كانوا يقيمون مع اهلهم بعد الزواج (اقامة ابوية) و ٥٦٪ منهم لم يقيموا معهم ، وبعد اعادة الاسكان حدث تغير في اقامة الابناء المتزوجين ، حيث ان ٣٠،٣٪ منهم اقاموا مع اهلهم ٦٩،٧ ٪ لم يقيموا ، وترجع الاسباب إلى ما يوضحه الجدول رقم (٥) .

حيث اكد ٢٧٪ من الذين انفصلوا عن اهلهم ان السبب يرجع إلى قلة غرف الدار و ٢٩،٥٪ منهم اكدوا ان السبب هو وجود مشكلات عائلية و ١٧،٢ ٪ ارجعوا السبب إلى رغبتهم في السكن المستقل و ٢٦،٣٪ أكدوا بأن السبب هو وجود ابنائهم في منطقة اخرى،ويتضح من البيانات ان الانشطار العائلي كان موجوداً في مجتمع البحث قبل الشروع باعادة اسكانهم في عنه الجديدة الا انه ازداد بعد اعادة الاسكان حيث تبين وجود فرق معنوي قبل الاسكان وبعده وقيمة الفرق كانت = ٦،٤ بمقياس مربع كاي وبدرجة الحرية ١ بمستوى معنوية ٥،٠ حيث ان القيمة الجدولية = ٣،٨٤ .

العلاقات مع الجيران : —

تعد العلاقة مع الجيران احد انماط العلاقات الاجتماعية التي تتعدد اشكالها وتتباين في ابعادها وتظهر هذه العلاقة بوضوح اكثر عندما تكون الجيرة

نابعة اساساً من علاقات قرابة بين المقيمين في منطقة معينة ، وفي نظام الجيرة نجد ان العلاقات الاجتماعية تتميز بتماسك اجتماعي غير رسمي وتضامن عضوي (٩) بين الاسر المكونة للنظام بل ان درجة التماسك الاجتماعي تعتمد على طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة بينهم من حيث نمطها الرسمي وغير الرسمي .

وان نظام الجيرة في مدينة (عنه) سابقاً كانت تعتمد على علاقات القرابة بالدرجة الاولى وتقسم مدينة عنه إلى (١١) قسماً ، يطلق على كل قسم منها اسم (محلة) ولكل محلة بيوتاتها وربما نهجاتها المميزة بها . وان كل بيت يضم مجموعة عوائل تربط بينها صلة القرابة ، وقد تضمنت المحلة مجموعة من الانتماءات العشائرية التي لا تربطها ببعضها سوى رابطة الجوار .... (١٠) .

يتضح من الجدول رقم (٦) ان ٩٢٪ من العوائل كانت علاقاتهم مع الجيران جيدة قبل اعادة اسكانهم . وتأثرت طبيعة هذه العلاقة بعد اعادة الاسكان حيث يتضح من بيانات الجدول ان ٤٦٫٩٪ من مفردات العينة اكدوا ان علاقاتهم مع الجيران جدة و٥٣٫١٪ علاقاتهم غير جيدة حيث تبين وجود فرق معنوي قبل اعادة الاسكان وبعده وقيمة الفرق كانت ٨٤٫٥ بمقياس مربع كاي ودرجة الحرية ١ حيث ان القيمة الجدولية تساوي ٣٫٨٤. ويرجع اسباب التغير في طبيعة العلاقات مع الجيران إلى ما يوضحه الجدول رقم (٧) .

يتضح من الجدول رقم (٧) ان ٥٠٫٥٪ من مفردات العينة اكدوا ان السبب هو البعد عن العوائل التي كانت تقطن في المحلة نفسها ، و ٢٨٪ منهم ارجعوا السبب إلى قلة التفاهم والانسجام مع الجيران الجدد ، ٢١٫٥٪

منهم اكد ان القرب المكاني بين البيوت وقلة الفراغات بين مسكن واخر ادى إلى اطلاع الجيرة على اسرار بعضهم البعض ومن ثم سوء العلاقات بينهم .

العلاقات مع الاقارب :-

تعد القرابة اول نظام اجتماعي متقبول لدى جماعة العائلة Crop of Family بوصفها امتداداً لها . فالعائلة التي تستمر وتبقى لاكثر من جيل واحد تتطلب الاقارب الذين يرتبطون بعلاقات دموية وزواجية ... (١١) .

ولقد اتخذ النظام القرابي شكلاً مستقراً في المجتمعات المحلية التي تضم اسراً صغيرة ترتبط وتدخل في علاقات قرابية في البيئة التي تضم مثل هذه المجتمعات ، كما ان النظام القرابي لا يصف العلاقات الدموية بين الافراد فحسب وانما هو الوسيلة التي بواسطتها يمكن تمييز درجة العلاقة التي يحملها الفردوما يترتب عليها من حقوق وواجبات وامتيازات والتزامات .. (٢٢) .

يتضح من الجدول رقم (٨) ان طبيعة العلاقات الاجتماعية بين المبحوثين واقربائهم قد تغيرت بعد اعادة اسكانهم ، حيث ان ٩٣,٧٪ من المبحوثين كانوا يرتبطون بعلاقات اجتماعية جيدة مع اقربائهم وانخفضت هذه النسبة إلى ٦٩,٧٪ بعد اعادة الاسكان ولدى اختبار الفرق في العلاقات الاجتماعية قبل اعادة الاسكان وبعدها اتضح ان قيمة الفرق كانت ٣٢,١ بمقياس مربع كاي .

اما الاسباب التي تقف وراء العلاقات الاجتماعية بين بعض العوائل واقاربهم فيوضحه الجدول رقم (٩) ان ٤٥,١٪ من الاسر ارجعوا السبب إلى الانفصال من الاقامة مع اقاربهم بعد اعادة اسكانهم وارجع ٣٧,١٪ منهم السبب الى

ظهور مشكلات بينهم بعد اعادة اسكانهم في حين اكد ١٧،٨٪ منهم ان قلة التزاور بينهم اضعف العلاقات الاجتماعية القرابية بينهم .

العلاقات الاجتماعية الاسرية (العائلية) : —

ان العائلة مؤسسة اجتماعية ونظام معياري على ضوئه تتبلور الادوار الاجتماعية وتتحدد المكانات وتتعين المراكز للافراد والجماعات فضلاً عن تحديدها الانماط السلوكية لافراد العائلة ... (١٣) .

على الرغم من هذه الوظائف المهمة للاسرة ، نجد ان الاسرة اخذت في التراجع امام ظهور مؤسسات اخرى تؤدي وظائفها ، وهذا ما يؤثر في طبيعة العلاقات الموضوعية بل في كل العلاقات التي يمكن صياغتها في صورة رسمية داخل الاسرة الحديثة . كذلك نلاحظ ان الاطفال لا يخضعون لسلطة الاب او سلطة الوالدين من خلال قوة الجماعة الاسرية ، وانما يخضعون لتلك السيطرة بسبب كونهم قصراً ، اي بسبب عجزهم المؤمن عن الاستقلال والاعتماد على انفسهم ، كما ان تحول طابع العلاقات داخل الاسرة هو صدى لسيطرة الطابع الفردي على الحياة الاجتماعية ونحو الشخصية الفردية ...(١٤) .

توضح بيانات الجدول رقم (١٠) ان ٩٤،٨٪ من الاسر كانت ترتبط بعلاقات اجتماعية جيدة بين افرادها قبل اعادة اسكانهم وانخفضت هذه النسبة إلى ٥١،٤٪ بعد اعادة الاسكان ولدى تطبيق اختبار كاي لايجاد الفرق اتضح وجود فرق معنوي كبير في العلاقات الاجتماعية الاسرية قبل اعادة الاسكان وبعده ، حيث كانت قيمة الفرق = ٨١،٨ .

ومن نتائج سوء العلاقات الاجتماعية داخل الاسرة عدم التزام الابناء باراء الوالدين ونصائحهم ، حيث تبين من الجدول رقم (١١) ان ٨٤،٥٪ من الابناء كانوا يلتزمون بآراء ابائهم (على حد اقوال رب الاسرة) في حين انخفضت

هذه النسبة إلى ٥١,٤٪ بعد اعادة اسكانهم ولدى تطبيق اختبار كاي وجدنا ان قيمة الفرق في الالتزام باراء الوالدين قبل اعادة السكن وبعدها اصبحت كبيرة بلغت ٤٢,٦ ، اما الاسباب التي تقف وراء ضعف العلاقات الاسرية وعدم الالتزام باراء الوالدين فيوضحه الجدول رقم (١٢) حيث ان ٣٨٪ من الاسر اكدوا ان العلاقات الاسرية ضعفت بسبب كثرة المشكلات الاسرية ، وارجع ٣٢,٢٪ منهم السبب إلى قلة التفاهم والانسجام بين الاباء والابناء نتيجة رغبة الابناء في التغير في حين أوضح ٢٩,٨٪ منهم ان السبب يرجع إلى تدخل الابناء في الامور الخاصة باسرهم نتيجة لاستقلالهم المادي .

مدى كفاية الدخل واثره في العلاقات الاجتماعية : —

يتضح من الجدول رقم (١٣) ان ٧٥,٤٪ من الاسر كان دخلها يكفي لسد متطلبات حياتهم اليومية في حين اكد ٢٤,٦٪ عدم كفاية الدخل وظهر تغير واضح بعد اعادة الاسكان حيث اكد ٥٠,٢٪ من الاسر ان دخلهم الاسري لا يكفي لسد متطلبات حياتهم اليومية . ولدى تطبيق مربع كاي وجد فرق معنوي كبير حول مدى كفاية الدخل قبل اعادة الاسكان وبعده حيث بلغت قيمة مربع كاي = ٢٢,٦٠ . والاسباب التي يوضحها الجدول رقم (١٤) حول مدى كفاية الدخل للاسرة الواحدة ، حيث يؤكد ٤٣,٦٪ من الاسر ان عدم كفاية الدخل يرجع إلى غلاء المعيشة ويوضح ٥٦,٤٪ ان السبب هو عدم توفير اعمال اضافية لهم بغية دعم دخلهم الثابت ، والواضح ان بعض الاسر كانت تستفيد من ارضها الزراعية في دعم دخلها الشهري .

قضاء اوقات الفراغ : — :

ان العمل نشاط يحدث في ظل ظروف توجد فيها مطالب عادية فيما يتعلق بالزمان والمكان ، ويكون المجهود فيه موجهاً لانتاج سلع وخدمات ، اما

بالنسبة لأنشطة وقت الفراغ ، فإن المطالب فيها تعد مفروضة من جانب الانسان ذاته . وحينئذ يوحد لون من الاحساس بالحرية يختلف عن الضوابط الخارجية التي يفرضها وضع العمل بالنسبة للزمان والمكان والانتاج .. (١٥).

وتختلف اوقات الفراغ باختلاف المجتمعات بل وفي داخل المجتمع الواحد باختلاف المستوى المعاشي والشريحة الاجتماعية التي ينتمي اليها الفرد وطبيعة العمل الذي يزاوله .

حيث يتضح من الجدول رقم (١٥) ان ٨١.٢٪ من مفردات العينة أكدت وجود مجالات متعددة لقضاء اوقات فراغهم كالصيد والجلوس مع الاصدقاء في المقاهي والدواوين . ويلجأ الناس إلى الدواوين في اوقات فراغهم ويقضون فيها معظم ساعات الليل ، حيث ان الديوان بالنسبة لهم بمثابة المدرسة والمقهى يستمعون فيه إلى الاحاديث العامة والوعظية وقراءة القرآن الكريم والحكايات والحكم والامثال والاشعار ويتناولون الاخبار ويمارسون فيها لعبة (المحيبس) وخاصة في ليالي رمضان المباركة(١٦) اي ان الديوان كان يخلق نمطاً من التماسك الاجتماعي بين افراد المنطقة لسبب انه يجعل من عملية التفاعل الاجتماعي بين افراد المنطقة تفاعلاً مباشراً .

الا انه بعد اعادة الأسكان يتضح ان ٨٧٪ من العوائل أكدت عدم وجود الدواوين في مدينتهم الجديدة وهذا يرجع الى قلة مساحات البيوت حيث ان المخطط الحضري للمسكن لايتطلب وجود مساحة كبيرة لأستقبال الضيوف وانما يقتصر ذلك على غرفة أو صالة استقبال تتناسب مع مساحة الـدار عادة، كما ان المقاهي لاتكون بالصيغة المألوفة لدى رواد المقاهي سابقاً ، حيث انها تفقد تلك النكهة التراثية المألوفة لدينا عن تلك المقاهي من حيث

مقاعدها التي غالباً ماكانت تعمل بالمواد التراثية التي تتصل ببعض الذكريات للرواد القدماء لهذه المقاهي .

ناهيك عن ان لكل مقهى كان لها روادها المفضلون ، من حيث متغير العمر والحالة الأجتماعية ، لذا فأن انشاء مقهى أو عدة مقاه في هذه المنطقة وفقاً للعناصر الحضارية المتوفرة في المدن الكبيرة يجعل من ارتياد الشباب لها دون الأخرين امراً طبيعياً مما جعل هؤلاء في غنى عن ارتياد هذه الأماكن وقضاء اوقات فراغهم في منازلهم او التجمع في منزل احدهم لترويد ذكرياتهم ، ولدى اختبار مربع كاي حول وجود المقاهي والدواوين في المنطقة قبل وبعد اعادة الأسكان تبين وجود فرق معنوي كبيرة وقيمة الفرق كانت = ١٥,٩ وبدرجة الحرية (١) بمستوى معنوية ٠.٥ حيث ان القيمة الجدولية =٣,٨٤ .

وفيما يتعلق بقضاء الأبناء لاوقات فراغهم نجد من الجدول (١٦) ان ٥١,٤ من الأبناء كانوا يقضون اوقات فراغهم في اللعب مع اقرانهم و ٤١,١٪ منهم كانوا يقضونها في الدراسة و ٧,٥٪ منهم في العمل .

وقد تغيرت طبيعة استغلال اوقات الفراغ لدى ابناء الأسر بعد اعادة اسكانهم، حيث أكد ١٦٪ فقط من الأبناء انهم يقضون اوقات فراغهم في اللعب و ٦٩,٧٪ منهم أكدوا انهم يقضون اوقات فراغهم في الدراسة وان ١٤,٣٪ منهم يقضون اوقات فراغهم في العمل .

وبعد اجراء اختبار مربع كاي لايجاد الفرق المعنوي بين طبيعة استغلال اوقات الفراغ قبل وبعد اعادة الإسكان اتضح وجود فرق معنوي قدره ٩٣ .

المبحث الرابع

النتائج والتوصيات

١ ـ النتائج ومناقشة فرضيات البحث

نحاول الان استعراض النتائج التي انتهى اليها البحث لنتعرف مدى صحة فرضياته .

الفرضية الاولى ـ

تؤدي اعادة الأسكان الى الأنشطار العائلي كما اتضح لنا من خلال البيانات ان هذا الفرض قد تحقق حيث تبين قبل اعادة الأسكان ان ٤٤٪ من الأبناء كانوا يقيمون مع اهلهم و ٥٦٪ اجابوا ان اقامتهم مستقلة عن الأهل وبعد اعادة الأسكان اتضح ان ٣٠,٣٪ من الأبناء اقاموا مع اهلهم(اقامة ابوية)، و٦٩,٧٪ من الأبناء لايسكنون مع الأهل ، ويرجع ذلك لأسباب عديدة ، لوجود مشكلات عائلية بنسبة ٢٩,٥٪ والرغبة في السكن المستقل بنسبة ١٧,٢٪ وصغر حجم البيت بنسبة ٢٧٪ وعند اختبار العلاقة بين الأسرة وابنائها المتزوجين وطبيعة سكنهم مع اهلهم قبل وبعد اعادة الأسكان ، اتضح ان الفرق = ٦,٤ اي ان اعادة الأسكان تؤدي الى الأنشطار العائلي .

الفرضية الثانية :ـ تتأثر العلاقات الأسرية سلباً باعادة الأسكان .

في ضوء نتائج الدراسة الميدانية اتضحت صحة هذه الفرضية حيث أظهرت النتائج ان ٩٤,٨٪ من الأسر كانت ترتبط بعلاقات اجتماعية جيدة بين افرادها و ٥,٢٪ اجابوا ان الأسر ترتبط بعلاقات اجتماعية غير جيدة مع افرادها قبل اعادة اسكانهم ، وبعد اعادة الأسكان تبين ان العلاقات اتخذت موقفاً سلبياً بين افراد الأسرة الواحدة ، حيث ان ٥١,٤٪ من

الأسر ترتبط بعلاقات اجتماعية جيدة مع افرادها يقابلها ٤٨.٦ من الأسر تربطهم بعلاقات اجتماعية غير جيدة مع افرادها .

وبعد اختبار العلاقة بين الأسرة وطبيعة علاقاتهم الأجتماعية مع ابنائهم قبل وبعد اعادة الأسكان اتضح ان قيمة الفرق = ٨١،٨ اي ان اعادة الأسكان تؤدي الى تضاعف قوة العلاقة بين الأسر وابنائهم .

ان سوء العلاقات الأجتماعية داخل الأسرة الواحدة نتيجة عدم التـزام الأبناء بأراء الوالدين ورضائهم، حيث ان ٨٤،٥٪ من الأبناء كـانـوا يلتزمون بأراء ابنائهم في حين انخفضت هذه النسبة الى ٥١،٤٪ بعد اعادة اسكانهم . كما وجد فرق معنوي كبير حول اهمية عدم التزام الأبنـاء بأراء ونصائح الوالدين خاصة بعد اعادة الأسكان .

الفرضية الثالثة : —

تتأثر العلاقات القرابية سلبياً باعادة الأسكان كما تشير الأدلة الأحصائية التي حصلنا عليها من الدراسة الميدانية الى تحقيق صحة هذه الفرضية حـول العلاقات القرابية قبل وبعد اعادة الأسكان حيث تبين قبل اعادة الاسكان ان طبيعة العلاقات الأجتماعية بين المبحوثين واقربائهـم ٩٣،٧٪ . مـن المبحوثين كانوا يرتبطون بعلاقات اجتماعية جيدة مع أقربائهم وانخفضت هذه النسبة الى ٦٩،٧٪ بعد اعادة الأسكان، وهذا مايعود الى ان العـلاقـات الأجتماعية قد تغيرت بعد اعادة الأسكان لأسباب كثيرة ومتنوعة من خلال إختبار العلاقة حول قوة العلاقة القرابية بين الأسر واقاربهم قبل وبعد اعادة الأسكان، بلغت قيمة الفرق = ٣٢،١ وهذا مايدل على ان العلاقة القرابية بعد اعادة الأسكان في المدينة الجديدة اخذت تضعف .

الفرضية الرابعة :ـ

تتأثر العلاقات الأجتماعية مع الجيران سلبياً باعادة الأسكان من معطيات البيانات الأحصائية التي حصلنا عليها من الدراسة تحقق صحة هذه الفرضية ولدى اختبار الفرق من العلاقات الأجتماعية مع الجيران قبل اعادة الأسكان وبعدها اتضح ان قيمة الفرق ٨٤،٥ بمقياس مربع كاي .

حيث تبين قبل اعادة الأسكان ان طبيعة العلاقات الأجتماعية مع الجيران جيدة بنسبة ٩٢،٦٪ لكن بعد اعادة الأسكان اخذت هذه العلاقة تضعف وتتلاشى بين مفردات العينة بنسبة ٤٦،٩٪ .

اعتماداً على نتائج الفرضيات الفرعية والتي قبلت على جميع مستويات الثقة الأحصائية، تقف على صحة فرضية البحث الرئيسية والتي تفيد (أن ، عادة اسكان مجتمع عنه تركت اثاراً سلبية على ساكنيها)شأنها في ذلك شأن كل المجتمعات التي ابتغت النهوض بواقعها الأجتماعي والأقتصادي .

وبغية الوقوف على معالجة موضوعية لتلك السلبيات ينبغي الأيصاء ببعض المقترحات لحلها .

التوصيات

بعد ان تم عرض اهم نتائج البحث بجانبيها الميداني والنظري وعلى ضوء هـذه النتائج نوصي بما يأتي :ـ

١ ـ بناء العلاقات الأجتماعية السليمة داخل العائلة الواحدة التي تقوم على التفاهم والصراحة والأنسجام لتحقيق السعادة الزوجية داخل العائلة فضلا عن تحقيق الرفاهية الأقتصادية.

٢ ـ التأكيد على اهمية تكوين الوحدة الأجتماعية المصيرية بين العـائلة والأقارب رغم تأثير اعادة الأسكان بعلاقاتهم، حيث ان الدراسة تشير الى تفكك العلاقات الأجتماعية والعائلية نتيجة بناء السد واعادة الاسكان .

٣ ـ الأخذ بمبدأ التخطيط ووضع مخطط للتصميم الأساسي الشامل لكل مدينة يعطي للعوامل الأجتماعية الامر الفعال في وضع التصميم على اساس ان الأنسان هو الهدف والوسيلة ولا يقتصر على الأختصاصات الهندسية .

٤ ـ العمل على جعل اعادة الأسكان ضمن المناطق الزراعية او جعل المناطق غير المزروعة مساحات خضراء عن طريق الأرواء .

٥ ـ توجيه عدد من الأستثمارات الترفيهية والخدمية التي تستطيع توفير فرص أكثر للناس وتخفض نسبة الاعالة في المدينة الجديدة .

٦ ـ التوعية من خلال المؤسسات التربوية والمنظمات المعنية بأهمية وقدسية استمرار وشائج العلاقات بين العوائل المنشطرة والعوائل الام وعدم اعتبار الأنشطار عملية انفصال تام بل ان هذا الأنفصال سيكون في المسكن فقط اما العلاقات التبادلية فيجب ان لاتنقطع لما لذلك من مردود ايجابي على نفسية وراحة الجانبين .

٧ ـ من الضروري انشاء الحزام الأخضر للمدينة وذلك لتحسين وضعها وتحقيق العنصر الجمالي فيها .

٨ ـ العمل على توفير فرص العمل للمواطنين كتوزيع الأراضي الزراعية والعمل على استغلالها وزراعتها لتحقيق السعادة والرفاهية الأقتصادية لهم .

٩ ـ العمل على تخفيف حدة المشكلات الأسرية داخل الأسرة الواحدة والعمل على الموازنة والأحترام المتبادل بين الأبناء والأباء .

١٠ ـ من الضروري توفير وسائل ترفيهية وترويحية لأبناء المدينة كأنشاء المقاهي والدواوين والحدائق والمتنزهات لقضاء اوقات فراغهم .

١١ ـ القيام باعداد بحوث ميدانية علمية عن الجوانب المختلفة الأخرى حيث ان لهذا البحث اهمية خاصة في الكشف عن بعض الأثار الأجتماعية لسد القادسية على مجتمع عنه .

المصادر

لوريس الراعي . التغير الاجتماعي والاقتصادي في مجتمع بدوي . طرابلس ١٩٨٧ ص ١٤ .

Harmy–Debly, Human Geography, London, 1977, P–L 238

وزارة الري باشراف وزارة التخطيط . التقرير النهائي . تخطيط اقليم اعالي الفرات واعادة اسكان اهالي خزان حديثة ، بغداد ١٩٧٩ ، ص ٥١.

وزارة التخطيط ، تخطيط اقليم اعالي الفرات واعادة اسكان اهالي خزان حديثة ، المرحلة الاولى ، للأبار مكتب التخطيط والاعمار والبحوث ١٩٧٨ ص ٥٠ – ٥٢ .

الدكتور احسان محمد الحسن ، عبدالحسين زيني ، الاحصاء الاجتماعي ، ١٩٨٢ مطبعة دار النشر ، جامعة الموصل ، ص ١٦٧ .

الدكتور احسان محمد الحسن ، المصدر نفسه ، ص ١٩٦ .

سناء عبدالوهاب الكبيسي ، ظاهرة الانشطار العائلي في مدينة بغداد ، دراسة ميدانية ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ١٦ .

مليحة عوني القصير ، الدكتور صبيح عبدالمنعم ، علم اجتماع العائلة ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٩٣ – ٩٤ .

الدكتور محمد حسن عاوي ، الانثروبولوجيا الحضرية ، ط١ ، دار المعرفة الجامعية . ١٩٨٤ . ص ٧٣ – ٧٥ .

عبدالعزيز العاني ، المدينة المنرقة . وزارة الاعلام ، ١٩٨٥ ، ص ١٦ – ٢٢.

مليحة عوني القصير ، علم اجتماع العائلة ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٤١ – ٤٣ .

الدكتور علياء شكري ، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الاسرة ، دار المعارف ، ١٩٧٩ ، ص ٤٨ .

مليحة عوني القصير ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .

الدكتور علياء شكري ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ – ٢٣٣ .

باركر واخرون ، علم الاجتماع الصناعي ، ترجمة الدكتور محمد علي محمد واخرون ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٦٧ ، ص ٢٤٠ – ٢٤٢ .

عبدالعزيز العاني ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ .



الجداول الاحصائية

جدول رقم (١) يمثل حجم الاسرة

حجم الاسرة	العـدد	٪
٢ — ٤	٢٠	١١,٤
٥ — ٧	٥٤	٣٠,٨
٨ — ١٠	٤٤	٢٥,٣
١١ — ١٣	٣٥	٢٠
١٤ — ١٦	٢٢	١٢,٥
المجموع	١٧٥	٪١٠٠



جدول رقم (٢) يمثل الدخل الشهري بالدينار

الفئات	العـدد	٪
٥٠ — ٩٩	١١	٦,٢
١٠٠ — ١٤٩	٤٠	٢٢,٨
١٥٠ — ١٩٩	٤٤	٢٥,٣
٢٠٠ — ٢٤٩	٣٠	١٧,٢
٢٥٠ — ٢٩٩	٢٤	١٣,٧
٣٠٠ — ٣٤٩	٢٦	١٤,٨
المجموع	١٧٥	٪١٠٠

جدول رقم (٣) يمثل الخلفية الاجتماعية

الخلفية الاجتماعية	العدد	٪
فلاحيـة	٤٤	٢٥,١
عمالية	٥٢	٢٩,٧
وظيفيـة	٧٣	٤٥,٢
المجمـوع	١٧٥	٪١٠٠

جدول رقم (٤) يوضح الانشطار العائلي سابقاً وحالياً

اقامة الابناء المتزوجين مع الأهل	سابقـاً		حاليـاً	
	العدد	٪	العـدد	٪
نعـم	٧٧	٤٤	٥٣	٣٠,٣
لا	٩٨	٥٦	١٢٢	٦٩,٧
المجمـوع	١٧٥	١٠٠	١٧٥	٪١٠٠

جدول رقم (٥) يمثل الاسباب

الاسباب	العـدد	٪
١ ـ قلة غرف الدار	٣٣	٢٧
٢ ـ وجود مشكلات عائلية	٣٦	٢٩,٥
٣ ـ الرغبة في السكن المستقل	٢١	١٧,٢
٤ ـ لوجودهم في منطقة واحدة	٣٢	٢٦,٣
المجموع	١٢٢	٪١٠٠

جدول رقم (٦) يمثل العلاقات مع الجيران سابقاً وحالياً

العلاقات مع الجيران	سابقـاً العدد	سابقـاً ٪	حالياً العدد	حالياً ٪
جيدة	١٦٢	٩٢,٦	٨٢	٤٦,٩
غير جيدة	١٣	٧,٤	٩٣	٥٣,١
المجموع	١٧٥	٪١٠٠	١٧٥	٪١٠٠

جدول رقم (٧) يمثل الاسباب

الاسباب	العدد	٪
١ ــ بعد بعضهم عن البعض الاخر بعد اعادة الاسكان	٤٧	٥٠,٥
٢ ــ قلة التفاهم والانسجام مع الجيرة الجدد	٢٦	٢٨
٣ ــ القرب المكاني والاطلاع على الاسرار العائلية	٢٠	٢١,٥
المجموع	٩٣	٪١٠٠

جدول رقم (٨) يمثل العلاقات مع الاقارب سابقاً وحالياً

العلاقات مع الاقارب	سابقاً العدد	سابقاً ٪	حاليـاً العدد	حاليـاً ٪
جيـــد	١٦٤	٩٣,٧	١٢٢	٦٩,٧
غيـر جيـــدة	١١	٦,٣	٥٣	٣٠,٣
المجمـــوع	١٧٥	٪١٠٠	١٧٥	٪١٠٠

جدول رقم (٩) يمثل الاسباب

الاسباب	العدد	٪
١ – الانفصال السكني	٢٨	٤٥,١
٢ – ظهور مشكلات بينهم بعد المادة الاسكان	٢٣	٣٧,١
٣ – قلة التزاور	١١	١٧,٨
المجموع	٦٢	١٠٠

جدول رقم (١٠) يمثل العلاقات الاجتماعية الاسرية سابقاً وحالياً

العلاقات الاجتماعية الاسرية	سابقاً		حالياً	
	العدد	٪	العدد	٪
جيدة	١٦٦	٩٤,٨	٩٠	٥١,٤
غير جيدة	٩	٥,٢	٨٥	٤٨,٦
المجموع	١٧٥	١٠٠	١٧٥	١٠٠

جدول رقم (١١) يمثل الالتزام الاجتماعي باداء الوالدين سابقاً وحالياً

الالتزام الاجتماعي باراء الوالدين	سابقاً		حالياً	
	العدد	٪	العدد	٪
نعم	١٤٨	٨٤,٥	٩٠	٥١,٤
لا	٢٧	١٥,٥	٨٥	٤٨,٦
المجموع	١٧٥	٪١٠٠	١٧٥	١٠٠

جدول رقم (١٢) يمثل الاسباب عدم إلتزام الابناء باراء الوالدين

الاسباب	العدد	٪
١ – كثرة المشكلات الاسرية	٣٣	٣٨
٢ – قلة التفاهم والانسجام بين الابناء والاباء نتيجة رغبة الابناء للتغير	٢٨	٣٢,٢
٣ – تدخل الابناء في الامور الخاصة باسرهم نتيجة لاستقلالهم المادي	٢٦	٢٩,٨
المجمــوع	٨٧	٪١٠٠

جدول رقم (١٣) يمثل مدى كفاية الدخل سابقاً وحالياً

مدى كفاية الدخل	سابقاً		حالياً	
	العدد	٪	العدد	٪
نعــم	١٣٢	٧٥,٤	٨٨	٥٠,٢
لا	٤٣	٢٤,٦	٨٧	٤٩,٨
المجمــوع	١٧٥	١٠٠	١٧٥	١٠٠

جدول رقم (١٤) يمثل الاسباب عدم كفاية الدخل لدى متطلبات حياتهم

	العـــدد	٪
غلاء المعيشـة	٣٨	٤٣,٦
عدم توفير اعمال اضافية	٤٩	٥٦,٤
المجمــوع	٨٧	١٠٠٪

جدول رقم (١٥) يمثل وجود المقاهي والدواوين سابقاً وحالياً

وجود المقاهي والدواوين	سابقــاً		حاليــاً	
	العدد	٪	العدد	٪
نعم	١٤٢	٨١,٢	٢٣	١٣
لا	٣٣	١٨,٨	١٥٢	٨٧
المجموع	١٧٥	١٠٠	١٧٥	١٠٠

جدول رقم (١٦) يمثل مجالات قضاء اوقات الفراغ

مجالات قضاء أوقات الفراغ	سابقاً		حالياً	
	العدد	٪	العدد	٪
لعــب	٩٠	٥١,٤	٢٨	١٦
دراسة	٧٢	٤١,١	١٢٢	٦٩,٧
العمــل	١٣	٧,٥	٢٥	١٤,٣
المجموع	١٧٥	١٠٠	١٧٥	١٠٠

ابرز مشكلات جهاز شرطة المرور
دراسة ميدانية في محافظتي نينوى ودهوك

اعداد
السيد عبدالله مرقس رابي
جامعة الموصل

المقدمة :

لاشك أن مسائل المرور ومشكلات الطريق اصبحت تشغل بال المجتمع كما أمست تشغل تفكير كل فرد منا سواء أكان عابراً للطريق أم سائقاً للسيارة. أم كان في داره ام في محل عمله.

للحد من هذه المشكلات يسند العبء الكبير الى شرطي المرور ، في الوقت الذي يحتاج الحد منها الى تكاثف جهود جهات عديدة، بما فيهم مستعملو الطريق أنفسهم .

ولما كان الجهد المبذول يقدم من قبل شرطة المرور ، وجب عليه دراسة جهاز المرور دراسة فاحصة وشاخصة للمواقف الأشكالية التي تعرقل هذه الجهود البناءة ، سواء التي تخص ادارة المرور، أو المواقف السلبية التي تحصل بين مستعملي الطريق وشرطة المرور. وهذا مايهدف اليه البحث من تشخيص أبرز مشكلات جهاز شرطة المرور التي تكون عائقاً في اداء الشرطي لمهنته.

هناك الكثير من الدراسات والأبحاث التي تبحث في مشاكل المرور ، بما فيها حوادث المرور، والأزدحام، والتخطيط للمرور في الطرق ، إلا أنه تكاد تنعدم البحوث التي تتناول مشكلات ذلك الجهاز الذي تقع عليه المسؤلية الكبيرة في تخليص أفراد المجتمع من ويلات حوادث المرور ، وتؤمن لهم الطريق للوصول الى اعمالهم ودورهم بسلامة . فكان هذا من الدافع الأساسي الى هذا البحث لأستقصاء الحقائق عن العوامل التي تسبب في ظهور أبرز مشكلات جهاز شرطة المرور .

وأما الدافع الأساسي الذي دفع الباحث الى اختيار محافظتي نينوى ودهوك مجالا مكانياً للبحث فهو ان جميع البحوث تتركز في العاصمة بغداد وتقل مثلها في محافظات القطر الأخرى، اضافة الى ان المحافظتين مهمتان(نينوى ودهوك) اذ تعد من المحافظات التي تكثر فيها المناطق السياحية ، حيث يتوافد السياح اليها من جميع انحاء القطر صيفاً وشتاء . فضلا عن مرور الطريق الدولي الى تركيا من اراضيهما . الأمر الذي ينعش حركة المرور في طرقها.

المبحث الأول

الاطار النظري

يمثل النقل خدمة غايتها ربط التجمعات السكانية بعضها ببعض ، وهو وسيلة حيوية وليس هدفاً معزولا بحد ذاته عن خطة التنمية الشاملة وانما جزء منها. ولهذا تعد معظم الدول المتقدمة تنظيم الطرق والسير والمرور من أهم مظاهر المدينة، وتعطي الأولية لهذه المشاريع، لأعتبارها من الخدمات المهمة والحيوية في البلاد (١).

فأزدياد عدد المركبات الخاصة على طرقات المدينة مستمر، حيث يصل عددها في عام (٢٠٠٠) الى مايقارب (٥٢٤) مليون مركبة، وينتظر في البلدان النامية أن يصل هذا العدد الى قرابة (١٠٠) مليون. بالأضافة الى الأعداد الأخرى كسيارات النقل والحافلات والأجرة، والتي تمثل زيادة قرابة ثلث هذا العدد .

وهذه الزيادة المنتظرة في عدد المركبات في العالم تؤكد حقيقة لامفر منها وهي ان حجم مشكلة المرور بدأ يأخذ اتجاهاً يفوق جميع التقديرات والتصورات وقدرة شبكات الطرق واستيعابها وخاصة في المدن الكبرى التي ترفع فيها عادة الكثافة السكانية،ونسب كبيرة من اعداد المركبات (٢) .

وفي قطرنا ازدادت حركة المرور اتساعاً وتعقيداً في السنوات الأخيرة فأصبحت مشكلات المرور مصدر قلق وأزعاج تتكرر مشاهدها في داخل المدينة وفي الضواحي وفي المناطق السكنية والتجارية . ومن مصادر القلق . ارتفاع نسبة حوادث المرور، وازدحام الطرق، خاصة في المواقف التي تنعدم فيها روح المسؤولية وتبرز لاأخلاقيات المرور بأشكالها وانماطها المتعددة .

ان رجال شرطة المرور يؤدون رسالة ذات محتوى خلاق وبعد اجتماعي وانساني معاصر، فهم يقدمون اسمى الواجبات حينما ينظمون حركة السير في الطرقات العامة، حيث يحمون أرواح ألاف المواطنين من مستعملي الطريق وهم متوجهون الى اعمالهم أو بيوتهم . كما ان تنظيم حركة السير تدعم الأقتصاد الوطني والقومي، فمنع الحوادث يعني تقليل الأضرار التي تصيب الأموال العامة، اذ ان المركبات وادواتها الأحتياطية جزء من الدخل القومي تستوردها الدولة بملايين الدنانير .

اضافة الى ان تنظيم السير يعكس السمعة والمكانة الدولية للعراق. كذلك الحال فأن النهوض التنموي الشامل الذي سيشهده قطرنا في فترة مابعد الحرب يتطلب بدوره تأمين حركة مرور منتظمة لسرعة الأنتقال. ولتقدير أهمية الزمن ومن ثم التنفيذ السريع للمشاريع التنموية ؛ لذا وجد هذا الجهاز أصـلا لخدمة افراد المجتمع، لتنظيم استخدامهم للطريق وضبطه عن طريق تطبيق قانون حركة المرور .

يعد جهاز شرطة المرور منظمة من المنظمات التي يمتاز بهـا المجتمع الحديث وخصوصاً مجتمع المدينة، فالمنظمة عبارة عن «تجمع بشري هادف يتم في نطاقه توحيد وتنسيق حدود الأعضاء لتحقيق اهداف (٣) معينة :

وقد تمتاز المنظمات بالسمات الرئيسة الاتية والتي يمتاز بهـا جهـاز (٤) شرطة المرور لتعطيه صفة المنظمة وخصائصها :—

١ — الهدف :

تهدف المنظمات الى أنتاج سلعة معينة أو تقديم خدمات معينة. فالهدف من وجود جهاز المرور هو تقديم خدمات فنية للمجتمع بتنظيم عملية استخدام الطريق من قبل السواق والمشاة .

٢ ـ تقسيم العمل .

حيث يقوم منتسبو المنظمة بمهام مختلفة ودقيقة وبذلك يكون لكل منهم دور اجتماعي واضح . وهذا مانلاحظه في جهاز المرور اذ يعتمد في تحقيق هدفه على التنوع الدقيق في مهام اعضائه .

٣ ـ الترابط :

يتطلب التخصص في العمل نوعاً من الترابط والتنسيق بين العاملين لتحقيق الهدف النهائي للمنظمة . وهذا هو ماعليه في جهاز المرور .

٤ ـ الأنتظام :

ان العمل في المنظمات يتصف بالصفة الأنتظامية وذلك لتحقيق الثبات والأستمرارية ، بغرض الوصول الى الهدف، وهذا مايتصف به جهاز شرطة المرور .

٥ ـ التدرج السلطوي : تمتاز المنظمات بوجود جهاز سلطوي على شكل هرم يهدف الى تحقيق صفة الأنتظام في المنظمة ، وبكل وضوح يمتاز جهاز المرور بالتدرج الوظيفي وتزداد المسؤوليات الأدارية فيه كلما ارتفع المستوى الوظيفي .

٦ ـ اللائحة :

لكل منظمة دستور من القواعد والقوانين يحدد بدقة الواجبات للأدوار الأجتماعية لكل عضو وتساعد على تنظيم العلاقات بين الرؤساء والمرؤوسين ويمتاز جهاز المرور بوجود قانون ينظم العمل والعلاقات بين افراده .

٧ ـ الأستبدالة :

تكون المنظمة مستمرة وثابتة بينما يمكن إحلال اشخاص محل اشخاص آخرين لتمثيل ادوارهم الاجتماعية .

فالأدوار تبقى ثابتة . انما الأشخاص يتغيرون ، ويعتمد شغل هذه الأدوار على اساس الكفاءة .

٨ — التعويض :

تمتاز المنظمات بظاهرة التعويض النقدي لكل عامل مقابل ادائه الـدور المحدد له عن طريق وضع نظام معين للأجور .

٩ — اللاشخصية :

ويعني ان العلاقات القائمة بين الأعضاء ، علاقات ثانوية . تخضع الى ضوابط رسمية .

وتعد المنظمة نسقاً مفتوحاً تتفاعل مع البيئة المحيطة . فيكون هذا التفاعل وفق الأطار التنظيمي الاتي (٥).

١ — المدخلات: وتشمل الموارد المادية والملاكات البشرية، والمعلومات التي تحتاجها المنظمة لتحقيق اهدافها ، ويتقرر نجاح العمليات لتحقيـق المخرجات على كمية ونوعية المدخلات ، فهي الأطار العملي للتفـاعل بين المنظمة والبيئة. وتدعى (البيئة التنظيمية) .

٢ — العمليات (الأنشطة):— تتمثل بالتفاعل والفعاليات ، وتقسيم العمل والمهمات، ونظام الأتصال (والمعلومات) .

وتعد هذه العمليات احد المكونات الأساسية للمنظمة وهي تعبر عـن (السلوك التنظيمي) ومتغيراته :

٣ — المخرجات: وهي الأهداف التي تسعى المنظمة لتحقيقها كأن تكون عبارة عن سلع تطرح الى البيئة أو عبارة عن خدمات تقدم لمجتمع: وتـدعى (بالمناخ التنظيمي) .

وعليه يمكن استخدام المدخل النظمي لتحليل مهمات جهاز شرطـــة المرور لتوضيح علاقته مع البيئة وكالآتي :-

أولا: جهاز المرور منظمة تسعى الى تحقيق أهداف معينة وهي مـــاتســـمى (بالمخرجات) . وأهم هذه المخرجات الأساسية هي :

١ - المادية: وتتمثل بما يأتي :-

أ - تقليل حوادث المرور وكلفتها

ب - تقليل الأختناقات في طرق المدينة

جـ - محاولة إظهار المدينة بجمالية لائقة من خلال تنظيم المرو .

د - تقليل كلفة النقل .

٢ - البشرية : وتتمثل بما يأتي :

ا - تقليل عدد الوفيات بسبب الحوادث .

ب - تقليل عدد الأصابات بسبب الحوادث .

جـ - الراحة في استخدام الطريق .

د - ضمان وصول مستعملي الطريق الى اماكنهم لقضاء حاجاتهم .

٣ - معلوماتية : وتتمثل بما يأتي :-

ا - احصائيات عن حوادث المرور واسبابها .

ب - احصائيات عن المخلفات واسبابها .

حـ - مؤشرات مستقبلية .

ثانياً: لتحقيق الأهداف المذكورة لابد ان تكون هناك مجموعة من الأنشطة والفعاليات في جهاز المرور، وتتمثل بما يأتي :-

١ — نشاطات وقائية

ا — مراقبة السير وتنظيمه .

ب — منح اجازات السوق وفق الضوابط الموضوعية .

حـ — التوعية المرورية .

٢ — نشاطات علاجية

ا — البحث عن المخالفين ومعاقبتهم .

ب — التقصي عن اسباب حوادث المرور ونتائجها .

حـ — الأختيار الأفضل لرجل المرور وتدريبه .

ثالثاً: لتنفيذ الأنشطة التي تسعى الى تحقيق اهداف جهاز المرور لابد ان تكون هناك مستلزمات واحتياجات اساسية وهي (المدخلات) وتتمثل بما يأتي :—

١ — المادية وتتمثل في

ا — العلامات والأشارات المرورية .

ب — المعدات والأجهزة

٢ — البشرية وتتمثل في :

أ — افراد شرطة المرور

ب — الخبراء

جـ — المدربين

٣ — المعلوماتية وتتمثل :

أ — قوانين وتعليمات المرور

ب — معلومات عن واقع الانشطة المرورية .

ووفق هذا النموذج التنظيمي يحقق جهاز المرور اهم اهدافه بصورة صحيحة انما قد يتعرض احياناً إلى بعض المشكلات التي تعيق السبيل إلى تحقيق الاهداف .

وقد ترجع اسباب هذه المشكلات إلى جوانب القصور في الانشطة

البيئة المحيطة بالتنظيم

المدخلات	العمليات	المخرجات
المستلزمات	الانشطة	النتائج
ــ الموارد المادية	ــ التفاعل الاجتماعي	ــ الأهداف
ــ الافراد	ــ الفعاليات والمهمات	ــ اللغة المشتركة
ــ المعلومات	ــ تقسيم العمل	ــ معايير الاداء
	ــ الاتصالات	ــ بناء المكانة والسلطة
البيئة التنظيمية	السلوك التنظيمي	المناخ التنظيمي

التغير التنظيمي

شكل (١)

مخطط مكونات الظاهرة التنظيمية وفق المنظور النظمي (٦)

والفعاليات التي لم تنفذ بالطريقة الصحيحة والمفضلة ، وهذا القصور في الانشطة والفعاليات قد يرجع بالتالي إلى المستلزمات (المخرجات)

منها عدم كفاءة العنصر البشرى (منتسبي المرور) اذ لهم قدرات واستعدادات مختلفة ، لذا . لتحقيق الأهداف بالصورة المرضية يتم توظيف

هؤلاء المنتسبين حسب قدراتهم وامكانياتهم (٧) . وتقوية العلاقات الاجتماعية الايجابية بينهم على مختلف مستوياتهم الوظيفية .

او قد يرجع السبب إلى عدم كفاءة المستلزمات المادية ، والقصور في القوانين والتعليمات المرورية التي تحدد ساعات العمل وفترات الراحة المناسبة(٨).

فقد وجد على سبيل المثال بأن هناك علاقة وثيقة بين رفع معنويات الافراد وتحسين الاداء الوظيفي لهم. تلك المعنويات التي اذا لم تتحقق تتحول إلى مشكلات نفسية ، او تسبب في مشاكل اخرى كعدم التكيف لظروف العمل ، فتعيق تحقيق المؤسسة لأهدافها (٩) .

والنمط الثاني من المشكلات التي يتعرض لها جهاز المرور ، تنجم عن العلاقة بين منتسبيه ومستعملي الطريق كقائدي المركبات والمشاة . اذ ان كثيراً من المخالفين على سبيل المثال ينفعلون ويتهورون عند محاسبتهم من قبل رجل المرور ، وقد توصلت دراسة اجراها الباحث في مدينة بغداد إلى ان ٦١,٢٪ من المخالفين الذين وقعوا في حوادث المرور كانوا بحالة نفسية سيئة (١٠) .

كذلك يختلف مستعملوا الطريق في سلوكياتهم تجاه نظم المرور وقواعده لاختلافهم في الميول والاتجاهات النفسية او التجارب الشخصية ، انهم لايختلفون عن بعضهم فقط بل ان الشخص الواحد تختلف انفعالاته وبالتالي احكامه وسلوكه باختلاف مراحل عمره والمواقف الاجتماعية التي يتعرض لها (١١) .

اضافة لذلك الخلفية الاجتماعية وما ترسخت في أذهان الفرد العراقي من الاتجاهات نحو تطبيق القانون والالتزام به . اذ نرى دائماً الميل العفوي للمخالفة من قبل مستعملي الطريق (١٢) .

واقترنت في أذهان الأفراد إنطباعات سلبية عن رجل الشرطة عموماً تقوم على القناعة بأن هذه الأجهزة كانت في الماضي أداة إرهاب وسلاحاً مسلطاً على رقاب المواطنين (١٣) .

تربك جميع هذه الحالات العلاقة بين شرطة المرور ومستعملي الطريق ، خصوصاً عندما يفقد الأول - أي شرطة المرور - المعرفة بطبيعة الانسان واختلاف قبوله واتجاهاته فتكون مؤشراً لأبرز المشكلات لجهاز المرور فتؤثر في ادائه الوظيفي .

أهمية البحث :

تبدو أهمية البحث واضحة في انه يبحث في مشكلات جهاز اداري مهم من اجهزة الدولة والذي يضطلع دوراً كبيراً في حل مشكلات النقل في المدينة ، وتعتمد عليه صيانة ارواح كثير من المواطنين يومياً ، لعله يستفيد من نتائج البحث في معرفة أبرز مشكلات منتسبيه والاستفادة من مقترحات البحث .

الهدف من البحث :

يهدف البحث إلى الكشف عن ابرز مشكلات منتسبي جهاز شرطة المرور والتي تعيق عملية اداء وظائفهم والمتمثلة بما يأتي :

١ - المشكلات الناجمة عن العلاقة مع الادارة .

٢ - المشكلات الناجمة عن العلاقة مع مستعملي الطريق (المشاة والسواق) .

المبحث الثاني

اجراءات البحث

أولا : تحديد المفاهيم

فيما يأتي تحديد المقصود ببعض المفاهيم التي وردت في البحث واستخدمت لاغراضه فقط .

١ ـ جهاز شرطة المرور :

مجموعة أفراد يكونون نظاماً ادارياً ويسعون بأداء وظائفهم لتحقيق اهداف وجود الجهاز ، التي تتمثل بتنظيم حركة المرور في الطرق .

٢ ـ الأدارة :

توجيه جهد جماعي مشترك في منظمة ما ـ عامة او خاصة ـ بقصد تحقيق اهداف محددة ومرسومة (١٤) .

٣ ـ مستعملو الطريق :

الاشخاص الذين يستخدمون الطرق العامة لقضاء حاجاتهم سواء كمشاة او سواق مركبات (١٥) .

٤ ـ مشكلات المرور :

انها مجمل الحالات التي لا يحبذ المجتمع وقوعها ضمن حركة المرور ، وتتراوح بين الطرق الضيقة وازدحام المركبات وعدم ملاءمة الطرق الرئيسة . وارتفاع حوادث المرور ، والاستهتار بقواعد السير ، وزيادة عدد المصابين من الجرحى والقتلى (١٦) .

٥ ـ المشكلة الاجتماعية :

«ظاهرة اجتماعية صاخبة تعكر حياة عدد كبير من ابناء المجتمع لما تسببه من آثار سلبية على نمط علاقاتهم وتفاعلهم ، وتحتاج لاتخاذ عمل جماعي منظم يستهدف القضاء عليها وازالة اثارها المدمرة» (١٧) .

ثانياً : فرضية البحث

«هناك علاقة بين تعرض منتسبي جهاز شرطة المرور لبعض المشكلات وطبيعة وظروف مهنتهم» .

ثالثاً : ـ عينة البحث

بلغ مجموع افراد العينة (٨٨) فرداً، وهم جميعاً من منتسبي مديرتي مرور نينوى ودهوك . يتمثلون بالضباط والمفوضين والمراتب من المديريتين (ينظر الجداول ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) لغرض الاطلاع على خصائص افراد العينة .

رابعاً: أداة البحث

لغرض جمع البيانات صمم الباحث استبياناً استطلاعياً تضمن سؤالين عن اهم المشكلات التي يعانيها .السؤال الأول عن أهم المشكلات ذات العلاقة بالادارة ، والثاني عن اهم المشكلات ذات العلاقة بتعامل افراد شرطة المرور بمستعملي الطريق .

وفي ضوء نتائج الاستبيان الاستطلاعي صمم الاستبيان الأخير وتكون من (٢٠) فقرة . عرض الاستبيان على لجنة من الخبراء لبيان صدقه الظاهري (١٨) . فكانت نتائج المحكمين كما يتبين في جدول رقم (١) ومن ثم طبق الاستبيان على افراد العينة .

خامساً : حدود البحث

تعد مدينتا الموصل ودهوك مجالاً مكانياً للبحث، ومنتسبو جهاز المرور في المدينتين مجالاً بشرياً ، والفترة من ١٩٨٩/٢/٢٢ ، وإلى ١٩٨٩/٣/١ تحدد المجال الزمني لجمع البيانات .

سادساً: منهج البحث والوسائل الأحصائية :

يعد البحث من الدراسات الوصفية . والمنهج المتبع هو منهج المسح الاجتماعي واستخدمنا النسبة المئوية ومقياس (كا٢) كمقاييس احصائية وفق المعادلة الآتية



$$\text{كا}^2 = \text{مج} \frac{(\text{القيم المشاهدة} - \text{القيم المتوقعة})^2}{\text{القيم المتوقعة}}$$

المبحث الثالث

تحليل نتائج البحث الميداني

توضح نتائج البحث الميداني أبرز المشكلات التي يتعرض لها منتسبو جهاز المرور كالاتي :-

أولا : المشكلات الناجمة عن العلاقة مع الادارة :-

تبين من نتائج البحث الميداني ان أهم المشكلات التي يعاني منها المبحوثون بسبب طبيعة العلاقة مع الادارة هي :-

١ - **الأرهاق** : من الطبيعي أن يحتاج جسم الانسان الى فترة الراحة لأستعادة نشاطه .إلا انه احياناً تفرض طبيعة المهنة وظروف الادارة الموضوعية مضاعفة

واجبات الأفراد في المنظمة فيصيبهم الأرهاق فيقلل من ادائهم الوظيفي اذ وصلت في الأونة الأخيرة بالذات أثناء اجراء البحث ساعات عمل منتسبي المرور مابين (١٥–١٨) ساعة يومياً وأهم اسباب الأرهاق تمثلت بما يأتي:

مضاعفة الواجبات : — ان المتفق عليه حول ساعات العمل في أي مجال بأن لاتتجاوز (٨) ساعات يومياً بينما ضوعفت في جهاز المرور الى أن وصلت مابين (١٥–١٨) ساعة يومياً . فقد اشارت بيانات البحث الى أن ٧٩.٥٪ من افراد العينة يشعرون بالارهاق بسبب طول ساعات العمل.(جدول٦) . واحياناً ان لم يشعر بعض الأفراد بالأرهاق فأنهم يشعرون بالملل والخمول عند مضاعفة الواجبات . إذ أجاب ٦٥,٣٪ من المبحوثين بأنهم يشعرون بالملل عند مضاعفة واجباتهم ، وفي نفس الوقت يشعرون بالخمول خصوصاً بعد الساعة الثالثة من بعد الظهر اثناء تأدية واجباتهم وبنسبة ٧٦,٥٪ (جدول ٦) .

ب — تدني الروح المعنوية :

الجوانب المعنوية للانسان لها دورمهم في التقدم بالعمل فكثيراً مايشعر الفرد بالأرهاق والملل عندما يرى عدم وجود من يثمن جهوده اي انه يكون بحاجة الى رفع معنوياته لتتوازى مع الجهود المبذولة بساعات العمل الطويلة التي تتجاوز ساعات العمل لاية مهنة كانت .فتزيد العملية من الشعور بالأرهاق وقد اصاب ٥٦٪ من أفراد العينة بعدم وجود من يثمن جهودهم ليرفع من معنوياتهم . (جدول ٦) .

حـ — العمر: من العوامل المهمة التي تسبب الأرهاق عند شرطة المرور هو العمر ، حيث تشير النتائج الى ان الفئات العمرية الكبيرة هي الأكثر تعرضاً للارهاق في العمل من غيرهم ، وقد تبين ان ١٠٠٪ من افراد العينة الذين

تنحصر اعمارهم بين (٤٨ – ٥٢) سنة يشعرون بالأرهاق، وأما الذين تراوح اعمارهم بين (٣٨ – ٤٢) سنة فكانت نسبة من يشعرون منهم بالأرهاق هي ٩٠,٩٪ .ومن تراوحت اعمارهم بين (٤٣ – ٤٧) سنة فكان ٨٧.٥٪ منهم يشعرون بالأرهاق وبينما الشباب منهم اقل من غيرهم شعوراً بالتعب اذ من تراوحت اعمارهم بين (١٨ – ٢٢) سنة ، كان ٥٣,٣ منهم يشعرون بالتعب والذين تتراوح اعمارهم من (٢٣ – ٢٧) كان ٦٦,٧٪ منهم يشعرون بالأرهاق . (جدول ٨) .

د – **منطقة الواجب** : تعد منطقة الواجب المكان الذي يوجد فيه شرطي المرور لتأدية وظيفته ، وقد تساعد جودة المنطقة ورغبة الشرطي فيها على تصاعد الأداء الوظيفي. فقد تبين ان ٥٩,١٪ من افراد العينة اشاروا الى انهم يشعرون بالتعب لعدم وجود مكان مخصص للجلوس. ومن جهة أخرى يرغب بعض أفراد الشرطة لتغيير أماكن عملهم. اذ أحياناً قد تكون في منطقة مزدحمة من المدينة ،أو من منطقة الضواحي ، فأجاب ٣١,٨٪ من المبحوثين بأنهم يشعرون بالملل لعدم تغيير منطقة الواجب (جدول ٦).

وأما على صعيد المحافظة الواحدة فتبين ان ٩١,١٪ من افراد عينة محافظة نينوى يشعرون بالأرهاق بسبب ساعات العمل الطويلة ويقابلها في محافظة دهوك ٥٩,٧ ٪ ، والشعور بالملل عند مضاعفة الواجب، كانت النتيجة في محافظة نينوى ٧٥٪ وفي دهوك ٥٩,٧ ٪ ،واما الشعور بالخمول بعد الساعة الثالثة ظهراً فذكرها أفراد عينة نينوى بنسبة ٧٦,٨ ٪ يقابلها ٥٩,٧٪ لأفراد عينة دهوك .

ومايتعلق بتثمين الجهود فأجاب ذلك ٦٤,٣٪ في نينوى مقابل ٤٣,٨٪ . في دهوك. وأما بالنسبة لمكان الجلوس في منطقة الواجب فأشار ٥٥,٣٪ من

افراد عينة نينوى: بعدم وجوده مقابل ٣٤.٩٪ في محافظة دهوك . واجاب ٣٣.٩٪ من افراد عينة نينوى بالشعور بالملل لعدم تغيير منطقة الواجب يقابلهم ٢٨.١٪ من افراد عينة دهوك (ينظر جدول ٧) .

٢ — مشكلة الأخفاق في تنظيم السير : —

من الأهداف الأساسية لجهاز شرطة المرور هو تنظيم السير ومـــراقبته . بينما نجد تبعثر بعض افراد الشرطة في السيطرة والتحكم بالسير في مجـــال منطقة واجبهم وذلك لسببين رئيسين هما : —

أ — الأرهاق : تبين فيما سبق ان المشكلات الرئيسة التي يعاني منها افراد جهاز المرور هي الأرهاق في العمل ، وهذا الأرهاق يكون سبباً رئيساً في عدم التمكن من ضبط السير حيث اشار ٣٧.٥٪ من افراد العينة الى انهـم لايحاسبون بعض المخالفين من مستعملي الطريق بسبب الأرهاق في العمـل مما يؤدي الى الأرباك وعدم الأنتظام في الطريق . ومن جهة اخرى اجـاب ٣٥.٢ ٪ مـن افراد العينة بأنهم لايتمكنون من اعادة الأنسياب في مناطق الأزدحام بسب الأرهاق . مما تفقد عملية الضبط والسيطرة على السير

ب — عدم توفر الأجهزة والمعدات : —

ان وجود المركبات الحديثة الصنع بما فيها السيارات والدراجات النارية ووجود وسائل المراقبة الحديثة كالرادارات ، ووسائل الأتصال المتطورة جميعها تساعد افراد شرطة المرور في السيطرة والتحكم على السير . الا انه يفتقد جهاز المرور كثيراً من هذه المعدات وان وجدت فهي قديمة الصنـع لايمكن ان تتوازى مع مايمتلكه المواطنون من المركبات الحديثة و السريعة فقد أجاب ٨٨,٦٪ من افراد العينة بعدم توفر الوسائل الحديثة لملاحقة المخالفين ومراقبة السير ، مما لايساعد في تنظيم السير بالطرقات ينظر جدول (٦) .

واما على صعيد المحافظة فتبين بأن ٣٩,٢٪ من أفراد عينة نينوى لايحا سبون المخالفين لشعورهم بالأرهاق مقابل ٣٤,٤٪ في محافظة دهوك . وفي محافظة نينوى ظهر ان ٣٥,٧٪ من افراد العينة لايستطيعون اعادة الأنسياب في مناطق الأزدحام بسبب الأرهاق مقابل ٣٤,٤٪ من عينة دهوك .

ومايتعلق بوجود الوسائل والمعدات فأجاب ٨٩,٣٪ من افراد عينة نينوى بذلك مقابل ٨٧,١٪ من افراد عينة دهوك .

٣ـ المشكلات الصحية :

من المشكلات التي يعانيها منتسبو شرطة المرور ، وتمثل خطورة على حياتهم الصحية للاصابة بالأمراض .

وتبين من نتائج البحث ان اهم اسباب هذه الامراض هي :

أ ـ التعرض لبرد الشتاء ، فقد اجاب ٧٦,٥٪ من أفراد العينة بأنهـم يصابون بأمراض البرد شتاء .

ب ـ التعرض لحرارة الشمس صيفاً حيث اجاب ٨٥,٢٪ من افراد العينة بأن حرارة الشمس في الصيف ترهقهم وتقيد قدراتهم للعمل .

جـ ـ التعرض للمخلفات الكيميائية التي تطرحها المركبات ، تطرح المركبات في الطرقات مواد كيميائية سامة تؤثر على أجهزة الجسم فيكون شرطي المرور أول من يتعرض لهذه المواد او الغازات السامة ، اذ تبين من نتائج البحث ان ٨٠,٧٪ من أفراد العينة اشاروا الى تعرضهم لهـذه المخلفات الكيميائية . (جدول ٦) .

وأما على مستوى المحافظة الواحدة فقد اشار ٧٦,٨٪ من افراد عينة محافظة نينوى الى تعرضهم لأمراض البرد ، يقابلها في دهوك ٧٥٪ ، وبالنسبة لحرارة

الشمس فيعاني منها ٨٩.٢٪ من افراد مرور نينوى، و ٧٨.١٪ في محافظة دهوك وما تتعلق بالتعرض الى المخلفات الكيميائية السامة فأشار اليها ٨٥,٧٪ من افراد مرور نينوى، ٧١,٩٪ من افراد مرور دهوك . (جدول ٧).

٤ – المشكلات الأسرية :

تسبب الظروف المهنية لشرطي المرور، وخصوصاً طول ساعات العمل ، بعض المشكلات التي تخص الأسرة ، وقد تبين ان ٧٦.١٪ من افراد العينة يواجهون بعض المشكلات الأسرية بسبب طول اوقات الدوام الذي يؤدي الى فقدان الرعاية الأسرية اللازمة. وتأكيداً لذلك اجاب ٨١.٨٪ من افراد العينة بأنهم لايتمكنون من تلبية متطلبات اسرهم بسبب طول أوقات الدوام (جدول ٦) .

وقد تبين أن المتزوجين من منتسبين الجهاز أكثر من العزاب تعرضاً لمثل هذه المشكلات حيث كانت نسبة المتزوجين الذين يتعرضون لها ٩٠.٨٪ ، مقابل ٣٤.٨٪ (جدول٩) . ويرجع السبب الى ان المتزوجين يتحملون اعباء اسرية ومسؤوليات أكثر من العزاب، وظهر فرق معنوي بأستخدام مقياس كا٢ وعلى جميع المستويات وبدرجة حرية(١) وقيمة كا٢ = ٢٦.٣

ثانياً : المشكلات الناجمة عن العلاقة مع مستعملي الطريق :–

أظهرت نتائج البحث ان اهم عوامل حدوث المشكلات بسبب العلاقة مع مستعملي الطريق هي :

١ – سوء تصرف مستعملي الطريق :–

كثيراً مايسيء بعض مستعملي الطريق من سواق المركبات والمشاة الى شرطي المرور، حيث اشار ٦٧٪ من افراد العينة الى ان بعض مستعملي الطريق المخالفين يضايقونهم بالجدل والعناد. ومن جهة اخرى أجاب ٦١,٤٪ من

المبحوثين بأن مستعملي الطريق لايحترمون ارشادات المرور . وظهر من نتائج البحث ان ٧١,٦٪ من افراد العينة ذكروا بأن مستعملي الطريق يلومون رجال المرور وخصوصاً المخالفين منهم . وقد تبين ان هذا التعامل من قبل مستعملي الطريق يثير بعض رجال المرور فينفعلون بسرعة ، فقد اشار لذلك ٥٣,٤ ٪ من افراد العينة (جدول ٦) .

اما على مستوى المحافظة الواحدة فقد ظهر ان ٧٣,٢٪ من افراد العينة في محافظة نينوى يضايقهم جدل مستعملي الطريق يقابل ذلك ٥٦,٣٪ في محافظة دهوك. وبالنسبة الى عدم احترام إرشادات المرور فقد أكدها ٦٤,٣٪ من أفراد عينة نينوى ، و ٤٣,٨٪ من افراد عينة دهوك. وأظهر ان ٦٧,٩٪ من شرطة مرور نينوى يرون ان بعض مستعملي الطريق يلومون رجال المرور مقابل ٧٨,١٪ ذكروا ذلك في محافظة دهوك ومايتعلق بأنفعال بعض رجال شرطة المرور فتساوت النسبة في المحافظتين وهي ٥٣,٤٪ (جدول٧).

٢ ـــ عدم التمكن من محاسبة بعض مستعملي الطريق : ـــ

غالباً مانلاحظ ان بعض رجال المرور يتجاهلون مخالفات بعض السواق أو المشاة ، أو قد يسجلون مخالفتهم . فأما ان يكون هؤلاء المخالفون ، من العسكريين ذوي مرتبة اعلى من رتبة رجل المرور المكلف بالواجب أو يكتشف انه من كبار الموظفين أو من اصحاب المكانة والسلطة في المجتمع .

وقد اشار ٥٨٪ من افراد العينة الى انهم لايستطيعون محاسبة من يكبرهم رتبة ، حيث ثبت وجود علاقة بين رتبة الشرطي ومحاسبته للمخالفين اذ تبين ان ٦٧,٣٪ من أفراد العينة الذين تنحصر رتبهم بين (شرطي ـ رأس عرفاء) اجابوا نعم لايستطيعون محاسبة من يكبرهم رتبة ، و ٥٧,٩٪ من المفوضين ، في حين اجاب ٢٩,٤٪ من الضباط بنعم. إذن كلما زادت رتبة

رجل المرور يقل عدد الذين لايحاسبون فمن يكبرهم رتبة من العسكريين المخالفين .(جدول ١٠) . وعند استخدام مقياس (كا٢) ظهر فرق معنوي على مستويات ثقة ٩٠٪ و ٩٥٪ وبدرجة حرية (٢). وقيمة كا٢ = ٧.٨ .

ومن جهة أخرى تبين ان بعض افراد جهاز المرور لايستطيعون محاسبة ذوي المراكز الوظيفية العالية في المجتمع او في الدولة . أذ تبين ان ٤.٦١٪ منهم اجاب نعم. وكذلك الحال ان هذه النتيجة تعتمد على رتبة رجل المرور وقد ظهر في جدول (١١) فأن ٢٠.٦٪ من المراتب و٦٣.٦٪ من المفوضين و٣٥.٣٪ من الضباط اجابوا بنعم . اي كلما تزداد رتبة رجل المرور تقل ظاهرة عدم محاسبة ذوي المكانة والوظيفة العالية بالمجتمع والدولة .

وعند استخدام مقياس (كا٢) ظهر فرق معنوي على مستوى ثقة ٩٠٪ . وبدرجة حرية (٢) وقيمة كا٢ =(٦) .

خلاصة النتائج

فيما يأتي خلاصة لنتائج البحث .

تبين انه أهم المشكلات التي يتعرض لها منتسبو جهاز شرطة المرور هي :

أولا: المشكلات الناجمة عن طبيعة العلاقة مع الادارة واشتملت على مايأتي :

١ – الأرهاق وكانت اهم اسبابه مايأتي :

ا – مضاعفة الواجبات

ب – تدني الروح المعنوية لعدم تثمين المسؤولين لجهودهم

ج – العمر

د – ظروف منطقة الواجب .

٢ ـ مشكلة الأخفاق في تنظيم السير وكانت اهم اسبابها :

ا ـ الأرهاق

ب ـ عدم توفر الأجهزة والمعدات

٣ ـ المشكلات الصحية وأهم اسبابها هي :

ا ـ التعرض للبرد شتاء

ب ـ التعرض للحرارة صيفاً .

حـ ـ التعرض للمخلفات السامة التي تطرحها المركبات .

٤ ـ المشكلات الاسرية

ثانياً المشكلات الناجمة عن العلاقة مع مستعملي الطريق واهم اسبابها .

١ ـ سوء تصرف مستعملي الطريق وأهم مظاهر السوء كانت :

أ ـ الجدل والعناد

ب ـ عدم احترام ارشادات المرور

جـ ـ لوم رجل المرور

٢ ـ عدم التمكن من محاسبة بعض مستعملي الطريق واغلب هؤلاء هم من :

أ ـ الرتب العسكرية العالية

ب ـ كبار الموظفين في الدولة .

جـ ـ اصحاب المكانة والسلطة في المجتمع .

«التوصيات»

يوصي الباحث وفي ضوء نتائج البحث بما يأتي :

اولاً : فيما يتعلق بادارة شرطة المرور —

١ — لرفع المستوى العلمي والثقافي لمنتسبي المرور ، ومتابعة المستجدات في العلوم ذات العلاقة بالمرور وتنظيمه ، نوصي بالاستمرار في اقامة دورات تثقيفية لمختلف منتسبي شرطة المرور .

٢ — يفضل ان يقضي بعض الضباط المتقدمين بالوظيفة دورات عامة في بلدان خارجية سبقت بلادنا في تنظيم المرور للاطلاع على ما استجد من التطوير .

٣ — تدريس مادتي علم الاجتماع وعلم النفس ضمن دورات التثقيف والتركيز في منهاج المادتين على مواضيع تخص شرطي المرور يمكن الاستفادة منها لاكتساب خبرات تهمه في التعامل مع مستعملي الطريق كمواضيع التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية والطبيعة البشرية والتنشئة الاجتماعية .

٤ — توفير الوسائل الحديثة المتطورة لجهاز المرور كالرادارات للطرق الخارجية والمركبات .

٥ — لغرض تخليص المنتسبين من الارهاق ولتجاوز المشكلات الاسرية منح اجازة شهرية لهم ، تحدد حسب الظروف لكل مديرية .

٦ — عدم مضاعفة الواجبات لكبار السن من منتسبي المرور .

٧ — دعم افراد شرطة المرور معنوياً ومادياً لتثمين جهودهم التي تمتاز طبيعة عملهم بها .

ثانياً : مايتعلق بالتوعية المرورية :

١ ــ اعتماد التوعية المرورية وتشمل جميع شرائح المجتمع وتتضمن أساليب التعامل مع منتسبي شرطة المرور ، واهمية هذا الجهاز لخدمة افراد المجتمع ، وذلك عبر الاذاعة والتلفزيون .

٢ ــ ان لا تقتصر التوعية على الارشادات المرورية المتعلقة بالعلامات والاشارات وانما تمتد إلى توضيح الحالات النفسية الملائمة التي يجب ان يمتاز بها السائق عند قيادته للمركبة ، وتوضيح الاسباب الاجتماعية والنفسية لحوادث المرور .

٣ ــ ان يكون تقديم برامج التوعية المرورية عبر المنظمات الجماهيرية عن طريق عرض بوسترات او محاضرات ارشادية او عرض افلام سينمائية تخص المرور لاعضاء هذه المنظمات .

ثالثاً : مايتعلق بالتعامل مع مستعملي الطريق : ــ

١ ــ عدم تهاون منتسبي المرور في محاسبة المخالفين وبمختلف مناصبهم . لكي تتحقق العدالة في التعامل مع المخالفين .

٢ ــ ان يتصف رجل المرور بالمرونة في التعامل مع مستعملي الطريق وخصوصاً عند استخدامهم الطريق لقضاء بعض الحاجات ذات الموقف الاضطراري

الجدول (١) يبين نتائج لجنة المحكمين حول فقرات الاستبيان .

الفقرات	صالحة	٪	غير صالحة	٪
١ - اشعر بالارهاق بسبب ساعات العمل الطويلة	٥	١٠٠	٠	
٢ - اشعر بالملل لعدم تغيير منطقة واجبي	٥	١٠٠	٠	
٣ - اتعب بسرعة لعدم تخصيص مكان للجلوس	٤	٨٠	١	٢٠
٤ - اشعر بالملل عند مضاعفة واجبي	٥	١٠٠	٠	٠
٥ - اشعر بالخمول بعد الساعة الثالثة ظهراً	٤	٨٠	١	٢٠
٦ - اصاب بامراض البرد شتاءاً	٥	١٠٠	٠	٠
٧ - يرهقني ارتفاع درجات الحرارة صيفاً	٥	١٠٠	٠	٠
٨ - لا احاسب بعض المخالفين بسبب ارهاقي	٤	٨٠	١	٢٠
٩ - لا تتوفر الوسائل الحديثة كالرادار والمركبات الحديثة لرصد وملاحقة المخالفين .	٤	٨٠	١	٢٠
١٠ - ليس هناك من يثمن جهودنا	٤	٨٠	١	٢٠
١١ - لا استطيع اعادة الانسيابية بسبب ارهاقي	٥	١٠٠	٠	٠
١٢ - نتعرض للاصابات بسبب المخلفات الكيمياوية للمركبات .	٥	١٠٠	٠	٠

الفقرات	صالحة	٪	غير صالحة	٪
١٣ – لا أتمكن من تلبية متطلبات اسرتي بسبب طول اوقات الدوام	٥	١٠٠	٠	٠
١٤ – اواجه بعض المشكلات الاسرية بسبب طول اوقات الدوام	٥	١٠٠	٠	٠
١٥ – لاستطيع محاسبة من يكبرني رتبة من العسكريين المخالفين	٤	٨٠	١	٢٠
١٦ – يضايقني جدال المخالفين كثيراً	٥	١٠٠	٠	٠
١٧ – لا استطيع محاسبة ذوي المراكز الوظيفية العالية .	٤	٨٠	١	٢٠
١٨ – ان بعض مستعملي الطريق لايحترمون ارشادات المرور	٥	١٠٠	٠	٠
١٩ – انفعل بسرعة عند التعامل مع المخالفين	٤	٨٠	١	٢٠
٢٠ – يلوم الناس رجال المرور كثيراً .	٥	١٠٠	٠	٠

جدول (٢) يبين رتب المنتسبين لافراد العينة

الرتبة	نينوى		دهوك		
—	العدد	٪	العدد	٪	مج
مراقب	٣١	٥٥,٤	٢١	٦٥,٦	٥٢
مفوض	١٢	٢١,٤	٧	٢١,٩	١٩
ضابط	١٣	٢٣,٢	٤	١٢,٥	١٧
مج	٥٦	١٠٠	٣٢	١٠٠	٨٨

جدول (٣) يبين الفئات العمرية لافراد العينة

الفئات العمرية	نينوى		دهوك		
	العدد	٪	العدد	٪	مج
١٨ — ٢٢	٨	١٤,٣	٧	٢١,٩	١٥
٢٣ — ٢٧	١٠	١٧,٩	٢	٦,٢	١٢
٢٨ — ٣٢	٧	١٢,٥	١٧	٥٣,٢	٢٤
٣٣ — ٣٧	٣	٥,٤	١	٣,١	٤
٣٨ — ٤٢	١١	١٩,٦	٣	٩,٤	١٤
٤٣ — ٤٧	٦	١٠,٧	٢	٦,٢	٨
٤٨ — ٥٢	١١	١٩,٦	٠	٠	١١
مج	٥٦	١٠٠	٣٢	١٠٠	٨٨

جدول (٤)

يبين الحالة الزوجية لأفراد العينة

الحالة الزوجية	نينوى		دهوك		
	العدد	٪	العدد	٪	مج
متزوج	٣٩	٦٩,٦	٢٦	٨١,٢	٦٥
اعزب	١٧	٣٠,٤	٦	١٨,٨	٢٣
مج	٥٦	١٠٠	٣٢	١٠٠	٨٨

جدول (٥)

يبين الحالة التعليمية لأفراد العينة

الحالة التعيمية	نينوى		دهوك		
	العدد	٪	العدد	٪	مج
خريج مركز محو الأمية	٥	٨,٩	٢	٦,٢	٧
ابتدائية	٢٤	٤٢,٩	١٨	٥٦,٣	٤٣
خريج متوسطة	١٣	٢٣,٢	٣	٩,٤	١٦
خريج اعدادية	١	١,٨	٤	١٢,٥	٥
خريج كلية الشرطة	٩	١٦,١	٣	٩,٤	١٢
خريج جامعة	٤	٧,١	٢	٦,٢	٦
مج	٥٦	١٠٠	٣٢	١٠٠	٨٨

جدول (٦) يبين الترتيب التنازلي لفقرات الاستبيان

الفقرات	نعم	%	لا	%
١ - لا تتوفر الوسائل الحديثة كالرادار والمركبات الحديثة لرصد وملاحقة المخالفين .	٧٨	٨٨,٦	١٠	١٢,٤
٢ - يرهقني ارتفاع درجات الحرارة صيفاً .	٧٥	٨٥,٢	٢٦	٢٩,٥
٣ - لا امكن من تلبية متطلبات اسرتي بسبب طول اوقات الدوام .	٧٢	٨١,٨	١٦	١٨,٢
٤ - نتعرض للاصابات بسبب المخلفات الكيميائية للمركبات .	٧١	٨٠,٧	١٧	١٩,٣
٥ - اشعر بالارهاق بسبب ساعات العمل الطويلة .	٧٠	٧٩,٥	١٨	٢٠,٥
٦ - اشعر بالخمول بعد الساعة الثالثة ظهراً .	٦٧	٧٦,٥	٢٦	٢٩,٥
٧ - اواجه بعض المشكلات الاسرية بسبب طول اوقات الدوام .	٦٧	٧٦,١	٢١	٢٣,٩
٨ - يلوم الناس رجال المرور كثيراً .	٦٣	٧١,٦	٢٥	٢٨,٤
٩ - اشعر بالملل عند مضاعفة واجبي	٦١	٦٩,٣	٢٧	٣٠,٧
١٠ - اصاب بامراض البرد شتاءاً .	٦	٦٨,٢	٢٦	٢٩,٥
١١ - يضايقني جدل المخالفين كثيراً	٥٩	٦٧	٢٩	٣٣
١٢ - لا استطيع محاسبة ذوي المراكز الوظيفية العالية .	٥٤	٦١,٤	٣٤	٣٨,٦

الفقرات	نعم	٪	لا	٪
١٣ ـ ان بعض مستعملي الطريق لا يحترمون ارشادات المرور .	٥٤	٦١,٤	٣٤	٣٨,٦
١٤ ـ اتعب بسرعة لعدم تخصيص مكان الجلوس .	٥٢	٥٩,١	٣٦	٤٠,٩
١٥ ـ لا استطيع محاسبة من يكبرني رتبة من العسكريين المخالفين .	٥١	٥٨	٣٧	٤٢
١٦ ـ ليس هناك من يثمن جهودنا .	٥٠	٥٦,٨	٣٨	٤٣,٢
١٧ ـ انفعل بسرعة عند التعامل مع المخالفين .	٤٧	٥٣,٤	٤١	٤٦,٦
١٨ ـ لا احاسب بعض المخالفين بسبب ارهاقي .	٣٣	٣٧,٥	٥٥	٦٢,٥
١٩ ـ لا استطيع اعادة الانسياب في مناطق الازدحام بسبب ارهاقي .	٣١	٣٥,٢	٥٧	٦٤,٨
٢٠ ـ اشعر بالملل لعدم تغيير منطقة واجبي .	٢٨	٣١,٨	٦٠	٦٨,٢

جدول (٧) يمثل اجابات افراد العينة حسب المحافظتين

الفقرات	الاجوبة							
	محافظة نينوى				محافظة دهوك			
	نعم	%	لا	%	نعم	%	لا	%
١ – اشعر بالارهاق بسبب ساعات العمل الطويلة	٥١	٩١,١	٥	٨,٩	١٩	٥٩,٧	١٣	٤٠,٣
٢ – اشعر بالملل لعدم تغيير منطقة واجبي	١٩	٣٣,٩	٣٧	٧٦,١	٩	٢٨,١	٢٣	٧١,٩
٣ – اتعب بسرعة لعدم تخصيص مكان الجلوس	٣١	٥٥,٣	٢٥	٥٤,٧	١١	٣٤,٤	٢١	٦٥,٦
٤ – اشعر بالملل عند مضاعفة واجبي	٤٢	٧٥	١٤	٢٥	١٩	٥٩,٧	١٣	٤٠
٥ – اشعر بالخمول بعد الساعة الثالثة ظهراً	٤٣	٧٦,٨	١٣	٣٣,٢	١٩	٥٩,٧	١٣	٤٠
٦ – اصاب بامراض البرد شتاءً	٤٣	٧٦,٨	١٣	٣٣,٢	٢٤	٧٥	٨	٢٥
٧ – يرهقني ارتفاع درجات الحرارة صيفاً	٥٠	٨٩,٢	١٣	٣٣,٢	٢٥	٧٨,١	٧	٢١,٩
٨ – لااحاسب بعض المخالفين بسبب ارهاقي	٢٢	٣٩,٢	٣٤	٦٠,٨	١١	٣٤,٤	٢١	٦٥,٦
٩ – اواجه بعض المشكلات الاسرية بسبب طول اوقات الدوام	٤٦	٨٢,١	١٠	١٧,٩	٢١	٦٥,٦	١١	٣٤
١٠ – لا اتمكن من تلبية متطلبات اسرتي بسبب طول اوقات الدوام	٥٠	٨٩,٣	٦	١٠,٧	٢٢	٦٨,٨	١٠	٣١,٢

١١ – ليس هناك من يثمن جهودنا	٣٦	٦٤,٣	٢٠	٣٥,٧	١٤	٤٣,٨	١٨	٥٦,٢
١٢ – لا تتوفر الوسائل الحديثة كالرادار والمركبات الحديثة لرصد وملاحقة المخالفين	٥٠	٨٩,٣	٦	١٠,٧	٢٨	٨٧,١	٧	٢١,٩
١٣ – لا استطيع محاسبة من يكبرني رتبة من العسكريين المخالفين	٣٢	٥٧,١	٢٤	٤٢,٩	١٩	٥٩,٤	١٣	٤٠,٦
١٤ – يضايقني جدال المخالفين كثيراً	٤١	٧٣,٢	١٥	٢٦,٨	١٨	٥٦,٣	١٤	٤٣,٧
١٥ – لا استطيع محاسبة ذوي المراكز الوظيفية العالية	٣٦	٦٤,٣	٢٠	٣٥,٧	١٨	٥٦,٣	١٤	٤٣,٧
١٦ – ان بعض مستعملي الطريق لا يحترمون ارشاداتي	٣٦	٦٤,٣	٢٠	٣٥,٧	١٤	٤٣,٨	١٨	٥٦,٢
١٧ – لا استطيع اشادة لانسياب في مناطق الازدحام بسبب ارهاقي	٢٠	٣٥,٧	٣٦	٦٤,٣	١١	٣٤,٤	٢١	٦٥,٦
١٨ – انفعل بسرعة عند التعامل مع المخالفين	٣٠	٥٣,٦	٢٦	٤٦,٤	١٧	٥٣,١	١٥	٤٦,٩
١٩ – يلوم الناس رجال المرور كثيراً	٣٨	٦٧,٩	١٨	٣٢,١	٢٥	٧٨,١	٧	٢١,٩
٢٠ – نتعرض للاصابات بسبب المخلفات الكيميائية للمركبات	٤٨	٨٥,٧	٨	١٤,٣	٢٣	٧١,٩	٩	٢٨,١

جدول (٨) يبين الفئات العمرية وعلاقتها بالأرشاق

الفئات العمرية	الأجابة				
	نعم	٪	لا	٪	مج
١٨ — ٢٢	٨	٥٣.٣	٧	٤٦.٧	١٥
٢٣ — ٢٧	٨	٦٦.٧	٤	٣٣.٣	١٢
٢٨ — ٣٢	٢٠	٨٣.٣	٤	١٦.٧	٢٤
٣٣ — ٣٧	٣	٧٥	١	٢٥	٤
٣٨ — ٤٢	١٣	٩٢.٩	١	٧.١	١٤
٤٣ — ٤٧	٧	٨٧.٥	١	١٢.٥	٨
٤٨ — ٥٢	١١	١٠٠	٠	٠	١١
مج	٧٠		١٨		٨٨

جدول (٩) يبين العلاقة بين الحالة الزوجية والمعاناة من المشكلات الأسرية

الحالة الزوجية	المعاناة				
	نعم	٪	لا	٪	مج
	العدد		العدد		
متزوج	٥٩	٩٠,٨	٦	٩,٢	٦٥
اعزب	٨	٣٤,٨	١٥	٦٥,٢	٢٣
مج	٦٧	٧٦,١	٢١	٢٣,٩	٨٨

جدول (١٠) يبين العلاقة بين رتبة المنتسب ومحاسبة من يكبره رتبة من العسكرين

الرتبة	الأجابة				
	نعم العدد	٪	لا العدد	٪	مج
شرطي الى رأس عرفاء	٣٥	٦٧,٣	١٧	٣٢,٧	٥٢
مفوض	١١	٥٧,٩	٨	٤٢,١	١٩
ضابط	٥	٢٩,٤	١٢	٧٠,٦	١٧
مج	٥١		٣٧		٨٨



جدول (١١) يبين العلاقة بين رتبة المنتسب ومحاسبة ذوي المراكز والوظائف العالية

الرتبة	الأجابة				
	نعم	٪	لا	٪	مج
	العدد		العدد		
شرطي الى رأس عرفاء	٣٦	٦٩,٢	١٦	٣٠,٨	٥٢
مفوض	١٢	٦٣,٢	٧	٣٦,٨	١٩
ضابط	٦	٣٥,٣	١١	٦٤,٧	١٧
مج	٥٤		٣٤		٨٨

الهوامش والمصادر :

١ – الدكتور حيدر كمونة، مشكلات النقل في المدينة العراقية ،دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦ ص ٥.

٢ – الدكتور عبد الجليل السيف ، دراسات في ادارة المرور في المدن الكبرى ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، ١٩٨٠ ،ص ١٠–١١.

٣ – الدكتور محمد حربي حسن، علم المنظمة ،وزارة التعليم العالي، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٩، ص٢٥ .

٤ – محمد بهجت جاد الله، المنظمات واسس إدارتها، المكتب الجامعي الحديث. الأسكندرية ١٩٨٥، ص١١–١٢.

٥ – الدكتور محمد حربي حسن، علم المنظمة ، مصدر سابق، ص٣٩–٤١.

٦ – المصدر السابق، ص٤٠ .

٧ – صباح الدين علي ، الخدمة الأجتماعية، مؤسسة المطبوعات الحديثة ،القاهرة، ١٩٦٠ ، ص ٢٧١ .

٨ – صباح احمد النجار، مساهمة المرأة في العمل الأنتاجي ،اطروحة ماجستير غير منشورة بغداد، ١٩٨٥ ،ص٩٢ .

9- Smith Walely, Psychology of Industrial Behaviour, Third Edition, Inbernabl and Student edition, Tosho Printing, L.T-D. Tokyo. Japan-1972. P.25 .

١٠ – عبد الله مرقس رابي ،حوادث المرور اسبابها الأجتماعية والنفسية،مطبعة اشبيلية، بغداد ١٩٨٥، ص٧٤ .

١١ – حسن فتح الباب، علم النفس وشرطة المرور ،في المدن والطرقات مجلة العربي ،العدد (١٥٠)، ١٩٧١، ص٩٣–٩٤ .

١٢ – باسل جودت الحسني ، مشاكل المرور في مدينة بغداد، المركز القومي للبحوث الأجتماعية الجنائية، ١٩٨٤، ص٢٦ .

١٣ – العقيد عبد الوهاب عبد الرزاق التحافي ، قوى الأمن الداخلي ، اجهزة الثورة في خدمة الشعب، مجلة الساهرون العدد– ،ص١١.

١٤ – الدكتور ابراهيم عبد العزيز شيحا، الأدارة العامة، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٩ .

١٥ – مهدي قاسم، قواعد السير في الطريق العام، وزارة الداخلية،مديرية المرور العامة،دار الحرية للطباعة ،بغداد، ١٩٨٢، ص٢٢.

١٦ – الدكتور اسحق قطب، حول التخطيط لمشكلة المرور في الكويت،مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية ،العدد (١٠) ،السنة الثانية، الكويت، ١٩٧٧، ص٤٤.

١٧ – الدكتور احسان محمد الحسن، علم الأجتماع ، بغداد، ١٩٧٦، ص٣٠٧ .

١٨ – تألفت لجنة الخبراء من السادة :

١ – العقيد المروري طارق البلداوي	مدير مرور نينوى
٢ – الدكتور حميد كردي	مدرس
٣ – السيد زيد عبد الكريم	مدرس
٤ – السيد صباح احمد	مدرس
٥ – السيد احمد حسن	مدرس

